

تفسير

المسيح الموعود عليه السلام

للقرآن الكريم

(المجلد الثالث)

سيدنا مرزا غلام أحمد القادياني

المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

ترجمة: عبد المجيد عامر

تفسير المسيح الموعود عليه السلام للقرآن الكريم - المجلد الثالث  
الطبعة الأولى: ١٤٤٨ هـ / ٢٠٢٦ م

**An Arabic rendering of**

*Tafseer Hazrat Masih-e-Mauood* <sup>as</sup> (Urdu)

A Collection of the Commentary of the Holy Quran

Compiled from the writings and sayings of

Hazrat Mirza Ghulam Ahmad (peace be on him),  
The Promised Messiah and Mahdi, Founder of the Ahmadiyya  
Muslim Community

Volume:3

Translated from Urdu by: Abdul Majeed Amir

First Arabic translation published in the UK in 2026

© Islam International Publications Ltd.

Published by:

Islam International Publications Ltd  
Unit 3, Bourne Mill Business Park,  
Guildford Road, Farnham, Surrey, GU9 9PS  
United Kingdom

Printed at:

For further information please contact:

Phone: +44 1252 891330

[www.alislam.org](http://www.alislam.org)  
[www.islamahmadiyya.net](http://www.islamahmadiyya.net)

ISBN: 978-1-83596-402-6 (Set of Vol: 1-8)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



# فهرس المحتويات

| الصفحة | الموضوع                       |
|--------|-------------------------------|
| أ      | كلمة الناشر                   |
| ج      | مقدمة الطبعة الأولى الأردنية  |
| خ      | مقدمة الطبعة الأردنية الأخيرة |
| ١      | تفسير سورة آل عمران           |
| ٢٦٣    | تفسير سورة النساء             |
| ٤٧٣    | فهرس المواضيع                 |
| ٤٨١    | فهرس الآيات المفسرة           |





بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

## كلمة الناشر



غير خاف على من اطلع على كتابات وأقوال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام المباركة ما تضمنته من دقائق معرفية لا يكاد أي مجتهد ينالها إلا بشق الأنفس، ثم لا يبلغ منها إلا قدر ما تحمله إبرة دقيقة تُغمس في بحر مَواج.

وإذا شئنا أن نقدم دعوة المسيح الموعود عليه السلام في كلمات موجزة سنقول إنها تعليم الإسلام الذي جاء به سيدنا محمد ﷺ. وهل جاء سيدنا محمد بغير القرآن؟! فدعوة المسيح الموعود عليه السلام بما تضمنته من كتابات منشورة وملفوظات ومواقف مسجلة وسيرة حياتية عملية، كانت تفسيراً واضحاً للقرآن الكريم المُنزَّل من لدن حكيم خبير على قلب أكمل الخلق قاطبة، محمد ﷺ خاتم النبيين، وسيد ولد آدم أجمعين.

وثمة اتفاقٌ ضمنيٌّ بين الناس عموماً والمسلمين خصوصاً أن الوحي لا يمكن الإحاطة بدلالته القطعية إلا بوحى، ويُفهم هذا من قول الله جل في علاه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، وما دام قائل الكلام هو خير من يحيط بدلالته على الوجه الأكمل والأتم، كان تفسير القرآن الكريم مهمة مستحيلة، إلا أن يكون مفسره مُؤيَّداً من منزل القرآن نفسه، الله ﷻ، وذلك لأن الله تعالى هو نفسه القائل: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ \* فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ \* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (القيامة: ١٨-٢٠)

وإننا على مستوى التلقي الطبيعي للقرآن الكريم نجد أن من يحب هذا الكتاب الكريم، ويبدل من أجله كل نفيس ورخيص، بغاية صونه والدفاع عنه، فإن الله ﷻ

يفتح أمامه سبل العرفان، ويؤتیه كنوز معارف الفرقان، فيكون أقدر الناس على فهم هذا الكتاب العظيم، فإنه كتاب لا يعلم تأويله إلا الله العليم، ولا يمسه إلا المطهرون بيد الله الكريم، وهو وحده سبحانه الذي يستطيع أن يؤتي ذلك التأويل الصحيح، والتفسير الفصيح، لمن شاء من عباده الذين ملأ حب القرآن قلوبهم، وأثار بنوره الوضأ ظاهريهم وباطنهم.

ولكي يُبَيِّنَ سيدنا أحمد عليه السلام على صدقه مقابل تكذيب الخصوم إياه، وأنه قد قام فعلاً بأمر الله تعالى، وأن الله تعالى قد جعله من المطهرين، الذين آتاهم سبحانه علوم القرآن المبين، فقد دعا العلماء من الهند وديار العرب أن يباروه في تقديم تفسير لأولى سور القرآن، أي الفاتحة التي هي أم الكتاب. لا يسعنا القول إلا أن المسيح الموعود عليه السلام في ذلك الحين ما كان ينافس إلا نفسه، فما كان لأي من علماء الدين ومشايخه أن ينبري لخوض تحدٍ الخصم فيه مبعوث من الله. فكتب عليه السلام تفسيراً لهذه السورة الجامعة، فكان التفسير ظللاً لكلام الله تعالى، بما حواه من معان لم يُشر إليها أحد من قبل في كافة التفاسير المنشورة. ويتضح منه كيف أنه يستنتج المعاني العميقة، من الكلمات التي طالما نلناها خلال إقامة صلواتنا المفروضة والمسنونة، دون أن يفطن أحد إلى أنها تشتمل على تلك اللآلئ من المعاني وكنوز الحكم، فأثبت بما لا يدع للعقل المنصف مجالاً للاعتراض أنه مبعوث من الله تعالى، فكان مطهراً بيد الله من كل شائنة وشائبة، وليكون مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ \* فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ \* لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة: ٧٨-٨٠)، ومن هذا المنطلق وحده يثبت تلقائياً صدق كافة ادعاءات المسيح الموعود عليه السلام، بعد أن ثبتت طهارته، وذلك حكم القرآن نفسه، والذي من المفترض أن تخضع له رقبة كل مسلم. وفي المقابل يثبت تحافت التهمة الداحضة التي افترها أهل الدنيا وتجار الدين ضد المسيح الموعود عليه السلام من أنه جاء، والعياذ بالله، بكتاب غير القرآن، وقد دعوه بـ "الكتاب المبين"، بهتاناً منهم وزوراً، فكانت تفاسير المسيح الموعود عليه السلام المنشورة



في كتب وملفوظات حضرته بمثابة صفعات تلو الصفعات على أقفية هؤلاء الكذابين المكذّبين المزورين، بما شعت بنور الصدق واليقين.

إن تناول المسيح الموعود عليه السلام للآية القرآنية لا يضاهيه عنايةً تناوُلُ أمهر المنقّبين عن الكنوز وأبرع صاغة المجوهرات، وهو عليه السلام يتعامل بالفعل مع أي التنزيل الحكيم كجواهر ثمّان ووُزودٍ حسان، حتى إنه في معرض حديثه في "البراهين الأحمدية" عن مزايا القرآن وبراهين صدقه وحقيّته بإزاء سائر الكتب المقدسة الأخرى، قد وصف سورة الفاتحة بالوردة. لم يكن هذا الوصف مجرد تعبير أدبيّ مُغرِق في الخيال، بل كان هو عين الحق والحقيقة، إذ تتصف سورة الفاتحة بكل الصفات التي تتصف بها الوردة، وذلك على مستوى الحقيقة الروحانية التي هي الأصل والغاية.

ومما نَجَّبُ الإشارة إليه أنّ سيدنا المسيح الموعود عليه السلام لم يُصنّف كتابًا في تفسير القرآن، وكل مادة هذا الكتاب الذي نضعه بين أيدي القراء اليوم، إنما هي مجموعة من ثنايا كتب حضرته ومقالاته وإعلاناته وملفوظاته في شتى المواقف، وذلك خلال فترة زمنية امتدت من قُبيل وقت بعثته المباركة إلى يوم وفاته عليه السلام في السادس والعشرين من مايو عام ١٩٠٨ م.

وقد حظي بعرف تعريب الأجزاء المكتوبة بغير العربية الأستاذ الداعية عبد المجيد عامر، وعاونه في المراجعة فريق من الإخوة الأفاضل، ونخص بالذكر السادة: المهندس خالد عزام، غسان النقيب (رحمه الله)، جمال أغزول، الدكتور وسام البراقي، الداعية مرزا خليل أحمد بيك، والسيد معتز القزق، والمهندسة لبنى أمة الخبير الجاوي، والدكتورة نور البراقي. نسأل الله تعالى أن يجزي كل من أسهم بجهده في إخراج هذا العمل حسن الثواب، ونسأله تعالى أيضًا لمن يقبل عليه راغبًا في دُرِّه ومعارفه عظيم الفائدة، آمين.



بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

## مقدمة الطبعة الأولى الأردنية



عندما تحدى المسيح الموعود عليه السلام في ٢٠/٧/١٩٠٠م معارضيه لكتابة تفسير القرآن الكريم، قال:

"يثبت من القرآن الكريم أن الذين هم عباد الله في الحقيقة يحالفهم تأييد الله من ثلاثة أنواع... (منها) أنهم يُعطون من علم معارف القرآن ما لا يُعطى غيرهم كما تشهد عليه الآية: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾".

إن معارف القرآن الكريم هذه مذكورة في كتب المسيح الموعود عليه السلام بالأردنية والعربية والفارسية التي يربو عددها على ٨٠ كتاباً. وفي عام ١٩٦٧م أمر سيدنا الخليفة الثالث رحمه الله بجمع هذه المعارف القرآنية والنقاط التفسيرية المنعشة للأرواح، فأُنجز المولوي سلطان أحمد الفاضل (البير كوتي) هذا العمل القيم في وقت قصير جداً ببذل الجهود المضنية والمتواصلة وقدم المسودة لحضرته رحمه الله في كانون الثاني عام ١٩٦٨م.

وفي حزيران عام ١٩٦٩م نُشر المجلد الأول من هذه السلسلة، وها نحن نقدم المجلد الأخير بمناسبة اليوبيل المئوي للجماعة.

وقد حثّ سيدنا الخليفة الثالث رحمه الله في ٧/٣/١٩٨٠م على أن تكون جميع مجلدات هذا التفسير في كل بيت.





بسم الله الرحمن الرحيم  
نحمده ونصلي على رسوله الكريم  
وعلى عبده المسيح الموعود

## مقدمة الطبعة الأردنية الأخيرة



يقول المسيح الموعود عليه السلام: "لقد أُعطيتُ آية بيان حقائق القرآن الكريم ومعارفه، ولا يقدر أحد على مبارزتي فيها." (ضرورة الإمام، الخزان الروحانية المجلد ١٣، ص ٤٩٦)

لقد تحدى المسيح الموعود عليه السلام في ٢٠/٧/١٩٠٠م معارضيه في كتابة تفسير سورة الفاتحة ولكن لم يبارزه أحد. ثم كتب عليه السلام تفسيرها بحسب الشروط ونشره وقال: "ما كتبته من حولي، وإني ضعيف وكمثلي قولي، بل الله وألطافه أغلاق خزائنه، ومن عنده أسرارٌ دفائنه. جمعتُ فيه أنواع المعارف وربّتها." (إعجاز المسيح، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٥٥-٥٦)

إن حقائق القرآن الكريم ومعارفه التي بيّنها المسيح الموعود عليه السلام مذكورة في كتبه وملفوظاته، وقد جُمعت منها وطُبعت للمرة الأولى بصورة كتاب في ٨ مجلدات بعنوان: "تفسير المسيح الموعود عليه السلام".

وعند الطبعة الثانية نُشرت تلك المجلدات الثمانية في أربعة مجلدات، وكانت قد طُبعت بالأسلوب التقليدي القديم الذي تبدو الكتابة فيه كخط اليد.

ثم أمر سيدنا الخليفة الخامس أيده الله تعالى بنصره العزيز بطباعة تفسير المسيح الموعود عليه السلام تنصيذاً على الحاسوب. ولما رأى، نصره الله، كبر حجم المجلدات الأربعة وصعوبة التعامل معها عند القراءة، مع ضرورة أن يكون هذا التفسير قيد

القراءة لدى القراء باستمرار، وجّه نصره الله إلى بسط محتوى المجلدات الأربعة في ثمانية مجلدات.

١- لقد قمنا للتثبت من صحة المقتبسات، بمقارنتها مجدداً مع الطبقات الأولى لكتب المسيح الموعود عليه السلام.

٢- كانت النصوص من قبل مصحوبة باسم الكتاب ورقم الصفحة، أما الآن فقد أضيفت إليها كلمة: "الخزائن الروحانية" أو "الملفوظات" أيضاً.

٣- وأثناء العمل عثرنا على بعض المقتبسات الأخرى أيضاً فأضفناها إلى الطبعة الحالية.

يقول المسيح الموعود عليه السلام: "إن القرآن هو الذي قد فتح سبل النجاة الحقيقية والكاملة، أما ما سواه فليس إلّا ظلٌّ له، لذلك فاقروا القرآن بتدبرٍ، وأحبّوه حبّاً جمّاً، حبّاً ما أحببتموه أحداً، لأن الله تعالى قد خاطبني وقال: "الخيرُ كُلُّه في القرآن".

(سفينة نوح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٢٧)

ووفقنا الله جميعاً لنجعل هذه النصيحة جزءاً من حياتنا لا يتجزأ ولنعمل بها باستمرار، ووفقنا أيضاً لتنوير قلوبنا بمعارف القرآن الكريم وأنواره الروحانية. وجزى الله تعالى خير الجزاء الدعاة الذين ساهموا في إخراج هذه الطبعة، آمين.



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

## تفسير

## سورة آل عمران



﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الآية ٢-٤: ﴿الَمْ \* اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ \* نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾

هو الله الذي لا شريك له، وعليه يعتمد بقاء كل شيء. وقد أنزل عليك الكتاب

بالحق والضرورة الحقة. (نور القرآن رقم ١، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ٣٣٤)

لما كان الله تعالى بحسب العقيدة القرآنية هو خالق جميع الأشياء في الحقيقة وأن جميع الأرواح والأجسام مخلوقاته وظهرت بقدرته تعالى، لهذا فمن عقائد القرآن أن الله تعالى كما هو خالق كل شيء وصانعه فهو قيومه أيضا في الحقيقة. أي أن بقاء كل شيء مرتبط به تعالى. وإن وجوده بمنزلة روح لكل شيء، ولو افترضنا عدمه لانعدم كل شيء. باختصار؛ إن بقاء كل شيء وحياته تستلزم معيته تعالى، (القول الحق، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٩٩)

الآية ٥: ﴿مَنْ قَبْلُ هَدَى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾

يتبين من هنا أن هذه الآية أيضا تتضمن وعد العذاب للمنكرين، لذا كان ضروريا أن يحل بهم العذاب فأنزل الله عليهم عذاب السيف. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٦١)

الآية ٨: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

للنبوءات جزءان دوماً، وقد روعي هذا التقسيم منذ آدم إلى العصر الحاضر، حيث يكون جزء منها من المتشابهات والجزء الآخر من البينات. من المعلوم أن شأن النبي ﷺ كان أعظم من الجميع، أما من منطلق العلم فحين ننظر إلى أحداث الحديبية أقول إن سفره يدل على أنه كان مائلا إلى أن الفتح سيتحقق، فالخطأ الاجتهادي للنبي ليس عاراً، إذ تتحقق الصورة الحقيقية المقدرة، وهذا هو الفرق بين

الله والإنسان (جريدة بدر، مجلد ٢، رقم ١٩، عدد ١٩٠٣/٥/٢٩ م، ص ١٤٧)

الإيمان أن يسلم المرء في حال لم يكتمل علمه بعد، وهو ما زال يصارع الشكوك والشبهات، فالذي يؤمن -أي يقبل رغم ضعفه وعدم توفر جميع أسباب اليقين- بناء على الاحتمال الأغلب، يعد في نظر الله صادقا وبارا، ثم توهب له المعرفة التامة ويسقى كأس العرفان بعد الإيمان. لذا فالرجل المتقي لا يريد أن يعترض على كل جانب في البداية بعد الاستماع إلى دعوة الرسل والأنبياء والمبعوثين من الله، بل الجزء الذي يفهمه بأدلة واضحة وساطعة على صدق المبعوث من الله، يتخذه وسيلة للإيمان والإقرار. أما الجزء الذي لا يفهمه ولا يتبين له فهو يعده بحسب سنة



الصالحين من الاستعارات والمجازات، وبذلك يرتفع التناقض ويؤمن بقاء وإخلاص، عندها يفتح الله باب المعرفة التامة رحمة بأحواله، ورضاً بإيمانه، واستجابة لدعوته، ويوصله إلى اليقين الكامل بالإلهام والكشف وبواسطة آيات سماوية أخرى. لكن الإنسان المفعم بالعناد لا يقوم بذلك وينظر بالاحتقار والهوان إلى الأمور التي يمكن أن تعد وسائل معرفة الحق، ويعرض عنها بالسخرية والازدراء، والأمور التي ما زالت ملتبسة عليه يتخذها وثيقة لإثارة الاعتراضات، وهو ما يفعله الظالمون دوماً.

فالواضح أن جميع النبوءات التي تقدم بها الأنبياء السابقون لها جزآن، أحدهما هي البينات والمحكمات التي لم تكن فيها أي استعارة أو مجاز، ولم تكن بحاجة لأي تأويل، والجزء الثاني المتشابهات التي كانت بحاجة إلى التأويل، وكانت مخفية وراء ستار بعض الاستعارات والمجازات. ثم في زمن بعثة الأنبياء انقسم المحتاجون إلى تلك النبوءات إلى قسمين، فريق منهم السعداء إذ لم يتأخروا عن الإيمان إثر ملاحظة البينات، واعتبروا الجزء المتعلق بالمتشابهات من المجاز، وانتظروا تبيان الحقائق في المستقبل، وبذلك وجدوا الحق، ولم يتعثروا. وهذا ما حدث في عصر عيسى عليه السلام أيضاً، حيث كان في الصحف السابقة نوعان من النبوءات عن المسيح عليه السلام إحداهما أنه سيظهر في زي المساكين والمتواضعين والضعاف، وسيأتي في زمن حكومة أجنبية، وسيكون من سلالة داود، ويعمل بحلم ورفق، ويظهر الآيات. والقسم الثاني من النبوءات كان يفيد أنه سيكون ملكاً وسيقاتل كالمملوك، وسيخلص اليهود من الخضوع لسلطة الأجانب، وأن إيليا النبي سيبعث ثانية إلى العالم، ولن يظهر المسيح ما لم يبعث إيليا. ثم حين بعث عيسى عليه السلام انقسم اليهود إلى قسمين، أحدهما كان صغيراً جداً وقليل العدد، حين وجدوا المسيح من نسل داود ولاحظوا تواضعه وصدقه ومسكنته، ورأوا معه الآيات السماوية ووجدوا أن الزمن بحاجة إلى نبي مصلح، وأنه ظهر بحسب الزمن في النبوءات السابقة، أيقنوا أنه المسيح نفسه الذي وُعد بمجيئه

بنو إسرائيل، فآمنوا بالمسيح وبرفقته تعرضوا لأنواع الأذى والاضطهاد، وأبدوا صدقهم عند الله وَعَلَّمَ اللَّهُ. أما حزب الأَشقياء فلم يلتفتوا قط إلى العلامات الواضحة البينة، حتى إنهم لم ينظروا إلى حالة العصر وتمسكوا بالمتشابهات على شاكلة الأَشْرار وبدأوا يسبون ذلك الصالح بمنتهى التجاسر، وسموه ملحدا وكافرا وقالوا إنه يؤوّل الصحف المقدسة باطلا، وأنه أوّل بعثة النبي إيليا ثانية باطلا، وصرف النص الصريح عن كلماته، وأنه وصف علماءهم بالمكارين والمرائين، وأنه فسر الكتب المقدسة تفسيراً خاطئاً، وأصروا بمنتهى الوقاحة على أنه لم يتحقق فيه أي حرف من نبوءات الأنبياء، إذ لم يبعث ملكا ولم يقاتل الشعوب الأجنبية، ولم يخلصنا منهم ولم ينزل قبله إيليا، فكيف يمكن أن يكون مسيحا صادقا.

باختصار لم يُرد أولئك الأَشْرار الأَشقياء أن ينظروا إلى أنوار الصدق وعلاماته، وأرادوا أن يفسروا المتشابهات على ظاهرها مرارا، وهذا الابتلاء نفسه واجهه معظم اليهود في عصر نبينا ﷺ فهم أيضا لم يريدوا الانتفاع - على شاكلة أسلافهم - من جزء النبوءات المتعلق بالبينات، وحرّموا من ثروة طاعة النبي الكريم الذي هو سيد الكونين لتمسكهم بالمتشابهات التي كانت استعارات ومجازات أو تركيزهم على النبوءات المحرّفة، كما تصرّف مثل ذلك أكثر النصارى أيضا، حيث كانت في الإنجيل نبوءات واضحة وبينة بحق نبينا ﷺ فلم يمسوها. أما الجزء الثاني للنبوءات أي الاستعارات بحسب سنة الله فانقضّوا عليه، فلم يهتدوا إلى الحقيقة، إلا أن الذين كانوا منهم طلاب الحق، وكانوا مطلعين على أسلوب وطراز نص النبوءات، استفادوا من نبوءات الإنجيل المتعلقة ببعثة النبي الجليل، وتشرفوا باعتراف الإسلام. وكما تمسك اليهود المؤمنون بالمسيح بالبينات من النبوءات وكانوا تركوا المتشابهات كذلك فعل النصارى الصلحاء، واعتنق ألوف مؤلفة من السعداء منهم الإسلام. باختصار؛ إن الحزب الذين أصروا على الإنكار تمسكا بالمتشابهات من اليهود والنصارى ولم

يستفيدوا من النبوءات البينات التي تحققت، ذكر كلاهما في القرآن الكريم بكثرة. وقد ذكر ذلك لكي يأخذ المسلمون عبرة بمشاهدة شقاوتهم، وليحذروا الهلاك بترك البينات والتمسك بالمتشابهات على شاكلة اليهود والنصارى، ولا يتوقعوا أن تتحقق حرفياً- وبجميع جوانبها- تلك النبوءات التي تنشر سلفا بحق المبعوث، بل يجب أن يستعدوا للإيمان بأن بعض أجزاء النبوءات من هذا القبيل تتحقق في صورة الاستعارة والمجاز بحسب سنة الله القديمة، لكن الغافلين وأصحاب الأفكار السطحية يظنون ينتظرون، أنها لم تتحقق بعد بل سوف تتحقق في المستقبل. كما أن اليهود حتى الآن يترقبون بلهفة أن يبعث النبي إيليا من جديد، وبعده سيظهر مسيحهم الموعود كالملك العظيم، وسيهب اليهود الحكومة والإمارة، مع أن كل هذه الأمور قد تحققت، ومضى على ذلك قرابة ١٩٠٠ عام، إذ قد بعث من كان سيأتي ورحل من هذا العالم. (بدر، مجلد ٢، رقم ٤٧، عدد ١٦/١٢/١٩٠٣ م، ص ٣٧٢)

من المفيد جدا والجدير بالذكر أن الذين يأتون مبعوثين من الله، سواء كانوا رسلا أو أنبياء أو محدّثين أو مجددين، فالنبوءات التي تسجل بحقهم في الكتب السابقة أو في كلام الرسل يكون لها جزءان، أحدهما العلامات التي تتحقق ظاهريا والثاني المتشابهات التي تكون في سمة الاستعارة والمجاز. فالذين يكون في قلوبهم زيغ واعوجاج يتبعون المتشابهات أما الطلاب الصادقون فيستفيدون من البينات والمحكمات. فقد واجه اليهود والنصارى هذا الابتلاء سلفا، ويجب على أولي الأبصار من المسلمين أن يأخذوا العبرة منهم، ولا يسارعوا في التكذيب نظرا إلى المتشابهات فقط، وليستفيدوا لهدايتهم من الأمور التي تنكشف من الله. فالواضح أن الشك لا يرفع اليقين. فالجزء الثاني من النبوءات الذي لم يتحقق بعد في الظاهر أمر مشكوك فيه، لأنه من المحتمل أن يكون قد تحقق استعارة أو مجازا على شاكلة البعثة الثانية لإيليا، ويخطئ من ينتظر أن يتحقق حرفيا يوما من الأيام. كما من المحتمل أن لا تبقى

بعض كلمات الحديث محفوظة، لأن كلمات الحديث ليست كالوحي المتلو، ومعظم الأحاديث مجموعة الآحاد. فالاعتقاد أمر ويمكن أن يعتقد المرء فيما يريد، إلا أن القرار الحقيقي الواقع أن الآحاد يمكن عند العقل أن يحدث فيها تغيير الكلمات. فالحديث نفسه الذي يصل عن طرق مختلفة وعبر رواة مختلفين يكون فيه عادة تغيير كثير في كلماته وترتيبها، مع أنها صدرت من فم واحد في وقت واحد. فمن هنا يفهم بجلاء أنه لما كانت كلمات أكثر الرواة وأساليبهم مختلفة لذا يحدث اختلاف، كما من المحتمل - في الجزء المتعلق بالمتشابهات في النبوءات - أن بعض أحداث النبوءات التي ظُنَّ أنها ستتحقق دفعة واحدة، أن تظهر تدريجاً، أو أن تظهر عن طريق شخص آخر، كما كانت نبوءة نبينا ﷺ أنه أعطي مفاتيح كنوز قيصر وكسرى مع أنه واضح أن النبي ﷺ كان قد توفي قبل تحقق هذه النبوءة، وأنه ﷺ لم ير كنوز قيصر وكسرى ولا مفاتيحها، لكن لما كان قد قُدر أن يفوز بتلك المفاتيح سيدنا عمر رضي الله عنه لأن وجوده كان وجود النبي ﷺ نفسه ظلياً، لذا فقد عُدَّت يده في عالم الوحي يد النبي ﷺ. باختصار إن المنخدعين ينخدعون في مثل هذا الموضع إذ من شقاوتهم يتوقعون أن يتحقق كل جزء من النبوءة حرفياً وظاهراً حتماً، ثم حين يحين الموعد ويبعث المبعوث من الله ﷻ فهم لا يبالون بالعلامات التي تحققت عن صدقه في الظاهر، ويقدمون مراراً وتكراراً تلك العلامات التي لم تتحقق لصدقه في الظاهر أو لم يحن موعد تحققها بعد، فالأهم الهالكة التي لم تؤمن بالأنبياء الصادقين كان السبب الوحيد لهلاكها أنهم ظلوا يحسبون أنفسهم أذكىء لكن أسلوبهم هذا حرّمهم من قبول الحق.

من الغريب أن ما صدر من اليهود والنصارى في الزمن الأول بخصوص عدم فهم النبوءات، ومن ثم لم يقبلوا الصادقين، وكذلك عاملني قومي المسلمون. فكان من الضروري أن تكون النبوءات عن بعثة المسيح الموعود على قسمين بحسب سنة الله

القديمة؛ أحدهما البينات التي كانت ستتحقق في صورتها الظاهرة، والجزء الآخر للمتشابهات التي كان ستتحقق في صورة الاستعارة والمجاز. فالمؤسف أن هؤلاء القوم أيضا اقتفوا بآثار المخطئين السابقين، فردّوا البينات التي تحققت بمنتهى الجلاء تمسكا بالمتشابهات، مع أن التقوى كانت تفرض عليهم أن يتذكروا ابتلاءات الأمم السابقة، ولا يتمسكوا بالمتشابهات ويستفيدوا من البينات أي الأمور والعلامات التي تحققت بمنتهى الوضوح لكنهم لا يفعلون ذلك. بل عندما تُذكر لهم نبوءات النبي ﷺ والقرآن الكريم التي معظم أجزائها قد تحققت بجلاء يعرضون عنها بكثير من اللامبالاة والاستغناء، ويقدمون بعض الأمور المتعلقة بالاستعارات ويقولون لماذا لم يتحقق هذا الجزء من النبوءات حرفيا. ومع ذلك حين يُذكر المكذبون السابقون - أولئك الذين لم ينظروا على شاكلة هؤلاء تماما إلى العلامات المتحققة ولم يقبلوا الحق نظرا إلى الجزء المتعلق بالمتشابهات التي كانت في صورة الاستعارة بحجة أنها لم تتحقق ظاهريا - فهؤلاء يقولون لو كنا في زمنهم لما فعلنا ذلك مع أنهم أنفسهم يفعلون ما فعله المكذبون السابقون. فهم لا يقبلون العلامات ولا الآيات المتحققة التي تُكسب نور القبول، ويتجولون متمسكين بالمتشابهات التي تغلب عليها سمة الاستعارة والمجاز، ليخدعوا العامة بقولهم إنها لم تتحقق. مع أنه بحسب طريق تعليم سنة الله كان من الضروري أن لا تتحقق تلك الأمور على صورة يحسبونها. أي لا شك أن جزءا قد تحقق ظاهريا وجزء تحقق خفيا، لكن المتعصبين المعاصرين لم يريدوا القبول، إذ يُعرضون بعد رؤية كل إثبات ويعدون آيات الله مكرًا إنسانيا. حين يسمعون إلهامات الله القدوس الطيبة يقولون إنها افتراء الإنسان، لكنهم لا يجيبون على السؤال هل نال أي مفتر لنشر مثل هذه المفتريات المهلة المماثلة التي نالها الملهمون الصادقون من الله؟ ألم يقل الله ﷻ إن المدعين بتلقي الوحي افتراء سيُهلكون، وأن الذين يكذبون على الله سيبيطش بهم. فقد ورد في التوراة أيضا أن النبي الكاذب سيُقتل

وفي الإنجيل أيضا أن الكاذب يفنى عاجلا، وأن جماعته تتشتت. هل يوجد أي نظير أن المفتري على الله كذبا نال عمرا في أيام الافتراء كالذي نلته أنا العبد المتواضع في أيام نشر الإلهام. فإذا كان عندكم أي نظير فقدموه، إنني أقول لكم بكل تحذير أنكم لن تجدوا أي نظير له من بدء العالم إلى اليوم.

فهل هناك مَنْ يستفيد من هذا الدليل المحكم القاطع ويخاف الله؟ لا أقول إن عبدة الأوثان لا يعمرّون أو يُقبض عاجلا على الملحدّين أو على من يقول أنا الحق، لأن للمعاقبة على هذه الأخطاء والضلال هناك عالم آخر. وإنما أقول إن الذي يفترى على الله قائلا أنه قد أوحى إليه من الله مع علمه أنه لم يوحَ إليه، يُقبض عليه عاجلا، ويعيش قصيرا. هذا ما شهد عليه القرآن والتوراة والإنجيل وما يؤيده العقل أيضا، وخلاف ذلك لا يستطيع منكر تقديم نظير من التاريخ أن مدعي كاذبا ظل ينشر إلهاماته الكاذبة لمدة ٢٥ أو ١٨ عاما في العالم وتظاهر كاذبا أنه مقرب إلى الله وأنه مبعوث من الله ومرسل منه، وظل ينشر إلهاماته المختلفة من عنده تأييدا لدعواه على مدى سنين طويلة، ولم يُلَقَ عليه القبض رغم كل هذه التصرفات الإجرامية. فهل نتوقع أن يرد على سؤالنا هذا أحد من معارضينا؟ كلا. إن قلوبهم تعرف جيدا أنهم عاجزون عن الرد على هذه الأسئلة، ومع ذلك لا يكفّون عن الإنكار، بل قد أقيمت عليهم الحجة بأدلة كثيرة، لكنهم يرددون في أسيرة الغفلة. (جريدة بدر، مجلد ٢، رقم ٤٨، عدد ١٩٠٣/١٢/٢٤ م، ص ٣٨٢-٣٨٣)

إن وجود شيء من الإخفاء والمتشابهات في الأنباء ضروري. وهذا ما جرت عليه سنة الله منذ الأزل. لو كتب النبي إيليا في نبوءته بصراحة أنه لن يأتي بنفسه بل سيأتي مثيله لما واجه علماء ذلك العصر هذا القدر من العراقيل في سبيل الإيمان بعيسى عليه السلام. كذلك لو جاءت النبوءات عن النبي ﷺ بكلمات واضحة صريحة في التوراة والإنجيل تُفيد بأن نبي آخر الزمان سيكون من أولاد إسماعيل وسيولد في مكة

لما رفض اليهود الإيمان به ﷺ. ولكن الله تعالى يتلي عباده ليعلم من المتقي منهم الذي يعرف الصدق برؤية آياته ويؤمن به. (بدر، مجلد ٦، رقم ٢٠، عدد ١٦/٥/١٩٠٧م، ص ٣)

الآية ٩: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾

يا ربنا أنقذ قلوبنا من الزلة، وأنقذنا من أن نزلّ بعد إذ هديتنا.... (تذكرة الشهادتين، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٢٧)

الآية ١٠: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾  
المراد من الوعد هو ما تقرر في العلم الإلهي كوعد وليس بالأمر الذي يزعمه المرء وعدا حاسما. لذلك جاء لفظ "الميعاد" معرّفا بـ"ال" ليفيد العهد الذهني، أي الأمر الذي سمي وعدا في مشيئة الله الأزلية، فهو لا يتبدل سواء اطلع الإنسان على تفاصيله أم لا. وإلا من المحتمل أن تكون البشارة التي يراها الإنسان وعدا مشروطة بشرط خفي يكون عدم تحققه ضروريا لعدم تحقق تلك البشارة، لأن كشف الشروط ليس واجبا على الله. فهذا هو المبحث الذي كتبه الشاه ولي الله بإسهاب، وتحدث المولوي عبد الحق الدهلوي في شرح فتوح الغيب بأسلوب رائع جدا، وكتب أن ابتهاج النبي ﷺ وضارعه في معركة بدر كان ناتجا عن اعتقاده أنه من المحتمل أن يكون تحقق المواعيد الإلهية والبشارات مشروطة بشرط خفي. والحكمة في هذه السنة الإلهية هي أن تبقى هيبة الله وعظمته - سبحانه وتعالى - مستولية على عباده الخواص. ملخص الكلام أنه صحيح أن الله - سبحانه وتعالى - لا يخلف مواعيده، فهي تتحقق بحسب علم الله لكن الإنسان ناقص العقل يظن أحيانا أنها أخلفت لعدم اطلاعه على بعض الشروط الخفية التي بسببها تتغير طبيعة النبوءة. وقد كُتب من قبل أن من الجدير بالانتباه بخصوص النبوءات الإلهامية أنها تتحقق دوما بحسب

الشروط المندرجة في السنة الإلهية وكتاب الله، سواء صُرح بها في إلهام وليٍّ أم لا. (مجموعة الإعلانات، المجلد ١، ص ٤٤٧-٤٤٨، الحاشية)

إن زوال المواعد والوعيد سنة الله التي لا يسع أحدا إنكارها إلا من كان جاهلا شديدا الجهل. انظروا، لقد وُعد موسى ثلاثين ليلة لنزول التوراة ولم يكن هناك شرط مع الوعد ولكنه لم يبق على حاله بل زيدت عليه عشرة أيام أخرى، وبناء على ذلك وقع بنو إسرائيل في فتنة عبادة العجل. فلما كان ثابتا بالقطع من النص الصريح أن الله تعالى يستطيع أن يزيل موعد الوعد أيضا الذي لم يصحّ معه بأيّ شرط فإن التأخير في موعد الوعيد عند التوبة يدخل في لطفه ﷻ. لقد قلت من قبل بأنه لو زال موعد العذاب نتيجة التوبة والاستغفار فهذا لا يسمّى إخلاف الوعد لأن الوعد العظيم من سنة الله. فلما تحققت سنة الله كان ذلك إيفاء بالوعد لا إخلافه. (مجموعة الإعلانات، المجلد ١، ص ٤٤٦-٤٤٧)

إن وعد الله هذا حقٌّ ونؤمن بأنه يفي بوعوده وهو رحيم وكرم جدًا. الذي يصبح لله ينقذه من كل ذلة، ويكون حافظه وناصره بنفسه. أما الذين من ناحية يدعون الاتقاء ومن ناحية أخرى يشتكون أنهم لم يتلقوا البركات، فأياّ منهما نصدّق وأياّ نكدّب؟ لا يسعنا اتهام الله ﷻ قط، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (آل عمران: ١٠)، بل سنكدّب المدعي. الحقيقة أن تقواهم أو صلاحهم لا يكون قد بلغ درجة لها أهمية عند الله، أو لا يكون هؤلاء الناس أتقياء لوجه الله ﷻ بل يتقون الناس ويرأون، فتحل عليهم اللعنة بدلا من الرحمة والبركة ويتيهون متورطين مصابين بمشاكل الدنيا. إن الله ﷻ لا يضيع المتقي أبداً، هو صادق الوعد. (الحكم، المجلد ٧، رقم ١٢، عدد: ٣١/٣/١٩٠٣ م، ص ٥)

ما أجهل الذين يظنون بأن الله ليس قادرا على تغيير إرادته ولا يستطيع أن يرفع الوعيد.. أي أنباء العذاب. ولكننا نؤمن بأنه ﷻ قادر على إلغائها، وظل يلغيها منذ



القدم وسيظل يلغيها في المستقبل أيضا. ولا نؤمن بالإله الذي لا يقدر على ردّ البلاء نتيجة التوبة والاستغفار، ولا يسعه تبديل إرادته من أجل المتضرعين في حضرته. بل الحق أنه سيظل يبدّلها دائما. لقد ورد في الكتب السماوية السابقة أنه لم يبق من عمر أحد الملوك إلا ١٥ يوما فبدّلها الله تعالى من ١٥ يوما إلى ١٥ عاما بسبب تضرعه وبكائه. وهذا ما جرّته شخصيا أيضا أنه تكون هناك نبوءة مهيبة ولكنها تُلغى بالدعاء. أما إذا كان إلههم الافتراضي غير قادر على ذلك فلا نؤمن به، بل نؤمن بالإله الذي وردت صفته في القرآن الكريم كما يلي: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ١٠٧). وبالإضافة إلى ذلك فإن جميع الأنبياء متفقون على إلغاء نبوءة الوعيد.. أي نبوءة العذاب. أما النبوءة بالوعد فقد ورد عنها في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (آل عمران: ١٠) ونؤمن أيضا بأن الله تعالى لا يخلف ميعادا يكون مطابقا لعلمه. أما لو اعتبر الإنسان -خطأ منه- أمرا معيناً وعدا من الله كما فعل نوح عليه السلام لجاز الإخلاف فيه، لأنه لم يكن وعدا من الله في الحقيقة، بل الإنسان أخطأ واعتبره كذلك دون مبرر. وفي هذا الصدد يقول السيد عبد القادر الجيلاني: "قد يوعد ولا يوفى". والمراد من ذلك أن هذا النوع من الوعد يكون مصحوبا بعدة شروط كامنة. وليس واجبا على الله أن يميّط اللثام عن جميع الشروط. ففي هذا المقام يتعثر الغرّ وينكر، أما الكامل فيقرّ بجهله. ولهذا السبب كان النبي صلى الله عليه وآله يدعو الله تعالى بخشوع وابتهاال كبيرين عند معركة بدر على الرغم من وعد الله تعالى بالفتح، وكان يتضرع قائلا: "اللهم إن أهلك هذه العصابة لن تُعبد في الأرض أبدا"، خوفا منه أن تكون في الوعد شروط خفية لم تتحقق بعد. (تتمة حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٥٧١-٥٧٢)

لقد جعل الله تعالى نبوءة الوعيد شرطية منذ البدء فلو أراد أن يلغي الوعيد لألغاه، لذا قد جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ ولم يرد "إن الله لا يخلف الوعيد". (كتاب البراءة، الخزان الروحانية، المجلد ١٣، ص ٤١)

الناس لا يدركون نعمة أن الصدقة والدعاء والتبرعات تردّ البلاء. لو لم يكن ذلك لمات الإنسان وهو حيّ، إذ لم يكن له أي أمل وطمأنينة في المصائب والمشكلات، لكن الله قال: ﴿لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ﴾ (آل عمران: ١٠)، ولم يقل لا يخلف الوعيد. الوعيد الإلهي يكون معلّفاً، ويتبدل بالدعاء والصدقة، والأمثلة على ذلك تفوق العدّ والإحصاء. لو لم يكن ذلك حقاً لما كان في طبع الإنسان حماس للدعاء ودفع الصدقة عند حلول المصيبة والبلايا.

نجد في تعاليم جميع الأنبياء والصلحاء الذين أتوا في العالم - أيا كانت منطقتهم وشعبهم - أنهم علّموا دفع الصدقات والتبرعات. لو لم يكن الله ﷻ قادراً على شطب القدر والقضاء وإثباته لصار هذا التعليم كله عبثياً، واضطررنا للقول: إن الدعاء ليس شيئاً يُذكر. وهذا القول قتل حقيقة عظيمة. إن صدق الإسلام وحقيقته تكمن في نكتة الدعاء، لأنه لولا الدعاء حقاً لكانت الصلاة أيضاً عديمة الجدوى، ولما نفعت الزكاة أيضاً، بل أصبحت جميع الأعمال لغواً والعياذ بالله. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٣، عدد ١٠/٤/١٩٠٣ م، ص ٣)

أتأسف على أن معارضينا يسمون أنفسهم مسلمين، ولكنهم يجهلون مبادئ الإسلام؛ فمن المسلّم به في الإسلام، أنه ليس ضرورياً أن يحقق الله بالضرورة نبوءة تحتوي على الوعيد، أي النبوءة التي تنذر بحلول آفة بشخص أو يقوم. ففي هذه الحالة يمكن أن يلغي الله تعالى تلك الآفة كما ألغى نبوءة يونس عليه السلام التي حددت مدة أربعين يوماً. أما النبوءة التي تحتوي على الوعد، أي البشارة عن إنعام، فلا تُلغى قط. لقد قال تعالى في هذا الصدد: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ﴾ ولم يقل: إن الله لا يخلف الوعيد. والسر في ذلك أن نبوءة الوعيد يمكن أن تُلغى نتيجة الخوف والدعاء والصدقة. ولقد أجمع الأنبياء كلهم على أن البلاء الذي يكون نازلاً على شخص في علم الله، يمكن رده نتيجة الصدقة والخوف والخشوع. (تذكرة الشهادتين، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٤٤)

الآية ١٣: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾  
 قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ قريبا وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ في نهاية المطاف. (البراهين  
 الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد الأول، ص ٢٤٩ الحاشية رقم ١١)  
 إذا كان الإنسان متعودا على لذة يشعر بالألم والمعاناة عندما يُكره على تركها،  
 وهذه هي الجحيم. فإذا كان المرء يرى كل نوع من اللذة في أشياء دنيوية فسيضطر  
 إلى تركها يوما وسيدخل جهنم مباشرة. أما الذي تكمن لذاته كلها في الله فلا يشعر  
 بأي ألم أو معاناة، لأنه عندما يترك هذه الدنيا يدخل الجنة مباشرة. (الحكم، مجلد ٧،  
 رقم ١، عدد ١٠/١/١٩٠٣ م، ص ١١)

الآية ١٨: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ  
 بِالْأَسْحَارِ﴾

يَعْلَمُنَا اللهُ تَعَالَى أَنِ اسْتَغْفِرُوا صَبَاحَ كُلِّ يَوْمٍ كَمَا يَقُولُ: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ  
 وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾، ثُمَّ يَقُولُ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ  
 مُحْسِنِينَ \* كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ \* وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾  
 (الذاريات: ١٧-١٩). يتبين من هذه الآيات أن الله تعالى لا يأمرنا فقط أن نستغفر  
 حين يصدر منا إثم بل يريد أن نستغفر دون ارتكاب الذنوب أيضا. (مجلة مقارنة  
 الأديان، مجلد ٢، رقم ٦، عدد حزيران ١٩٠٣ م، ص ٢٤٣)

الآية ٢٠: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ  
 إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ  
 اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

وانظروا إلى كلمة الإسلام، فإن معناها اللغوي هو تسليم الأمر لأحد أو ترك المواجهة  
 والامتثال والطاعة. (البراهين الأحمدية، الجزء الثالث، حاشية في رقم ١، ص ٢٤٥)

الإسلام في لغة العرب هو إعطاء ثمن الشيء مقدما، أو تسليم المرء عمله لأحد، أو طلب الصلح وترك أمر أو خصومة. أما معنى الإسلام اصطلاحا فهو ما أُشير إليه في هذه الآية الكريمة: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ١١٣)، أي أنّ المسلم هو الذي يسلم نفسه كلية في سبيل الله؛ أي ينذر نفسه لله لاتباع مشيئته ﷺ ونيل مرضاته، ثم يثبت على الأعمال الصالحة لوجه الله، ويسخر كل قواه العملية في هذا السبيل، أي يصبح لله تعالى وحده اعتقادا وعملا. والمراد من "اعتقادا" هو أن يعدّ وجوده كله في الحقيقة شيئا قد خُلق من أجل كسب معرفة الله وطاعته وعشقه ومحبته ومرضاته. وأما "عملا" فمعناه أن يكسب الحسنات الحقيقية -لوجه الله فقط- المرتبطة بكل قدرة وقوة موهوبة من الله بذوق وشوق وتركيز وإخلاص، وكأنه يرى وجه معبوده الحقيقي في مرآة طاعته. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ٥٧-٥٨)

إن حقيقة الإسلام التي يعلمها القرآن الكريم ليست شيئا جديدا بل قد أرسل جميع الأنبياء عليهم السلام لإظهار الحقيقة نفسها. وقد هدفت الكتب الإلهية كلها دائما إلى إقامة بني آدم على هذا الصراط المستقيم. ولكن تعليم القرآن الكريم يفوق جميع التعاليم الأخرى كاملةً وذلك لسببين اثنين.

**أولا:** إن الأنبياء السابقين ما كانوا يُبعثون إلى جميع بني آدم في عصرهم، بل إلى أقوامهم فقط الذين كانوا يملكون مواهب محدودة وكانوا بحاجة إلى الإصلاح من حيث العادات والمعتقدات والأخلاق والسلوكيات المحددة. لذا كانت تلك الكتب تأتي بذلك القدر المحدد من الهداية -مثل قانون خاص يقوم معيّن- التي كانت تناسب ذلك القوم المعين على قدر مواهبهم وقدراتهم.

ثانياً: كان هؤلاء الأنبياء يتلقون شريعة تخص زمناً محدداً، ولم يرد الله لتلك الكتب أن تبقى هدايتها جارية إلى نهاية العالم لذا كانت تلك الكتب -مثل قانون خاص بقوم معين- تأتي بهداية خاصة بزمان قدرته الحكمة الإلهية للالتزام بتلك الكتب. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ١٢٦-١٢٨)

لقد بين عدة وسائل لتحصيل حقيقة الإسلام، ولكن مآل كل تلك الوسائل يعتمد على أمرين اثنين فقط:

أولاً: أن يتسنى اليقين الكامل بوجود الله تعالى وبمالكيته التامة وبقدرته التامة وبسلطته المطلقة، وبعلمه التام، وبحسابه الكامل، وبأنه واحد لا شريك له، وبأنه الحي القيوم والحاضر الناظر وذو الاقتدار وأنه الأزلي والأبدي، وأنه "الأحد" بكل قواه وقدراته وجلاله وكماله؛ لدرجة يرى المرء كل ذرة من وجوده ووجود العالم كله تحت سيطرة الله وخاضعاً لحكمه. ويرى مشهد: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ (الأنعام: ١٩) ماثلاً أمام عينيه، ويكتب في قلبه بخط كبير "بيده ملكوت السماوات والأرض" ويترسخ فيه نقشه القوي لدرجة أن عظمته وهيبته وكبرياءه تجعل كافة الأهواء النفسانية تضمحل بأشعته القاهرة وتبهرها وتحل محلها، وتلقي بهيبته الدائمة في القلب، وترمي بملكوت النفس تحت تراب المذلة نتيجة صولها القاهرة، وتمزقها إرباً، وتحطم جدران الغفلة بتجلياتها المهيبة، وتهدم أبراج الكبر، وتطيح بحكومة الظلمة البشرية كلياً من عاصمة الوجود البشري، وتُري أهواء النفس الأمارة -التي كانت تحكم طبيعة الإنسان وعُدّت ذات مكرمة- ذليلة مهانة لا أهمية لها ولا قدر.

ثانياً: أن يطّلع المرء اطلاعاً شاملاً وواسعاً على حسن الله وإحسانه، لأن الحب الكامل إنما ينشأ إما نتيجة الحسن أو الإحسان. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٥، ص ١٨٠-١٨٢)

فليتضح أنه إذا تمسك الباحث الصادق عن الله بالإسلام على وجه كامل، ليس تكلفاً ولا تصنعاً بل خاض في سبل الله بصورة طبيعية بكل ما أُعطي من قوة، فالنتيجة النهائية لهذه الحالة هي أن تجليات هدى الله العليا تتوجه إليه خارقة كل الحُجُب وتنزل عليه أنواع البركات. والأوامر والعقائد التي قبلها الإنسان من قبل إيماناً وعلى سبيل السماع فقط تُكشف عليه في هذه المرحلة مشهوداً ومحسوسة بواسطة الكشف الصحيحة والإلهامات اليقينية القاطعة وتُظهر عليه دفائن الشرع والدين والأسرار الكامنة في الملة الخفيفة، ويُكرم بالتنزه في ملكوت الله ليحظى بمرتبة اليقين والمعرفة الكاملة. وتوضع البركة في لسانه وبيانه وكافة أفعاله وأقواله وحركاته وسكناته، ويوهب شجاعة واستقامة وهمة خارقة للعادة. ويُعطى مكانة عليا من انشراح الصدر، ويُعدّ كلياً عن ضيق الأفق الناتج عن حُجُب البشرية، وعن الخسة والبخل والعتار المتكرر وعبودية الشهوات ورداءة الأخلاق وظلمة النفس بكل أنواعها، ويُوهب مكانها الأخلاق الربانية الفاضلة؛ عندها يتغير تماماً ويلبس لباس الخلق الجديد، ويسمع بالله ويرى بالله، ويتحرك مع الله ويسكن مع الله. يصبح غضبه غضب الله ورحمه رحم الله. ففي هذه الدرجة تُجاب أدعيته اصطفاً وليس ابتلاءً. ويكون هذا الشخص حجة الله على الأرض وأمانه وَجَلَّ. وفي السماء يُحتفل بوجوده. والعطية العليا التي يُعطها هي مكالمات الله ومحاطباته التي تنزل على قلبه باستمرار - دون أدنى شك وريب وغبار - ساطعةً مثل القمر، وتكون مصحوبة بالمتعة القوية التأثير وتُطمئنُه وتُهب الهدوء والسكينة. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ٢٢٧-٢٣١)

الإسلام الذي يقدمه القرآن يقول عنه: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ أي إن الدين الصادق الكامل عند الله هو الإسلام، ويقول أيضاً: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٨٥)

الدين الذي يكفل المعرفة الربانية الصحيحة وعبادة الله على أحسن وجه إنما هو الإسلام. (فلسفة تعليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤١٥)

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ الأديان كلها باطلة ما عدا الإسلام. (عاقبة آثم، الخزائن الروحانية، المجلد ١١، ص ٣١٤، الحاشية)

حقيقة الإسلام أن تَخِرَّ أرواحكم على عتبة الله تعالى، وأن تقدموه لِلَّهِ وأوامره على دنياكم في كل أمر. (تذكرة الشهادتين، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٦٣)

إن حقيقة الإسلام هي تسليم العنق إلى الله تعالى لتذبح مثل الشاة، وترك الإنسان جميع إراداته، وفناؤه في رضا الله تعالى وإراداته، وقبول نوع من الموت لنفسه بعد الفناء في الله، والانصباعُ بصبغة حب الله بصورة كاملة، ثم القيام بطاعته وَبِطَاعَةِ نتيجة حبه الذاتي وليس لأي سبب آخر، والحصولُ على عينين لا تريان إلا بالله، وأذنين لا تسمعان إلا بالله، وقلب خاضع لله وحده، ولسان لا ينطق إلا بإنطقه.

هذا هو المقام الذي تنتهي عليه كل أنواع السلوك؛ حيث تكون القوى الإنسانية قد أنجزت كافة المهام الموكولة إليها. ويطرأ على نفسانية الإنسان موت كامل، عندها تهب رحمة الله ذلك الإنسان حياة جديدة بكلامه الحي وأنواره الساطعة، فيتشرف بكلام الله العذب. والنور الأدق الذي لا يمكن للعقول أن تكتشفه، ولا تدرك العيون كنهه، يقترب إلى قلب الإنسان تلقائياً. (محاضرة لاهور، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٦٠)

إنما الإسلام الحقيقي أن ينذر المرء قواه وقدراته كلها في سبيل الله ما دام على قيد الحياة، ليرث حياة طيبة. وقد أشار الله تعالى إلى ضرورة وقف الحياة ابتغاء مرضاة الله فقال: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ١١٣). وقوله تعالى: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ هنا يعني أن يَخِرَّ المرء على عتبة الله مرتدياً رداء الفناء والتذلل، وينذر حياته وماله وشرفه وكل

ما في حوزته في سبيل الله تعالى، ويسخر كل ما في الدنيا من شيء ومتاع في خدمة الدين. (الحكم، مجلد ٤، رقم ٢٩، عدد ١٦/٨/١٩٠٠م، ص ٣)

الإسلام الحقيقي هو تسليم العنق كالشاة، كما قال النبي ﷺ: إن مماتي ومحياي وصلواتي ونسكي كلها لله تعالى، وأنا أسلم عنقي قبل غيري. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٣، عدد ٢٤/١/١٩٠١م، ص ٣)

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ إن الدين الذي يضمن النجاة عند الله هو الإسلام. فإذا تنصّر أحد أو تهوّد أو كان من الآريين لا يجدر بالإكرام عند الله. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٠، عدد ٢٤/٨/١٩٠٢م، ص ١٠)

إن معيار الإسلام الحقيقي هو أن الإنسان يتحلّى بسببه بأعلى درجة الأخلاق، ويكون شخصا متميزا. (بدر، مجلد ١، رقم ٣، عدد ١٤/١١/١٩٠٢م، ص ٢٣)

أمعنوا النظر في قصة إبراهيم. إن الذين يستعدون للسقوط في النار ينقذهم الله منها. والذين يريدون أن يجتنبوها بأنفسهم يُلقَوْنَ فيها. هذا "سِلم" وهذا هو الإسلام: أي ألا يرفض المرء ما يواجهه في سبيل الله. (بدر، مجلد ١، رقم ٧، عدد ١٢/١٢/١٩٠٢م، ص ٥٣)

المراد من الإسلام ألا ينحرف الإنسان عن قانون الله المحدد قط. (بدر، مجلد ٢، رقم ٨، عدد ١٣/٣/١٩٠٣م، ص ٥٩)

معنى الإسلام هو عدُّ المرء نفسه محتاجا لله تعالى في كل حين وأن ووضِعُ الرأس على عتباته... الإسلام اسم آخر لإخضاع العنق أمام الله تعالى. (بدر، مجلد ٢، رقم ٤٦، عدد ٨/١٢/١٩٠٣م، ص ٣٦٢)

المراد من الإسلام أن يرضي المرء الله تعالى باتباعه القرآن الكريم. (بدر، مجلد ٣، رقم ١٥، عدد ١٦/٤/١٩٠٤م، ص ٣)



لا يُقبل دين سوى الإسلام، وهذا ليس ادّعاء فارغا بل تُبين التأثيرات أنه إذا كان في معتنق دين آخر سوى الإسلام أنوارٌ وبركات وتأثيرات فليبرز لمواجهةنا. دائما أتحدى هذا التحدي ولكن ما من أحدٍ يبرزُ للمواجهة. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٤٠، عدد ١٧/١١/١٩٠٥ م، ص ٧)

إن معنى الإسلام هو أن يفنى الإنسان في حب الله وطاعته وأن يوضع عنقُ المسلم لطاعة الله كعنق الشاة أمام الجزار. والهدف من ذلك أن يؤمن الإنسان بالله واحدا لا شريك له. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٣٦، عدد ١٧/١٠/١٩٠٦ م، ص ٥)

إن حقيقة الإسلام هي أن تخر جميع القوى سواء أكانت داخلية أم خارجية على عتبات الله تعالى دائما. (خطابه عليه السلام ورسالة حول وحدة الوجود، ص ١٠، تدوين شيخ يعقوب علي عرفاني رحمته الله)

اعلموا أن الإسلام ضربٌ من الموت، وما لم يورد الإنسان موتا على أهوائه النفسانية لا ينال حياة جديدة. وإذا كان لا يتكلم بتكليم من الله، ولا يمشي مع الله ولا يسمع مع الله ولا يرى معه ﷻ فهو ليس مسلما. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٢، عدد ١٧/١/١٩٠٧ م، ص ٨)

الرجوع الحقيقي يتحقق عندما يطابق رضا الإنسان رضا الله تعالى. في هذه الحالة يفوز الإنسان بمرتبة الأولياء والأبدال والمقربين. وفي هذا المقام يحظى المرء بمكالمة الله ويوحى إليه. ولما كان مصونا من كل نوع من الظلمة وشر الشيطان ويعيش في رضا الله تعالى كل حين وآن فيحظى بجنة وسعادة أبدية.

الهدف الأسمى والغاية العليا لوجود لإنسان هو نيل هذا المقام، وهذا هو الهدف الذي أودعه الله كلمة "الإسلام"، لأن المراد الحقيقي من الإسلام هو أن يجعل الإنسان مشيئته تابعة لمشئته الله. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٣٢، عدد ٢٤/٩/١٩٠٤ م، ص ٤)

الآية ٢١: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسَلَّمْتُمْ فَإِنْ أَسَلَّمُوا فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾

قل لهم بأني أمرت بأن أسلم وجودي كله لله تعالى وأفوض نفسي له؛ أي أفني نفسي في سبيل الله وأكون خادماً للعالمين كما هو رب العالمين، وأكون كلياً له <sup>وَعَلَيْكَ</sup> ولسبيله. لذا فقد سلمت لله كل ما كان لي، فلم يعد لي شيء، بل كل ما كان لي فقد صار لله رب العالمين. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ١٦٥)

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسَلَّمْتُمْ فَإِنْ أَسَلَّمُوا فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾. يا أيها الرسول، قل للجهال من أهل الكتاب والعرب... لم يقل الله في هذه الآية أن من واجبك أن تحاربهم أيضاً، فيتبين من هنا أن المحاربة لم تكن إلا ضد المجرمين المتعودين على قتل المسلمين والمخلّين بأمن البلاد، وكان السطو والنهب شغلهم الشاغل. وكانت هذه الحرب مشروعة له ﷺ لكونه حاكماً وليس بصفته رسولا. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية المجلد ٢٣، ص ٢٤٣)

الآية ٢٥: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾

إن أهل الكتاب في هذا البلد أيضاً اتخذوا الجرائم مهنة لهم مثل مشركي العرب. لقد ركّز المسيحيون على الكفارة وزعموا معتمدين عليها أن الجرائم أحلت لهم. وقال اليهود بأنهم لن يدخلوا الجحيم بسبب هذه الجرائم إلا بضعة أيام فقط لا أكثر، كما يقول الله تعالى بهذا الشأن: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (آل عمران: ٢٥) لقد نشأ فيهم هذا التجاسر

والجرأة إذ قالوا: لن تمسنا النار إلا أياما معدودات. وقد تبنا هذه الأفكار معتزين بافتراءهم التي يقومون بها. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٤٢)

الآية ٢٧: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

... أي بيدك الخير كله الذي يطلبه الإنسان... (البراهين الأحمديّة، الأجزاء

الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٢٦١، الحاشية رقم ١١)

الآية ٢٨: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

يجب أن يكون معلوما الآن أن الله تعالى قد بين في القرآن الكريم بكلمات قوية جدا أن المدّ والجزر حاصل في حالة الدنيا منذ القدم. وهذا ما أشار عليه السلام إليه في الآية الكريمة: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ .. أي أنه عليه السلام يخلق الهداية عند غلبة الضلال، والضلال عند غلبة الهداية. وحقيقة هذا المد والجزر هي أنه تتولد في قلوب الناس بأمر من الله تعالى حالة من الانقباض والعُجْهِية أحيانا؛ فيحبون زينة الدنيا وتعكف جُلُّهم على تسوية أمور دنياهم والحصول على ملذاتها ورفاهيتها. تلك هي فترة الظلام، وليلتها البالغة منتهاها تسمى ليلة القدر. وليلة القدر هذه تحلّ دائما، ولكنها حلّت بوجه أكمل حين حان أوان بعثة النبي ﷺ لأن الضلال الذي كان سائدا حينها وبصورة كاملة، لم ولن ينتشر مثله إلى يوم القيامة.

باختصار، حين تبلغ هذه الظلمة نقطتها النهائية المقدرة لها؛ تتوجه الرحمة الإلهية إلى تنوير العالم، ويُرسَل أحد من أصحاب النور لإصلاح الدنيا. وحين يأتي تنجذب إليه الأرواح النشطة وكذلك تتوجه الطبائع الطيبة إلى الحق تلقائيا. كما من المستحيل تماما ألا تتجه الفراشة إلى السراج المضيء، كذلك لا يمكن قط ألا يتجه أصحاب الفطرة السليمة بحسن الاعتقاد إلى صاحب النور عند ظهوره.

إن أساس الادّعاء الذي بينه الله تعالى في هذه الآيات يتلخّص في أن حالة الزمن كانت قد آلت عند بعثة النبي ﷺ إلى وضع مظلم اقتضى طلوع شمس الصدق. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٦٤٥-٦٤٧)

الآية ٣٢: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

يجب التأمل أنه لما صار المرء بنفسه حبيب الله باتباعه حبيبه، فهل سيصير مثيلاً لذلك الحبيب أم لا؟ (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٢٣٠)

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ... أي: اتّبِعُوا سبِيلِي الذي هو الحقيقة العليا للإسلام. عندها يحبكم الله ويغفر لكم ذنوبكم. (مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية المجلد ٥، ص ١٦٥)

"إن كمالات النبيين ليست ككمالات رب العالمين، إن الله أحدٌ صمدٌ وحيدٌ لا شريك له في ذاته ولا في صفاته، وأما الأنبياء فليسوا كذلك، بل جعل الله لهم وارثين من المتبعين الصادقين، فأُمتهم وُراثتهم.. يجدون ما وجد أنبياءهم إن كانوا لهم متبعين. وإلى هذا أشار في قوله ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، فانظر كيف جعل الأمة أحبّاء الله بشرط اتّباعهم واقتدائهم بسيد المحبوبين." (كرامات الصادقين، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ١٣١)

لقد بعث الله ﷻ الأنبياء إلى الأرض لكي يُقيم أمثالهم في الدنيا، وإن لم يكن ذلك فالنبوة باطلة. فالأنبياء لا يأتون لكي يُعبدوا وإنما ليتأسى الناس بأسوتهم ويتشبهوا بهم، ويصبحوا بالتفاني فيهم كأنهم هم أنفسهم. يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣٢)، فمن أحبه الله فأَي نعمة يحرمه منها؟ ومعلوم أن المراد من الاتباع هو إحراز مرتبة الفناء التي توصل إلى درجة المثل. وهذه المسألة متّفق عليها، ولا ينكرها غيرُ

الجاهل السفیه أو الملحد الذي لا إيمان له. (أيام الصلح، الخزان الروحانية، المجلد ١٤، ص ٤١١-٤١٢)

سؤال: لقد قال المسيح بحق نفسه: "تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتَعَبِينَ وَالتَّقِيلِي الْأَحْمَالِ، وَأَنَا أَرْحِكُكُمْ"، وقال: أنا نور و"أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ" فهل نسب مؤسس الإسلام أيضا هذه الكلمات إلى نفسه أو الشبيهة بها؟

الجواب: قد ورد في القرآن الكريم بصراحة ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ...﴾ فالوعد بأن الإنسان باتباعه لي سيكون حبيب الله، يفوق أقوال المسيح المذكورة آنفا، لأنه ليست هناك أية مرتبة أسمى من أن يصبح الإنسان حبيب الله، فإن الذي -بالسير على طريقه- يصبح الإنسان حبيب الله فمن ذا الذي هو أجدر منه ليسمي نفسه نورا. (الرد على أربعة أسئلة لسراج الدين المسيحي، الخزان الروحانية، المجلد ١٢، ص ٣٧٢)

إنني أعتقد أنه لا يؤمن أحد إلا الذي يتبع النبي ﷺ، وهو الذي يمكن أن ينال مقامًا، كما يقول الله ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَامُ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾. إن مقتضى الحب هو أن يكون للإنسان أنس خاص بعمل حبيبه. والموت سنة النبي ﷺ. فما دام قد مات هو ﷺ، فمن له أن يبقى حيا أو يتمنى ذلك لنفسه أو يُجيز الحياة لغيره؟! فمن مقتضى الحب أن يفنى المرء في أتباعه ﷺ ويتحكم في عواطفه وأهواء نفسه ويفكر: إلى أمة من ينتمي؟ والذي يعتقد بأن عيسى ﷺ ما زال حيا إلى الآن؛ أتى له أن يدعي حب النبي ﷺ وأتباعه؟ لأنه يستسيغ أن يُفضّل عليه عيسى، ويحب أن يُعتبر النبي ﷺ ميتا، وعيسى ﷺ حيا. (محاضرة لدهيانه، الخزان الروحانية، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٢٦٣-٢٦٤)

لقد تلقّيتُ قدرًا كاملا من النعمة التي رزقها أنبياء الله ورسله وغيرهم من المصطفين الأخيار، ولكن ليس عن حذاقة مني أو استحقاق، بل بمحض فضل الله

تعالى. وكان من المحال أن أحظى بهذه النعمة لو لم أتبع سنن سيدي ومولاي محمد النبي الكريم فخر الأنبياء وخير الورى عليه السلام. فكل ما نلته إنما نلته نتيجة اتباعي سنة محمد عليه السلام وصراطه. إنني لأعلم يقينا - بناء على معرفتي الحقة النامة - أنه لا يمكن لأحد الوصول إلى الله ولا يمكن أن يكون له نصيب من المعرفة الكاملة دون اتباع رسوله الكريم عليه السلام. دعوني أخبركم هنا ما هو ذلك الشيء الذي ينشأ في القلب أولاً نتيجة الاتباع الصادق والكامل لرسول الله عليه السلام؛ ألا وهو قلب سليم، أي أن حبّ الدنيا يغادر القلب فيتطلع إلى الحصول على متعة خالدة غير منقطعة، ثم بسبب هذا القلب السليم يتيسر حب الله الكامل الصافي، ويرث المرء كل هذه النعم ببركة اتباعه للنبي عليه السلام، كما قال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾. والحق أنّ ادعاء الحب من جانب واحد إنما هو كذب وادعاء فارغ. عندما يحب الإنسان الله بصدق وإخلاص فإنّ الله يحبه أيضاً، ثم يوضع له القبول في الأرض، ويُلقي حبه الصادق في قلوب آلاف الناس وتوهب له قوّة الجذب، ويعطى نوراً يرافقه دائماً.

عندما يحب الإنسان الله بإخلاص القلب، ويؤثره على العالم كلّ بحيث لا تبقى في قلبه عظمة غير الله وشوكته، بل يعدّ غيره أحقر من دودة ميتة، فإنّ الله الذي يرى قلب هذا العبد ينزل عليه بتجلّ عظيم. وكما أن الشمس تنعكس كاملة في المرآة الصافية الموضوعة إزاءها بحيث يمكن القول على سبيل الاستعارة والمجاز إنّ الشمس المشهودة في المرآة هي ذاتها التي في السماء، كذلك ينزل الله على مثل هذا القلب ويتخذ منه عرشاً له. وهذا هو الأمر الذي خلّق الإنسان من أجله. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٦٤-٦٥)

لقد ذكرت شفاعة النبي عليه السلام في أماكن مختلفة في القرآن الكريم، حيث يقول عز وجل: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾. انظروا

الآن كيف تبين هذه الآية بصراحة تامة أن النتيجة الحتمية للتأسي بأسوة النبي ﷺ - الذي يستلزمه حبه وتعظيمه وطاعته - هي أن يصبح الإنسان حبيب الله تعالى وتُغْفَر له ذنوبه، أي إذا سبق لأحد أن تناول سَمَّ الآثام فيزول تأثيره بترياق الحب والطاعة والاتباع. وكما يتخلص المرء من المرض بتناوله الدواء كذلك يتخلص من الآثام أيضا. وكما يزيل النورُ الظلامَ ويزيل الترياق تأثير السَمِّ، وكما أن النار تحرق كذلك تؤثر الطاعة الصادقة والحب الصادق. انظروا، كيف تحرق النار في لمح البصر، كذلك الحسنة التي تنتج عن الحماس لمجرد إظهار جلال الله فهي في حكم النار في حرق كلاً الذنوب وأعشابها. حين يؤمن أحد بنبينا الأكرم ﷺ بصدق القلب مؤمنا بعظمته كلها ويتبعه بالصدق والصفاء والحب والطاعة الصادقة لدرجة يبلغ مقام الفناء نتيجة الطاعة الكاملة، عندها يقتبس - بسبب العلاقة المتينة التي تربطه معه ﷺ - من ذلك النور الإلهي الذي ينزل عليه ﷺ. ولما كانت هناك منافاة كبيرة بين الظلمة والنور، فتبدأ الظلمة التي بداخله بالزوال حتى لا يبقى فيه شيء منها، ثم تصدر منه الحسنات من الدرجة العليا نتيجة حيازته القوة من ذلك النور، ويسطع نور حب الله من كل عضو من أعضائه. عندها تزول الظلمة الداخلية تماما ويتولد فيه النور علميا وعمليا أيضا. وباجتماع النورين ترحل من قلبه ظلمة السيئات في نهاية المطاف. ومن الواضح أن النور والظلمة لا يجتمعان في مكان واحد؛ لذا لا يجتمع نور الإيمان وظلمة الإثم أيضا في مكان واحد. وإن لم يصدر من شخص مثله إثم صدفة، فيستفيد من هذا الاتباع بحيث تُسلب منه القدرة على السيئات في المستقبل، وتنشأ فيه الرغبة في كسب الحسنات، كما يقول الله ﻋَﻠَﻴْﻜَﻢْ في هذا الموضوع في القرآن الكريم: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ (الحجرات: ٨). أي رغبكم الله في كل حسنة بإنزال الروح الطاهرة عليكم...

فإذا طُرِحَ هنا سؤال: ما هو ذلك النور الذي يقتبسه المتَّبِع نتيجة اتِّباع النبي ﷺ، والذي تزول بسببه الرغبة في السيئات؟

فجوابه بأنه: ١- معرفة مقدسة لا ترافقها ظلمة الشك والريب، ٢- وهو حب طاهر لا تشوبه شائبة الأهواء النفسانية، ٣- وهو لذة طيبة تفوق جميع اللذات ولا يخالطها كَدَرٌ، ٤- وهو جذب قوي لا يغلبه جذبٌ آخر، ٥- وهو ترياق ذو تأثير قوي تزول به السموم الباطنية كلها. فهذه الأشياء الخمسة تنزل مع روح القدس كالنور على قلب المتَّبِع الصادق. والقلب مثله لا يتحاشى الآثام فقط بل ينفر منها أيضا بطبيعته. إن بيان قوة هذه الأشياء الخمسة منفصلا سيطول كثيرا، ولكن يكفي بيان خواص المعرفة المقدسة بشيء من التفصيل لفهم حقيقة كيف تحول المعرفة المقدسة دون الآثام.

من الواضح أن الإنسان بل الحيوان أيضا لا يقرب شيئا عندما يعلم مضرته علما صحيحا ويقينيا. إذا علم اللص مثلا أن هناك جماعة متخفية على مقربة من المكان الذي يريد نقبه وستبسط به في لحظة النقب تماما، فلن يُقدم على ذلك قط. ولو شعر الطائر أن هناك شراكا تحت الحبات المنثورة له على الأرض لما اقترب منها. كذلك إذا طُبِّخَ طعام لذيذ ثم علم أحد أن فيه سمًا مدسوسا لما اقترب منه أبدا. إذًا، يتبين من هذه التجارب كلها وبكل جلاء أن الإنسان عندما يعلم علما كاملا عن شيء مؤذ ومضر فلا يرغب فيه مطلقا، بل يفر من رؤيته أيضا. لذا من الجدير بالتسليم أنه لو علم الإنسان بوسيلة ما أن الإثم سَمٌّ قاتل يُهلك فورا فلن يرتكبه بعد هذا العلم أبدا. ولكن هنا ينشأ سؤال طبيعي: ما هي تلك الوسيلة؟ هل يمكن أن يكون العقل تلك الوسيلة؟ فجوابه أنه لا يمكن أن يكون العقل الوسيلة الكاملة قط ما لم يساعده مساعد من السماء، لأن اليقين القلبي بأن هناك عقوبة واجبة على الإثم في الحقيقة، ولا يمكن للإنسان



أن ينجو منها، لا يتسنى ما لم يعلم علما كاملا بأن هناك إلهًا قادرًا على المعاقبة. ولكن الذي يملك العقل وحده ولم يتيسر له نور من السماء فلا يمكن أن يوقن بالله يقينا كاملا، لأنه لم يسمع كلام الله ولم ير وجهه وَجَلَّ، لذا فإن علمه عن الله سيكون مقتصرًا فقط - إذا استطاع أن يتوصل إلى نتيجة صحيحة بالتفكير في المخلوقات في السماوات والأرض - على أنه ينبغي أن يكون لهذه المخلوقات كلها خالق، ولكن لا يسعه أن يصل إلى علم قطعي ويقيني أن ذلك الخالق موجود فعلا. والمعلوم أن هناك بُعدا شاسعا بين "يجب أن يكون" و"موجود فعلا". بمعنى أنه إذا كان عِلْمُ أحد مقتصرًا على: "يجب أن يكون" فقط، وليس أمام عينيه وراء ذلك إلا الظلام فلا يماثل قط من حيث علمه شخصا لا يقول فقط عن الخالق الحقيقي أنه "يجب أن يكون موجودا" بل يشعر بشهادة النور الذي أعطيه أنه "موجود فعلا". ثم لا يقتصر الأمر على أنه يرى الله بنور سماوي فقط، بل تُشخِّذ قواه العقلية والذهنية بهدي ذلك النور أيضا لدرجة أن يبلغ استدلاله القياسي أيضا أعلى المستويات. فيؤمن بوجود الله تعالى بقوة مضاعفة. والمراد من النور السماوي هنا هو أنه يحظى بمكاملة الله اليقينية، أو يكون على صلة متينة ووثيقة جدا مع صاحب المكاملة. وليس المراد من مكاملة الله أنه يدعي الإلهام بصورة ظنية مثل عامة الناس، لأن الإلهام الظني ليس بشيء بل هو أخطّ درجة حتى من العقل، بل المراد من ذلك هو الوحي الإلهي المقدس والكامل القطعي واليقيني الذي ترافقه الآيات السماوية حتما. ويكون ذلك الوحي مصحوبا بدرجة عالية من الشوكة والعظمة ويقتحم القلب كالمسمار الحديدي بكلماته القوية والعذبة، ويحمل خاتماً ساطعا لآيات الله وعلاماته التي تفوق العادة. وهذه هي الحاجة الأولى للإنسان من أجل الحصول على اليقين الكامل بوجود الله، أي أن يحظى بنفسه بهذا النوع من الوحي أو يكون على صلة متينة بالذي يحظى به ويجذب

القلوب إليه بتأثير روحاني. (عصمة الأنبياء عليهم السلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٦٨٠-٦٨٤)

لقد ذكر الصوفية طريقين للرقى هما: السلوك، والجذب.

أما السلوك فهو أن يختار الناس سبيل الله ورسوله بعد التفكير بعقولهم وذكائهم، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، أي إن كنتم تريدون أن تكونوا من المحبوبين عند الله تعالى فاتبعوا الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام. إن ذلك الهادي الكامل هو ذلك الرسول الذي قد كابد المصائب والشدائد التي لا نظير لها في العالم، إذ لم يذق طعم الراحة في يوم من الأيام، ولن يُعَدَّ من أتباعه حقاً إلا أولئك الذين يبذلون قصارى جهدهم في اتّباعه في كل قوله وفعله. إنما المتبّع الحقيقي من يتبع المتبوع في كل شيء، أما الذي يتساهل ويتسلل عند الشدائد فلا يحبه الله تعالى، بل يحل عليه غضبه. فما دام الله تعالى قد أمرنا هنا باتّباع النبي ﷺ، فمن واجب السالك أن يرى كل تاريخ حياته ﷺ أولاً ثم يتبعه، فهذا ما يسمّى السلوك. وهذا السبيل يعترضه كثير من المصائب والحزن، ولا يُعَدُّ المرء من السالكين إلا بعد تحمّلها.

أما أهل الجذب فهم أعظم درجة من أهل السلوك. فإن الله تعالى لا يتركهم على درجة السلوك، بل يلقاهم بنفسه في المصاعب ويجذبهم إليه بالجدبات الأزلية. وكل الأنبياء مجذوبون. عندما تتعرض الروح الإنسانية للمصائب تخرج لامعة نتيجة هذا الاختبار، شأنها شأن الحديد أو المرأة، إذ تكمن فيها صفة اللمعان ولكنها لا تلمع إلا بعد الصقل والجلّي حتى يرى فيها الرائي وجهه. المجاهدات أيضاً تعمل عمل الصقل والجلّي. ينبغي صقل القلب بحيث يُرى فيه الوجه. ما هو المراد من رؤية الوجه؟ إنما المراد منه: "تخلّقوا بأخلاق الله". إن قلب السالك مرآة تجليها المصائب بحيث تنعكس فيه أخلاق النبي ﷺ، ولا تيسر هذه الدرجة إلا بعد كثير من

المجاهدات والتزكية حين لا تبقى في القلب أي نوع من الكدورة واللوثة. كل مؤمن بحاجة إلى هذه التصفية إلى حد ما. لن ينجو أي مؤمن بدون أن يكون كالمرأة. والسالك يجلي هذه المرأة بنفسه، ويتحمل المصائب بيده، أما المجذوب فيُلقي في المصائب بيد الله، فالله تعالى نفسه يقوم بصقله، فيجليه بإلقائه في صنوف المصائب والحن حتى يجعله بمنزلة المرأة. والحق أن السالك والمجذوب نتيجتهما واحدة. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٤٣-٤٤)

هناك ضرورة لنوع من الجهاد لتطهير بيت الله هذا من الأوثان. وها إني أدلكم على سبيل هذا الجهاد، وأؤكد لكم أنكم لو عملتم به لحطمت هذه الأوثان. وهذا السبيل ليس من اختراع نفسي، بل قد أمرني الله تعالى بأن أخبركم به. وما هو ذلك السبيل؟ إنما هو أن تطيعوني وتتبعوا خطواتي. وهذا النداء ليس بالجديد، بل قال رسول الله الذي طهر مكة من الأصنام: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾. كذلك فلو اتبعتموني لتمكنتم من كسر الأوثان التي هي في باطنكم، وقدرتم على تطهير صدوركم المليئة بأنواع الأصنام.

لا حاجة بكم للاعتكافات الأربعينية من أجل تركية النفوس؛ إذ لم يقم أصحاب النبي ﷺ أيضا بهذه الاعتكافات الأربعينية، ولم يقوموا بهذه الأوراد المختلفة من قبيل ما يسمى دكر الأثره والنفي والإثبات وما إلى ذلك. كلا، بل كانوا يملكون شيئا آخر تماما، ألا وهو أنهم كانوا متفانين في طاعة رسول الله ﷺ. كان النور الموجود في شخصه ﷺ ينزل على قلوبهم عبر أنبوب الطاعة هذا، فكان يقضي على فكرة كل ما سوى الله قضاء نهائيا، ويملاً صدورهم نورا مكان الظلام. (الحكم، مجلده، رقم ٣٠، عدد ١٧/٨/١٩٠١م، ص ٢-٣)

أقول صدقا وحقا إن من المحال لأحد أن ينال البر الحقيقي ويحظى برضا الله حقا وينعم بتلك الإنعامات والبركات والمعارف والحقائق والكشوف التي تُنال بعد بلوغ

أعلى درجة من تزكية النفس، ما لم يتفان في اتباع رسول الله ﷺ. وهذا ما يؤكده كلام الله أيضا إذ قال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾. وأنا الدليل العملي والحَي على هذا الإعلان الرباني. فاعرفوني من خلال الآيات التي حدّدها القرآن الكريم لأحباء الله تعالى وأوليائه. (الحكم، مجلده، رقم ٣٤، عدد ١٧/٩/١٩٠١م، ص ١-٢)

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَ يُغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (آل عمران: ٣٢)، أي إن كنتم تريدون أن تكونوا من أحباء الله وأن تُغْفَرَ لكم ذنوبكم فسيبيله الوحيد أن تطيعوني. ما معنى ذلك؟ معناه أن طاعتي لن تدع أحدا يقنط من رحمة الله، وستكون سببا في غفران ذنوبه، وتجعله حبيب الله. فادعائكم أنكم تحبون الله لا يكون صادقا وصحيحا إلا إذا اتبعتُموني.

لقد تبين من هنا بكل جلاء أن الإنسان لا يحظى بحب الله وقربه عبر الطرق والمجاهدات والمشاق التي يخلقه من عنده، ولا تنزل أنوار الله وبركاته على أحد ما لم يفن في طاعة رسول الله ﷺ. من يفنى في حب النبي ﷺ ويورد على نفسه كل ألوان الموت في سبيل طاعته واتباعه فإنه يُعطى نور الإيمان والحب والعشق الذي يحزّره من كل ما سوى الله تعالى، وينجيه من الذنوب، فيحظى في هذه الدنيا بنفسها بحياة طاهرة، ويُخَرَج من القبور الضيقة المظلمة من أهواء النفس وثواترها. وهذا ما يشير إليه أيضا الحديث الشريف: "أنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي". (الحكم، مجلده، رقم ٣، عدد ٢٤/١/١٩٠١م، ص ٢)

لقد جعل الله تعالى سبيلا وحيدا للحصول على السعادة العظمى، ألا وهو طاعة رسول الله ﷺ، كما صرح الله ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾. هذا لا يعني أن تعبدوا الله تقليدا فحسب. لو كانت هذه هي حقيقة الدين، فما قيمة الصلاة وما قيمة الصيام. ما قيمة أن يعمل المرء شيئا ويمتنع عن

شيء كما يحلو له؟ هذا ليس معنى الإسلام. إنما الإسلام أن يقدم المرء عنقه كالكبش للذبح، كما قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٣)، وقال: ﴿أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٤)، أي أنا أول من يقدم رقبته للذبح. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٣، عدد ١٩٠١/١/٢٤، ص ٣)

لقد أمر الله تعالى المسلمين أن يتأسوا بأسوة النبي ﷺ وأن يتبعوه في كل قول وفعل، فيقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢٢) ثم يقول: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾. لو لم تكن أقوال النبي وأفعاله خالية من العيب لما فرض علينا أن نتأسى بأسوته. عندما أمر الله تعالى بالتأسي بأسوة إبراهيم جعل في ذلك استثناء ولكنه لم يفرض أي استثناء في حال النبي ﷺ، فتبين من ذلك أن أقوال النبي ﷺ وأفعاله كانت بريئة من الخطأ. (مجلة مقارنة الأديان، مجلد ٢، رقم ٦، عدد يونيو ١٩٠٣، ص ٢٤٥-٢٤٦)

إذا كنتم تريدون أن تكونوا أحياء الله فالسبيل الوحيد لذلك هو أن تتبعوا النبي ﷺ. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٣٩، عدد ١٩٠١/١٠/٢٤، ص ٢)

لقد جعل الله تعالى سبيلا وحيدا للحياة وتنمية الروحانية ألا وهو اتباع الرسول ﷺ... ما يقوله القرآن الكريم هو أن تحبوا الله حتى تكونوا مصداق: ﴿أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾، واعملوا بـ ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ ويجب أن يطرأ عليكم فناء لتنصبغوا بصبغة: ﴿تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾، وتؤثروا الله تعالى على كل شيء. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٤٠، عدد ١٩٠١/١٠/٣١، ص ٢)

كما يستفيد العالم كله من الشمس ولا تقتصر فائدتها على نقطة معينة بل تبقى جارية، كذلك إن شمس فيوض النبي ﷺ وبركاته أيضا ظلت تسطع دائما وتفيد السعداء لذلك قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾. إن طاعته واتباعه الصادق يجعل الإنسان حبيب الله ويكون سببا لمغفرة الذنوب. فما

دام اتّباعه الكامل يجعل الإنسان حبيب الله فلا يوجد سبب يمنع كلام الحب مع حبيبه. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٠، عدد ٣١/٥/١٩٠٣م، ص ١)

لا يستطيع الإنسان أن يخلق في نفسه حب الله تعالى الكامل ما لم يجعل أخلاق النبي ﷺ وأسوته دليلاً وهادياً لنفسه. يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾. أي أن اتباع النبي ﷺ ضروري لكون المرء حبيب الله. المراد من الاتباع الصادق هو التخلق بأخلاقه الفاضلة. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٧، عدد ٣١/٧/١٩٠٢م، ص ٨)

النجاة لا تُنال بسعي الإنسان بل بفضل الله تعالى. ولا يُبطل الله أبداً قانونه الذي وضعه لنيل فضله وذلك القانون هو: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، و﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (بدر، مجلد ١، رقم ٤، عدد ٢١/١١/١٩٠٢م، ص ٣١)

السييل الوحيد لكون الإنسان حبيب الله هو اتّباع النبي ﷺ، ولا سبيل آخر يمكن أن يوصلكم إلى الله... أكرر وأقول: لا يمكن للإنسان أن ينجح دون طريق النبي ﷺ الصادق. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٩، عدد ١٠/٣/١٩٠٣م، ص ٨)

لا يقدر كل إنسان على لقاء الله بقوته بل ذلك يتطلب الوساطة، وذلك الوسيط هو النبي ﷺ والقرآن الكريم، لذا فالذي يتركه ﷺ لن يتحقق له المراد. فالإنسان هو في الحقيقة عبدٌ أي خادم، ومن عمل العبد أن ينجز ما يطلب منه سيده. ومثل ذلك إن كنتم تريدون الفوز بفيوض النبي ﷺ فيتحتّم عليكم أن تكونوا عبيداً له، فقد قال الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ (الزمر: ٥٤) فالمراد من العباد هنا هو الخدام وليس المخلوق. ولكي تكونوا عباد النبي ﷺ يجب أن تُصلوا عليه كثيراً، ولا تعصوا أيّاً من أوامره، بل تمسكوا بجميع أوامره. كما أمر القرآن الكريم: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، أي

إذا كنتم تريدون أن تحبوا الله فكونوا أتباعا كُملا للنبي ﷺ وتفتانوا فيه، عندها سيحبكم الله. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٤، عدد ١٩٠٣/٤/٢٤ م، ص ١٠٩)

من يحب أحدا لا يستطيع أن يعيش دون الحديث معه؛ كذلك إذا أحب الله أحدا لا يبقى دون مكالمته. عندما يحب الله أحدا بسبب اتباعه للنبي ﷺ يكلمه ويظهر عليه أخبار الغيب، وهذه هي النبوة. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٥، عدد ١٩٠٣/٥/١ م، ص ١١٣)

الطريق الوحيد لإرضاء الله هو أن يتبع الإنسان النبي ﷺ اتباعا صادقا. يلاحظ عادة أن الناس يتورطون في أنواع التقاليد، فعندما يموت أحد يمارسون أصناف التقاليد، مع أن المفروض هو أن يدعو الإنسان للميت. ليس في ممارسة التقاليد معارضة النبي ﷺ فقط بل إساءة إليه أيضا. إذ يُزعم ذلك كأن كلامه ليس كافيا. لو عُذَّ كافيا لما كانت بهم حاجة لاختلاق التقاليد من عند أنفسهم. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٩، عدد ١٩٠٣/٥/٢٩ م، ص ١٤٥)

الجدير بالتذكر أن الأنبياء والرسل والأئمة لا يأتون إلى الدنيا لكي يطلبوا من الناس عبادتهم، كلا بل يريدون أن يجعلوا الناس عابدين لله ﷻ، وإنما الهدف من بعثهم أن يقلدهم الناس ويتأسوا بأسوتهم الكاملة ويسعوا ليكونوا أمثالهم، وأن يتبعوهم اتباعا كاملا وكأنهم أصبحوا هم. لكن المؤسف أن الناس يتركون الهدف الحقيقي من بعثهم، فيجلّونهم ويعظمونهم ويتخذونهم آلهة! لكن الأئمة والرسل لا يُسرّون بذلك ولا يرونها مدعاة سعادة لهم أبداً، وإنما تكمن فرحتهم الحقيقية في أن يتبعهم الناس، وأن يتمسكوا بالتعليم الذي يقدمونه: أي عبدوا الله ﷻ أن يتبع المرء وتمسكوا بالتوحيد. فقد أمر النبي ﷺ أيضا: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ» ومن هنا يستشف بوضوح أن الطريق الوحيد لنيل حب الله ﷻ أن يتبع المرء النبي ﷺ اتباعا حقا. يجب أن تتذكروا دوماً أن الأنبياء عليهم السلام والصالحين

والصادقين من عباد الله يأتون في الدنيا أسوةً، فالذي لا يسعى جاهدا للتأسي بأسوتهم ويستعد ليسجد لهم ويؤمن بأنهم قادرون على سد الحاجات، فلا قيمة له عند الله أبداً، بل سوف يرى بعد الموت أن ذلك الإمام بريء منه. (الحكم، مجلد ٨، رقم ١١، عدد ٣١/٣/١٩٠٤م، ص ٢)

إن أعلى مقام للنبي ﷺ هو أنه حبيب الله، وقد أرشد الآخرين أيضاً للوصول إلى ذلك المقام كما قال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾. تأملوا الآن، إذا كان اتباع النبي ﷺ الصادق يجعل الإنسان حبيب الله فماذا ينبغي أكثر من ذلك؟ (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٥، عدد ١٠/١٠/١٩٠٥م، ص ١١)

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، يتبين من هذه الآية بوضوح أنه ما لم يصبح الإنسان متبعاً كاملاً للنبي ﷺ لا يمكن أن ينال فيوضاً وبركات من الله ولا يُعطى معرفة وبصيرة تقضي على حياته المتلطخة بالذنوب وتُحمد نار الأهواء النفسانية. هؤلاء الناس يدخلون في مفهوم: "علماء أمتي". (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٩، عدد ١١/١١/١٩٠٥م، ص ٣)

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾. إن اتباع النبي ﷺ الكامل يوصل الإنسان إلى مقام حبيب الله، وهذا يبين أنه ﷺ كان نموذجاً للموحد الكامل. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٤٠، عدد ١٧/١١/١٩٠٥م، ص ٧)

هذه الميزة حاصلة للنبي ﷺ وحده، ودليل قاطع على حياته التي لا يجارها أحد. وبذلك إن سلسلة بركاته وفيوضه لا تنتهي ولا تنقطع. وتنال الأمة فيضه في كل عصر وزمان، ومنه يُنال التعليم وينشأ حب الله تعالى كما في قوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ من الواضح أن حب الله تعالى لم يخل هذه الأمة في أي قرن، وهذا يشكل دليلاً بيناً على حياة النبي ﷺ. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٦، عدد ١٧/٢/١٩٠٦م، ص ٣)



إن حب الدنيا هو الذي أدّى إلى فُرقة المسلمين، لأنهم لو آثروا رضا الله فقط لأدركوا بكل سهولة أن مبادئ الجماعة من كذا وكذا أكثر جلاء ولقبولها واتَّحدوا. أما الآن، حين يطل هذا الفساد برأسه بسبب حب الدنيا فكيف يمكن عدُّ أناس مثلهم مسلمين وهم لا يتأسون بأسوة النبي ﷺ؟ لقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾. أما الآن فقد قُدِّم حب الدنيا على حب الله واتباع الرسول ﷺ. هل هذا هو اتباع النبي ﷺ؟! هل كان النبي ﷺ شخصا ماديا؟! هل كان يأكل الربا؟! أو كان يتهاون في أداء الفرائض أو العمل بأوامر الله تعالى؟! هل كان فيه ﷺ شيء من النفاق أو المداينة والعياذ بالله؟! هل كان يؤثر الدنيا على الدين؟! فكروا وتأملوا. المراد من الاتّباع هو أن تتأسوا بأسوته ﷺ، ثم انظروا كيف يُنعم الله تعالى عليكم بكثرة. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ١٧، عدد ١٧/٥/١٩٠٦م، ص ٤)

الذي يقول بأن النجاة ممكنة بدون اتباع النبي ﷺ كاذب. ما علّمنا الله تعالى على عكس ذلك تماما. يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾. فلا أحد يستطيع أن ينال النجاة دون اتباع النبي ﷺ. والذين يكتّون البغض تجاهه لن ينالوا خيرا أبدا. (بدر، مجلد ٢، رقم ٢٣، عدد ٢٣/٦/١٩٠٦م، ص ٣)

في هذا المقام هناك أمر آخر أيضا جدير بالانتباه وهو أنه لما كانت وفاة النبي ﷺ مقدرة وكان مقدرا أن تغيب ظاهريًا من صفحة العالم هذه الأسوة والوسيلة التي تُري وجه الله تعالى لذا جعل الله تعالى طريقا يسيرا فقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾. إن حبيب الله يكون مستقيما دائما، والزائغ لا يمكن أن يكون حبيب الله. وقد فُرضت الصلاة على النبي ﷺ في كل صلاة للاستزادة من حبه وتحديد الحب لكي تكون في اليد وسيلة الاستقامة لإجابة هذا الدعاء. (خطابه ﷺ ورسالة حول وحدة الوجود، رسالة، ص ٢١، تدوين شيخ يعقوب علي عرفاني رحمته الله)

هناك ثلاثة طرق لاستجابة الدعاء؛ أولاً: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، ثانياً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٧) والثالثة هي هبة من الله. (خطابه عليه السلام ورسالة حول وحدة الوجود، رسالة، ص ٢٢، تدوين شيخ يعقوب علي عرفاني رحمته الله)

إن طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله جعلت وسيلة لحب الله تعالى وبدونها لا يمكن نيل هذا المقام أبداً. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٣، عدد ١٩٠٧/١/٢٤، ص ١٥)

لقد خاطب النبي صلى الله عليه وآله أفراد كل فئة قائلاً: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ أي تعلّموا كل درس مني. من المعلوم أنه ما لم تكن أمام المرء أسوة كان عاجزاً عن العمل. فهناك حاجة لمثالٍ لبلوغ كل كمال. من طبائع الناس أنها لا تتأثر بالقول فقط ما لم يرافقه الفعل، إذا كان ثمة قول فقط أثار الناس مئات الاعتراضات وقالوا عند سماعهم كلاماً يتعلق بالدين: ما هو إلا كلام بحت، من يستطيع أن يعمل به؟ فهذا كلام محض. ولا يمكن الرد على هذه الاعتراضات ما لم يكن هناك إنسان يثبت العمل به بأسوته. (بدر، مجلد ٣، رقم ٣١، عدد ١٩٠٤/٨/١٦، ص ٤)

إن الله ليس بخيلاً ولا يأتي الأنبياء ليعبدوا، بل يأتون لينحوا السالكين مسلّكينهم تحت ظلهم، كما قال صلى الله عليه وآله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، فقد نال النبي صلى الله عليه وآله كل هذا الإكرام لكونه حبيب الله، أما إذا صار شخص آخر حبيباً فلن ينال المحب شيئاً. إذا كان الإسلام ديناً من هذا القبيل فنتبرأ منه كلياً. ولكن الإسلام ليس كذلك أبداً. لقد جاء النبي صلى الله عليه وآله بمائدة يستفيد منها من يشاء. لم يأت صلى الله عليه وآله بثروة دنيوية ولم يأت مرايياً بل جاء بثروة وجود الله وكان بنفسه قاسمها. فإن لم يكن مقدراً أن يورّج هذه الثروة فهل أعاد تلك الصّرة معه؟ (الحكم، مجلد ٨، رقم ٣٨-٣٩، عدد ١٩٠٤/١١/١٧-١٠، ص ٧)

إن الأنبياء والأولياء والأتقياء والصالحين مجتمعون على أن التطهير بيد الله، ولجلب هذا الفضل الإلهي لا بد من اتباع النبي ﷺ كما يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾. الشمس موجودة في العالم ولكن لا بد من وجود العين الباصرة أيضا. إن قانون الله في الطبيعة ليس لغوا أو بلا جدوى بل الحق أن العمل بالوسائل التي وضعها الله تعالى للحصول على أمر ما هو الذي يضمن الحصول على نتائج مرضية. لقد خلق الله تعالى الآذان للسمع ولكنها لا تستطيع أن ترى، وخلق العين للرؤية فلا يمكن استعمالها للسمع. كذلك فالطريق الذي وضعه الله تعالى للحصول على فضله وفيضه أنى لأحد أن ينال النجاح دون السير عليه؟

إن الطهارة والتركية الحقيقية إنما تُنال باتباع النبي ﷺ لأن الله تعالى قال بصراحة تامة بأنه إن كنتم تريدون أن تكونوا أحياء الله فاتَّبِعُوا رسول الله. فالذين يقولون: ما الحاجة إلى نبي أو رسول إنما يريدون إبطال قانون الله السائد في الطبيعة. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣٢، عدد ١٠/٥/١٩٠٨ م، ص ٤)

ما دام حب الله منوطا باتباع النبي ﷺ، وما دام الحديث أحد وسائل الاطلاع على قدوة النبي ﷺ العملية التي يتوقف عليها اتباعه؛ لذا فإن الذي يهجر الحديث إنما يهجر طريق الاتباع أيضا. (تعليق على المناظرة بين البطالوي وجكرالوي، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٢٠٨)

الآية ٣٣: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾

يتبين من هذه الآية بكل وضوح أن مغفرة الذنوب وحب الله تعالى منوط بالإيمان بالنبي ﷺ، والذين لا يؤمنون به فهم كفار. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٣٠)

وكلُّ يستطيع أن يدرك أنه إذا تيسر للعازم على الحج أن يقابل المسيح الموعود الذي ينتظره المسلمون منذ ١٣ قرنا، فلن يذهب للحج دون إذنه، وذلك بموجب

نص القرآن والحديث الصريح، ويمكنه أن يُحجَّ بإذنه في وقت آخر. (تذكرة الشهادتين، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٤٩)

الآية ٣٧: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرِّيَتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾

لقد قرأت كتاب شيخ ألفه حديثا جاء فيه أنه لم يولد أحد في العالم نزيها من مس الشيطان إلا عيسى عليه السلام وأمه مريم وأن مريم وابنها وحدهما بريئان من مس الشيطان. لقد تأسفت لقراءة هذا الكتاب كثيرا على أن هؤلاء الناس يكفروننا أما حالتهم فقد بلغت مبلغا حيث لا يحسبون الأنبياء كلهم - بمن فيهم نبينا الأكرم، وهو سيد الأطهار - بريئين من مس الشيطان، وأنه كان في ولادة النبي دخل للشيطان والعياذ بالله، ولكن لم يكن له دخل في ولادة عيسى وأمه. إنني لتأسف مرة بعد أخرى نظرا إلى ما بلغته حالتهم. إنا لله وإنا إليه راجعون.

يقدم هؤلاء القوم حديثا من صحيح البخاري تأييدا لادعائهم هذا ولا يفكرون أن القرآن الكريم هو المقدم على كل شيء وقد ورد فيه أن الله تعالى قال للشيطان: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (الإسراء: ٦٦). ألم يكن النبي من العباد بحسب رأيهم؟ أولا، إن الحديث الذي يعارض القرآن ليس حديثا أصلا وإن كان في البخاري أو مسلم. ثانيا: الحديث الذي يستلزم الإساءة إلى نبينا الأكرم محمد المصطفى صلى الله عليه وآله، حبيب الله وسيد الأنبياء جميعا، أتى لمسلم غيور أن يقبله حديثا صحيحا؟ لم يبق عند أولئك الذين يهاجمون النبي صلى الله عليه وآله هجمات سخيفة مثلها أدنى حياء.

لو كان في قلوبهم ذرة من حب النبي صلى الله عليه وآله لما استنبطوا هذا المعنى من هذا الحديث. لا شك أن لورود كل كلام سببا معينا. فقد جاءت في القرآن الكريم هذه الكلمات بحق عيسى عليه السلام وأمه لضرورة أن مريم كانت صديقة وأن روح

عيسى عليه السلام كانت من الله تعالى، كذلك جاءت الكلمات في الحديث المشار إليه لضرورة أن ولادة عيسى عليه السلام كانت بريئة من مس الشيطان. وقد مسّت هذه الضرورة لأن اليهود كانوا ولا يزالوا يقولون إن مريم كانت زانية، والعياذ بالله، وأن ولادة يسوع كانت غير شرعية وبمس الشيطان. فقال الله تعالى في كلامه وكذلك النبي ﷺ في حديث ردا على قولهم هذا بأن هذه التهم باطلة بل كانت مريم صديقة وأن ولادة عيسى عليه السلام كانت بريئة من مس الشيطان. ولما لم يخطر حتى ببال كافر عن النبي ﷺ وأمه الطاهرة فكرة كهذه قط، بل كان ﷺ طيبا وطاهرا لدى الجميع من حيث ولادته وكانت أمه عفيفة وطاهرة، فلم تكن هناك حاجة لبيان مثل هذه الكلمات بحقه ﷺ أو بحق أمه، أي أنهما بريئان من مسّ الشيطان. ولكن مسّت الحاجة لبيان هذه الكلمات بحق عيسى وأمه لتبرئتهما من تهم اليهود. والحال نفسه ينطبق على الأنبياء الآخرين؛ أي لم يوجّه إليهم أيضا اعتراض مثله وبالتالي ما مسّت الحاجة إلى دحضه. من المؤسف حقا أن هؤلاء المشايخ لا يعرفون لماذا ذُكرت هذه الأمور في القرآن الكريم والأحاديث. إنهم لا يدرون أن الكلام من هذا القبيل يأتي لذّب بعتان ما. لقد ذُكر في القرآن الكريم أن مريم اتّهمت تهمة كبيرة لذا سماها الله تعالى صديقةً. من المؤسف أنه لا يفهم كبارهم ولا أتباعهم أن هذا المعتقد يصم النبي ﷺ. ولولا ذكرُ براءة عباد الله من مس الشيطان في القرآن الكريم لكان مع ذلك من مقتضى حب النبي وعظمته والإيمان به ألا يُعتقد عنه ﷺ مثل هذا المعتقد الخبيث.

وردَ عن مريم عليها السلام دعاء ﴿إِنِّي أُعِيدُهَا بِكَ وَدُرِّتُهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ولكنه أيضا جاء لدفع الاعتراض نفسه. وإلا فإن الله تعالى يريد سلفا أن يجعل أنبياءه وأوليائه رسلا مقدسين، والإرادة نفسها تجعل ولادتهم وجُلّ أمورهم مقدسة منذ البداية. الأنبياء يكونون طاهرين منذ الولادة ويُبعدون عن الشيطان.

الولادة في الدنيا نوعان، من الرحمن ومن الشيطان. إن ولادة عباد الله تكون ولادة رحمانية، ولا دخل للشيطان فيها. فيقال عنهم ﴿رُوحٌ مِنْهُ﴾ أي تكون روحهم من الله، ولا خصوصية لعيسى فيها. بل أرواح جميع عباد الله الصالحين تأتي من الله. لقد استنتج الزمخشري في حاشية البخاري من هذا الحديث المعنى نفسه الذي نستنبطه. إن هؤلاء القوم لا يجذبون الزمخشري ولكني أرى أنه كان أفضل من هؤلاء المشايخ وإن كان من المعتزلة، ولكن إيمانه لم يقبل أن توصم عظمة النبي ﷺ بل ثارت في قلبه غيرة الإسلام وحبه. الحق أن هؤلاء الناس ليسوا حائزين على تزكية النفس. عندما يختار المرء تزكية النفس تُكشَف عليه معاني القرآن الكريم ومعارفه. (بدر، مجلد ٦، رقم ٤٣، عدد ٢٤/١٠/١٩٠٧م، ص ٧)

الواقع أن اليهود كانوا قد اعترضوا على حضرة المسيح عليه السلام بأن ولادته غير شرعية كما اتهموا أمه مريم بالزنا. فمن واجب القرآن الكريم أن ينزه جميع الأنبياء ويفند التهم عليهم، فلذا استخدم بحق مريم كلمة "الصِّدِّيقَة" مقابل "الزانية"، ووصف المسيح معصوماً من مس الشيطان. فمعلوم أنه لو برئت ساحة امرأة واحدة فقط في حارة وقيل بحقها أنها ليست سيئة بل صالحة فهذا لا يستلزم أن تكون سائر ساكنات الحارة سيئات وخبيثات حتماً، وإنما يعني أن التهمة التي ألصقت بها هي باطلة. أو إذا قيل بحق رجل واحد أنه سعيد وصالح فهذا لا يستلزم الاعتقاد بأن بقية الرجال كلهم ليسوا سعداء وصالحين بل خبيثون. فمثل ذلك كانت قضية المسيح عليه السلام وأمه، حيث كانا متهمين فنزَّههما الله ﷻ وشهد بحقهما أنهما صالحان وبريئان من التهمة. فإذا برأ قاض متهما في قضية القتل في مدينة فهل يلزم ذلك الاعتقاد بأن جميع سكان المدينة قاتلون ودمويون؟ باختصار، كانت البدع والمفاسد من هذا النوع منتشرة، فبعثني الله لإزالتها. (بدر، مجلد ٣، رقم ١٥، عدد ١٦/٤/١٩٠٧م، ص ٤)

فإن جميع الأنبياء والصلحاء هم معصومون من مسّ الشيطان وهي ليست ميزة خاصة بالمسيح. إنما صُرح باسمه لأنه أتهم، أما الأنبياء الآخرون فلما لم يُتَّهَموا فلم تطرأ حاجة لهذا التصريح في حقهم. فلو استُخدمت مثل هذه الكلمات بحق النبي ﷺ أو الأنبياء الآخرين لعدَّت إساءة لأنه إذا قيل بحق مَنْ صلاحه وبرّه مقبول ومسلّم به أنه ليس زانيًا فهي إساءة إليه في الحقيقة.

أما النبي ﷺ فكان أهل مكة أنفُسُهم قد سلّموا بأنه معصوم من مسّ الشيطان ولذلك سَمَّوه بالأمين وتحدّاهم النبي ﷺ أيضًا بالقول: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ (يونس: ١٧)، فأَي حاجة كانت إلى استخدام مثل هذه الكلمات بحقه أيضًا، فهذه الكلمات لا تزيد كرامة المسيح وإنما تبرئ ساحتَه، وتدل على العيب الذي أُتُّم به. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٦، عدد ٣٠/٤/١٩٠٣م، ص ٨)

حقيقة القضية هي كالتالي: يثبت من القرآن الكريم أن الولادة نوعان. أحدهما بمس روح القدس والآخر بمس الشيطان. إن أولاد جميع الصلحاء والأتقياء يولدون بمس روح القدس. أما الأولاد الذين يولدون نتيجة السيئة فبمس الشيطان. فقد وُلد جميع الأنبياء بمس روح القدس. ولكن لأن اليهود اعترضوا على عيسى عليه السلام وقالوا بأنه ولد زنا، والعياذ بالله، ووُلد نتيجة علاقة مريم غير الشرعية مع جندي اسمه "بندارا" ونتيجة مس الشيطان لذا فقد شهد الله تعالى بحقه ليزيل عنه هذه التهمة الشنيعة وقال بأن ولادته كانت بمس روح القدس. ولكن لما لم يُوجَّه اعتراض من هذا القبيل إلى نبينا الأكرم ﷺ والأنبياء الآخرين فلم تكن هناك حاجة إلى بيان هذا الأمر بحقهم. كان أبوا سيدنا رسول الله ﷺ - عبد الله وآمنة - يحظيان بالاحترام والإجلال منذ البداية، ولم تخطر مثل هذه الفكرة ببال أحد قط. أما الذي يواجهه قضية ما، فتكون هناك حاجة إلى شهادة لبراءته، ولكن الذي لم يواجهه قضية فلا حاجة إلى شهادة لإثبات براءته. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٢١، عدد ١٧/٦/١٩٠٦، ص ٤)

إننا نؤمن أن الشيطان لم يمس أي نبي بل لم يمس أحدا من العباد الصالحين والصادقين أيضا. كان المراد من ذلك شيئا ولكنهم فهموا شيئا آخر. لو اعتقد أن المسيح وحده كان بريئا من مس الشيطان دون غيره فهذه كلمة كفر. الحق أن اليهود كانوا يتهمون مريم عليها السلام أنها زانية، وأن المسيح عليه السلام ولد زنا، والعياذ بالله، فبرأهما الله تعالى من هذه التهمة بواسطة النبي ﷺ فسمي مريم صديقة وقال عن المسيح ﷺ بأنه بريء من مس الشيطان. الأولاد قسمان: قسم يولد بمس الشيطان ويسمون أولاد الحرام، وقسم آخر يولدون بمس روح القدس وهم أولاد الحلال. كان اليهود يتهمون المسيح بشدة بالولادة غير الشرعية ومكتوب عندهم أن ولد الحرام لا يدخل ملكوت الله إلى سبعة أجيال<sup>١</sup>. ولما كان الرد على شبهتهم وتهمتهم هذه ضروريا لذا قيل هذا الكلام بحقه. ولكن هذا لا يستلزم، والعياذ بالله، أن النبي ﷺ لم يكن بريئا من مس الشيطان. الاعتقاد مثله كفر بواح. هل اتهم أحد النبي ﷺ وأمه السيدة آمنة بمثل هذه التهمة؟ كلا! بل اعترف المعارضون أن النبي ﷺ كان صادقا وأمينا دائما. وعلى النقيض من ذلك وجه اليهود إلى المسيح وأمه تهما سخيفة. وقد اعترف المسيحيون بأنفسهم في الموسوعة أنه كان ولد الحرام، والعياذ بالله. وما أشد ضرورة إزالة هذه التهمة والحالة هذه! إن معارضينا العمهين يسردون خصوصيته على المنابر مع أن هذه كانت وصمة وُجِّهَتْ إلى المسيح ﷺ وأزالتها رسول الله ﷺ. ولم تكن هناك حاجة إلى بيان هذا الأمر عن النبي ﷺ لأنه إذا وُجدت نقطة سوداء على وجه شخص مثلا ثم أزيلت فأَيُّ حُقوق أن يفضل وجهه صاحب النقطة السوداء - لسبب وحيد أن نقطته قد أزيلت - على شخص ذي وجه جميل ومنير لا توجد عليه أي نقطة قط! (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٥، عدد ١٠/١٠/١٩٠٥، ص ١١)

<sup>١</sup> لعله سهو من الناسخ، والصحيح عشرة أجيال. والله أعلم. (الناشر)



الآية ٤٠: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾

لا يثبت أن عيسى عليه السلام كان أكثر الناس تقى في ذلك الزمن، بل للنبي يحيى عليه السلام فضلٌ عليه، لأنه لم يكن يشرب الخمر ولم يُسمع عنه قط أن مومساً مسحت رأسه بعطر من دخلها الحرام أو لمست جسده بيدها وشعر رأسها، أو أن شابة غريبة كانت تخدمه، ولذلك قد لُقّب الله تعالى يحيى في القرآن الكريم بالحصور، ولم يلقب المسيح بهذا اللقب - لأن مثل هذه الأحداث كانت مانعة من ذلك (دافع البلاء ومعيار أهل الاصطفاء، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٢٠، الحاشية)

الآية ٤٢: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾

طُرح سؤال أنه قد ورد عن زكريا عليه السلام: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَاذْكُرْ...﴾، هل المراد من ذلك أنه لن يتكلم؟

قال عليه السلام: هذا ما يبدو منه لأنه تعالى لم يقل: "لا تستطيع". (الحكم، مجلد ٦،

رقم ٤٠، عدد ١٠/١١/١٩٠٢، ص ٦)

الآية ٤٦: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾

"اسمه المسيح" هذه الكلمة هي "مشيخ" ومعناها "الخليفة"، وقد جاء في الأحاديث العربية والعبرية "المسيح" أما في القرآن الكريم فقد ورد: "الخليفة".

(الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٥، عدد ٧/١٧/١٩٠٢، ص ٦)

قوله: إن قول الله تعالى ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ دليل على بعثة المسيح ثانية،

إذ لم ينل المسيح أيّ عزة في زمن بُعث فيه إلى اليهود، فلا بد من التسليم بأنه سيأتي ثانية لكي يحرز الوجاهة في الدنيا.

**أقول:** هذه الفكرة سخيفة وباطلة تمامًا فلم يقل القرآن الكريم "وجيهاً عند أهل الدنيا" إذ لم يكن أيُّ نبي وحيهاً في زمنه في نظر أهل الدنيا وكلاهما، لأنهم لم يؤمنوا بأي نبي، بل معظم المؤمنين كانوا من الضعفاء والفقراء، الذين كان لهم نصيب قليل من الدنيا، فلا تعني الآية أن الزعماء والأمرء وأصحاب المناصب في الزمن السابق لم يؤمنوا بعيسى ﷺ لكنهم سيقبلونه في البعثة الثانية، بل بحسب التعبير القرآني الشائع.. تعني الآية أن المسيح نال العزة لدى الصالحين في الدنيا أيضاً، وعُدَّ وحيهاً، وقد آمن به يحيى النبي مع جميع أتباعه وصدّقه كما صدّقه الآخرون الكثيرون، كما ستظهر وجاهته يوم القيامة أيضاً. ثم أقول: ألم ينل عيسى ﷺ الوجاهة في الدنيا حتى الآن وقد اتخذه أربع مائة مليون إنسان إلهاً؟ فهل العزة والوجاهة تستلزم الحياة أيضاً وبعد الممات يفقدها الإنسان؟ ثم أضف إلى ذلك أن مجيء المسيح ثانية إلى هذا العالم لا يجلب له الوجاهة بحال من الأحوال، بل سوف يأتي متنازلاً عن مرتبته ومكانته بحسب عقيدتكم، إذ سوف يُبايع الإمام المهدي بعد كونه رجلاً من الأمة، ويُصلي وراءه مقتدياً، فما هذه الوجاهة؟! بل القضية على العكس وتسيء إلى النبي الذي هو من أولي العزم، أما القول بأنه سيفتخر بكل هذه الأمور ففكرة سخيفة وباطلة، أما إذا لم ينزل من السماء فعندها تتحقق وجاهته، يقول الله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (القمر: ٥٦). وباختصار، لا تكمن أيُّ وجاهة في العودة. بل بحسب قول الشيخ سعدى: إن الطاعة بعد الفوز بالجاه والجلال صعبة جداً؛ إذ سيخدم الإسلام تابعاً لحكم غيره. ويقول المجدد في مكتوباته: "سُئِكره علماء الإسلام وسيكون وشيكاً أن يهاجموه". فلاحظوا ما أعظم هذه الوجاهة إذ سيتصدى له المشايخ من الدرجة الدنيا، ويُستشفّ من الآثار - كما ورد في كتاب "حجج الكرامة" - بأنه سيواجه التكفير أيضاً إذ سوف تُكتب فتوى كفر المهدي وأتباعه، وسيُسمّى علماء الأمة كافراً وكذاباً ودجالاً. فلما كان المهدي

المعهود سيُسمى مع جماعته كافرًا ودجالًا فثبت منه يقينًا أن المسيح الموعود أيضًا سيتعرض لفتوى التكفير، لأنه لن يكون بمعزل عن المهدي وجماعته. لاحظوا كيف ثبت من الآثار الصحيحة أن المشايخ الأشقياء الأنجاس سيصفون المسيح الموعود بأنه دجال وسوف تكتب فتوى كفره، فتأملوا إنصافًا هل هذه هي الواجهة التي من أجلها يجب أن يُبعث إلى العالم ثانية؟ فهل تلقي الشتائم من المشايخ الحقييرين الأذلاء ولقب الكافر والدجال هو ما يسمى الواجهة عندكم؟ لقد ثبت من الآثار الصحيحة أن الإهانة التي سيتعرض لها المسيح الموعود على أيدي المشايخ الخبيثين، وأن ألقاب الكافر والفساق والدجال التي سيسمعوها من أفواه المشايخ ذوي الطبائع النجسة ستُشكّل أشنع إهانة من قبل العلماء أصحاب الطبع الخبيث الذين أصدرت الفتوى ضده، فسيحل غضب الله عليهم. ولقد ورد في الآثار الصحيحة أن المشايخ في زمن المسيح الموعود سيكونون شرّ من تحت أديم السماء وأخبث من كل إنسان، لأنهم سيُسَمُّون إنسانًا صادقًا كالمسيح كافرًا ودجالًا. باختصار، هذه هي الواجهة التي يتلقاها المسيح الموعود على أيدي المشايخ. أما الذي يحوز العزة والوجاهة عند الله وعند ملائكته وعند عباده الصالحين فإذا كان المشايخ الخبيثون يرونه كافرًا ودجالًا، فأأي ضير في ذلك؟

مد نور می فشاند و سگ بانگ می زند      سگ را پیرس خشم تو با ما هتاب چيست

أي: القمر ينشر النور والكلب ينبح عليه، فليسأله أحد لماذا تنقم على القمر؟ تأملوا أيضًا أنه إذا كانت الواجهة مشروطة بإطاعة أهل الدنيا وتعظيمهم أفلم يكن نبينا ﷺ وجيهاً عندما أخرجه كفار مكة وآذوه، وهل حقق الكرامة والشرف بعد فتح مكة؟ وباختصار، إن اعتراضك هذا ليس مبنياً على فراسة دينية وروحانية، بل قد نشأ من الأفكار السيئة والعادات والتقاليد والعكوف على الدنيا. فقد جاء في الدنيا أنبياء أكثر لم يؤمن بهم رجالان، أفلم يكونوا من الوجهاء؟ ثم متى كان

المسيح عليه السلام محروما تماما من القبول؟ فقد آمن به مئات الناس، فقد آمن به يحيى عليه السلام مع جماعته كلها، وقبله الحواريون، وقد ثبت من التاريخ أن أحد الملوك أيضًا آمن به، والنصارى أيضًا يُسَلِّمون بذلك، فأى وجهة أكبر من هذا تريدون؟ فقد أحرز هذه الوجهة في حياته، لدرجة أن جاء في الإنجيل أن مئات الناس من ذوي الحاجة كانوا يُصاحبونه بتعظيم، وبسبب الازدحام كان يصعب لقاءه أحيانًا. وصحيح أن بعض المشايخ اليهود كفَّروه، لكن التكفير الشديد الذي واجهه المسيح الموعود لم يواجهه عيسى عليه السلام قط، بل قد ثبت من الإنجيل أن أكثر الكفار أيضًا كانوا يكتِّون له احترامًا في القلوب، أما بعد الموت فقد أحرز الوجهة لدرجة أن اتُّخذَ إلهًا، وينبغي أن يعترف مشايخنا المعارضون بأنه لاحظ في حياته وجهة اتخاذ إلهًا وما زال يلاحظها، لأنه بحسب عقيدتهم ما زال حيًا، وجميع الملوك الأوروبيين الأقوياء مع أركان الدولة يؤمنون بأنه إله ذو جلال، فهل نال هذه الوجهة أيُّ إنسان غيره؟ (أيام الصلح، الخزان الروحانية المجلد ١٤، ٤١٢-٤١٤)

ومن الممكن أن يكون في أرض الله في زمن سيدنا عيسى عليه السلام أبرار مقربون يفوقونه ورعًا وتقربًا إلى الله تعالى، وذلك لأن الله تعالى قد قال عنه في القرآن المجيد: ﴿وَجِئَهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (آل عمران: ٤٦). مما يعني أنه كان أحد المقربين في زمنه. لا يثبت من ذلك أنه كان أفضل المقربين جميعًا، بل هناك احتمال أن يكون بعض المقربين في زمنه أفضل منه. ومن المعلوم أنه كان رسولًا إلى خراف بني إسرائيل فقط، ولم تكن له أية صلة بالأقوام والبلاد الأخرى، ومن الممكن بل من الأقرب إلى الفهم أن يكون بعض الأنبياء - الذين تندرج أسماؤهم في قائمة: ﴿لَمْ نَقْصُصْ﴾ (غافر: ٧٩) أي الذين لم ترد أسماؤهم في القرآن - أفضل منه، فكما ظهر مقابل سيدنا موسى عليه السلام شخص قال الله عنه: ﴿عَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف: ٦٦)، فكيف يمكننا القول بأن عيسى عليه السلام كان أفضل

الصادقين كلهم في زمنه مطلقاً، وهو الذي كان أقل شأناً من موسى عليه السلام وكان تابعاً للشرعة الموسوية ولم يأت بشرعة كاملة، إذ كان يتبع في مسائل الختان والفقه وأحكام الوراثة وحرمة الخنزير وغيرها من الأحكام شرعة موسى عليه السلام. أما لو رفعه إلى السماء أولئك الذين اتخذوه إلهاً من المسيحيين أو الذين وصفوه بصفات إلهية دون مبرر مثل أعدائنا وأعداء الله المسلمون اسماءً، وأجلسوه على العرش أو نعتوه بأنه خالق الطيور مثل الله؛ فهذا شأنهم، لأنه إذا خلع الإنسان الحياء والإنصاف فليقل ما يشاء وليفعل ما يشاء، إلا أنه لا يثبت أن عيسى عليه السلام كان أكثر الناس تقىً في ذلك الزمن، بل للنبي يحيى عليه السلام فضلٌ عليه، لأنه لم يكن يشرب الخمر ولم يُسمع عنه قط أن مومساً مسحت رأسه بعطر من دخلها الحرام أو لمست جسده بيدها وشعر رأسها، أو أن شابة غريبة كانت تخدمه، ولذلك قد لقّب الله تعالى يحيى في القرآن الكريم بالْحَصُور، ولم يلقب المسيح بهذا اللقب - لأن مثل هذه الأحداث كانت مانعة من ذلك - ثم إن سيدنا عيسى عليه السلام تاب من معاصيه على يد سيدنا يحيى عليه السلام - الذي يسميه النصارى يوحنا، والذي وُصف بعدئذ بأنه إيليا - وانضم إلى مريديه المقربين، وبهذا تتجلى فضيلة يحيى عليه، بينما لم يثبت أن يحيى تاب على يد أحد، فبراءته أمر بين وجلي. أما الحديث الشائع في المسلمين إن عيسى وأمه لم يمستهما الشيطان فلا يفهمه الأغبياء، فالأصل أن اليهود الأنجاس كانوا قد ألصقوا به وأمه أشد التّهم وأشنعها، وكانوا يتهمونها بأعمال شيطانية، والعياذ بالله، ومن ثم كان لا بد من دحض هذا الافتراء. وليس المراد من هذا الحديث غير تفنيد تهم اليهود الخبيثة عليه وعلى أمه عليهما السلام وتبرئة ساحته وتنزيهه من مس الشيطان. ولم يسبق مثل هذا التطهير في حق أي نبي سابق. (دافع البلاء ومعيار أهل الاصطفاء، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ٢١٩-٢٢٠، الحاشية)

معنى ذلك أن المسيح سينال الشرف والوجاهة العظيمة في أعين الناس في حياته، وكذلك في الآخرة. ومن الواضح أن المسيح لم يَنل أيَّ كرامة أو شرف في مُلك هيرودُس وبيلاطس، بل قد أُهين غاية الإهانة. وأما الظن بأنه سيعود إلى هذه الدنيا ثانيةً ليُحرز العزّ والمجد فما هو إلا وَهْمٌ لا أساس له، كما هو مخالفٌ لمقصد الكتب الإلهية؛ وليس ذلك فحسب، بل يُنافي أيضاً سننَ الله الطبيعية القديمة منافاةً شديدة؛ كما أنه زعمٌ لا يدعمه دليل.

وأما الأمر الواقع الحق فهو أن المسيح ﷺ بعد النجاة من أيدي أشقياء اليهود شَرَّفَ أرضَ "البنجاب" بمجيئه إليها، ووهب له الله في هذا البلد إكراماً عظيماً، وأعثره على القبائل الإسرائيلية العشر الضالة هناك. ويبدو أن معظم بني إسرائيل بعد هجرتهم إلى هذه البلاد دخلوا في البوذية، ووقع بعضهم في أخطأ أنواع الوثنية؛ غير أن أكثرهم رجعوا إلى الصراط المستقيم بعد مجيء المسيح إلى هذه البلاد. ولما كانت تعاليم المسيح ﷺ كانت تتضمن الوصية بالإيمان بالنبي المقبل ﷺ أسلمت في نهاية المطاف جميع هذه القبائل التي دُعيت في هذه البلاد بالأفغان والكشميريين. وبالجملة فإن المسيح ﷺ قد نال في هذه البلاد وجاهة عظيمة. وقد اكتُشفت أخيراً في منطقة "البنجاب" هذه قطعة نقدية من بين الآثار، وقد نُحِت عليها اسم المسيح باللغة البالية، وترجع هذه القطعة النقدية إلى عصر المسيح نفسه. ويتبيّن من ذلك بكل تأكيد أن المسيح قد نال في هذه البلاد عزة كعزة الملوك. وقد صدرت هذه القطعة النقدية، على الأغلب، من قِبل مَلِكٍ آمَنَ بالمسيح ﷺ. وكذلك فقد اكتُشفت قطعة نقدية أخرى عليها صورة رجلٍ إسرائيلي، ويتبيّن من القرائن أنها أيضاً صورة المسيح ﷺ.

وورد في القرآن الكريم أيضاً أن الله تعالى قد جعل في المسيح من البركات بحيث إنه سيكون مباركاً حيثما حلَّ. وإن القطع النقدية المشار إليها آنفاً تدلّ على أن

الله قد بارك المسيح بركة عظيمة، وما توفّاه حتى نال عزةً كعزة الملوك. (المسيح الناصري في الهند، الخزان الروحانية، المجلد ١٥، ص ٥٣-٥٤)

إن اليهود القساة القلوب استمروا في ذكر المسيح ﷺ بكلمات التحقير وإلصاق التهم المشينة به، وما هبَّ أحد من أصحاب البصيرة وحماة الغيرة لحماية شرف روح الله ومجده من أيدي هؤلاء الملحدّين، حتى جاء إلى الدنيا المتعاطف الحقيقي مع بني آدم، والحامي العظيم لجميع الصادقين - اللهم صلّ عليه وعلى آله واجعلي فداه، ووفقي لإشاعة ما جاء به ﷺ - الذي أعلن: ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ واستعاد شرفه ﷺ الغابر. (محاضرة لدهيانه، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ٩٠، الحاشية)

الآية ٤٧: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾

يُراد من "الكهل" عموماً أنه شخص متوسط العمر، ولكن هذا ليس صحيحاً. فافقرأ صحيح البخاري وهو أصح الكتب بعد كتاب الله ترى أن معنى "الكهل" بحسبه هو شاب قوي. والمعنى نفسه مذكور في القاموس وتفسير الكشاف وغيره أيضاً، وسياق الكلام أيضاً يقتضي المعنى نفسه لأن الله جلّ شأنه يقصد من هذا الكلام أن المسيح ابن مريم ﷺ تكلم في الصغر وأعلن أنه نبي، وكذلك سيفعل في الشباب عند بعثه. فالمراد من الكلام هو الكلام الخاص الذي تكلم به مع اليهود الذين كانوا يتهمون أمه واجتمعوا وقالوا: ما هذا الذي فعلته يا مريم؟ فهذا هو المعنى الذي يطابق كلام الله. أما إذا كان المراد هو الكلام في الكهولة فتغدو الآية لاغية، والعياذ بالله. فكأنه سيكون المعنى أن المسيح تكلم في الصغر ثم سيتكلم قرب الهرم ولكن سيبقى صامتا في فترة وسطية. بل المراد هو أنه سيشهد على نبوته مرتين. ويكفي منصفاً أن يقرأ صحيح البخاري وحده بهذا الصدد. (مناظرة دلهي، الخزان الروحانية المجلد ٤، ص ١٦٧)

ورد عن عيسى عليه السلام أنه تكلم في المهد. ولكن هذا لا يعني أنه بدأ بالكلام من يوم ولادته أو حين كان بالغاً من العمر شهرين أو ما يقارب ذلك، بل المراد هو أنه بدأ الكلام حين بلغ عامين أو نحو ذلك لأن هذا هو وقت لعب الأطفال في المهد. والكلام لطفل بالغ هذا العمر ليس غريباً. إن ابنتي أمة الحفيظ أيضاً تتكلم كثيراً. (الحكم، مجلد ١١، رقم ١١، عدد ٣١/٣/١٩٠٧م، ص ١١)

الآية ٤٨: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَتَى يَكُونُ لِي وَلَكَدْ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾

"إن قيل إن المسيح قد خُلق من غير أب من يد القدرة، وهذا أمر فوق العادة، فلا يتم هنالك شأن المماثلة، وقد وجب المضاهاة كما لا يخفى على القريحة الوقادة، قلنا إن خُلِقَ إنسانٌ من غير أب داخلٌ في عادة الله القدير الحكيم، ولا نسلم أنه خارج من العادة ولا هو حريٌّ بالتسليم فإن الإنسان قد يتولّد من نطفة المرأة وحدها ولو على سبيل الندرة، وليس هو بخارج من قانون القدرة، بل له نظائر وقصص في كل قوم وقد ذكرها الأطباء من أهل التجربة. نعم، نقبل أن هذه الواقعة قليلة نسبة إلى ما خالفها من قانون التوليد، وكذلك كان خُلِقَ من الله الوحيد، وكان كمثله في الندرة، وكفى هذا القدر للسعيد، فإني وُلِدْتُ تَوَامًا وكانت صبيّةً تولّدتُ معي في هذه القرية، فماتت وبقيتُ حيًّا من أمر الله ذي العزة. ولا شك أن هذه الواقعة نادرة نسبة إلى الطريق المتعارف المشهور. ويكفي للمضاهاة الاشتراك في الندرة بهذا القدر عند أهل العقل والشعور". (الخطبة إلهامية، الخزان الروحانية المجلد ١٦، ص ٨٥-٨٨)

"ثم اعلم أن تولّد عيسى ابن مريم من غير أب من بني إسرائيل بهذا الطريق تنبيهٌ لليهود وعلمٌ لساعتهم وإشارة إلى أن النبوة منتزعةٌ منهم بالتحقيق". (الخطبة إلهامية، الخزان الروحانية المجلد ١٦، ص ٨٩)



"ومن المعلوم أن مريم وُجدت حاملاً قبل النكاح، وما كان لها أن تتزوج لعهد سبق من أمها بعد الإجحاح. فالأمر محصور في الاحتمالين عند ذوي العينين: إما أن يقال إن عيسى خُلق من كلمة الله العلام، أو يقال -ونعوذ بالله منه- إنه من الحرام. ولا نجد سبيلاً إلى حمل مريم من النكاح، فإن أمها كانت عاهدت الله أنها يتركها محررةً سادنة، وكانت عهدها هذا في أيام اللقاح. وهذا أمر نكتبه من شهادة القرآن والإنجيل، فلا تتركوا سبيل الحق والفلاح. هذا لمن استوضحته فطرته، ولا تقبل خارق العادة عادته. وأما نحن فنؤمن بكمال قدرة الله الأعلى، ونؤمن بأنه إن يشأ يخلق من ورق الأشجار كمثل عيسى. وكم من دود في الأرض ليس لها أبوان، فأني عجب يأخذكم من خلق عيسى يا فتيان؟" (مواهب الرحمن، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ٢٩٥-٢٩٦)

إني أؤمن دائماً بأن عيسى عليه السلام وُلد بدون أب، وكانت ولادته من دون أب علامة إنذار بأن النبوة ستقطع الآن من أسرة بني إسرائيل، إذ كان الوعد باستمرار النبوة في أسرة بني إسرائيل مشروطاً بشرط التقوى، ولكنهم لما خلوا من التقوى، أراهم الله هذه العلامة لكي يدرك أهل الفهم منهم أن النبوة ستقطع عن أسرة بني إسرائيل الآن. (الحكم، مجلد ٥، رقم ١٤، عدد ١٧/٤/١٩٠١م، ص ٥-٦)

إنما إيماننا وعقيدتنا أن المسيح عليه السلام كان بدون أب، وأن الله تعالى يملك القدرة كلها. الطبيعيون الذين يدعون بأن المسيح كان له أب فهم يرتكبون خطأ كبيراً، وإله مثل هؤلاء إله ميت، ولا يمكن أن يُستجاب دعاؤهم. والذين يظنون أن الله تعالى ليس بقادر على أن يخلق أحداً من دون أب هم خارجون عن الإسلام عندنا.

الحق أن الله تعالى كان يريد أن ينبّه بني إسرائيل أنهم قد تردّوا في الحضيض بحيث لم يعد أحد منهم أهلاً لأن يكون هو أو أحد من أولاده نبياً، ولذلك خلق الله تعالى

آخر خليفة في الأمة الموسوية بغير أب، وفَهَّمَهُمْ بذلك أن الشريعة قد انْتزعت من عائلتهم الآن. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٢٣، عدد ١٩٠١/٦/٢٤ م، ص ١١)

إن جمع قصة يحيى وعيسى عليهما السلام في موضع واحد يدل على أنه كما كانت ولادة يحيى خارقة للعادة، كذلك كانت ولادة المسيح عليه السلام أيضاً. ثم بعد بيان ولادة يحيى عليه السلام ذكر الله ولادة المسيح عليه السلام، فهذا الترتيب أيضاً يفيد أن الارتقاء حصل من الأدنى إلى الأعلى أي قدر ما توجد قوة إعجازية في ولادة يحيى عليه السلام تفوقها ولادة المسيح عليه السلام. وإن لم يكن فيها أي إعجاز، فلماذا ذكر الله تعالى مريم بعد ذكر ولادة يحيى فوراً؟ فأي فائدة كانت ترتجى؟ إنما لكيلا يبقى مجال للتأويل، فورود ذكرين كليهما في موضع واحد يُثبت الإعجاز، وإلا فهذا يعني أن القرآن الكريم أخطأ في الترتيب وهذا ينافي شأنه. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٦، عدد ١٩٠٣/٥/٨ م، ص ١٢٢)

إن مذهبنا هو أنه (أي المسيح عليه السلام) وُلد بغير أب. والدليل القوي على ذلك هو أن قصة يحيى وعيسى ذُكرتا في مكان واحد. فقد ذكر يحيى أولاً الذي وُلد من بطن عقيم. ثم ذكر قصة المسيح بعدها التي كان من المفروض أن تكون فوق سابقتها، أي أنه وُلد بغير أب وهذا الأمر خارق للعادة. ولو ذُكر -بعد يحيى الذي وُلد من بطن العقيم- أحدٌ وُلد من أبٍ لما كان فيه ما يخرق العادة. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٤٢، عدد ١٩٠٥/١١/٣٠ م، ص ٢)

هذا ما يثبت من القرآن الكريم ونحن نؤمن بالقرآن، كما لا نجد في الطبيعة دليلاً ينافي ذلك لأن مئات الحشرات والحيوانات تتولد بغير أب وبغير أم. عندما ورد هذا الذكر في القرآن الكريم ذكر الله تعالى إلى جانب ذلك نموذجين غريبين لقدرته. فأولاً ذكر زكريا عليه السلام أنه رزقه ابناً حين كان متقدماً في السن وكانت امرأته عاقراً. وهناك حادث آخر وهو نموذج لقدرة الله الغريبة، ولا غضاضة في قبوله. يثبت من القرآن

الكريم أن المسيح الناصري وُلد بغير أبٍ ولا يقع عليه اعتراض. يتبين أيضا من قول الله تعالى: ﴿كَمْثِلَ آدَمَ﴾ أن فيه أعجوبة قدرة الله التي بسببها مسّت الحاجة لذكر مثل آدم. (بدر، مجلد ٦، رقم ٢٠، عدد ١٦/٥/١٩٠٧م، ص ٣)

﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (البقرة: ١١٨) نؤمن بأن المسيح وُلد بغير أب، وهذا ما يثبت من القرآن الكريم. الحق أن المسيح ﷺ كان آية لليهود تحققت بهذه الصورة مغبة أعمالهم. لقد ورد في الزبور والكتب الأخرى أن النبوة ستبقى فيكم إن لم تُفسدوا سلوككم. ولكن كان في علم الله أنهم سيغيّرون حالتهم ويتورطون في الشرك والبدعة. فحين أفسدوا سلوكهم أظهر الله لهم هذه الآية تنبيهها بحسب وعده وخلق المسيح بغير أب. كان السر في ولادته بغير أب أنه ما دامت سلسلة النسب تبدأ من الأب فقد انقطعت السلسلة على هذا النحو وانكسرت إحدى رجلي العائلة الإسرائيلية؛ لأن المسيح لم يكن من عائلة إسرائيل تماما. وفي الآية: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (الصف: ٧) بشارة ولها جانبان حصرا: أولا كان وجوده بشارة بحد ذاته لأن النبوة انقطعت من عائلة إسرائيل، ثانيا: بشر شفويا أيضا بولادته، أي كانت في ولادته أيضا بشارة وشفويا أيضا. وذكر المسيح هذا الأمر في الإنجيل بضرب مثل الكرم وأحلّ نفسه محل ابن صاحب الكرم. إن تعبير "ابن" متداول في التوراة والإنجيل بكثرة. وقد جاء عن إسرائيل قول الله إن إسرائيل ابني، بل ابني البكر. فقليل في نهاية المثال أن المالك سيأتي بنفسه بعد الابن وسيهلك الكرامين كلهم ويسلم الكرم إلى آخرين. وفي ذلك كانت إشارة إلى أن النبوة انتزعت من هذه العائلة. فولادة المسيح بغير أب كانت علامة على ذلك. (بدر، مجلد ١، رقم ١٠، عدد ٢/١/١٩٠٣م، ص ٧٥)

الآية ٥٠: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ

وَأُبرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٠﴾

يقول بعض من فئة الموحدين مشيرين إلى الآيات القرآنية إن المسيح ابن مريم كان يخلق الطيور من مختلف الأنواع والأجناس، ثم ينفخ فيها ويحييها....

الجواب على هذه الوسوس الباطلة هو أن الآيات التي ورد فيها مثل هذا الكلام إنما هي من المتشابهات، والاستنتاج منها أن الله تعالى كان قد جعل عيسى عليه السلام شريكه في صفة الخلق بإذنه وإرادته، إنما هو الإلحاد الصريح وعدم الإيمان بعينه؛ لأنه لو فوّض الله تعالى صفات ألوهيته إلى غيره لبطلت ألوهيته أصلاً. أما قول هذا "الموحّد" المحترم بأنه لا يعتقد أن عيسى عليه السلام كان يخلق الطيور بقدرته هو، بل يعتقد أن الله تعالى كان قد فوّض هذه القوة والقدرة إليه بإذنه وإرادته وجعله شريكاً في صفة الخلق بمشيئته، وأن الله تعالى حقا أن يجعل من يشاء مثيلاً لنفسه إذ أنه القادر المطلق؛ فهذه كلها أقوال شركية وأساء من الكفر. لقد قلنا أيضاً لهذا الموحّد: هل تستطيع أن تميّز بين الطيور التي خلقها الله تعالى وبين التي من نسل الطيور التي خلقها عيسى عليه السلام؟ فاتّضح من سكوته أنه لا يستطيع التمييز بينها.

وليكن واضحاً أن اعتقاد بعض الموحدين في الزمن الراهن أن هناك أنواعاً من الطيور خلقها الله تعالى وأنواعاً أخرى خلقها عيسى، إنما هو اعتقاد فاسد يكتنفه الشرك الصريح، وإن صاحبه خارج عن دائرة الإسلام دون أدنى شك. وإن قولهم بأننا لا نؤله عيسى عليه السلام، بل نؤمن بأن الله تعالى منحه بعضاً من صفات ألوهيته؛ هو حجة شنيعة وباطلة تماماً، لأنه إذا كان الله يمنح عباده بإذنه وإرادته بعضاً من صفات الألوهية، فيستطيع بلا أدنى شك أن يمنح جُلّ صفاته لشخص ما، فيجعله إلهاً كاملاً. ففي هذه الحالة تصبح مذاهب عبدة المخلوق كلّها صادقة. وإذا كان لله أن يمنح أحداً من البشر بإذنه وإرادته صفة الخلق، فله كذلك أيضاً أن يجعل

أحدا بإذنه وإرادته عالم الغيب كمثلته تماما، وله أن يرزقه قوة ليكون حاضرا وموجودا في كل مكان. ومن الواضح أنه لو كان توزيع صفات الألوهية على الناس ممكنا، لبطل كونه ﷺ واحدا لا شريك له. لا يقول أحد من عبدة المخلوق الموجودين في الدنيا إنهم يؤمنون بمعبودهم كآلهة، بل يقولون كمثل هؤلاء الموحدّين تماما بأن الله تعالى قد منح معبوديهم قدرات الألوهية. ويقولون إن الرب الأعلى والأرفع هو ذلك الإله ﷻ وحده، أما هؤلاء المعبودون فإنما هم آلهة صغيرة.

واللافت في الموضوع أن هؤلاء القوم يمنعون الآخرين من أن يقولوا "يا رسول الله" معتبرين ذلك شركًا، ومن ناحية ثانية جعلوا إنسانا ضعيفا أي ابن مريم شريكا في الألوهية. أيها الإخوة، إنكم تدينون في الحقيقة أن الألوهية أيضا قابلة للتوزيع على المخلوق، وأن الله تعالى يشرك إلى الأبد من يشاء في صفاته المختلفة مثل الخلق والرزق والعلم والقدرة وغيرها. فلماذا إذن، أنتم في صراع عنيف مع إخوانكم من أهل البدع؟ إذ لا يؤمن هؤلاء المساكين أيضا بأوليائهم كآلهة، ولا يقولون إلا أن الله تعالى قد منحهم بعضا من قدرات الألوهية بإذنه وإرادته، فيرزقون من يشاءون ذكورا ويزقون من يشاءون إناثا، وهم حاضرون وموجودون في كل مكان نتيجة تلك القدرات التي حصلوا عليها بإذن الله ﷻ وإرادته، ويقبلون النذور ويحققون مُرادات الناس.

الآن، لو طرح طالب حقّ سؤالاً: إذا كانت معتقدات كهذه باطلة وشركيّة تماما، فما هو المعنى الصحيح لآيات الفرقان التي جاء فيها أن المسيح ابن مريم كان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله؟

فليكن معلوما في الجواب أن معجزات الأنبياء نوعان:

(١) أولها تتعلق بأمور سماوية بحتة ولا دخل فيها لكيد الإنسان وعقله، مثل شق القمر الذي كان معجزة لسيدنا ومولانا رسول الله ﷺ أراها الله تعالى بقدرته غير المحدودة إظهارا لعظمة نبي صادق وكامل.

(٢) النوع الثاني يحتوي على معجزات عقلية تظهر نتيجة العقل الخارق للعادة الذي يُنال بإلهام من الله، مثل معجزة سليمان ﷺ المتمثلة في: ﴿صَرَخَ مُرَدَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾ (النمل: ٤٥) التي بمشاهدتها حظيت بلقيس بالإيمان.

هنا يبدو في الظاهر أن معجزة المسيح ﷺ كانت عقلية فقط مثل معجزة سليمان ﷺ؛ إذ يتبين من التاريخ أن أفكار الناس في تلك الأيام كانت ميالة إلى أعمال الشعوذة الهادفة إلى تسلية الناس ونيل إعجابهم، وكانت عديمة الجدوى في حقيقتها. والذين كانوا يقومون بمثل هذه الأعمال في مصر في زمن فرعون ويصنعون الأفاعي والحيوانات الأخرى من هذا القبيل ويسيرونها كحيوانات حية، كانوا منتشرين في زمن المسيح ﷺ في بلاد اليهود عموما، فتعلم اليهود منهم كثيرا من أعمال السحر والشعوذة كما يشهد القرآن الكريم. فلا غرابة في أن يعلم الله المسيح ﷺ من الناحية العقلية أن ألعوبة من الطين يمكن أن تطير أو تمشي بأقدامها مثل طير حيّ بالضغط على زرّ أو النفخ فيها، إذ قد مارس المسيح ابن مريم مع زوج أمه "يوسف" مهنة النجارة أيضا لمدة ٢٢ عاما. والمعلوم أن النجارة مهنة تؤدي إلى تشحيد القوى العقلية في مجال اكتشاف الأجهزة والأدوات المتنوعة الأخرى. فتتقدم قوى الإنسان بصورة إعجازية حسبما يملكه من كفاءات وقدرات. إن قوى سيدنا ومولانا النبي ﷺ الروحانية كانت قوية وسريعة جدا للوصول إلى الدقائق والمعارف، فأعطي ﷺ بحسبها معجزة القرآن الكريم الذي هو جامع لجميع الدقائق والمعارف الإلهية. فلا غرابة إذن أن يكون المسيح ﷺ قد أرى خصومه في ذلك الزمن هذه المعجزة العقلية مثل جده سليمان. وإن إراءة مثل هذه المعجزة ليست مستحيلة عقلا لأننا نرى في الزمن الراهن أيضا أن كثيرا من الصُنَّاع يصنعون عصافير مثلا تُصدر أصواتا وتتحرك وتحرك ذيلها. وسمعتُ أن هناك من العصافير ما يطير أيضا بمساعدة هذه الأزرار.

ففي مومباي وكالكوتا مثلاً تُصنع ألعاب كثيرة من هذا القبيل، كما تُصنع في بلاد أوروبية وفي أميركا ألعاب جديدة كل عام.

وما دام القرآن الكريم زاخراً بالاستعارات لذا يمكن أن نستنتج من هذه الآيات معاني روحانية أيضاً بأن المراد من الطيور الطينية أناسٌ أُميون محدودو الفهم اتخذهم عيسى رفقاء له، أي أخذهم في صحبته، وجعل فيهم صفات الطيور، ثم نفخ فيهم روح الهداية، فأصبحوا يطيرون. وإضافة إلى ذلك من الأقرب إلى الفهم أيضاً أنه من الممكن أن تظهر مثل هذه المعجزات نتيجة عمل التَّرب، أي المسمريزم، على سبيل اللهو واللعب وليس على وجه الحقيقة. لأن عمل التَّرب الذي يُسمَّى في الأيام الراهنة بالمسمريزم يضم في طياته أموراً عجيبة وغريبة بحيث إن المتمرسين فيه يُلقون طاقاتهم الحيوية على الأشياء الأخرى فتبدو كأنها حية. إن في روح الإنسان ميزة بحيث تستطيع أن تُلقِي بطاقتها الحيوية على جماد لا حياة فيه قط، فتصدر من ذلك الجماد حركات مثل الأحياء.

لقد شاهد المؤلف بعض المتمرسين في هذا العلم؛ حيث وضع المتمرس يده على لوحة خشبية وأثر فيها بطاقته الحيوية فبدأت تتحرك مثل الدواب، وركبها أناس مثل ركوبهم الحصان وما نقص من سرعتها أو حركتها شيء. فالمعلوم يقينا أن المتمرس الكامل في هذا المجال لو صنع من الطين طيراً وأراه يطير، لما كان مستبعداً، لأن غور هذه الحرفة لم يُسرَ بعد بالكامل. وما دُمنا نرى بأمر أعيننا أنه يمكن أن تحدث الحركة في جماد نتيجة هذه المهنة فيتحرك مثل الأحياء، فإن طيرانه أيضاً ليس مستبعداً.

ولكن لا بد من الانتباه إلى أن الحيوان من هذا القبيل الذي يُصنع من الطين أو الخشب وتُلْقَى عليه طاقة حيوية بواسطة عمل التَّرب لا يكون حياً في الحقيقة، بل يظل كسابق عهده جماداً دون حياة، غير أن الطاقة الحيوية للعامل المتمرس تحركه

كالزئبق. والجدير بالذكر أيضا أن طيران مثل هذه الطيور لا يثبت من القرآن الكريم مطلقا، بل لا يثبت تحركها ولا حياتها.

وليكن معلوما أيضا في هذا المقام أن الإبراء من الأمراض أو إلقاء الطاقة الحيوية على الجمادات فروع لعمل التَّرب. لقد كان في كل زمن أناس، ولا يزالون في العصر الحاضر أيضا، يُبرئون من الأمراض بهذا العمل الروحاني، وظل المفلوجون والمبروصون والمسلولون يُشَقِّون نتيجة تركيزهم وتوجُّههم. إن أصحاب المعلومات الواسعة في هذا المجال يستطيعون أن يشهدوا على بياني هذا في أن بعضا من الزهاد الذين يتَّبِعون الطريقة النقشبندية والسُّهروردية وغيرهما، توجَّهوا إلى هذه التمارين كثيرا. وقد كان بعضهم متمرِّسا فيها لدرجة شفائهم مئات المرضى يمينهم ويسارهم بإلقاء نظرة واحدة عليهم. وقد كان محي الدين بن عربي متمرِّسا في هذا المجال بوجه خاص. إن دراسة تاريخ الأولياء والصوفيين وسوانحهم تبين أن الكُمَّل كانوا يتحاشون دائما مثل هذه الأعمال، غير أن هناك بعضا آخرين خاضوا هذه الأعمال إما إثباتا لولايتهم أو بقصد آخر.

ومن الثابت المتحقق على وجه القطعية واليقين أن المسيح ابن مريم عليها السلام كان ماهرا في عمل التَّرب - بإذن من الله وأمره - مثل النبي اليسع، وإن كان أقل درجة من درجة اليسع الكاملة، إذ إن جثة اليسع أيضا قد أظهرت معجزة، حيث عادت الحياة إلى ميت بلمس عظام جثته. ولكن لم تُعد إلى الحياة جثتا اللصين اللذين صُلِّبا مع المسيح نتيجة لمسهما جسمه.

على أية حال، إن هذه الأعمال المتعلقة بعمل التَّرب التي قام بها المسيح كانت بناء على مقتضى الحال في ذلك الزمن لحكمة معينة. وليكن معلوما أن عمل التَّرب هذا ليس جديرا بالتقدير كما يزعم عامة الناس. ولولا كراهتي له واشتملازي منه لكان هناك أمل قوي بفضل الله وتوفيقه ألا أكون أقل درجة من المسيح ابن مريم عليها السلام.



في إراءة هذه الأعاجيب، ولكنني أحب ذلك الطريق الروحاني الذي سلكه نبينا عليه السلام. علماً أن المسيح عليه السلام أيضاً لم يمارس هذا العمل المادي إلا بإذن من الله وأمره نظراً إلى الأفكار المادية والسُّفلية التي كانت مترسخة في طبائع اليهود، وإلا ما كان المسيح ليحب هذا العمل.

وليتضح أن هناك نقطة سيئة جداً في هذا العمل المادي وهي أن الذي يمارس هذه الأعمال ويبدل قواه الذهنية والدماعية لإزالة الأمراض الجسدية باستمرار فإنه يضعف جداً روحانياً، بل تبطل رويدا رويدا تأثيراته الروحانية التي تؤثر في الروح وتزيل الأمراض الروحية، وقليل ما يتحقق على يده تنوير الباطن وتطهير النفوس الذي هو الهدف الحقيقي. لذلك فإن المسيح عليه السلام، وإن كان يُبرئ الأمراض الجسدية بواسطة هذا العمل، ولكن مستوى عمله فيما يتعلق بترسيخ الهداية والتوحيد والاستقامة الدينية في القلوب بصورة كاملة كان منخفضاً لدرجة كان قريباً من الفشل. أما نبينا الأكرم عليه السلام لَمَّا لم يتوجّه إلى هذه الأمور المادية بل صبَّ جُلَّ اهتمام روحه على نفخ الهداية في القلوب؛ فقد فاق الجميع في تكميل النفوس، وأوصل آلافاً مؤلفة من عباد الله إلى درجة الكمال، وأظهر في إصلاح الخلق والتغييرات الباطنية أيادي بيضاء لا نظير لها منذ بدء الخليقة إلى يومنا هذا. إن الأموات الذين كانوا يُحيون بعمل التَّرب على يد المسيح عليه السلام، أي أن الموشكين على الموت الذين كانوا يعودون إلى الحياة من جديد، كانوا يموتون في غضون بضع دقائق دون أدنى تأخير، لأن الطاقة الحيوية والحياة كانت تدبّ فيهم بواسطة عمل التَّرب مؤقتاً فقط، أما الذين أحياهم نبينا عليه السلام فسيعيشون إلى الأبد. أما ما سميتُ به المسمرية بعمل التَّرب الذي كان المسيح متمرساً فيه إلى حد ما، فإنه اسم إلهامي، وقد كشف الله لي أنه عمل التَّرب، وقد تلقيتُ إلهاماً أيضاً عن عجائب هذا العمل ما نصه: "هذا هو التَّرب الذي لا يعلمون" أي هذا هو عمل التَّرب الذي لا يعرف

الناس في العصر الراهن حقيقته، وإلا فإن الله تعالى واحد لا شريك له في كل صفة من صفاته، فلا يشرك أحدا في صفات ألوهيته. ولا يخفى على أحد ما جاء في القرآن الكريم في هذا الموضوع من التأكيد، فيقول الله عز اسمه: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا \* وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ (الفرقان: ٣-٤).

يقول الله تعالى هنا بكل وضوح إنه ما من خالق سواه. ويقول في آية أخرى: ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ ويقول أيضا إنه لا أحد يملك الموت ولا الحياة ولا الضر والنفع. فمن الواضح في هذا المقام أنه لو كان من سنته ﷻ أن يمنح أحدا من خلقه قدرة على الإماتة والإحياء ويشرکه في صفاته، لذكر هؤلاء على وجه الاستثناء، وما علمنا ذلك التوحيد الأعلى والأسمى. ولو راودت أحدا وسوسة أنه لماذا إذا استخدم الله جلّ شأنه كلمة: ﴿تَخْلُقُ﴾ حين ورد ذكر خلق الطيور في قصة المسيح ابن مريم؟ فجوابه أن اعتبار عيسى عليه السلام خالقا إنما هو على سبيل الاستعارة، كما يقول تعالى في آية أخرى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون: ١٥) فالخالق الحقيقي هو الله وحده بلا أدنى شك، أما الذين يصنعون الألاعيب من الطين أو الخشب فهم أيضا خالقون غير حقيقيين، ولا حقيقة لفعلهم.

وإذا قيل: ما المانع في أن يخلق المسيح عليه السلام الطيور في الحقيقة معجزة بإذن الله ومشيئته، وأن تطير تلك الطيور بنفخه المعجز؟ فجوابه: إن الله تعالى لا يملك أحدا الموت والحياة والضر والنفع بإذنه ومشيئته. إن الأنبياء أيضا يطلبون المعجزات بالدعاء والتضرع، ولا يملكون في إراءة المعجزة قدرة كقدرة الإنسان على تحريك يديه أو قدميه. فإن هذا الأمر أعلى وأسمى من حقيقة المعجزة ومرتبته، بل هو من الصفات الخاصة بالله التي لا يُعطّاها بشرٌ في حال من

الأحوال. إن حقيقة المعجزة هي أن يُظهر الله تعالى - إما بإرادته الخاصة أو نتيجة دعاء الرسول والتماسه - أمراً خارقاً للعادة يفوق الفهم والتصور والمأمول، إظهاراً لصدق رسوله وكرامته وعجز معارضيه وكونهم مغلوبين. ولكنه ﷺ يُظهره بطريقة لا تنافي صفات وحدانيته ولا تعارض قدسيته وكماله، ويكون ذلك دون واسطة أو تدخّل غيره فيها.

والآن، لكل عاقل أن يدرك أنه ليس من المعجزة في شيء أن يسمح الله تعالى لشخصٍ ولأبدٍ أو يأذن له أن يصنع من الطين طيوراً ثم ينفخ فيها فتكون طيوراً حقيقية من اللحم والعظام والدم وجميع الأعضاء كبقية الحيوانات. والمعلوم أنه إذا اختار الله توكيل أحد صفةً الخلق لخلق الطيور مثلاً، فله أن يختار توكيل غيره بأمور الخلق كلها ويعيّنه في منصب الوكالة التامة في هذه الصفة. ففي هذه الحالة سيكون الاشتراك في صفات الله جائزاً وإن كان بأمره وإذنه. وكذلك ستتعدد معرفة الخالق الحقيقي من غيره من الخالقين بسبب مشكلة: ﴿فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ (الرعد: ١٧). باختصار، إن هذه ليست معجزة، بل إشراك في الألوهية.

إن بعض العقلاء المزعومين يقدمون لتحاشي الشرك عذراً أن الطيور التي كان يخلقها المسيح ﷺ ما كانت تعيش طويلاً، بل كانت أعمارها قصيرة، إذ كانت تسقط بعد الطيران مسافةً قصيرة وتموت. ولكنه عذر واهٍ ولا يمكن الأخذ به إلا إذا قيل بأن الحياة الحقيقية ما كانت تدبّ فيها، بل كانت تظهر فيها حياة مجازية كاذبة يمكن ظهورها نتيجة عمل التّرب بصورة ظلية وانعكاسية فقط.

فإذا كان الأمر لا يتعدى ذلك فقد سلّمنا من قبل أنه من الممكن عندنا أن تنشأ في النفخ نتيجة عمل التّرب قوةٌ كالتي تنشأ من غاز يُصعد المنطاد مثلاً. لقد أودع خالق الفطرة في مخلوقاته قدرات مكنونة كثيرة، ولا شيء مستحيل إلا الاشتراك في صفات الله.

وإذا اعتنق أحد اعتقاداً أن حياة حقيقية كانت تدب في تلك الطيور، فكانت تصبح حية بعد تكوين الأعضاء من العظام واللحم والدم على وجه الحقيقة، فلا بد من التسليم أيضاً في هذه الحالة أنها كانت تتحلى بجميع مستلزمات الحياة وكانت صالحة للأكل أيضاً، ولا بد أن توجد على وجه الأرض طيور من نسلها إلى اليوم بالبلايين، وأنها تموت أيضاً نتيجة مرض أو على يد صياد. ولا شك أن اعتقاداً كهذا شرك بداهة.

هناك وسوسة أخرى تراود كثيراً من الناس أنه إذا أُحيي ميتٌ أو سَرَت الحياة في جماد بدعاء نبي فأبي شرك في ذلك؟ فليعلم هؤلاء الناس أنه لا ذكر للدعاء في هذا المقام، فإن إجابة الدعاء أو عدمها في يد الله جلّ شأنه. وما يترتب نتيجة الدعاء فهو فعل الله تعالى ولا دخل للنبي في ذلك. وسواء أَمَات الشخص بعد الدعاء أو بقي على قيد الحياة فإن وجوده أو عدمه لا يغير في الأمر شيئاً. باختصار، ليس للنبي إلا الدعاء فقط، وإن دعاءه يستجاب أحياناً ويُردّ أحياناً أخرى، أما في الموضوع قيد البحث فالأمر ليس كذلك.

إن دراسة الأناجيل الأربعة توحى بجلاء أن كل ما قام به المسيح من الأعمال أمام قومه لم يكن نتيجة الدعاء قط، ولم يُذكر في القرآن الكريم أن المسيح كان يدعو الله تعالى بُغية إبراء المرضى أو عند خلقه الطيور، بل كان يقوم بهذه الأعمال الاقتدارية بروحه التي بورك بروج القدس. لذا فكل من قرأ الإنجيل بتدبر في حياته سيصدق بياي هذا بكل يقين. وإن آيات القرآن الكريم أيضاً تعلن بأعلى صوّتها أن المسيح كان قد أُعطي قوة للقيام بمثل هذه الأعمال العجيبة. ولقد قال تعالى بصراحة تامة إنها كانت قدرة فطرية أُودعت في طبيعة كل البشر ولا خصوصية للمسيح في ذلك. ففي الزمن الراهن تجري تحليلات في هذا الموضوع. إن معجزات المسيح فقدت رونقها وقدرها بسبب بركة كانت مظهر العجائب قبل ولادة المسيح؛ حيث كان

جميع المرضى من المجذومين والمفلوجين والمبروصين يُشَفَوْنَ بمجرد الغوص فيها. أما الخوارق التي أظهرها الناس في الأزمنة اللاحقة فلم تكن البركة موجودة حينها.

باختصار، إن الاعتقاد بأن المسيح كان يخلق من الطين طيوراً وينفخ فيها ويجعلها طيوراً حقيقية، إنما هو اعتقاد خاطئ تماماً وفاسد ومبني على الشرك. بل الحق أنه كان من عمل التَّرب فقط، وقد تم بتأثير قوة الروح. ومن الممكن أيضاً أن المسيح كان يجلب لهذا الغرض طينا من تلك البركة التي أُودعت بتأثير روح القدس. على أية حال، إن هذه المعجزة كانت من قبيل الألاعيب، وإلا فالطين كان يبقى طينا على أية حال، مثل عجل السامري. فتدبر، فإننا نكتة جليلة ما يُلقَّاهَا إلا ذو حظٍّ عظيم. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٢٥١-٢٦٣ الحاشية)

"وقالوا إنه كان خالق الطيور كخلق الله تعالى، وجعله الله شريكه بإذنه، والطيور التي توجد في هذا العالم تنحصر في القسمين: خَلَقَ الله وَخَلَقَ المسيح. فانظر كيف جعلوا ابن مريم من الخالقين. ويُشيعون في الناس هذه العقائد ولا يدرون ما فيها من البلايا والمنايا، ويؤيدون المنتصرين. وهلك بها إلى الآن ألوف من الناس ودخلوا في الملة النصرانية بعدما كانوا مسلمين. وما كان في القرآن ذكرُ خَلْقِهِ على الوجه الحقيقي، وما قال الله تعالى عند ذكر هذه القصة: فيصير حيًّا بإذن الله، بل قال: ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، فانظروا لفظ ﴿فَيَكُونُ﴾ ولفظ ﴿طَيْرًا﴾، لم اختارهما العليم الحكيم وترك لفظ "يصير" و"حيًّا"؟ فثبت من ههنا أن الله ما أراد ههنا خلقاً حقيقياً كخلقه ﷻ. ويؤيده ما جاء في كتب التفسير من بعض الصحابة أن طير عيسى ما كان يطير إلا أمام أعين الناس، فإذا غاب سقط على الأرض ورجع إلى أصله كعصا موسى، وكذلك كان إحياء عيسى، فأين الحياة الحقيقية؟ فلأجل ذلك اختار الله تعالى في هذا المقام ألفاظاً تناسب الاستعارات ليشير إلى الإعجاز الذي بلغ إلى حدِّ المجاز، وذكر مجازاً ليبيِّن إعجازاً، فحملة الجاهلون المستعجلون على الحقيقة،

وسلكوه مسلكَ خَلْقِ الله من غير تفاوت، مع أنه كان من نفخ المسيح وتأثير روحه من غير مقارنته دعاء، فهلكوا وأهلكوا كثيرا من الجاهلين. والقرآن لا يجعل شريكا في خلق الله أحداً ولو في ذباب أو بعوضة، بل يقول إنه واحد ذاتاً وصفات، فقرأوا القرآن كالمتدبرين. فالأمر الذي ثبت عقلاً ونقلًا واستدلالات لا يُنكره أحد إلا الذي ما بقي في رأسه مِرَّةٌ إنسانية ولَحِقَ بالأخسرين السافلين. ولا يقول أحد كمثل هذه الكلمات إلا الذي نسي طريق التوحيد ومال إلى الجاهلية الأولى، وما بلغ نظره إلى نتائجها الضرورية ومفاسدها المخفية، أو الذي رسا على جهله عمداً وغرق في لُجَّةِ التقليد غرقاً، حتى فقد أثر حرية الإنسانية، وسقط في شبكة لا تخلُصَ منها، وتابَعَ أُنْثَرُ إبليس اللعين. والذي آمنَ بالقرآن وألقى نفسه تحت هداياته فلن يرضى بمثل هذه العقائد، بل لا يسوغ له قولٌ يُخالف القرآن بالبداهة ويُعارض بَيِّناته ومُحْكَماته صريحاً. وأيُّ ذنب أكبر من ذلك أن أحداً يؤمن بالقرآن ثم يرجع ويُنكر بعض هداياته، ويتَّبَع المتشابهات ويترك المحكمات، ويحَرِّف القرآن ويغيِّر معانيه من مركزها المستقيم، ويؤيِّد بأقواله قوماً مشركين؟ ولكن الذي تمسكَ بكتاب الله وآمن بما فيه صدقاً وحقاً، فأَيُّ حرج عليه وأَيُّ ضير إن ترك روايات أخرى التي تُخالف بَيِّنات القرآن وليست ثابتة من رسول الله ﷺ بثبوت قطعي يقيني الذي يُساوي ثبوت القرآن وتواتره، أو ترك مثلاً معاني تُخالف نصوصه، واختار الموافق ولو بالتأويل؟ بل هذا من سِيَر الصالحين المتقين ومن سِيَر الصديقَةِ -رضي الله عنها- أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ. فالواجب على المؤمن المسلم المتورع الذي يتقي الله حق التقاة، أن يعتصم بحبل الله القرآن ولا يبالي غيره الذي يخالفه، وإذا رأى وانكشف عليه أن بعض العلماء من السلف أو الخلف غلطوا في فهم أمر فليس من ديانتهم أن يتبع أغلاطهم، ويقبلها بغضِّ البصر، ولا يفارقها بتفهيم مُفهِمٍ. " (نور الحق، الجزء الأول، الخزائن الروحانية،

من خطأ علمائنا قليلي الانتباه أنهم يظنون أنه (المسيح عليه السلام) كان يخلق قالب حيوان مثل خالق العالمين ثم ينفخ فيه فيطير حيا، وكان يضع يده على ميت فيمشي حيا. وكان قادرا على معرفة الغيب أيضا، وهو لم يمت إلى اليوم بل هو موجود في السماء بجسده المادي. فإذا كانت كل هذه الأمور المنسوبة إليه صحيحة فأَيُّ شك في كونه خالق العالم وعالم الغيب ومحيي الأموات؟ وإن استدل أحد من المسيحيين على ألوهيته، والحال هذه، بناء على مبدأ: وجود مستلزمات الشيء يستلزم وجود الشيء، فما الجواب على ذلك لدى إخواننا المسلمين؟ ولو قالوا بأن المعجزات من هذا القبيل تحدث نتيجة الدعاء لكان ذلك إضافة على كلام الله، لأن ما يفهم من القرآن الكريم هو أن ذلك الشيء المصنوع على هيئة الطير كان يطير بالنفخ فيه، ولم يرد في القرآن الكريم ذكر الدعاء قط، ولم يُذكر أيضا أن الحياة كانت تدب في ذلك الشيء المصنوع على هيئة الطير. فلا يجوز أن نضيف شيئا من عند أنفسنا إلى كلام الله، لأن هذا هو التحريف الذي لُعن اليهود بسببه.

فلما لم تثبت الحياة فيه بل يثبت من تفسير معالم التنزيل وغيره من كتب التفسير الكثيرة أن هيئة الطير تلك كانت تطير لوقت وجيز ثم تسقط على الأرض كالتراب، فماذا يمكن أن نفهم من ذلك إلا أنها كانت التراب نفسه ليس إلا. وكما أن الألاعيب الترابية تتحرك بقوة أدوات من صنع الإنسان كذلك كانت تلك الألاعيب تتحرك نتيجة سريان روح نبي فيها. وإلا لو قُبِلت الخالقية الحقيقية لاستلزم ذلك شركٌ وفساد عظيم. المقصود الحقيقي هو المعجزة، وإن طيران شيء ميت مع عدم وجود الحياة فيها معجزة كبيرة. ولكن إذا وُجد في قراءة من قراءات القرآن لهذه الآية: "فيكون حيا"، أو ثبت تاريخيا أن تلك الطيور كانت تحيا في الحقيقة وكانت تبيض أيضا، ولا تزال طيور كثيرة من نسلها موجودة إلى الآن فيجب إثبات ذلك. يقول الله تعالى في القرآن الكريم بأنه لو أرادت الدنيا كلها مجتمعة أن تخلق ذبابة لما

استطاعت أن تخلقها لأن ذلك يستلزم تشابها في خلق الله. وأما القول بأن الله تعالى أذن له ليكون خالقا فذلك افتراء على الله تعالى، إذ لا تناقض في كلام الله. والله تعالى لا يأذن لأحد بمثل هذه الأمور، إذ لم يأذن رَبِّكَ لسيد الرسل ﷺ بأن يخلق ذبابة واحدة، فكيف أذن إذا لابن مريم بذلك؟ اتقوا الله ولا تحملوا الحجاز محمل الحقيقة. (شهادة القرآن، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٧٣-٣٧٤، الحاشية)

أما خلقه (المسيح ﷺ) الطيور فإننا نعترف بأنه من الممكن أن ترقص الشجرة أيضا بصورة روحانية، ولكن القول بأنه ﷺ خلق العصافير فباضت وأفرخت فلا نقبله ولا يثبت ذلك من القرآن الكريم. ماذا نفعل؟ لا نستطيع أن نقبل هذه الأمور كما يقولها معارضونا لأنها تعارض القرآن الكريم أيما معارضة وهو يؤيدنا. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٦، عدد ٣٠/٤/١٩٠٣ م، ص ٨)

ودع عنك العصافير، فنحن نقبل باحتمال أن ترقص الأشجار أيضا، ومع ذلك لا يمكن أن تكون تلك العصافير مثل عصافير الله، حتى لا يحدث التشابه في الخلق. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٥، عدد ١/٥/١٩٠٣ م، ص ١١٦)

خلق الطيور... لا نؤمن بأن المراد منه هو الطيور التي يمكن ذبحها وأكل لحومها... بل المراد منه أن خلق الطيور كان من النوع الذي بلغ حد الإعجاز. (بدر، مجلد ٢، رقم ٤٧، عدد ١٦/١٢/١٩٠٣ م، ص ٣٧٤)

إن مثل خلق عيسى ﷺ الطيور كمثل عصا موسى ﷺ تماما. بحيث إذا كانت عصاه قد صارت ثعبانا مقابل الأعداء ففي الوقت الآخر كانت العصا عصا بنفسها، لا أنها كانت قد انضمت إلى الثعابين. فكذلك كانت طيور عيسى ﷺ أيضا ترابا فقط، بل كانت معجزة عصا موسى - ﷺ - أفضل من خلق عيسى ﷺ للطيور، لأن عصاه قد واجهت العدو وغلبت، أما طيور عيسى ﷺ فلم تواجه أي عدو ولم تثبت غلبتها. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ١٦، عدد ٢/٣/١٩٠٨ م، ص ٤)



الأكمه... من معانيه الأعشى... وهذا مرض يُعالج بأكل كبد الماعز، فيشفى الناس به. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٧، عدد ٢١/٢/١٩٠٢م، ص ٤)

إن معجزات عيسى عليه السلام يمكن أن تُعدَّ عادية جدا في هذا العصر. المراد من الأكمه هو الأعشى. وهذا المريض يمكن أن يشفى بأكل كبد الذبيحة. (بدر، مجلد ٦، رقم ٦، عدد ٧/٢/١٩٠٧م، ص ٤)

هناك أربع طرق عادية للعلاج؛ يعالج المرءُ بالدواء، والغذاء والعمل والحمية. وهناك طريقة خامسة أيضا لإزالة الأمراض وهي التركيز. كان المسيح عليه السلام يزيل الأمراض بالتركيز. هذه القوة لإزالة الأمراض لا تميز بين مؤمن وكافر، بل ليس ضروريا أن يكون الإنسان ذا سلوك حسن أيضا. الفرق الوحيد بين تركيز نبي وأناس آخرين هو أن تركيز النبي ليس مكتسبا، بل هو موهبة. الادعاءات الكبيرة التي يدّعيها "دوئي" في هذه الأيام ليست إلا ظاهرة إزالة الأمراض نفسها. أما التركيز فيمكن به إزالة الذنوب أيضا. الفرق بين تركيز نبينا ﷺ وتركيز المسيح الناصري عليه السلام هو أن تركيز المسيح كان يزيل الأمراض ولكن تركيز نبينا ﷺ كان يزيل الذنوب. لذا فإن قوته ﷺ القدسية كانت قد بلغت ذروة الكمال. الدعاء أيضا نوع من التركيز. إن سلسلة التركيز هي كالعرى ويجب على الأطباء أن يحرزوا المهارة في هذا المجال. لما كان تركيز المسيح منصبا على إزالة الأمراض أكثر فلم ينل نجاحا مطلوبا في إزالة الذنوب، لذا لم تبلغ الجماعة التي أعدها من نقاء النفس وتركيبه الباطن درجة بلغها صحابة النبي ﷺ الأجلاء. كانت قوة النبي ﷺ القدسية مؤثرة لدرجة أنها لا تزال تملك التأثير ذاته والقدرة نفسها على إزالة الذنوب في العصر الراهن أيضا بعد مرور ١٣٠٠ عام. فالمسيح لا يستطيع أن يبارز رسول الله ﷺ في هذا الميدان أبدا. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٣، عدد ٣١/٨/١٩٠٢م، ص ٦)

"فاعلم أننا نؤمن بإحياء إعجازي وخلق إعجازي، ولا نؤمن بإحياء حقيقي وخلق حقيقي كإحياء الله وخلق الله، ولو كان كذلك لتشابه الخلق والإحياء، وقال الله سبحانه: ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، وما قال فيكون حيًا بإذن الله، وما قال فيصير طيرًا بإذن الله. وإن مثل طير عيسى كمثال عصا موسى: ظهرت كحية تسعى ولكن ما تركت للدوام سيرتها الأولى. وكذلك قال المحققون إن طير عيسى كان يطير أمام أعين الناس وإذا غاب فكان يسقط ويرجع إلى سيرته الأولى. فأين حصلت له الحياة الحقيقية؟ وكذلك كانت حقيقة الإحياء.. أعني أنه ما ردّ إلى ميت قط لوازم الحياة كلها، بل كان يُري جلوةً من حياة الميت بتأثير روحه الطيب، وكان الميت حيًّا ما دام عيسى قائما عليه أو قاعدا، فإذا ذهب عاد الميت إلى حاله الأول ومات. فكان هذا إحياءً إعجازيًا لا حقيقيًا." (حماسة البشرية، الخزائن الروحانية المجلد ٧، ص ٣١٥-٣١٦)

"كان الإحياء بالنفخ كالإماتة بالنظر." (نور الحق، الجزء الأول، الخزائن الروحانية، المجلد ٨، ص ١١، الحاشية)

إذا كان المسيح يُحيي الأموات حقًا، فلماذا لم يُحيي إيليا بنفخة واحدة فقط، لكي يُجنّب اليهود ذلك الابتلاء، ولكيلا يتعرض بنفسه للمصائب والمشاكل التي تعرض لها نتيجة تأويله لحيي إيليا. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣، عدد ٢٤/١/٢٠١٩م، ص ٣) أما إحياء عيسى ﷺ للموتى، فإننا نؤمن أيضًا بإحياء موتى روحانيين، ونسلم بأن الموتى الروحانيين يحيون، أما إذا قلتم بأن شخصًا مات ثم عاد إلى الحياة، فليس ذلك ثابتًا من القرآن الكريم أو الأحاديث الشريفة، وبالتسليم بذلك نُضطر للقبول أن القرآن الكريم ناقص والأحاديث أيضًا، وكأن الشريعة كلها ناقصة. لأن المسائل حول رجوع الموتى لم تردّ في القرآن الكريم ولا في الحديث، ولا يوجد شيء عن ذلك في الفقه أيضًا. باختصار لم يشرحه أحد، فبذلك اتضحت هذه المسألة أيضًا.

(الحكم، مجلد ٧، رقم ١٦، عدد ٣٠/٤/٢٠١٩م، ص ٨)

نحن نقبل الإحياء الإعجازي، أما القول بأن ميتاً عاد إلى الحياة وجاء إلى بيته وعاش عمراً فباطلٌ تماماً، لأنه لو حصل ذلك فالقرآن ناقص، إذ لم يبين المسائل عن ميراث مثل هذا الإنسان. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٥، عدد ١/٥/١٩٠٣ م، ص ١١٦) الحق... أننا لا نؤمن بإحياء الموتى بهذه الطريقة... كما ليس المراد من إحياء الموتى أن يُحيا ميت حقيقي... إن معنى إحياء الموتى هو (١) أن توهب حياة روحانية. (٢) أن يُشفى شخص مثله بواسطة الدعاء وكأنه كان قد عُذَّ من الأموات. كما يقال في الحديث العادي: إن فلانا قد حيي بعد الممات. (بدر، مجلد ٢، رقم ٤٧، عدد ١٦/١٢/١٩٠٣ م، ص ٣٧٤)

المراد من إحياء الموتى شفاء المصابين بأمراض خطيرة أيضاً. (بدر، مجلد ٦، رقم ٦، عدد ٧/٢/١٩٠٧ م، ص ٤)

المعجزة سنة من سنن الله، أو بتعبير آخر فعلٌ من أفعال ذلك القدير المقتدر ﷻ الذي ينبغي أن يوصف بأنه خارق للعادة نظراً للقوانين العادية. فإنما حقيقة الأمر الخارق أن الطيبين حين يتقدمون في أسلوب الحياة العادي ويخرقون العادات العادية ويتقدمون إلى ميادين القرب الإلهي، فإن الله يخصهم بمعاملة غريبة بحسب حالتهم لدرجة أن تتراءى أمراً خارقاً للعادة نظراً إلى أوضاع الإنسان العادية. فبقدر ما يتخلى الإنسان عن مواطن بشريته ويشقَّ حُجُب نفسه ويتقدم بعيداً إلى عرصات العشق والحب، تظهر له هذه الخوارق نقية وشفافة جداً ومضيئة ومتألئة. فحين تبلغ تزكية النفس الإنسانية كماها التام ويتخلى القلب عن غير الله نهائياً، ويمتلئ بالحب الإلهي، فإن جميع أقواله وأفعاله وأعماله وحركاته وسكناته وعباداته ومعاملاته وأخلاقه التي تصدر منه على وجه كامل، تصير كلها خارقة للعادة. فمقابل ذلك تكون معاملة الله البارئ أيضاً خارقة للعادة تجاه من أحدث في نفسه ذلك التبدل التام. (الكحل لعيون الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢، ٦٨-٦٩ الحاشية)

صحيح أن لا شيء يخرج عن سنن الله الكريم جل شأنه الأزلية والأبدية، إلا أن سننه المتعلقة ببني البشر على نوعين؛ أحدهما العادات العامة التي تكمن في الأسباب وتؤثر في الجميع. والثاني هي العادات المتميزة التي تتعلق - بواسطة الأسباب أو بلا واسطة الأسباب - بأناس متميزين يتفانون في حبه ورضوانه. أي عندما يغير الإنسان عاداته البشرية لنيل رضوان الله بالانقطاع التام إليه فهو رَبَّنَا يعامله بحسب حالته المبدلة معاملَةً خاصة لا يعامل بها الآخرين. وهذه المعاملة كأنها خارقة للعادة نسبياً، ولا تنكشف حقيقتها إلا على الذين ينجذبون إلى الله برحمته. (الكحل لعيون الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢، ص ١٠٥)

لو ألقى نبي العصا متحدياً أنه لن يقدر أحد على رفعها سواه، فهذه أيضاً معجزة. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٣، عدد ١٩٠١/١/٢٤، ص ١٠)

المعجزة هي ما يعجز الآخرون عن الإتيان بنظيره. ليس للإنسان أن يرسم حدودها ويقول: يجب أن تكون المعجزة كذا وكذا، إذ لا بد أن تكون فيها جوانب الإخفاء لأن هدف الله من إظهار الآيات هو أن يزداد الإيمان ويتصنّع بصبغة العرفان المصحوب بالذوق. ولكن إذا كانت هذه الأمور مكشوفة فلا تنشأ فيها صبغة الإيمان قط ناهيك عن صبغة العرفان والذوق. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٢، عدد ١٩٠٣/٣/٣١، ص ٣)

المراد من المعجزة هو الفرقان الذي يميز بين الحق والباطل، ويشهد على وجود الله. (بدر، مجلد ٤، رقم ٧، عدد ١٩٠٥/٣/٥، ص ٢)

المعجزات التي يعطاها الأنبياء عليهم السلام، إنما سببها أن تجارب الإنسان لا تساعد على معرفة الله تعالى، ولكنه عند رؤية الأمور الخارقة - على الأقل - يضطرّ للاعتراف بأنها من الله تعالى. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٩٢)

التاريخ الصحيح معلّم ممتاز، ويتبين بواسطته أن معجزات كل نبي تكون منصبة بصبغة معروفة وشائعة في ذلك الزمن. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٥، عدد ٢٤/٤/١٩٠٢م، ص ٧)

أؤمن بأن الإيمان الحي لا يتحقق إلا بالمعجزات. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٤١، عدد ٢٤ ١٤/٧/١٩٠٨م، ص ١١)

القاعدة العامة هي أن الوسيلة المثلى لمعرفة الأنبياء عليهم السلام والمبعوثين من الله هي معجزاتهم وآياتهم. فكما أن شخصا ما عندما يُعيّن حاكما من قبل الحكومة يُعطى علامة، كذلك لمعرفة المبعوثين من الله أيضا علامات وآيات. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٤١، عدد ٣٠/١١/١٩٠٦م، ص ٤)

للمعجزات والخوارق القرآنية أربعة أقسام، (١) معجزات عقلية (٢) معجزات علمية (٣) معجزات البركات الروحانية (٤) معجزات التصرفات الخارجية. فالمعجزات ١-٢-٣ من الخواص الذاتية للقرآن الكريم، وهي عظيمة جدا وبدهية الثبوت، بحيث يستطيع أن يكتشفها كل إنسان في كل عصر، متجددة مثل حادث رآه بأم عينه. أما المعجزات من القسم الرابع أي التصرفات الخارجية، فهي الخوارق الخارجية التي لا علاقة ذاتية لها بالقرآن الكريم. ومنها معجزة انشقاق القمر. (الكحل لعيون الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢، ص ٦٠، الحاشية)

المعجزات على ثلاثة أضرب: ١- الدعائية، ٢- الإرهاسية، ٣- القوة القدسية لا دخل للدعاء في المعجزات الإرهاسية. أما معجزات القوة القدسية فهي كما وضع النبي ﷺ أصابعه في إناء ماء وظل الناس يشربون، أو ألقى لعبه في بحر مالحة فصارت عذبة. إن معجزات المسيح أيضا تصطبغ بهذه الصبغة. وقد قال لنا الله ﷻ إن الملوك سيتبركون بشيابه. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٤٤، عدد ٢٦/٧/١٩٠٨م، ص ٣)

المعجزات نوعان، إحداها التي تُظْهَر فوراً كعصا موسى، والثانية هي العلمية وهي النبوءات المحتوية على الغيب. فالنوع الأول من المعجزات يُفْهم الأعداء، ولا تكون دائمة وطويلة المدى بل تكون بحسب الحاجة المؤقتة ولا تشكّل حجة وبرهاناً للمتأخرين، لأن الإنسان لا يتسنى له التدبّر فيها. أما المعجزات من النوع الثاني. فهي علمية ودائمة ولأبد، فحيثما يتدبرها الإنسان تزداد شوكةً وهيبةً، وقدر ما يطول عليها الزمان يزداد ضياؤها وشوكتها أكثر، ولا تقل عظمتها. فمعجزات نبينا ﷺ من هذا النوع الثاني. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ١٨، عدد ١٠/٣/١٩٠٨ م، ص ٥)

المعجزات التي ظهرت على يد سيدنا ﷺ لا يمكن أن تباريها معجزات الأنبياء كلهم، بل لو وُضعت معجزات كل الأنبياء الذين بعثوا في العالم في كفة ووُضعت معجزات نبينا ﷺ في كفة أخرى فإنني أؤمن أن كفة النبي ﷺ ستكون هي الراجحة. ومع أن القرآن الكريم زاخر بنبوءات رسول الله ﷺ ويتضمن النبوءات إلى يوم القيامة وما بعدها، إلا أن أكبر دليل على نبوءات رسول الله ﷺ هو أنه يكون في كل عصر إنسانٌ يدلّ على تلك النبوءات؛ ففي هذا العصر قد أقامني الله تعالى كدليل على ذلك، وأعطاني آيةً عظيمةً للنبوءات، لأبَيّن للمحرومين من الحقائق ومعرفة الله كم هي دائمةٌ وثابتةٌ معجزات نبينا ﷺ كوضوح الشمس في كبد السماء. (الحكم، مجلد ٥، رقم ١٠، عدد ١٧/٣/١٩٠١ م، ص ٣)

أنا موجود وعلى استعداد لإظهار المعجزات المذكورة في القرآن، سواء كانت لها علاقة بقبول الدعاء أو في صورة أخرى، فجواب منكر المعجزة أن تُظْهَر له معجزةٌ، وليس هناك أي جواب أكثر من ذلك. (بدر، مجلد ٢، رقم ٤٧، عدد ١٦/١٢/١٩٠١ م، ص ٣٧٤)

الجدير بالذكر أن هذه الخوارق الاقتدارية -وإن كانت من عند الله- لا تساوي بحال من الأحوال أفعال الله الخاصة التي تظهر للعيان دون وساطة إرادة غيره، وليس

مناسبا أن تتساوى معها أصلا. لذلك كلما أظهر نبي أو وليّ أمرا خارقا للعادة على سبيل الاقتدار -دون وساطة الدعاء- ولم يقدر إنسانٌ على إظهار مثله قط، كان فعله هذا أدنى درجة من أفعال الله التي يُظهرها ﷻ علنا وجهارا وبقدرته الكاملة، بمعنى أنه لا بد أن تضم المعجزة الاقتدارية في طياتها نقصا وضعفا حتماً مقابل أفعال الله التي تظهر من الله جلّ شأنه مباشرة لكيلا يحدث التشابه في الخلق في رأي السطحين. لذلك فإن عصا موسى بقيت عصا مع أنها تحوّلت إلى ثعبان مرارا. وإن طيور عيسى -مع أن طيراتها على سبيل المعجزة ثابت من القرآن الكريم- بقيت طينا على أية حال. ولم يقل الله تعالى مطلقا بأنها صارت حية أيضا.

ولكن لما كانت القدرة الإلهية في خوارق نبينا ﷺ الاقتدارية أكثر من غيرها -لأن شخصه ﷺ كان مثالا أتم وأعلى وأرفع وأكمل لظهور التجليات الإلهية- فنحن عاجزون عن تحديد خوارق النبي ﷺ الاقتدارية في درجة معينة من درجات البشرية. ولكننا نؤمن بأنه لا بد أن يكون هناك أيضا فرق خفي في فعل الله جلّ شأنه وفعل رسوله الأكرم ﷺ. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ٦٧-٦٨)

ليس الهدف من وراء ذكر معجزات المسيح ابن مريم في القرآن الكريم أنه قد صدرت منه معجزات كثيرة بل لأن اليهود كانوا ينكرون معجزاته تماما وكانوا يسمونه مكّارا ومحتالا. لذا فقد عدّ الله تعالى المسيح ابن مريم في القرآن الكريم صاحب معجزات تفنيدا لاعتراض اليهود. (نسيم الدعوة، الخزان الروحانية المجلد ١٩، ص ٣٧٩)

لقد قال عيسى عليه السلام بنفسه بأنه لم يُرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة. وهذا ما يصدّقه القرآن الكريم إذ يقول: ﴿ورسولا إلى بني إسرائيل﴾. (بدر، المجلد ٧، رقم ٥٢، عدد ١٩٠٨/٦/٢٥، ص ٦)

الآية ٥٣: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ  
الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّكَ مُسْلِمُونَ﴾

الشريعة لم تمنع من الأخذ بالأسباب. والحق يقال: أليس الدعاء نفسه أحد الأسباب؟ أوليست الأسباب من قبيل الدعاء؟ الحق أن البحث عن الأسباب بحد ذاتها دعاء، والدعاء في حد ذاته مصدر لأسباب.... ولتبيان ضرورة الأخذ بالأسباب بصورة أجلى قد أقام الله تعالى نظام بعثة الأنبياء في الدنيا. كان الله تعالى، ولا يزال، قادرا على ألا يجعل أنبياءه عليهم السلام بحاجة إلى أي استعانة من الناس لو شاء ذلك، ومع ذلك يأتي على الأنبياء وقت يضطرون فيه للقول: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾. فهل تظنون أن نداءهم هذا يكون كنداء المتسولين العاجزين؟ كلا، بل إن قولهم: "مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ" متسم بالعظمة. إذ يريدون أن يعلموا الناس ضرورة الأخذ بالأسباب الذي هو شعبة من شعب الدعاء، وإلا فإنهم يؤمنون بالله إيماناً كاملاً ويوقنون بوعوده يقيناً تاماً، ويعلمون أن وعد الله ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (غافر: ٥٢) وعدٌ يقيني ومبرم. يا ترى، كيف ينصرهم أحد إذا لم يُلْقِ الله في قلبه فكرة نصرتهم؟ (الحكم، المجلد ٣، رقم ١٣، عدد ١٢/٤/١٨٩٩م ص ٦-٧)

لا شك أن المأمورين الربانيين يطلبون المعونة من الناس في سبيل نشر دينهم، ولكن لماذا؟ لأداء واجبهم، ولتوطيد عظمة الله في القلوب، وإلا فيكاد الأمر يكون كفراً لو عدّوا ما سوى الله تعالى كافلاً أمرهم. وهذا محال على الإطلاق من هؤلاء النفوس القدسية. (الحكم، المجلد ٣، رقم ١٣، عدد ١٢/٤/١٨٩٩م، ص ٧)

إن نجاحنا يعتمد على تعاوننا المتبادل في أمور الحياة الدنيا والآخرة، هل من أحد يستطيع أن ينجز وحده أمور الدين أو الدنيا؟ كلا. لا يمكن أن يتم أمرٌ ديني كان أم دنيوي دون التعاون المتبادل. كل حزب كان هدفه واحداً مثل أعضاء الجسد



الواحد لا يمكن أن يتم أمره المتعلق بالهدف المشترك بأحسن وجه دون التعاون المتبادل وخاصة إذا كانت الأمور الجلييلة الشأن التي تكمن في غايتها المتوخاة فائدة عامة لا تتم إلا بتضافر الجهود إذ لا يمكن أن ينجزها شخص واحد قط. إن الأنبياء أكثر الناس توكلًا وتفويضًا وتحملًا ومجاهداتٍ في أفعال الخير ومع ذلك اضطروا للقول ﴿من أنصاري إلى الله﴾ مراعاة للأسباب الظاهرية. لقد أمر الله تعالى بـ ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (المائدة: ٣) في قانون شريعته بتصديق من قانونه السائد في الطبيعة. (مجموعة الإعلانات" المجلد ١، ص ٥١)

### الآية ٥٥: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾

"خير الماكرين... أي الماكر الذي ليس في مكره أدنى شر." (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٣٢)

فالماكر هو التدبير اللطيف والخفي، وليس محرماً إطلاقه على الله ﷻ. (الاستفتاء، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١١٦)

فمدلول المكر لا يتضمن أي أمر غير جائز يتعذر عزؤه إلى الله. فأفعال الله اللطيفة والخفية لمعاقبة الأشرار تسمى مكرًا. (الاستفتاء، الخزائن الروحانية المجلد ١٢، ص ١١٧)

إن ليكهرام وصف الله ﷻ خير الماكرين عند طلبه الآية. فالله تعالى يوصف بالماكر عندما يهلك المجرم أو يهينه بأسباب دقيقة، فقد خرجت من فم ليكهرام كلمات تثبت أنه كان يطلب آية موته. الآية التي تكون أسبابها دقيقة جدا. فمن قدرة الله أن موته تحقق هكذا، إذ قُتل بيد القاتل الذي تُذهل الجميع عمليته، كيف تمكّن من الهجوم عليه في وضح النهار وكيف تجاسر على هذه العملية في البيت العامر وكيف تمكّن بسهولة من الخروج من هناك بعد إعمال المدية. ثم لم يُقبض عليه رغم مروره من الزقاق المليء بالهندوس ورغم صراخ ورثاء أهل المقتول وضجتهم.

فحين نتأمل هذه الأحداث، نميل بالطبع فوراً إلى أن هذه هي العملية التي ينبغي أن تعزى إلى خير الماكرين. لقد قلنا قبل قليل إن الله يوصف بخير الماكرين بحسب التعبير القرآني حين يستخدم الأسباب الدقيقة جداً للبطش بالمجرم الذي استوجب العقاب. أي يوقر لمعاقبته أسباباً يهيئها المجرم نفسه لنفسه بهدف آخر، فالأسباب التي يجمعها المجرم لخيره أو شهرته تتسبب نفسها في هوانه وهلاكه. فسنن الكون تشهد بجلاء على أن هذا الفعل الإلهي أيضاً جارٍ في هذا العالم وهو أنه أحيانا يعاقب الوحّين والمجرمين قساة القلوب بأيديهم. فيجمعون بأيديهم أسباب الذلة والدمار لهم، وتُخفى عن أعينهم تلك الأمور حتى ينزل قضاء الله وقدره، ونظراً لهذه العملية الخفية يوصف الله تعالى بالماكر. فألوف مؤلفة من الأمثلة توجد على هذا في العالم. فمكر الله تعالى في قضية ليكهرام أنه استصدر من فمه أولاً أنه يريد آيةً له من خير الماكرين، فقد التمس في طلبه هذا عذاباً تكون أسبابه خفية جداً. وهكذا تحقق. فالشخص الذي كان ليكهرام قد حدّد يوم الأحد لجعله هندوسياً، وكان الآريون أقاموا في يوم الأحد نفسه احتفالاً بالأفراح كالعيد، لجعل ذلك الإنسان هندوسياً.. قد انقلبت أسباب الفرحة تلك أسباب حداد له ولقومه. فأفهم الله تعالى جميع الآريين جيداً ما معنى "خير الماكرين". (الاستفتاء، الخزان الروحانية، المجلد ١٢. ص ١١٥، ١١٦، الحاشية)

لقد عدّ القرآن الكريم من صفات الله المكر الذي لا يتنافى مع ذاته القدوس ولا يوجد فيه شيء يعارض قدوسيته وذاته القرآن الكريم عدّ من صفات الله المكر أيضاً الذي لا يتنافى مع ذاته القدوس، ولا يوجد فيه شيء يعارض قدوسيته وذاته البريء من كل عيب ونقيصة. هذا هو المكر الذي يشهد عليه قانون الله السائد في الطبيعة وملحوظ في سنة الله القديمة، ويسمى مكر الله ويُطلق على فعله تعالى الذي يجعل مكاييد الشرير وخططه سبباً لعقوبته. هذا هو مكر الله بحسب القرآن الكريم الذي

يظهر مغبةً لمكر الماكرين كما يقول الله تعالى: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾. أي نسج الكفار مكرا سيئا إذ أخرجوا رسول الله ﷺ من مكة المعظمة، ومكر الله مقابلهم مكرا حسنا فجعل إخراجهم هذا سببا لانتصار الرسول ﷺ وازدهاره. فهنا سمي الله تعالى نفسه خير الماكرين أي الذي يمكر مكرا حسنا وليس مكرا سيئا، وعدّ مكر الكافرين مكرا سيئا. فيتضح من ذلك بجلاء أن الله تعالى قسم المكر على قسمين: المكر السيئ والمكر الحسن، وأدخل المكر الحسن في صفاته وعدّ المكر السيئ من عادات الكفار والأشرار. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ١١٦)

المكر الذي يليق بالله إنما هو من هذا القبيل الذي يمتحن عَمَلَك به الصالحين ويعاقب الأشرار الذين لا يتورعون عن مكر الشر. كل شخص يستطيع أن يفهم بالنظر إلى قانونه الجاري في الطبيعة أن هذا النوع من الرحمة الكامنة أو الغضب الكامن موجود في نواميسه الطبيعية. فأحيانا نرى أن المكار والشرير الذي لا يرتدع عن مكره يفرح نتيجة ظهور بعض الأسباب ويزعم أنه سيسحق المظلوم بظلمه البالغ الغاية بسبب بعض الأسباب التي تيسرت له. ولكن الله تعالى يهلك الظالم نفسه بالأسباب نفسها. وإنه لمكر الله الذي لا يُطلع الشرير على مغبة تلك الأعمال ويُنشئ في قلبه فكرة أن في المكر نجاحه. وليس لأحد أن ينكر أن هناك آلافا من أعمال الله الملحوظة في العالم أنه يعاقب بمكره الحسن والعدل شريرا يؤذي الأبرياء بمكره السيئ.

والآن أنقل لفائدة العامة من "لسان العرب"، وهو قاموس قديم وموثوق به، معنى المكر وهو: "المكر احتيال في خفية. وإن الكيد في الحروب حلالاً، والمكر في كل حلال حرام. قال الله تعالى: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (النمل: ٥١)". "...يقول الله تعالى في القرآن بأن الكفار مكروا مكرا كبيرا بحسب

زعمهم ومكرنا مكرًا ولم يعرفوا مكرنا... "قال أهل العلم بالتأويل: المكر من الله تعالى جزاءً سُمي باسم مكر المُجَازَى." (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣ ص ٢٠٠-٢٠١)

إن معارضينا يبدلون قصارى جهودهم للقضاء علينا، ويكيدون كل كيد ومؤامرة، لكنهم لا يعرفون أن الله قد طمأننا سلفًا بقوله: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾. لن يفلح أحد في محاربة الله. إن هؤلاء يَتَكَلَّمُونَ على مكائدهم وحيلهم. (الحكم المجلد ٧، رقم ١٣، عدد ١٠٤/٣/١٩٠٣ م ص ٣)

لقد تدبرت فألفيت أن المكر ورد في القرآن الكريم بشأن النبي ﷺ والمسيح عليه السلام كما ورد بحقي في البراهين الأحمدية. وهذا يعني أن مؤامرة نسجت لقتل المسيح، ولقتل النبي ﷺ، كما تأمروا على قتلي من قبل، بل لا يألون جهدًا لذلك في هذه الأيام أيضًا، ولكن مكر الله غلب مكرهم جميعًا. والمكر هو التدبير الخفي اللطيف. لقد كتب ليكرام لي في رسائله: اطلب آية بشأن من خير الماكرين. عندما يهلك الله المجرم أو يهينه بأسباب دقيقة خفية، ويعصم عبده الصادق من خطط العدو وأشراره، فإنه تعالى يُدْعَى خير الماكرين، أعني أنه تعالى يخلق لمعاقبة المجرم أسبابا من نفس الأسباب التي يهيئها المجرم لنفسه، فتصير نفس الأسباب التي يتخذها المجرم لصالحه سببًا في هلاكه. وهذا هو السبب في أن الله تعالى قد أنقذ المسيح بحيث صارت نفس الأسباب التي جُمعت لهلاكه سببًا لحياته. وكذلك نجى الله النبي ﷺ من شر خطط كفار مكة، وبالمثل هناك وعدٌ لي أيضًا.

ولو قال قائل: لماذا لم يعصم الله النبي ﷺ وهو في مكة، فالجواب أن سنة الله ليست هكذا؛ إذ يريد الله تعالى هنا إظهار علمه، ولذلك أخرجه من ذلك المكان. المكر يظل مكرًا ما دام منحصرًا في حدود التدابير البشرية، ولكن إذا خرج الأمر من حدود الخطط الإنسانية صار معجزة خارقة. لو كان عند أحد مثقال ذرة من

الإيمان لِقَهْمَ هذه الأمور بكل صفاء وجلاء. ليس هناك نبي لم تكتب له الهجرة. (الحكم المجلد ٥، رقم ٤٤، عدد ٣٠/١١/١٩٠١ م ص ٣-٤)

إنما يعني مكر الله أن يغلب فعل الله أخيراً مكايدَ الإنسان وتدابيره الدقيقة، وينهزم الإنسان، إذا كان أحدهم لا يؤمن بهذه الفلسفة من كتاب الله، فإن نظيرها موجودة في الدنيا أيضاً، وتتواجد أسرارها، فكيف يتخذ اللص تدابير دقيقة ومحكمة لإنجاز عمله وحمايته، ومع ذلك فإن التدابير الدقيقة التي اتخذتها الحكومة لإلقاء القبض عليه، تغلب في نهاية المطاف، فكيف لا يكون الله غالباً؟ (بدر مجلد ٣، رقم ١٨-١٩، عدد ٨-١٦/٥/١٩٠٤ م ص ٣)

حين يمكر الإنسان يمكر الله أيضاً، إذ لا يستقيم الأمر إلا إذا صدر المكر حصراً مقابل المكر، لكن السفیه يعترض على كلمة المكر، لعدم معرفته للغة العربية، فالكلمة ليست سيئة، فالمكر هو التدبير الدقيق الذي يُتخذ للدفاع ضد الخبيث، ولذلك سمى الله ﷻ نفسه ﴿حَيُّ الْمَاكِرِينَ﴾. (بدر المجلد ٧، رقم ٧، عدد ٢٠/٢/١٩٠٨ م ص ٣)

الآية ٥٦: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ مَا كُنْتَ عَمَلًا مَحْسُوسًا ۚ إِنِّي تُخَلِّفُونَ﴾

..... أي سأرفعك إلي بالعدة والإكرام وسأطهرك من تهم الكافرين. (إزالة

الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٢٣)

يَا عِيسَى سأعطيك أجر الكمال أو إِيَّيْ مُتَوَقِّعَكَ وَرَافِعَكَ إِيَّيْ أي أرفعك في الدرجات أو سأرفعك إلي من الدنيا ... وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أي سأجعل الذين معك في الاعتقاد وأصحابك ومن معهم من خلال الحجج والبراهين والبركات إلي يوم القيامة. (البراهين

الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، مجلد ١، ص ٦٦٤-٦٦٥ الحاشية  
في الحاشية رقم ٤)

إن الآية المشار إليها هي: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْفَعْكَ إِلَى سَمَاءٍ مُقْتَدِرًا وَأَنْزِلْكَ إِلَى الْوَحْيِ الْمُنِيرِ﴾ (آل عمران: ٥٦). لقد ذكر الله تعالى في هذه الآية أربعة أفعال له بالترتيب وهي:

(١) ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْفَعْكَ إِلَى سَمَاءٍ مُقْتَدِرًا وَأَنْزِلْكَ إِلَى الْوَحْيِ الْمُنِيرِ﴾ (٣) ﴿وَمُطَهِّرًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (٤) ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾. والمعلوم أن هذه الجمل الأربع قد ذكرت بحسب الترتيب الطبيعي، لأنه ما من شك في أن الذي يُدعى إلى الله تعالى، ويصله نداء: "ارجعي إلى ربك"، فلا بد له من أن يموت أولاً، ثم يُرفع إلى الله تعالى بحسب الآية: ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾ (الفجر: ٢٩) والحديث الصحيح. وإن رفع روح المؤمن إلى الله تعالى بعد موته أمر محتوم يشهد عليه القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة. ثم قال الله تعالى لعيسى عليه السلام: ﴿وَمُطَهِّرًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وفي ذلك إشارة إلى أن اليهود أرادوا أن يقتلوه على الصليب ويدينوه بحسب العقوبة المذكورة في التوراة في سفر التثنية بأن المعلق ملعونٌ من الله ومحروم من رحمة الله، فلا يُرفع إلى الله بالإكرام. فقد بشر الله تعالى عيسى في هذه الآية بأنك ستموت موتاً طبيعياً، ثم تُرفع إليّ بإكرام، وبأن أعداءك الذين يسعون لقتلك على الصليب سيفشلون في مساعيهم، وسأبرئك وأنزله من التهم التي يريدون إثباتها عليك، أي سأُنقذك من الصلب ونتائج الوخيمة؛ وهي اللعنة والحرمان من النبوة والرفع. وفي كلمة "التوفي" أيضاً إشارة دقيقة للإنقاذ من الصلب لأن المفهوم الغالب على معنى "التوفي" هو الإماتة بموت طبيعي، أي الموت نتيجة المرض فقط، وليس بالضرب أو السقوط وغيره. لذلك فقد قال المفسرون - مثل صاحب الكشاف وغيره - في تفسير "متوفيك": "إني مميتك حتف أنفك". وهناك إشارة أوضح إلى ذلك في الفقرة

الثالثة للآية، أي: ﴿مُطَهَّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾. فكما جاءت جملة: ﴿مُطَهَّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في المرتبة الثالثة في الترتيب القرآني، كذلك تحتل المقام الثالث في الترتيب الطبيعي أيضا، لأنه ما دام عيسى عليه السلام قد رُفِعَ إلى الله تعالى بعد الموت الطبيعي كالأنبياء والمقدسين، فلا شك أنه قد أُنْقَذَ من مكائد الكفار وتهمهم. والجملة الرابعة: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ جاءت في المقام الرابع في الترتيب القرآني، كذلك وردت في المقام الرابع في الترتيب الطبيعي أيضا، لأن غلبة متبوعي عيسى عليه السلام حصلت بعد كل الأمور المذكورة من قبل.

فزيادة الكلام أن هذه الفقرات الأربع وردت في الآية المذكورة بحسب الترتيب الطبيعي، وهذا ما يليق ببلاغة القرآن الكريم، لأن إيراد الأمور القابلة للبيان بحسب الترتيب الطبيعي هو كمال البلاغة وعين الحكمة، لذلك رُوعي الترتيب الطبيعي في القرآن كله. فانظروا إلى سورة الفاتحة مثلا، فقد ورد فيها ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أولا، ثم ﴿الرَّحْمَنِ﴾، ثم ﴿الرَّحِيمِ﴾ ثم ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، ثم أوصل ﷺ سلسلة الفيوض بحسب الترتيب الطبيعي بدءا من الفيض الأعم إلى الفيض الأخص.

وباختصار، فقد وردت في الآية الكريمة المذكورة قبل قليل الفقرات الأربع بالترتيب الطبيعي في القرآن الكريم بحسب أسلوب معروف وكامل البلاغة. ولكن المشايخ المتعصبين المعاصرين الذين دأبهم أنهم ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ كاليهود، يبذلون كل ما في وسعهم لإثبات حياة المسيح ابن مريم، وعازمون على التحريف والتبديل في كلام الله، وينكرون بتكليف كبير ترتيب الله لجملتين من الجمل الأربعة، فيقولون: مع أن العبارة: ﴿مُطَهَّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ و﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ وردتا بحسب الترتيب الطبيعي، لكن العبارة: ﴿إِنِّي مُتَوَقِّئُكَ﴾ و﴿وَرَأَفَعُكَ إِلَيَّ﴾ لم تردا بحسب الترتيب الطبيعي، بل إن العبارة: ﴿وَرَأَفَعُكَ إِلَيَّ﴾ متقدمة على: ﴿إِنِّي مُتَوَقِّئُكَ﴾ في الحقيقة. أقول مع الأسف الشديد بأنهم مسخوا كلام الله

- أحسن المتكلمين جلّ شأنه - البليغ بتحريفهم إياه عن مواضعه وترتيبه الطبيعي، إذ سلّموا بالترتيب الطبيعي لجملتين من الجمل الأربعة واعتبرا جملتين منها خارجتين عن الفصاحة والبلاغة وعدّلوها من عند أنفسهم؛ أي قدّموا المؤخّر وأخروا المقدّم، ومع ذلك لم ينالوا نجاحا مع هذا القدر من التحريف على غرار اليهود، لأنه لو اعتُبرت الجملة: ﴿وَرَأَفَعُكَ إِلَيَّ﴾ متقدمة على: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ على سبيل الافتراض المحال، لما نفع ذلك المحرّفين شيئا، لأنه سيكون المعنى في هذه الحالة؛ أن يا عيسى إني رافعك إليّ أولا ثم مميتك. وهذا المعنى باطل بالبدهاة لأنه يستلزم موت عيسى في السماء. والسبب في ذلك أن الإمامة مذكورة بعد الرفع ولا يتخللهما ذكر النزول قط. فتبين من ذلك بجلاء أن عيسى ﷺ سيموت في السماء حتما. غير أنه لو اخترعت جملة ثالثة ووضعت بينهما وقيل: يا عيسى إني رافعك ومنزّلك ومُتَوَفِّيكَ لاستقام المعنى. ولكن هذه العبارات لن تكون كلام الله تعالى بعد كل هذه التحريفات، بل إنها بسبب تدخّل الإنسان والتغيير والتبديل والتحريف الصريح فيها، ستُعَدُّ كلام المحرّف الذي قام بهذا التحريف بوقاحته وتجاهره. ولا شك أن هذه العملية إلحاد سافر وخيانة صارخة بكل معنى الكلمة. (إزالة الأوهام، الخزانة الروحانية المجلد ٣، ص ٦٠٦-٦٠٩، الحاشية)

فقد ورد في تفسير معالم التنزيل تحت تفسير الآية: ﴿يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافَعُكَ إِلَيَّ﴾ (آل عمران: ٥٦)، " أن علي بن طلحة روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن آية: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ تعني: "إني مميتك".

وتدل على ذلك آيات أخرى منها: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ (السجدة: ١٢)، و﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ (النحل: ٣٣)، و﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ (النحل: ٢٩). إذن، كان ابن عباس رضي الله عنهما يعتقد أن عيسى ﷺ قد مات. ولا بد أن يكون واضحا للقراء الكرام أن ابن عباس كان



من يحتلون مقام الصدارة في فهم القرآن الكريم، وقد دعا له النبي ﷺ أيضا لذلك.  
(إزالة الأوهام، الخزان الروحانية المجلد ٣، ص ٢٢٤-٢٢٥)

حيثما ما وردت كلمة "توفي" في القرآن الكريم من أوله إلى آخره استخدمت في معنى الإمامة فقط. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية المجلد ٣، ص ٢٢٤ الحاشية)  
إذا كان عيسى عليه السلام قد رُفِعَ إلى السماء بعد الممات مع الجسد في الحقيقة، كان من المفروض أن تكون العبارة في القرآن الكريم كما يلي: "يا عيسى إني متوفيك ثم محييك ثم رافعك مع جسدك إلى السماء." ولكن لا يوجد في القرآن الكريم إلا مجرد ﴿رَافِعُكَ﴾ الواردة بعد ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾، ولا نجد كلمة: ﴿رَافِعُكَ﴾ في أي مكان آخر في القرآن بعد "ثم محييك"، وإلا فأخرجوها لنا.

أقول بكل تحدد إنه لا بد من الإيمان - بعد الإثبات أن عيسى عليه السلام قد مات في الحقيقة - بأنه كلما ورد قوله وَجَعَلْنَاكَ ﴿رَافِعُكَ﴾ أو ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ فليس المراد منه إلا رفع روحه كما هو مقدّر لكل مؤمن. إن ترك الثابت المحتوم والتطرق إلى غير الضروري ليس إلا جهلا بحتا. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية المجلد ٣، ص ٢٣٥)  
لقرائن القوية تبرهن بكل شدة على أن المسيح لم يصعد إلى السماء بجسده قط، ولم ترد كلمة "السماء" في الآية قيد البحث، بل كل ما ورد فيها هو: ﴿يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ (آل عمران: ٥٦)، وجاء في موضع ثانٍ: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ (النساء: ١٥٩)؛ ومعنى ذلك أن الله تعالى رفعه إليه بعد أن أماته، وهذا أسلوب شائع ومتبع عموما، فمثلا عندما يموت شخص صالح يقال: لقد رفع الله ذلك الشخص الصالح إليه. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية المجلد ٣، ص ٢٤٦-٢٤٧)

فليتضح أن معنى الرفع إلى الله هو الموت، كذلك إن لقول الله وَجَعَلْنَاكَ ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ (الفجر: ٢٩)، وقوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ (آل عمران: ٥٦) المعنى

نفسه. إضافة إلى ذلك إن الوضوح والجلاء والتفصيل الذي ورد به ذكر موت المسيح في القرآن الكريم لا يُتصور أكثر منه؛ لأن الله ﷻ قد بيّن وفاة المسيح بوجه عام وبوجه خاص أيضاً، كما يقول مثلاً على وجه العموم. (إزالة الأوهام، الخزانة الروحانية، المجلد ٣، ص ٢٦٤-٢٦٥)

من الواضح أنه إذا كان المسيح ابن مريم خارجاً عن جماعة المرفوعين الذين ارتحلوا من الدنيا إلى الأبد وُرفِعوا إلى الله، فلا يمكنه قطعاً أن ينضم إلى الذين وصلوا إلى عالم الآخرة، بل سينضم إليهم بعد الممات. وإذا قيل بأنه قد انضم إلى الأموات بحسب الآية: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ (الفجر: ٣٠) فسيُعدّ منهم لا محالة. والثابت جلياً من حديث المعراج أيضاً أنه انضم إلى الأنبياء الذين ماتوا من قبل وأُعطِيَ مكاناً قرب النبي يحيى. فمن الواضح في هذه الحالة أن معنى الآية: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ (آل عمران: ٥٦) سيكون كما يلي: إني متوفيك ورافعك إلى عبادي المتوفين المقربين ومُملِّحك بالصالحين. ويكفي فهماً للعاقل غير المتعصب أنه إذا كان المسيح قد رُفِعَ حياً فكيف اقتحم صف الأموات. ولا بد من الذكر أيضاً أن بعضاً من قليلي الفهم يظنون أن تلك الآيات تحمل معنيين، ولكن هذا فهم فاسد تماماً، ولا يليق بالمؤمن أن يفسّر القرآن برأيه، بل القرآن بنفسه يفسر بعضه بعضاً. وإذا لم يكن صحيحاً أن الآيات التي وردت في حق المسيح مثل: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ و﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ (المائدة: ١١٨)، تدل على موت المسيح في الحقيقة بل لها معانٍ أخرى، فلا بد أن نحتكم إلى القرآن نفسه للبت في هذا النزاع. وإذا كان القرآن يستخدم هذه الكلمة - بالتساوي - أحياناً بمعنى الموت وأحياناً أخرى بمعنى لا علاقة له بالموت، لتساوى احتمال استمداد كلا المعنيين في القضية المتنازع فيها، أما لو كان القرآن الكريم يستعملها بمعنى محدّد في غالب الحالات وأكثرها، لكان ذلك المعنى هو المرجّح في هذا البحث، وأما إذا كان القرآن الكريم يستخدمها بمعنى واحد

في كل مكان من بدايته إلى نهايته، فسيكون الحكم النهائي والقاطع في المكان المبحوث فيه أن المعنى المراد من فعل "التوحي" في القرآن كله، هو الذي أُريدَ به في هذا المقام أيضاً؛ لأنه من غير الممكن وبعيدٌ عن الفهم تماماً أن يستخدم الله تعالى في كلامه الفصيح والبليغ - ولا سيما في محل النزاع والصراع الذي هو بمنزلة معركة حامية الوطيس في علمه - كلمات شاذة ومجهولة لم تُستعمل في أي مكان في كلامه قط. ولو فعل ذلك لكان معناه أنه يريد أن يترك خلقه يهيمون في متاهات الشبهات. والمعلوم أنه ﷺ لم يفعل ذلك. كيف يمكن أن يريد الله تعالى في ٢٣ آية من القرآن الكريم معنى واحداً دائماً من كلمة معينة، ويريد في مكانين فقط - ولا سيما في مكانين يحتاجان التوضيح والبيان أكثر من غيرهما - معنى آخر تماماً ويدفع الخلق إلى هوة الضلال بيده؟

أيها القراء الكرام، فليتضح لكم أنه حينما درستُ فعل "التوحي" دراسةً متأنية في جميع الأماكن في القرآن الكريم من بدايته إلى نهايته تبين لي أنه قد ورد في ٢٣ آية كلها بمعنى الموت وقبض الروح، عدا الآيتين قيد البحث، ولم يُستخدم في أي مكان بأي معنى آخر. وتلك الأماكن هي:

- ١ - ﴿حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ﴾ (النساء: ١٦)
- ٢ - ﴿وَتَوَفَّانَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ (آل عمران: ١٩٤)
- ٣ - ﴿قُلْ يَتَوَفَّاهُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ (السجدة: ١٢)
- ٤ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ (النساء: ٩٨)
- ٥ - ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾

(غافر: ٧٨)

- ٦ - ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ (النحل: ٢٩)
- ٧ - ﴿تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ (النحل: ٣٣)

- ٨- ﴿يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾ (البقرة: ٢٣٥)
- ٩- ﴿يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾ (البقرة: ٢٤١)
- ١٠- ﴿تَوَفَّيْتَهُ رُسُلُنَا﴾ (الأنعام: ٦٢)
- ١١- ﴿رُسُلُنَا يَتَوَفَّوهُمْ﴾ (الأعراف: ٣٨)
- ١٢- ﴿تَوَفَّيْنَا مُسْلِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٢٧)
- ١٣- ﴿يَتَوَفَّى﴾ (الأنفال: ٥١)
- ١٤- ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾ (محمد: ٢٨)
- ١٥- ﴿وَأَمَّا رُبِّيْنَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيْنَكَ﴾ (يونس: ٤٧)
- ١٦- ﴿تَوَفَّيْ مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف: ١٠٢)
- ١٧- ﴿أَوْ نَتَوَفَّيْنَكَ﴾ (الرعد: ٤١)
- ١٨- ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى﴾ (غافر: ٦٨)
- ١٩- ﴿أَوْ نَتَوَفَّيْنَكَ﴾ (الرعد: ٤١)
- ٢٠- ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ (النحل: ٧١)
- ٢١- ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى﴾ (الحج: ٦)
- ٢٢- ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (الزمر: ٤٣)
- ٢٣- ﴿هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ (الأنعام: ٦١)

من الواضح كل الوضوح أن المراد من فعل "التوفي" في جميع الآيات المذكورة آنفا من القرآن الكريم إنما هو الموت وقبض الروح. أما الآيتان الأخيرتان فإنهما تتعلقان

<sup>١</sup> لقد تكررت هذه الآية سهوا في القائمة، وبديلها الآية التالية: ﴿الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾ (يونس: ١٠٥) التي لم تدرج فيها. (الناشر)

بالنوم ظاهريا، ولكن الحقيقة أن المراد في هاتين الآيتين ليس النوم، بل المراد والمقصود الحقيقي هو الموت، وقد أُريدَ الإثبات من ذلك أن النوم أيضا نوع من الموت. فكما تُقبَضُ الروح عند الموت كذلك تُقبَضُ عند النوم أيضا. إذن، فإن إطلاق فعل "التوفي" على النوم في هذين المقامين استعارة استُخدمت مع قرينة النوم، أي قد ذُكر النوم بكلمات صريحة ليُعلم كل شخص أن المراد من "التوفي" هنا ليس الموت الحقيقي بل الموت المجازي وهو النوم.

ويعلم كل ذي علم بسيط أيضا أنه عندما تُستعمل كلمة ما بمعنى حقيقة مسلم بها، أي بمعناها الخاص بها والمتداول عموما، فليس ضروريا لمستخدمها أن يورد قرينة معينة لتوضيح معناها بوجه خاص لأن الكلمة شائعة ومعروفة وتتبادر إلى الفهم بذلك المعنى المعين. ولكنه لو استخدم كلمة بالمعنى المجازي بصرفها عن حقيقة مسلم بها، لتحتم عليه أن يُضيف عندها قرينة بأسلوب آخر، إما صراحة أو كناية لكي لا يشته المعنى على الفهم. وللتمييز فيما إذا كان المستخدم قد استخدم الكلمة حقيقة مسلمًا بها أم على سبيل المجاز والاستعارة النادرة، فإن لذلك علامة واضحة؛ وهي أنه عند استخدامها بالمعنى المتداول يذكر الحقيقة المسلم بها بإيجاز دون أن يرى ضرورة إلى قرينة عليها؛ معتبرا إياها مفهوما شائعا ومعروفا وموضوعا متبادرا إلى الذهن، أما في حالة الاستعارة والمجاز فلا يُستحب ذلك الإيجاز، بل يكون واجبا عليه عندئذ أن يذكر قصده بعلامة واضحة يفهمها الفطين بسهولة، ويوضح أن تلك الكلمة لم تُستخدم في ذلك المقام بمعناها الأصلي.

الآن، وقد تبين بوضوح الفرق بين الحقيقة والمجاز، يمكن لكل من قرأ القرآن الكريم بنظرة تأمل وتدبر في فعل "التوفي" حيثما ورد في القرآن، أن يشهد بأمانة على صدق بياني هذا. وينبغي الإمعان في الآيات التالية على سبيل المثال لا الحصر:

١ - ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّيَنَّكَ﴾ (يونس: ٤٧)

- ٢- ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ (يوسف: ١٠٢)
- ٣- ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَّى﴾ (الحج: ٦)
- ٤- ﴿تَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ﴾ (النساء: ٩٨)
- ٥- ﴿يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ﴾ (البقرة: ٢٤١)
- ٦- ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ (الأنعام: ٦٢)
- ٧- ﴿رُسُلُنَا يَتَوَفَّوهُمْ﴾ (الأعراف: ٣٨)
- ٨- ﴿تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (الأعراف: ١٢٧)
- ٩- ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ (آل عمران: ١٩٤)
- ١٠- ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّاكُم﴾ (النحل: ٧١)

إذن، يتبين من هذه الآيات بصراحة متناهية ووضوح تام أن فعل "التوفي" قد استخدم فيها كلها بمعنى الموت. وهل في القرآن الكريم آية استخدم فيها فعل "التوفي" وحده وأريد منه معنى آخر غير الموت؟ فلما ثبت بصورة قطعية و يقينية دون أدنى شك أن الأسلوب المتبع في القرآن الكريم من بدايته إلى نهايته هو أن المعنى المراد من فعل "التوفي" في كل مكان هو الموت، فإن اختراع معنى في الآيتين: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ و﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ المتنازع فيهما مخالفًا للأسلوب الشائع العام والمتبع في القرآن الكريم، ليس إلا إلحادًا وتحريفًا سافرًا.

وفي هذا المقام هناك نقطة أخرى جديرة بالذكر وهي: لماذا استخدم فعل "التوفي" في محل الموت في كل مكان في القرآن الكريم، ولماذا لم يُستخدم فعل "الإماتة"؟ السر في ذلك أن لفظ "الموت" يطلق أيضا على فناء الأشياء التي لا تبقى فيها روح بعد فنائها؛ فمثلا لو اتخذت النباتات والجمادات صوراً أخرى غير صورتها الحقيقية لأطلق عليها لفظ "الموت"، كما يقال: مات الحديد وانصهر، أو ماتت قطعة الفضة وانصهرت. كذلك لا يُطلق فعل "التوفي" على الحيوانات والحشرات

التي لا تبقى فيها روح بعد موتها ولا تستحق الثواب أو العقاب، بل يقال: ماتت الدابة أو ماتت الحشرة؛ فلما كان في مشيئة الله تعالى أن يبين في كلامه العزيز بوضوح أن الإنسان حيوان لا يصيبه الفناء التام بعد موته بل تبقى روحه، ويحتفظ بها قابضُ الأرواح؛ فلم يُطْلَق عليه فعل "الموت" بل أطلق "التوفي" ليدل على أنه رَحِمَهُ لم يقض عليه قضاء نهائيا، وما أفناه فناء تاما بعد إماتته، بل أمات جسده فقط، واحتفظ بروحه.

وإضافة إلى ذلك أيضاً؛ إن في اختيار هذا الفعل، ردًّا على الملحدّين الذين لا يعتقدون ببقاء الروح بعد موت الجسد.

ليكن معلوماً أيضاً أن فعل "التوفي" قد استُخدم في القرآن الكريم من البداية إلى النهاية بمعنى قبض الروح وترك الجسم يفنى. إن حقيقة موت الإنسان هي أن الله تعالى يقبض روحه ويترك الجسد على حاله بفصل الروح عنه. ولكن ما دام النوم أيضاً يشترك في هذه الحقيقة إلى حد ما؛ فقد عُزِيَ عن النوم أيضاً في الآيتين المذكورتين من قَبْل بـ "التوفي" على سبيل الاستعارة، لأن الروح تُقبض نوعاً ما في حالة النوم أيضاً، ويترك الجسم عاطلاً دون أن يكون له أي عمل أو دور. أما في حالة "التوفي" الكامل حيث تُقبض الروح على الوجه الأكمل، ويترك الجسم وشأنه، فهي موت الإنسان. لذلك فقد استُخدم فعل "التوفي" في القرآن الكريم بوجه عام ليدل على موت الإنسان. والقرآن الكريم مليء بهذا الاستخدام من بدايته إلى نهايته. ولم يُطْلَق فعل "التوفي" على النوم في القرآن الكريم إلا في موضعين اثنين، وذلك أيضاً مع ذكر قرينة. وفي هاتين الآيتين أيضاً جاء التصريح بوضوح تام أنه ليس المراد من "التوفي" هنا النوم، بل المراد هو الموت فقط. وقد أُريدَ التبيان أن النوم أيضاً نوع من الموت إذ تُقبض الروح في النوم أيضاً ويترك الجسم على حاله. والفرق الوحيد بين النوم والموت هو أن النوم موت ناقص، والموت الحقيقي إنما هو موت على الوجه الكامل.

والجدير بالانتباه أيضا أنه كلما ورد فعل "التوحي" في القرآن الكريم، سواء أكان بمعناه الحقيقي (أي بمعنى الموت) أم بالمعنى غير الحقيقي (أي بمعنى النوم)، كان المراد منه دائما هو قبض الروح وترك الجسم عاطلا بلا حراك. فلما اعتبرنا المعنى المذكور آنفا مبدأ مسلماً به، وتشهد عليه آيات القرآن الكريم التي ورد فيها فعل "التوحي" - وإن قبلنا جدلا الفكرة الباطلة بداهة أن معنى ﴿إِنِّي مُتَوَقِّئُكَ﴾ هو "إني مُنِيْمُكَ" - ثبت مع ذلك خطأ الفكرة القائلة برفع الجسد؛ لأنه لا بد أن نستنتج من ﴿إِنِّي مُتَوَقِّئُكَ﴾ حسب المبدأ المذكور آنفا؛ أني سأجعل النوم غالبا عليك وسأقبض روحك. والمعلوم الآن أن العبارة: ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ التي جاءت بعد: ﴿إِنِّي مُتَوَقِّئُكَ﴾ تعني أني سأقبض روحك ثم أرفعك إلي؛ فإن كلمة: ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ مرتبطة بـ: ﴿مُتَوَقِّئُكَ﴾ ويستنتج منها بالبداهة أن الله تعالى قد قبض روحه ثم رفع إليه الروح نفسها، لأن الشيء الذي يُقبض هو الذي يُرفع، ولا يوجد أي ذكر لقبض الجسد. أما الآيات الأخرى التي تشير إلى النوم فقد قال الله تعالى فيها بصراحة تامة إن في النوم أيضا تُقبض الروح فقط كما تُقبض عند الموت، ولا يُقبض الجسد. فكل شخص يستطيع أن يدرك أنه لا يُرفع إلا ما يُقبض، وليس أن ما يُقبض هو الروح وأما ما يُرفع فهو الجسد. ولو قيل ذلك لكان هذا المعنى معارضا تماما للآيات القرآنية كلها ومشية الله أيضا؛ فكلما استخدم القرآن الكريم فعل "التوحي" - على سبيل الاستعارة - للإشارة إلى النوم، قال في تلك الأماكن أيضا إننا نقبض الروح ونترك الجسد على حاله، والفرق الوحيد بين الموت والنوم هو أنه في حالة الموت لا نحرر الروح بعد القبض، بل نحتفظ بها عندنا، أما في حالة النوم فنقبض الروح إلى مدة معينة ثم نحررها فتعود إلى الجسم.

الآن، يجب التدبر؛ أفلا يكفي هذا البيان القرآني للفهم أن الله لا يهمل قبض الجسم ورفعه سواء في حالة الموت أو النوم؟ فالله سبحانه يقول بنفسه إن الجسد حُلِق



من طين، ويعود إلى التراب في نهاية المطاف. إن الله تعالى يقبض الأرواح منذ بدء الخليقة ويرفع إليه الأرواح فقط. فما دام هذا هو واقع الأمر وهذا هو الحق والصدق، وأيضاً لو افترضنا جدلاً في هذه الحالة أن معنى ﴿إِنِّي مُتَوَقِّئُكَ﴾ هو أنني سأقبض روحك بالأسلوب نفسه الذي تُقبض به روح النائم، فمع ذلك لا علاقة للجسم بهذا النوع من القبض. ولن يثبت من تفسير كهذا إلا أن روح المسيح قُبِضَتْ في حالة النوم، وبقي الجسد في مكانه على الأرض، ثم أُعيدت إليه في وقت آخر. وهذا المعنى باطل بالبداية وينافي ما يهدف إليه كلا الفريقين، لأنه لا علاقة لنوم المسيح لفترة وجيزة واستيقاظه ببحثنا قط. وإن آية القرآن الكريم المذكورة آنفاً تعلن بأعلى صوتها أن روح المسيح ما أُعيدت إلى الجسد - بعد أن قُبِضَتْ - كما تعاد روح النائم، بل رفعها الله تعالى إليه كما يتبين من الكلمات الصريحة الدلالة: ﴿إِنِّي مُتَوَقِّئُكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾.

يجب أن ننظر بعين العدل والإنصاف أنه كما قال الله جلّ شأنه في القرآن الكريم في حق المسيح ﷺ ﴿إِنِّي مُتَوَقِّئُكَ﴾ كذلك قال في حق سيدنا ومولانا النبي ﷺ أيضاً: ﴿وَأَمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّيَنَّكَ﴾ (يونس: ٤٧) أي قد ورد فعل "التوقي" في كلا الموضعين، في حق المسيح ﷺ وفي حق سيدنا ومولانا ﷺ، فكم هو بعيد عن العدل والإنصاف أن نستنتج من "التوقي" الوارد في حق سيدنا ومولانا ﷺ معنى الموت، ونصرفه عن معناه الحقيقي والمعروف إذا وردت الكلمة نفسها في حق عيسى ﷺ، وبذلك نجنف عن المعنى المتفق عليه الذي يتبين من القرآن الكريم من بدايته إلى نهايته، ونختلق من عند أنفسنا معنى آخر. إذا لم يكن هذا هو الإلحاد والتحريف فما الانحراف والتحريف إذًا؟

هناك تفاسير مبسطة موجودة في العالم مثل تفسير الكشاف ومعالم التنزيل والتفسير الكبير للإمام الرازي وتفسير ابن كثير وتفسير مدارك التنزيل وفتح البيان وغيرها، وقد

ورد في جميع هذه التفسيرات تحت الآية: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ "إني مميتك حتف أنفك"، أي يا عيسى سأُميتُك موتاً طبيعياً دون أن تموت على الصليب أو بالضرب. وغاية ما في الأمر أن بعض المفسرين فسروا هذه الآية بأوجه أخرى أيضاً نتيجة قصور فهمهم، ولكنهم فعلوا ذلك بناءً على رأيهم الشخصي الذي لا أصل له، وليس بناءً على آية أو حديث. ولو كانوا أحياء لَسُئِلُوا: لماذا وبأي دليل لبستم الحق بالباطل؟ على أية حال، ما داموا قد اعترفوا أن من جملة الأقوال المختلف فيها قولُ بأن المسيح عليه السلام مات حتماً وُزِفَت روحه، فإن زلَّاتهم الأخرى تستحق العفو. علماً أن بعضهم - مثل صاحب الكشاف - ضَعَفَ الأقوال الأخرى بنفسه؛ إذ أسبقها بكلمة "قيل".

الآن، وقد أسهنا في بحث فعل "التوفي"، وتبين أنه قد استُعمل في القرآن الكريم من بدايته إلى نهايته بمعنى قبض الروح فقط، بقي أن نرى بأي معنى استُخدم في القرآن الكريم فعل "الرفع" في: ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾؟

ليكن معلوماً أنه كلما ورد فعل "رفع" في القرآن الكريم في حق الأنبياء والأخبار والأبرار كان معناه العام هو بيان منزلة عليا في السماء يحتلها هؤلاء الأخبار عند الله من حيث مكانتهم الروحانية ونقطة نفوسهم، وأيضاً كي ييسَّروا أن روحهم سترفع بعد الموت وفراقها الجسد إلى مقام قُربهم عند الله؛ إذ يقول الله جلَّ شأنه في القرآن الكريم لإظهار المكانة السامية لنبينا الأكرم ﷺ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ (البقرة: ٢٥٤). أي أن جميع الأنبياء ليسوا سواسية من حيث درجاتهم، بل بعضهم نال شرف الكلام وجهاً لوجه، وُزِفَت درجاتُ بعضهم أكثر من غيرهم.

لقد جاء في الأحاديث تفسير هذه الآية بأن روح كل نبي تُرفع إلى السماء بعد مماته وتنال مقاماً في سماء من السماوات بحسب درجتها، فيقال بأنها رُفعت إلى

مقام كذا وكذا، وذلك لتستبين درجتها الظاهرية أيضا بحسب درجتها الباطنية. إذًا، فهذا الرفع إلى السماء يكون لتحقيق الدرجات. وأما العبارة: ﴿رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ التي وردت في الآية المذكورة آنفا ففيها إشارة إلى أن رفع النبي ﷺ كان أعلى ممن رفع إليه غيره من الأنبياء، وأن روحه لم تستقر في السماء الثانية مثل روح المسيح، ولم تستقر في السماء السادسة مثل روح موسى بل هي أعلى وأسمى من الجميع على الإطلاق. هذا ما يدل عليه حديث المعراج بمنتهى الصراحة. بل ورد في "معالم النبوة" حديثٌ بأن النبي ﷺ حين تجاوز السماء السادسة ليلة المعراج قال موسى: "رَبِّ لَمْ أَظُنْ أَنْ يُرْفَعَ عَلَيَّ أَحَدٌ." لاحظوا هنا أن فعل "رفع" قد استخدم لبيان الدرجات فقط. وتبيّن معنى الآية القرآنية المذكورة آنفاً من خلال الأحاديث النبوية أن كل نبيٍّ يُرْفَع إلى السماوات بحسب درجته، وينال نصيبه من الرفع بحسب مقام قربهِ. وتبيّن أيضاً أن أرواح الأنبياء والأولياء - وإن كانت على الأرض أثناء حياتهم في الدنيا - تكون لها صلة مع سماءٍ تُعْتَبَر حدًّا أعلى لرفعها. ثم بعد الممات تستقر روحه في السماء التي جعلت الحدَّ الأعلى لرفعها.

فالحديث الذي يذكر رفع الأرواح عموماً بعد الممات يؤيد هذا البيان. ولأن هذا البحث واضح وصريح للغاية، وقد كتبت في هذا الموضوع من قبل أيضاً، لذا لا أرى حاجة للإسهاب فيه الآن.

يجدر بالبيان في هذا المقام أن بعض المفسرين عندما رأوا أن معنى "التوفي" في الآية: ﴿إِنِّي مُتَوَقِّئُكَ﴾ هو الإمامة في الحقيقة، وأن: ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ تدل بقرينة الموت الصريحة على رفع الروح، قلقوا أن ذلك يخالف رأيهم بمنتهى الصراحة، فافترحوا إصلاحاً أن كلمة: ﴿رَافِعُكَ﴾ هنا متقدمة على ﴿إِنِّي مُتَوَقِّئُكَ﴾ حاسبين أنفسهم بمنزلة مصلحي الترتيب الوارد في القرآن الكريم، واختاروا لأنفسهم منصب المعلّم. ولكن القراء يعرفون جيداً كم يمس ذلك بكرامة كلام الله الأبلغ والأفصح،

وإلى أي مدى يحطّ من شأنه! (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣ ص ٢٦٦-٢٧٧)

بعض المشايخ يقول بمنتهى البساطة إن قوله تعالى ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ (النساء: ١٥٩)، وقوله ﴿رَافِعُكَ﴾ بعد قوله ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ يدل على عودته إلى الحياة. ثم يقولون بأنه إذا لم يكن هذا المعنى صحيحا، فلم لم ترد كلمة: ﴿رَافِعُكَ﴾ بحق أحد غير المسيح؟ لقد سبق أن كتبت ردّا مفصلا في كتاب "إزالة الأوهام" هذا نفسه على كل هذه الوسوس، وقلت إن المراد من الرفع هو رفع الروح بعزة وإكرام؛ إذ تُرفع روح كل مؤمن بعد وفاته إلى الله تعالى بعزة وإكرام بحسب نصوص القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة. أما السبب وراء ذكر رفع المسيح هنا، فلأن مهمته لتبليغ الدعوة كانت شبه فاشلة، وزعم اليهود أنه كاذب، لأنه كان ضروريا حسب زعمهم أن ينزل "إيليا" من السماء قبل المسيح الصادق. فأنكروا رفع المسيح إلى الله تعالى بالعزة والإكرام مثل بقية الأنبياء، بل اعتبروه ملعونا، والعياذ بالله. وملعونٌ مَنْ لا يُرفع بالعزة والإكرام. فأراد الله أن يزيل هذه التهمة عن المسيح.

فأولا وقبل كل شيء؛ أبطل الله تعالى الأساس الذي بناء عليه اعتبر اليهود والنصارى الأشرارُ المسيح ملعونا في قرارة قلوبهم. ثم ذكر ﷺ بصراحة تامة أن المسيح ليس ملعونا حتى يُحرم من الرفع، بل رُفِعَ بالعزة والإكرام. فقد ارتحل المسيح من الدنيا بعد قضاء حياته المؤقتة كمسكين، وبالعجز كثيرا في الإساءة إليه، ووجهوا إلى أمه تُهْمًا باطلة، واعتبروه ملعونا، ورفضوا رفعه كالصادقين. ولم يقتصر ذلك على اليهود فقط، بل تورط النصارى أيضا في الفكرة نفسها، وابتدعوا بوقاحة شديدة حيلة لنجاتهم المزعومة؛ أن يعتبروا الصادق ملعونا. ولم يفكروا أنه إذا كانت النجاة مقتصرة على كون المسيح ملعونا، وإذا كانت لا تُنال إلا بجعل صادقٍ طيّب السيرة، ومحبوب عند الله ملعونا، فتبّا لهذه النجاة! بل إن جهنم أفضل منها بألف مرة.

قصارى القول: إن كلتا الفئتين، اليهود والنصارى، جُوزوا بحق المسيح ألقابا مسيئة، فلم تُردّ غيرة الله أن تترك كرامة هذا المقدس دون شهادة تُثبتها. فبعث الله تعالى - كما وعد في الإنجيل من قبل - سيدنا ومولانا خاتم المرسلين وشهد في القرآن الكريم على قداسة المسيح ورفعته.

لقد وردت كلمة: "الرفع" في عدة أماكن في القرآن الكريم؛ منها قوله ﷺ في قصة بلعام: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾، ومنها قوله عن نبي لم يحقق أي نجاح<sup>١</sup> ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (مريم: ٥٨).. الحقيقة أن الناس رفضوا رفع هذا النبي (إدريس عليه السلام) أيضا. كذلك أُريدت إهانتى أنا أيضا مثل المسيح، فمن خصومي مَنْ يكفّرني، ومنهم من يسمّيني ملحدا ومنهم من يعدّني عديم الإيمان، حتى إن الفقهاء والمشايخ مستعدون ليعلّقوني على الصليب كما كتب ميان عبد الحق في إعلانه المنشور بأن من واجب المسلمين أن يُعملوا أيديهم أيضا في قضية هذا الشخص. ولكن هذه الحكومة تراعي البريء أكثر من بيلاطس، ولا تحشى الرعية مثله. غير أن قومنا هؤلاء لم يدجّروا جهدا لإهانتى لتحقيق المماثلة من كلتا الجهتين. فقد تلقّوا أيضا "إلهامات" عني تقول إنه من أهل جهنم ويدخل جهنم في نهاية المطاف، ولن يكون من الذين يُرفعون إلى الله بالعزة والإكرام. فاليوم فهمتُ معنى الإلهام الذي ورد في "البراهين الأحمدية" منذ عدة أعوام ونصه: "يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة". أي أن هذين الشيخين؛ عبد الرحمن وعبد الحق، يؤكّدان حاليا على أني من أهل جهنم. ولكن الله قد وعدني قبل إدلائهما بهذا البيان بعشر سنوات بأنني من أهل الجنة. وكما زعم اليهود أن المسيح عيسى ملعون - والعياذ بالله - ولن يُرفع بالعزة والإكرام فنزلت الآية: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ

<sup>١</sup> الأنبياء منتصرون حتمًا، ويحققون كل نجاح، ولكن المسيح الموعود عليه السلام يشير هنا إلى ما يقوله الآخرون الذين ينسبون إلى الأنبياء الفشل. (المترجم)

إِيَّيَّ» للرد عليهم، كذلك، ولعلمه الأزلي؛ ألقى الله هذا الإلهام على قلبي أيضا نبوءةً سلفاً... فحاصل الكلام أن كلمة "الرفع" التي وردت في القرآن الكريم هي الكلمة نفسها التي استخدمها ﷺ بحقي أنا العبد الضعيف أيضا في الإلهام. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٢٩٩-٣٠٢)

اعلموا أن نصوص القرآن الكريم البينة تدل بصراحة تامة على أن المسيح قد مات في زمنٍ جاء فيه لإصلاح فرق اليهود الفاسدة كما يقول الله جلّ شأنه: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْفَعْكَ وَإِنَّا رَافِعُونَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾. والواضح هنا أن الله تعالى قد أورد أولاً: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ ثم أورد: ﴿رَافِعُكَ﴾، وهذا يثبت أنه ﷺ مات أولاً، ثم رُفِعَ بعد الممات. والدليل الآخر هو أن الله جلّ شأنه يقول في هذه النبوءة أني سأجعل متّبعيك - بعد مماتك - غالبين على خصومك من اليهود، وذلك إلى يوم القيامة. فالواضح الآن أن النصارى والمسلمين كلهم يقبلون أن هذه النبوءة قد تحققت بكل جلاء بعد زمن المسيح ﷺ إلى ظهور الإسلام، لأن الله تعالى جعل اليهود خاضعين للمسيحيين والمسلمين، ومحكومين على أيديهم، ولا يزالون يخضعون لهم بعد مرور مئات السنين. وليس أنهم سيخضعون لهم بعد نزول المسيح ﷺ. إن هذا المعنى باطل بالبداهة. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٣٠-٣٣١)

يسعى البعض - شطارةً منهم - إلى أن يحجبوا الأدلة القرآنية البينة ويقولون: لقد جاء فعل "التوحي" بعدة معانٍ في المعاجم، ومع أنهم يعرفون جيداً في قرارة قلوبهم أن الكلمات التي يخصّها القرآن الكريم بمعانٍ معينة اصطلاحاً، ويُفهم جيداً - ببيانه المتواتر - أنه إذا خصّ كلمة ما، بمعنى معين؛ فإن صرف هذا المعنى عن تلك الكلمة - بناء على مجرد فكرة ورود معناها الآخر في المعاجم - ليس إلا إحاداً صريحاً. فمثلاً، في المعاجم قد أُطلق اسم "الكافر" على الليل المظلم أيضاً.

أما في القرآن الكريم كله فلم تُطلق كلمة "الكافر" إلا على الكافر بالدين أو الكافر بالنعمة فقط. والآن، لو صرف أحد معنى "الكفر" عن المعنى المتداول والشائع في القرآن الكريم، وأراد منها الليل المظلم، ثم قدّم على موقفه دليلاً أن هذا المعنى أيضاً مذكور في المعاجم، فقولوا صدقاً وحقاً، بالله عليكم، هل يُعدّ منهجه هذا إلحاداً أم لا؟

كذلك، إن كلمة "الصوم" لا يقتصر معناها - في المعاجم - على الصيام المعروف فقط، بل تُطلق على كنيسة النصارى أيضاً، كما تُطلق أيضاً على روث النعام. أما في مصطلح القرآن فلا يراد به إلا الصيام المعروف. كذلك ذُكرت للصلاة أيضاً عدة معانٍ في المعاجم. أما في مصطلح القرآن الكريم فلا يطلق إلا على الصلاة المعروفة، والصلاة على النبي ﷺ والدعاء. ويعرف العلماء جيداً أن كل فنٍّ يكون بحاجة إلى مصطلحات معينة، وأن أصحاب هذا الفن يَخَصُّون بعض الكلمات بمعنى واحدٍ معينٍ مجرّدين إياها من معانيها العديدة الأخرى. خذوا فن الطبابة مثلاً؛ فقد حُصرت وحُصِّصت فيها بعض الكلمات بمعنى واحد معين كمصطلح دون معانيها الأخرى الكثيرة. والحق أنه لا يستقيم أيّ علم دون وجود الكلمات الاصطلاحية فيه. فالذي لا يريد الإلحاد، فالطريق المستقيم له أن يستنبط من القرآن الكريم معاني متداولة ورائجة في القرآن وما اصطُح عليه القرآن الكريم، وإلا سيكون تفسيره تفسيراً برأيه.

وإذا قيل: إذا كان معنى "التوحي" المتداول في القرآن الكريم هو قبض الروح فقط، فلماذا أورد المفسرون أقوالاً تتعارض مع هذا المعنى؟ فجوابه أنهم ظلّوا يكتبون معنى الموت أيضاً باستمرار. لو لم يُجمع قوم على هذا المعنى، فلماذا ظلّ هذا المعنى وارداً في التفاسير منذ زمن النبي ﷺ إلى اليوم مع مرور ١٣٠٠ عام. فإن ورود هذا المعنى باستمرار دليل واضح على الإجماع على هذا المعنى منذ زمن الصحابة إلى يومنا هذا.

أما القول: لماذا إذن نُقلت معانٍ أخرى في التفاسير؟ فجوابه أنه رأى خاطئ لبعض الناس. ويكفي لإثبات خطأ رأيهم أنه ينافي القرآن الكريم تماما. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ٣٤٩-٣٥٠)

ولو استخدم الله تعالى في القرآن الكريم كلمة للتعبير عن موت المسيح ابن مريم، كان قد استخدمها بمعانٍ أخرى أيضا، لوجد الخائن فرصة للخيانة، ولكنه ﷺ قد وضع حدا للخونة بكل شدة، إذ استخدم فعل "التوفي" لذكر موت عيسى عليه السلام، وقد استخدم الفعل نفسه ٢٥ مرة بالمعنى نفسه. وجعل لهذه الكلمة اصطلاحا محددًا، واستخدمها كل مرة بمعنى قبض الروح وترك الجسد على حاله، لتدل على أن الروح أبدية، تكون في قبضة الله بعد موت الجسد وكذلك في حالة النوم. إذًا؛ إن الجسد يفنى، أما الروح فلا. فكلما استخدم فعل "التوفي"، كان بالمعنى نفسه دائما وفي كل مكان دون الخروج عن هذا المعنى.

لذا فقد اعتُبر هذا المعنى من النصوص القرآنية الصريحة والبيّنة والواضحة، والانحراف عنه إحداد، لأنه من المسلّم به أن النصوص تُحمل على ظواهرها.

باختصار، إن القرآن الكريم باستخدام فعل التوفي المتنازع فيه والوارد بحق المسيح في ٢٣ موضعا قد أثبت أن له معنى واحد هو قبض الروح وترك الجسد على حاله بحيث لم يبق فيه مجال لأدنى شك. بل هو من البينات من الدرجة الأولى، والمطالب الصريحة البيّنة والبديهة، وحائز على مرتبة القطع واليقين الذي إنكاره يُعدّ جهلاً من الدرجة القصوى. لقد اختار القرآن الكريم أسلوبين اثنين لشرح هذه الكلمة لا ثالث لهما.

(١) قبض الروح بصورة دائمة وترك الجسد على حاله، وهو ما يُعبّر عنه بـ: الإماتة.

(٢) قبض الروح مؤقتًا وترك الجسد على حاله، وهذا ما يُعبّر عنه بـ: الإنامة. والمعلوم أنه لا علاقة للمعنى الثاني بالموضوع المتنازع فيه، لأن النوم والاستيقاظ



أمر عادي تماما. فحين يكون الإنسان نائما؛ تكون الروح في قبضة الله، وعندما يستيقظ؛ تعود مجددا إلى جسده الذي تُرك على حاله. يُفهم بكل جلاء أنه ما دام المراد من فعل "التوحي" هو قبض الروح فقط - دون أن تكون له علاقة بالجسد، بل إن ترك الجسد على حاله أيضا يدخل في مضمون التوحي - لذا فليس هناك أشد غباءً من أن يُستنبط من "التوحي" معنى قبض الله الجسد، لأنه إذا كان هذا المعنى صحيحا، فلا بد أن يكون هذا المعنى نفسه ملحوظا في مكان آخر أيضا في القرآن الكريم كمثال، بيد أني قد بينتُ قبل قليل أن القرآن الكريم استخدم هذه الكلمة من بدايته إلى نهايته بالمعنى نفسه، أي بمعنى قبض الروح دون أي علاقة بالجسد، بل تركه على حاله. ولو قبلنا جدلا المعنى الثاني في وفاة المسيح ابن مريم، لكان حاصله أن المسيح قد نام لفترة وجيزة ثم استيقظ. وهذا أيضا لا يُثبت أن الجسد رُفع إلى السماء. فهل الذين ينامون بالليل أو النهار تصعد أجسادهم إلى السماء؟

وكما بينتُ من قبل أن الروح في حالة النوم تُقبض لفترة وجيزة فقط، ولا علاقة لذلك برفع الجسد مطلقا. وقد بينت أيضا قبل قليل أن نصوص القرآن الواضحة والمتواترة والصحيحة قد جعلت معنى "التوحي" مقصورا على قبض الروح، وترك الجسد على حاله. وما دام الأمر كذلك، فإن الاستنباط من فعل "التوحي" بأن الله تعالى لم يرفع إليه روحه فقط، بل رفع جسده أيضا معها؛ لهي فكرة غبية جدًّا، ومخالفة بالبداهة لنصوص القرآن الكريم الصريحة والبيّنة. إن تصريح القرآن الكريم بأن المراد من "التوحي" هو قبض الروح فقط ولا علاقة له بالجسد قط، لم يكن مرة أو مرتين، بل ٢٥ مرة. ومن لم يقبل بعد ذلك أيضا، فلا علاقة له بالقرآن أصلا، بل عليه أن يقول صراحةً بأنه لا يريد أن يتخلى بحال من الأحوال عن مسلك بعض صلحائهم المزعومين. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٩٠-٣٩٢)

ويقول الله تعالى أيضا بأنه لا يستطيع أحد أن يأتيه دون الممات. ومما لا شك فيه أن المسيح قد رُفِعَ إليه وَجَلَّ، وهذا يعني أنه مات حتما. لقد خاطبه الله تعالى في كلامه المجيد بالقول: ﴿إِنِّي مُتَوَقِّعٌ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾. والمعنى العام لـ "التوفي" المستخدَم في القرآن والأحاديث؛ هو قبض الروح وترك الجسد بحاله. ومن التعنت تماما أن يُسْتَنْبَط من فعل "التوَيَّ" معنى قبض الروح، وذلك للناس جميعا، أما إذا ورد بحق المسيح ابن مريم فيُستنبط منه معنى قبض الجسم أيضا. هل يجوز لنا اختلاق لغة جديدة لم تُستعمل في كلام الله ولا في كلام الرسول قط، ولم يستخدمها شعراء العرب وأدباؤهم مطلقا؟ فما دام معنى "التوفي" المتداول والمتعارف عليه؛ هو قبض الروح - سواء أكان بصورة ناقصة أو تامة - فلماذا يراد من الرفع قبض الجسد إذن؟ والمعلوم أن الشيء الذي يُقْبَض هو الذي سَيُفْع، وليس أن ما يُقْبَض هو الروح وما يُرْفَع هو الجسد.

إذن، فمن الإلحاد والتحريف الصريح اختلاق معنى جديد من مصدر "التوفي" على عكس المعنى المتداول والمعروف والمستنبط من القرآن الكريم من بدايته إلى نهايته. أدعو الله تعالى أن ينقذ المسلمين من ذلك.

وإذا قيل: قد ذكرت في كتب التفاسير معانٍ كثيرة لفعل "التوَيَّ"، قلتُ: إن تلك المعاني المختلفة والمتعارضة لم تؤخذ من كلام النبي ﷺ، لأنه من المستحيل تماما أن يتطرق اختلاف أو تناقض إلى البيان الصادر عن عين الوحي. بل هي أقوال مختلفة للمفسرين أنفسهم، وثبت أنهم لم يجمعوا على معنى معين قط. ولو أعطوا البصيرة التي أُعْطِيَتْهَا، لأجمعوا حتما على ما أقول، لكن الله تعالى حرّمهم من هذا العلم القطعي واليقيني لكي يزود عبده بهذا العلم الكامل، فيظهر آية تفوّقه في العلم مثل آدم صفى الله. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٥٠١-٥٠٢)

الأسلوب العام والشائع في القرآن الكريم في استخدام فعل "التوَيَّ" هو أنه كَلَّمَا استُخدمت فيه هذه الكلمة - من بدايته إلى نهايته - فقد جاءت بمعنى الموت وقبض

الروح. وحينما تتبَّعتُ قدر الإمكان شعرَ العرب القديم والحديث، والقصائد والكلام المنظوم والمنثور، وحقَّقتُ فيه بعمق، ثبت أنه كلما جاء فعل "التوحي" بحق ذوي الروح أي بحق الإنسان، وكان الله هو الفاعل، فقد استنبط منها معنى الموت وقبض الروح دائما. ولن تجدوا كلمة "التوحي" في شعر العرب القديم أو الحديث ولا في نثرهم استعملت مرة واحدة بحق ذوي الأرواح حين كان الفاعل هو الله لفظا أو معنى - أي ما كان الفعل صادرا عن العبد، بل كان من الله تعالى فقط - ثم أُريدَ منها معنى آخر غير قبض الروح. يعرف المطلعون على كتب اللغة - مثل القاموس، والصَّحاح، والصَّراح - أنه لا يوجد فيها تعبير حتى في أمثال العرب حيث نُسب فعل "التوحي" إلى الله تعالى بحق ذي روح، ثم استنبط منه معنى آخر. بل قد استنبط منه دائما معنى الموت وقبض الروح فقط، وما تُرك باب أية إمكانية أخرى مفتوحا.

ثم رجعتُ إلى الأحاديث لأعلم بأي معنى كان الصحابة بل النبي ﷺ يستخدمون فعل "التوحي" بحق ذوي الأرواح؟ ولأعلم أيضا هل كان يُستعمل في معانٍ مختلفة في محاوراتهم اليومية؟ أو أنه كان مستعملا بمعنى قبض الروح والموت فقط؟ فقد تجشمت في هذا البحث والتحقيق جهدا كبيرا، وبعد أن تصفَّحتُ صحيح البخاري وصحيح مسلم، وسنن الترمذي وابن ماجة وأبي داود والنسائي والدارمي، والموطأ، وشرح السنَّة وغيرها من كتب كثيرة، صفحةً صفحةً - التي نقل منها المشكاة - تبين لي أن كلمة "التوحي" قد وردت فيها ٣٤٦ مرة في مواضع مختلفة، غير أنه من الممكن أن يكون قد سقط مني إحصاء بعضها، ولكنها لم تسقط مني قراءة. وكلما وردت هذه الكلمة في تلك الكتب، سواء أقالها النبي ﷺ أو أحد من الصحابة، جاءت بمعنى الموت وقبض الروح فقط. وما دمتُ قد راجعت هذه الكتب كلها بجهد جهيد وقرأتها سطرا سطرا، فأقول بكل تحدٍّ وثقة بأنه كلما وردت كلمة "التوحي" في الأحاديث الواردة في هذه الكتب، لم ترد إلا بمعنى الموت وقبض الروح فقط. فقد

ثبت من هذه الكتب بالاستقراء أنه ﷺ لم يستخدم فعل "التوفي" بأي معنى آخر سوى الموت وقبض الروح منذ بعثته إلى آخر لحظة من حياته، وما جرت على لسانه المبارك بأي معنى آخر قط. ولا شك أن الاستقراء أيضا من الأدلة اليقينية، بل الحق أن الدعم الذي تلقيناه من الاستقراء لإثبات الحقائق، ما تلقيناه من أية طريقة أخرى. فمثلا؛ إن الأمور اليقينية التي قد توصلنا إليها - مثل يقيننا أن لكل شخص لسانا وعينين، وأن عمر الإنسان لا يتجاوز عادةً حدَّ كذا وكذا، وأن لحة الحمص أو القمح شكلا كذا وكذا - فقد توصلنا إليها بالاستقراء فقط. فمن أنكر هذا الاستقراء، كان من واجبه أن يذكر لنا أين استخدم النبي ﷺ فعل التوفي بمعنى غير الموت وقبض الروح.

لقد وجه الإمام محمد بن إسماعيل البخاري بدوره الأنظار - في صحيحه - إلى نقطة دقيقة تبين أن النبي ﷺ قد استخدم فعل التوفي سبعة آلاف مرة على الأقل منذ بعثته إلى يوم وفاته، وكان بمعنى الموت وقبض الروح دائما. فهذه النقطة التي بينها الإمام البخاري من جملة النقاط التي يجب أن يشكره عليها طلاب الحق. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٥٨٣-٥٨٥)

قال ابن عباس: متوفيك: مميتك". فقد أورد الإمام البخاري، قول ابن عباس تأييدا لموقفه، ليُعلم أن الصحابة أيضا كانوا يعتقدون أن المسيح ابن مريم قد مات حقا. ثم قام الإمام البخاري بعمل جبار آخر وهو أنه أورد في صحيحه - في مناقب ابن عباس - أن ابن عباس قد روى بنفسه أن النبي ﷺ ضمّه إلى صدره ودعا له: "اللهم علِّمه الحكمة وعلِّمه الكتاب". ولأن دعاء النبي ﷺ مجاب، فإن بيان ابن عباس بأن المراد من "توفي عيسى" المذكور في القرآن الكريم هو إماتته، وكذلك المعنى الذي استنبطه ابن عباس من الآية الكريمة المذكورة جدير بالقبول لأن الدعاء بتعليمه القرآن قد استُجيب في حقه. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٥٨٧)

يُصِرُّ بعض المشايخ المعاصرين بشدة متناهية على أن المسيح ابن مريم لم يمِت، بل رُفِعَ إلى السماء حيا، وما زال موجودا فيها بالحياة المادية والدينية. ويقولون بكل تجاسر ووقاحة بأن فعل "التوفي" الذي ورد في القرآن الكريم بحق المسيح عليه السلام لا يعني الموت، بل معناه الأخذ كاملا؛ أي قبض الجسد أيضا مع الروح. ولكن هذا الاستنباط افتراء سافر منهم. إن الأسلوب الشائع والمتداول في القرآن الكريم بالتزام عام هو أنه قد استخدم هذا الفعل دائما وفي كل مرة بمعنى قبض الروح والإماتة. والأسلوب نفسه ملحوظ في كافة أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وأقواله أيضا. منذ أن عُمرت جزيرة العرب في الدنيا وجاءت اللغة العربية إلى حيّز الوجود، لا يثبت من أي قول من أقوال أهلها القديمة أو الحديثة استخدام فعل "التوفي" بمعنى قبض الجسد. بل كلّما استخدم فعل "التوفي" بحق الإنسان وكان الفاعل هو الله، فقد جاء دائما بمعنى الإماتة وقبض الروح فقط، وليس بمعنى قبض الجسد قط. ولا يخالف هذا المبدأ أيّ كتاب من كتب اللغة على الإطلاق، ولا يعارضه مثْلٌ أو قولٌ من أقوال أهل اللغة؛ أي لا توجد أدنى إمكانية لمخالفة هذا المبدأ. وإذا استطاع أحد أن يقدم - من القرآن الكريم أو حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو من أشعار العرب وقصائدهم، أو من منظومهم ومنثورهم القديم أو الحديث - استخدام فعل التوفي بحق ذوي الأرواح - حين يكون الفاعل هو الله تعالى - بأي معنى سوى قبض الروح والإماتة، أي بمعنى قبض الجسم أيضا؛ فهذا أنا أقرّ قرارا صادقا وشرعيا حلفا بالله جلّ شأنه بأنني سأدفع له ألف روبية نقدا ببيع جزء من أملاكي، وسأعترف أيضا بعلوّ كعبه في علم القرآن والحديث. وكذلك إذا أثبت المولوي محمد حسين البطالوي - أو من كان من شيعته - أن كلمة "الدجال" الواردة في صحيح البخاري ومسلم استخدمت بحق أيّ دجال سوى الدجال المعهود؛ فأقول حلفا بالله الذي نفسي بيده إنني سأدفع له أيضا ألف روبية نقدا، غرامةً عليّ كيفما تيسّر. فليأخذوا مني عهدا خطيا

أو تصريحاً على أوراق رسمية. إنني أخطب في هذا الإعلان بوجه خاص المولوي محمد حسين البطالوي الذي ادّعى كبراً وغروراً أنّ فعل التوفيّ الوارد في القرآن الكريم بحق المسيح عليه السلام قد جاء بمعنى الاستيفاء، أي الأخذ بالكامل، أي رفع الجسد حياً والروح على هيئتهما، وعدم ترك أيّ جزء من الوجود المكوّن من الجسد والروح، بل قبضه بالكامل حياً وسالماً على هيئته الموجودة. وإنني أنشر هذا الإعلان مقروناً بالشرط رفضاً لهذا المعنى.

كذلك قد ادّعى المولوي محمد حسين ادّعاء كبيراً - بناء على أهوائه النفسانية، وجهلاً منه بأن كلمة "الدجال" التي أُطلقت على الدجال المعهود مراراً في صحيح البخاري ومسلم - قائلاً بأن "الدجال" ليس اسماً خاصاً بالدجال المعهود، بل قد أُطلق في تلك الكتب على دجالين آخرين أيضاً. وعند ادّعائه هذا أعلن أيضاً بكل قوة وشدة علوّ كعبه في علم الحديث. فنشرت هذا الإعلان المقرون بالشرط رافضاً هذا المعنى الواسع لكلمة "الدجال"، ومدّعياً أن هذه الكلمة قد أُطلقت على الدجال المعهود حصراً، واختصّت به كعلم.

فلو تمكّن المولوي محمد حسين - ومن كان على شاكلته من المشايخ - من إثبات ادّعائهم المذكور والمتعلق بفعل "التوفيّ" و "الدجال" لاستحقوا ألف رويّة، وسأُنشر أيضاً في بضع الجرائد إقراراً عاماً بأن المولوي محمد حسين وأقرانه علماء ومحدّثون ومفسرون كبار فعلاً، ومطلعون على أسرار القرآن الكريم والأحاديث النبوية ودقائقهما. وإن لم يثبت ذلك، فسيستبين أنهم عاجزون عن فهم معاني القرآن والحديث السطحية أيضاً دَعَ عنك الدقائق والحقائق، بل هم أغبياء وخبثاء وأعداء الله والرسول في الخفاء، مختلقين، إلحاداً منهم، معاني جديدة من عند أنفسهم، ومعرضين عن المعاني الحقيقية. كذلك لو أثبت أحد أن الآيات القرآنية والأحاديث التي تصرّح بعدم عودة الأموات إلى الدنيا ليست قطعية الدلالة، ولو أثبت أيضاً أن

فعل التوفي قد استُخدم مكان الموت والإماتة التي لها عدة معانٍ مثل النوم والغشي والكفر والضلالة والاحتضار أيضاً، مثل: "توفاه الله مائة عام ثم بعثه"، لأعطيته أيضاً ألف روية نقدًا دون أدنى تردد. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٦٠٢-٦٠٥)

**السؤال:** إذا كان المسيح ابن مريم مات في الحقيقة، فهل الفكرة الشائعة منذ ١٣٠٠ عام والقائلة برفع المسيح إلى السماء حيا ثبت اليوم بطلانها؟

**أما الجواب:** فليكن معلوماً أنه من الافتراء المحض القول بأنه قد اعتُقد منذ ١٣٠٠ عام بالإجماع أن المسيح قد رُفع إلى السماء بجسده حيا. من الواضح أنه لو أجمع السلف والخلف على قول واحد لما أورد المفسرون أقوالاً مختلفة. ولكن هل من تفسير يخلو من أقوالٍ مختلفٍ فيها بهذا الشأن؟ يقولون مرة بأن المسيح رُفع في حالة النوم، ويقال مرة أخرى إنه مات ورُفعت روحه، وأحياناً أخرى يخطئون القرآن الكريم إذ يقولون: يجب أن يسبق قوله تعالى: ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ كلمة ﴿مُتَوَقِّعُكَ﴾ في الآية الكريمة: ﴿إِنِّي مُتَوَقِّعُكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾. فمن البين أنهم لو أجمعوا على قول واحد، لما جمعوا في تفاسيرهم أقوالاً مختلفاً فيها. وما داموا غير مستيقنين بقول واحد فأين الإجماع إذن؟

أما اعتراضهم بأنك أنت الوحيد الذي علمتَ هذا الأمر بعد ١٣٠٠ عام؟ فجوابه أن هذا ليس بقول جديد في الحقيقة، بل إن ابن عباس كان أول من رواه. أما الآن فقد كشف الله تعالى عليّ حقيقة هذا القول وأثبت بطلان الأقوال الأخرى ليُري كرامة عبده الضعيف بهذه الطريقة من حيث القول أيضاً، وذلك كي يفهم العاقلون أن هذا الهدى الخاص إنما هو من الله ﷻ، لأنه إذا كان فهمه بمقدور فهم أو عقلٍ عاديٍّ، لكان بإمكان الآخرين أيضاً أن يبينوا هذه الحقيقة مع جميع أدلتها التي ذكرتها في كتيبي. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٤٥)

يمكن إنزال عقوبة الموت على المجرم بشهادة شخصين، بينما في هذه المسألة هناك شواهد عديدة، ولكنهم مع ذلك مصرّون على الإنكار. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ كُنْتُ آيَاتِي عَلَيْكَ وَأَرَفِعُكَ إِلَيَّ﴾، ثم ورد في القرآن الكريم إقرار المسيح نفسه وهو: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ (المائدة: ١١٨). يتبين من القرآن نفسه أن معنى "التوفي" هو الموت؛ لأن الكلمة نفسها استُخدمت بحق النبي ﷺ أيضا حيث ورد فيه: ﴿وَأَمَّا نُزُيْنُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيْنُكَ﴾ (يونس: ٤٧). وقال النبي ﷺ: "فلما توفيتني" تعني الموت. وكذلك وردت الكلمة نفسها بحق يوسف عليه السلام والناس الآخرين أيضا. فكيف يمكن أن يُستنتج منها معنى آخر في هذه الحالة؟! وهذه شهادة قوية على موت المسيح. (الحكم مجلد ١٠، رقم ٣٣، عدد ٢٤٤/٩/١٩٠٦ م ص ٤)

إن الوعد في "رافعك إليّ" هنا هو الوعد نفسه الذي أنجز في الآية: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ (النساء: ١٥٩). والآن، اقرأ الآية التي ورد فيها الوعد، وانظر ما هي الكلمات التي وردت قبله سوف تجد على الفور أن الكلمات التي سبقتها هي ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾. وبقراءة هاتين الآيتين اللتين تحتوي إحداهما على الوعد والأخرى على إيفاء الوعد سوف ينكشف عليك بجلاء تام أن الأسلوب الذي جاء الوعد به كان من المفروض أن يتحقق أيضا بالأسلوب نفسه. كان الوعد: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ كُنْتُ آيَاتِي عَلَيْكَ وَأَرَفِعُكَ إِلَيَّ﴾ ويتبين من ذلك تماما أن روحه هي التي رُفعت لأن ما يُرفع بالموت هو الروح فقط وليس الجسد. لم يقل الله تعالى في الآية إني رافعك إلى السماء بل قال: ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾. إن الذين يُرفعون إلى الله تعالى بعد الموت تُستخدم في حقهم مثل هذه الكلمات، أي رُفعوا إلى الله أو رجعوا إليه كما يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ \* ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً \* فَادْخُلِي فِي عِبَادِي \* وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر: ٢٨-٣١). وكما أشير في الآية: ﴿إِنَّا لِلَّهِ



وَأِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿البقرة: ١٥٧﴾. (الحق مناظرة دلهي، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ١٦٨)

يتبين بالقطع واليقين من الإمعان في الأسلوب المتداول في القرآن الكريم أن كلمة "التوفي" قد استُخدمت فيه في كل مكان بمعنى قبض الروح عند الموت. وفي آيتين استُخدمت بمعنى قبض الروح الذي يحدث عند النوم، ولكن في هاتين الآيتين أقيمت القرينة، وقد أفهم من ذلك أن المعنى الحقيقي للتوفي هو الموت. أما قبض الروح الذي يحدث عند النوم فهو أيضا لا يعارض موقفنا لأن معناه أيضا أن الإنسان ينام إلى وقت محدد وفي أثناء ذلك يقبض الله روحه، ثم يستيقظ. فهذه قضية مختلفة تماما لا يمكن أن يستفيد منها خصومنا قط. على أية حال، قد وردت كلمة التوفي في القرآن الكريم بمعنى قبض الروح فقط، وكلما استُخدمت في الأحاديث أيضا بحق الإنسان وكان الفاعل هو الله عز وجل فقد جاءت بمعنى الموت دائما، فلا شك أن هذه الكلمة صارت قطعية الدلالة على قبض الروح والموت. كذلك وردت في صحيح البخاري -وهو أصح الكتب بعد كتاب الله- في تفسير الآية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾: متوفيك: ميمتك. ومن الواضح أن في الموت والرفع ترتيبا طبيعيا وهو أن روح كل مؤمن تُقبض أولا ثم تُرفع. والترتيب في الآية يدل على هذا الترتيب الطبيعي إذ قال تعالى ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ أولا، ثم قال ﴿رَافِعُكَ﴾. وإذا قال أحد بأن ﴿رَافِعُكَ﴾ مقدم و﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ متأخر أي أن ﴿رَافِعُكَ﴾ كائن على رأس الآية ثم جاء ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ بعد العبارة: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وبينهما فقرة محذوفة مثل: "ثم منزلك إلى الأرض"، فهذا تحريف كتحرif اليهود الذين لُعنوا بسببه. لأن في هذه الحالة لا بد من قلب الآية رأسا على عقب على النحو التالي: يا عيسى إني رافعك إلى السماء ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم منزلك إلى الأرض ومتوفيك. قل الآن، هل يمكن العثور على

حديث صحيح مرفوع متصل في تأييد هذا التحريف؟ كان اليهود أيضا يقومون بمثل هذه الأعمال إذ كانوا يقدمون بعض الكلمات ويؤخرون الأخرى عند تفسيرهم بعض الآيات برأيهم، وقد جاءت في حقهم في القرآن الكريم آية: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ (المائدة: ١٤). لم يكن تحريفهم لفظيا دائما بل كان من حيث المعنى أيضا، فعلى كل مؤمن أن يحذر هذه الأنواع من التحريف. وإذا كان هذا التحريف مباحا في حديث من الأحاديث الصحيحة فقدمه وسأقبله بكل سرور.

باختصار، لو وُضع أسلوب القرآن العام في الاعتبار عند البحث في آية: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ وأريد إنقاذ الآية من التحريف فأَيُّ معنى آخر يمكن استنباطه سوى معنى الموت؟

والجدير بالانتباه أيضا أن ما ورد في الآية هو: ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ ولم يرد رافعك إلى السماء. والحكمة في ذلك أن الروح ليست شيئا يقيّد بالمكان بل علاقاتها مجهولة الكنه. فبعد الموت تكون للروح علاقة بالقبر أيضا نوعا ما، وتنكشف على أهل الكشف عند كشف القبور فيستطيعون أن يروا أصحاب القبور جالسين في قبورهم بل تحدث بينهم وبين أهل الكشف المكالمات والمخاطبات أيضا بوضوح. وهذا ثابت بجلاء من الأحاديث الصحيحة. كما أن الحديث "صلاة في القبر" معروف. وثابت من الأحاديث أن الأموات يسمعون صوت الأحذية الناشئ عن المشي ويردّون على التحية أيضا، مع ذلك تكون لهم علاقة مع السماء ويشاهد تمثّلهم في مكان نقطتهم النفسية، ويكون رفعهم على درجات مختلفة. فبعضهم يبقون في السماء الأولى وبعضهم يصلون إلى السماء الثانية والبعض إلى السماء الثالثة. ولكن تُرفع أرواحهم بعد الموت حتما كما يشير إليه بصراحة تامة الحديث الصحيح والآية الكريمة: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ (الأعراف: ٤١). ولكن وجودهم في السماء أو القبور أمر مجهول الكنه. لا

يصحبهم الجسد المادي حتى يستلزم وجودهم في مكان معين وحيز معين كالأجساد المادية، لذلك قال الله تعالى: ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ ولم يقل "رافعك إلى السماء" لأن الذين يموتون لا يُنسَبون إلى مكان معين بل يكونون: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (القمر: ٥٦) أي إذا كان لهم مكان خاص بهم فهو قرب الله تعالى الذي ينالونه بحسب مواهبهم. ما ورد في القرآن الكريم هو: ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾، وإذا استنتجنا منه رفع الجسد واجهنا إشكالا شديدا لأنه يثبت من الأحاديث الصحيحة في صحيح البخاري أن المسيح موجود في السماء الثانية مع ابن خالته. فهل الله تعالى متربع في السماء الثانية حتى يكون وجوده في السماء الثانية مصداق: ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾؟ بل الحق أن المراد منه في هذا المقام هو الرفع الروحاني الذي له علاقة خاصة مع سماء معينة على قدر مراتب المرفوع. اقرأوا في البخاري حديث المعراج وتأملوا فيه.

زبدة الكلام أنه ثابت من كل الوجوه المذكورة آنفا أن عيسى عليه السلام قد مات على وجه القطعية واليقين، ولا شك أن الآية: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ قطعية الدلالة على موته عليه السلام. هذا ما يدل عليه الأسلوب الشائع في القرآن الكريم. وقد ورد في رواية عن ابن عباس في صحيح البخاري معنى متوفيك: مميتك. لم ينقل البخاري ولا مسلم في صحيحهما معنى آخر فقط لـ "متوفيك" برواية أي صحابي. بل من الثابت المتحقق أنه إذا كان الفاعل هو الله والمفعول به هو الإنسان فلا معنى له إلا قبض الروح على الإطلاق. فبناء على ذلك نشرث إعلان جائزة قدرها ألف روبية. إذا لم تكن هذه الآية قطعية الدلالة على وفاة المسيح فيجب عليك أن تردّ على الأدلة المذكورة آنفا وكذلك الأدلة المذكورة مفصلا في كتابي "إزالة الأوهام"؛ فتتال ألف روبية وتتال أيضا صيتا علميا بين إخوتك. (الحق، مناظرة دلهي، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ٢١٤-٢١٦)

الدليل الثاني على وفاة المسيح ابن مريم هو حديث رسول الله ﷺ الذي أورده الإمام البخاري في كتاب التفسير في صحيحه ليدل على أن معنى ﴿لَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ (المائدة: ١١٨) هو "لما أمتني". كما أورد للغرض نفسه رواية عن ابن عباس: متوفيك: مميتك، ليبين أن معنى ﴿لَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ هو المعنى نفسه الذي بينه ابن عباس لـ ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾. ففي هذا المقام يفهم كل ذي فهم بسيط أيضا بقراءة صحيح البخاري بالتدبر أن معنى ﴿تَوَفَّيْتَنِي﴾ هو "أمتني". لا شك أن نبينا الأكرم ﷺ قد توفّي، وضريحه المبارك موجود في المدينة المنورة. فلما اختار النبي ﷺ لفظ ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ لنفسه كما جاء في البخاري، واستخدمه بحقه هو كما استخدم بحق عيسى ﷺ، فهل بقي من شك في أن عيسى بن مريم قد توفّي كما توفّي النبي ﷺ؟ من المعلوم أن التحريف في آيات القرآن الكريم أو في مفهومها لا يجوز بحال من الأحوال. وإن صرف أي لفظ عن المعنى المراد منه ومفهومه الحقيقي قصدا إلى معنى آخر إلحاذ لا يجوز ارتكابه لنبي أو غيره. فكيف كان ممكنا إذا أن يستخدم النبي المعصوم ﷺ عبارة ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ (المائدة: ١١٨) بحقه - ويرتكب التحريف والعياذ بالله - إلا إذا كانت هناك مماثلة تامة بين موته وموت المسيح التي كانت حاصلة فعلا. بل الحق أن سيدنا ومولانا إمام المعصومين وسيد المحفوظين ﷺ (روحي فداء سبيله) قد استخدم عبارة ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ بحقه بكل أمانة وصدق بالمعنى المحدد تماما كما وردت بحق عيسى ﷺ.

فيا أيها الإخوة، إذا كان سيدنا ومولانا ﷺ قد رُفع إلى السماء بجسده المادي ولم يمت وضريحه المطهر ليس موجودا في المدينة فاشهدوا أنني أؤمن بأن عيسى أيضا يكون قد رُفع إلى السماء بجسده المادي. أما إذا كان سيدنا ومولانا وسيد الكل، خاتم المرسلين، أفضل الأولين والآخرين أول المحبوبين والمقربين قد مات في الحقيقة، فاتقوا الله، وأمعنوا النظر في العبارة: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ الطيبة التي بينها سيدنا ومولانا

كقاسم مشترك بينه وبين ذلك العبد الصالح الذي اسمه المسيح ابن مريم. لماذا أورد البخاري آية سورة آل عمران: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ في هذا المقام؟ ولماذا روى عن ابن عباس: متوفيك: مميتك؟ لقد كتب شارح البخاري في الصفحة ٦٦٥ سببه وقال: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾: مميتك، هذه الآية من سورة آل عمران، قيل وذكر ههنا لمناسبة ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ (المائدة: ١١٨). أي أن معنى هذه اللفظة من سورة آل عمران الذي استنبطه البخاري رواية عن ابن عباس: "متوفيك: مميتك"، ليشرح معنى ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾، وإلا ليس هناك سبب لإيراد هذه اللفظة من سورة آل عمران هنا. انظروا الآن، فقد قبل شارح البخاري أيضا أن الإمام البخاري أورد عبارة "متوفيك: مميتك" استشهادا لتفسير الآية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ (المائدة: ١١٨). ماذا عسى أن يكون هدف الإمام البخاري من إيراد هاتين الآيتين معا من موضعين مختلفين إلا أنه قد أثبت وفاة عيسى عليه السلام بقول رسول الله ﷺ الخاص. أما الآن وقد ثبتت وفاة عيسى بحديث مرفوع متصل - كما طلبته من قبل - ورد في أصح الكتب بعد كتاب الله وتطابقت معه شهادة القرآن الكريم القطعية الدلالة وبين الصحابي الجليل ابن عباس موته عليه السلام، فهل بقيت هناك حاجة إلى أي إثبات بعد هذا الإثبات المضاعف؟ لا أريد أن أكتب هنا مزيدا من الأدلة إذ إن كتابي "إزالة الأوهام" موجود فاكتب الرد عليه إن استطعت، سيتبين الحق تلقائيا. لقد مات عيسى عليه السلام وليس بوسعك الآن أن تُحييه بحال من الأحوال. (الحق، مناظرة دلهي، الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ص ٢١٦-٢١٨)

يظن بعض الجاهلين أن الآية: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ تتضمن وعدًا بموت المسيح فقط ولا يتبين منها سوى أن الله تعالى سيُميتُه في وقت من الأوقات، ولا يترشح منها أنه قد أماته سابقا. ولكنهم لا يفكرون أنه تعالى قد أخبر بتحقيق الوعد أيضا حين قال على لسان المسيح عليه السلام نفسه: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ (المائدة: ١١٨).

وإضافة إلى ذلك من الجدير بالتفكير أيضا أن وعد الله تعالى بأنه فاعل كذا وكذا يدلّ على أن ذلك الوعد على وشك التحقق دون تأخير، وليس أن يتحقق وعد الرفع فوراً ويبقى وعد التوفيّ معلّقاً لا يكاد يتحقق منذ ما يقارب ألفي عام؟ (مرآة كمالات الإسلام، الخزانة الروحانية، المجلد ٥، ص ٤٥-٤٦)

"وأنتم تعلمون أن الله قد ردّ على أقوالكم في كتابه، وذكر موت المسيح بلفظ التوفيّ كما ذكر موت نبيّنا بذلك اللفظ، فأنتم تؤوّلون ذلك اللفظ في المسيح، وأما في سيدنا فلا تؤوّلونه، فتلك إذّا قسمة ضيزى وخيانة في دين الله". (تحفة بغداد الخزانة الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٠)

"وأما لفظ التوفي الذي يوجد في القرآن في حق المسيح وغيره من بني آدم فلا سبيل فيه إلى تأويل أخرى بغير الإماتة، وأخذنا معناه من النبي ومن أجلّ الصحابة لا من عند أنفسنا. وأنت تعلم أن الإماتة أمر ثابت دائم داخل في سنن الله القديمة، وما من رسول إلا تُؤيّى وقد خلت من قبل عيسى الرسل. فإذا تعارض لفظ التوفي ولفظ النزول. وإن سلّمنا وفرضنا صحة الحديث فلا بد لنا أن نقول لفظ النزول، فإنه ليس بموضوع لنزول رجل من السماء، بل وُضع لنزول مسافر من أرض بأرض". (نور الحق، الجزء الأول الخزانة الروحانية، المجلد ٨، ص ٦٩-٧٠)

"انظروا في الرسالة "الفوز الكبير وفتح الخبير" التي هي تفسير القرآن بأقوال خير البرية، وهي من ولي الله الدهلوي حكيم الملة، قال: متوفيّك: مميتك. ولم يقل غيرها من الكلمة، ولم يذكر معنى سواها اتّباعا لمعنى خرج من مشكاة النبوة". (إتمام الحجة، الخزانة الروحانية، المجلد ٨، ص ٢٧٩)

إن الله ﷻ استخدم كلمة التوفي بحق المسيح ﷺ في آيتين في القرآن الكريم، وقد وردت الكلمة نفسها في القرآن الكريم بحق نبينا ﷺ أيضاً، كما ذكر الله ﷻ الكلمة نفسها في دعاء يوسف ﷺ أيضاً، ووردت في آيات كثيرة أخرى. وبإلقاء

نظرة على كل هذه الآيات يستطيع كل ذي طبع منصف أن يدرك بقناعة كاملة أن كلمة التوفي لا تعني في كل آية غير الإمامة وقبض الروح، كما أن كُتِبَ الحديث هي الأخرى زاخرة بهذا التعبير. ستجدون ورود كلمة التوفي في مئات الأحاديث، فهل يمكن أن يُثبت أحدٌ أنها قد وردت في أي موضع من تلك المواضع في غير معنى الإمامة؟ كلا لا يمكن. بل لو قيل لأي عربي أُمِّي "تُوفِّي زيدٌ" فلن يفهم من ذلك إلا أن زيدا قد مات. اتركوا تعبير العرب المتداول الشائع أيضا جانبا، ولنرَ أنه من الثابت من ملفوظات النبي ﷺ المباركة أنه كلما مات أي صحابي أو أحد أقاربه عبَّرَ ﷺ عن وفاته بكلمة التوفي حصرا. ثم عندما مات ﷺ نفسه قال الصحابة بحقه إنه توفي. وكذلك استخدموا الكلمة نفسها للتعبير عن موت أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. باختصار؛ قد ورد الخبر بموت جميع الصحابة خطيا وشفهيا بكلمة التوفي حصرا. وتقررت هذه الكلمة كلمة شرف للتعبير عن وفاة المسلمين، فحين ترد هذه الكلمة نفسها بحق المسيح ﷺ فلماذا تختزع لها معانٍ أخرى؟ وإن لم تقبلوا قرار التعبير الشائع فالطريق الثاني للحكم هو أن تنظروا بم فسر النبي ﷺ والصحابة كلمة التوفي الواردة بحق المسيح ﷺ في القرآن الكريم. فقد بحثنا في هذا الباب أيضا وتبين لنا بعد التحري أنه قد ورد في صحيح البخاري - كتاب التفسير - معنى "فلما توفيتني" على لسان النبي ﷺ الإمامة فقط، ثم في الموضع نفسه قد ورد قول ابن عباس رضي الله عنه: "متوفيك أي مميتك". أي يا عيسى أنا سأُميتك. (إتمام الحجة، الخزائن الروحانية، المجلد ٨، ص ٢٩٢-٢٩٣)

الحديث لم يعارض القرآن في مسألة وفاة المسيح في أي موضع قط، بل صدَّقه. فقد ورد في القرآن الكريم ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ وورد في الحديث "مميتك"، وفي القرآن ورد ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾، وفي الحديث أثبت النبي ﷺ باستخدام جملة فلما توفيتني نفسها بحقه دون أي تغيير أو تعديل على أنها تعني الإمامة لا غير. ويُستبعد من شأن النبي

ﷺ أن يحرف المعاني التي أرادها الله، بحيث يبين لآية من القرآن الكريم التي تعني الرفع حيًّا أنها تعني الإماتة وذلك باستخدامها بحق نفسه. فهي خيانة وتحريف؛ وإن نسب هذه العملية الخبيثة إلى النبي ﷺ فسق من الدرجة الأولى في رأيي بل هو قريب من الكفر. من المؤسف ما آل إليه مآل هؤلاء المشايخ الخونة بغية إثبات حياة عيسى ﷺ، بحيث يصفون النبي ﷺ محرف القرآن والعياذ بالله. فماذا نقول سوى: لعنة الله على الخائنين الكاذبين. كان الأمر سديداً وقويماً أن نبينا ﷺ نسب آية ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ إلى نفسه بالضبط كما كانت منسوبة إلى عيسى ﷺ، ولم يقل إن هذه الآية إذا وردت بحق عيسى ﷺ يكون لها معنى آخر مختلف عن معناها في حال نسبتها إلي. مع أنه إذا كان النبي ﷺ ينوي أي تغيير وتبديل معنوي لكان واجبا عليه أن يقول درءاً للفتنة عند هذا التشبيه والتمثيل: حذار أن تفهموا من كلامي هذا عندما سوف أقول لله ﷻ يوم القيامة: "فلما توفيتني" وأثبت له بذلك أن الفاسدين فسدوا بعد وفاتي، حذار أن تفهموا أن المسيح ﷺ أيضا سوف يقصد من هذا القول إن الذين فسدوا من أمته فإنما فسدوا بعد وفاته. لأنني حين أستخدم هذه الجملة فأقصد وفاتي، أما المسيح ﷺ فحين تصدر من فمه هذه الجملة فلن يقصد من ذلك وفاته، بل سيكون مراده من استخدام هذه الجملة رفعه حيًّا! لكن النبي ﷺ لم يبين هذا الفرق. ومن هنا ثبت قطعا أن النبي ﷺ قصد معنى واحداً في كلا الموضعين. فالآن يجب أن ننظروا بفتح العينين أنه ما دام النبي ﷺ وعيسى ﷺ كلاهما مشتركان في جملة "فلما توفيتني"، فكأن هذه الآية نزلت بحق كليهما، وأي معنى تبينونه لهذه الآية سينطبق على كليهما. فإن قلتم إن المراد هنا من التوفي الرفع حيًّا إلى السماء فلا بد لكم من الإقرار بأن في هذا الرفع المادي حيًّا لم ينفرد عيسى ﷺ به، بل قد رُفِعَ نبينا ﷺ أيضا إلى السماء حيًّا. لأن الآية تشملهما على حدٍّ سواء. ومعلوم أن النبي ﷺ لم يرفع إلى السماء حيًّا، بل قد توفي



وقبره المبارك موجود في المدينة المنورة. فهذا يستلزم الإيمان بأن عيسى عليه السلام أيضا كان قد توفي. (إتمام الحجة، الخزان الروحانية، المجلد ٨، ص ٢٩٥-٢٩٦)

القرآن الكريم ذكر رفعه إلى الله لا إلى السماء. ثم حين قال الله تعالى: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ خُذْ زِينَتَكَ وَارْفَعْكَ إِلَيْنَا﴾ فيفهم منه قطعاً أن الرفع حدث بعد الموت، لأن الآية تعني: إني سأُمِيتُكَ وأُرفِعُكَ إلي. فأَيُّ شك في أن عباد الله الصالحين يُرَفَعُونَ إلى الله بعد الوفاة. فرفع الصالحين بعد الوفاة من سنة الله، إلا أن رفع الجسم بعد الوفاة لا يندرج ضمن سنة الله. أما القول بأن التوفي هنا يعني النوم، فإلحاحاً محض. لأن في صحيح البخاري رواية عن ابن عباس: "متوفيك: مميتك". وفي تأييده أدرج البخاري في المكان نفسه حديث النبي صلى الله عليه وسلم. فبيان المعنى المخالف لمعنى التوفي الثابت من ابن عباس ورسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه في محل النزاع؛ هو طريق الإلحاد. فليس للمسلم إثبات أكبر من أن النبي صلى الله عليه وسلم نفسه بيّن هذا المعنى المتنازع فيه. فمن أشنع الإلحاد ترك معنى النبي صلى الله عليه وسلم. (القول الحق، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٠٨)

"وأما نحن فما نقول في معنى التوفيّ إلا ما قال خير البريّة، وأصحابه الذين أوتوا العلم من منبع النبوة، وما نقبل خلاف ذلك رأيٍ أحدٍ ولا قول قائل، إلا ما وافق قول الله وقول خير المرسلين. وإذا حصّص الحق في معنى التوفيّ من لسان خاتم النبيين، وثبت أن التوفيّ هو الإمامة والإفناء، لا الرفع والاستيفاء، كما هو زعم المخالفين." (مكتوب أحمد، "عاقبة آثم"، الخزان الروحانية، المجلد ١١، ص ١٣٠-١٣١)

"لا يمكن لأحد أن يأتي بأثر من الصحابة أو حديث من خير البريّة، في تفسير لفظ التوفي بغير معنى الإمامة، ولا يقدرّون عليه أبداً ولو ماتوا بالحسرة، فأَيُّ دليل أكبر من ذلك لو كان في قلب مثقال ذرة من الخشية." (مكتوب أحمد، "عاقبة آثم"، الخزان الروحانية، المجلد ١١، ص ١٣٣)

"وأما لفظ التوفيّ الذي يُفتشونه في اللسان العربية، فاعلم أنه لا يُستعمل حقيقةً إلا للإماتة في هذه اللهجة، سيّما إذا كان فاعله الله والمفعول به رجلاً أو من النسوة، فلا يأتي إلا بمعنى قبض الروح والإماتة. وما ترى خلاف ذلك في كتب اللغة والأدبية، ومن فتش لغات العرب، وأنضى إليها ركاب الطلب، لن يجد هذا اللفظ في مثل هذه المقامات إلا بمعنى الإماتة والإهلاك من الله رب الكائنات. وقد ذُكر هذا اللفظ مراراً في القرآن، ووضع الله في مواضع الإماتة وأقامه مقامها في البيان. والسرّ في ذلك أن لفظ التوفيّ يقتضي وجود شيء بعد الممات، فهذا ردُّ على الذين لا يعتقدون ببقاء الأرواح بعد الوفاة، فإن لفظ التوفيّ يؤخذ من الاستيفاء، وفيه إشارة إلى أخذ شيء بعد الإماتة والإفناء، والأخذ يدل على البقاء، فإن المعدم لا يؤخذ ولا يليق بالأخذ والاقتناء. وهذا من العلوم الحكّمية القرآنية، فإنه رجع القومَ إلى لسانهم المباركة الإلهامية، ليعلموا أن الأرواح باقية والمعاد حق، ولينتهوا من عقائد الدهريين والطبعيين." (مكتوب أحمد، "عاقبة آثم"، الخزان الروحانية، المجلد ١١، ص ١٥٣-١٥٤)

"لما كان الملحوظ في معنى التوفيّ مفهوم الإماتة مع الإبقاء، فلاجل ذلك لا يُستعمل هذا اللفظ في غير الإنسان، بل يُستعمل في غيره لفظ الإماتة والإهلاك والإفناء. مثلاً لا يقال توفيّ الله الحمار، أو القنفذ والأفعى والفأر، فإن أرواحها ليست بباقية كأرواح آدميين." (مكتوب أحمد، "عاقبة آثم"، الخزان الروحانية، المجلد ١١، ص ١٥٤، الحاشية)

"وفحصتُ كلام القوم وتصفّحت، فما وجدتُ لفظ التوفيّ في كلام أو شعر الشعراء، إلا بمعنى الإماتة مع الإبقاء، وما استعملوا في غيره إلا بعد إقامة القرينة والإيماء، وما جاءوا به في صورة كون الله فاعلاً إلا بهذا المعنى، ويعلمه كل أحدٍ من علماء العرب من الأعلى إلى الأدنى؛ وإذا كتبت مثلاً إلى أحدٍ من أهل هذا اللسان،

أن الله تَوَقَّى فلانا من الأحباب أو الجيران، فلا يفهم منه هذا العربي إلا وفاة ذلك الإنسان، ولا يزعم أبداً أنه أنامه أو رفعه بالجسم من ذلك المكان، بل يسترجع على موته كما هو عادة المؤمنين. " (مكتوب أحمد، "عاقبة آثم"، الخزان الروحانية، المجلد ١١، ص ١٥٦)

لقد تبين الآن بجلاء معنى الوحي المنشور في البراهين الأحمدية قبل سبعة عشر عاما: "يا عيسى إني متوفيك"، أي كان قد أوحى هذا الوحي إلى عيسى عليه السلام طمأنة عندما كان اليهود يسعون لصلبه، أما هنا فالهندوس يسعون بدلا من اليهود، وهذا الوحي يعني أنه ﷺ سيعصمني من موت الذلة واللعنة من هذا القبيل، انظروا كيف حقق هذا الحادث اسمي عيسى. (السراج المنير، الخزان الروحانية المجلد ١٢، ص ٢٣ الحاشية)

﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ خُذْ زِينَتَكَ وَلَا تَبْلُغْ الْمُدُنَ الْمُعَذَّبَةَ﴾ كانت هذه الآية قد نزلت على المسيح ابن مريم حين كانت نفسه تكاد تهتزق بسبب مكاييد اليهود، وكان اليهود يخبثهم يسعون ليهلكوه على الصليب لكي يُثبتوه ملعونا- بحسب مدلول عبارة من التوراة- لأنه (بزعمهم) مات موت المجرمين؛ فقد ورد في التوراة أن من قُتل على الخشبة فهو ملعون. ولما كان للصليب علاقة بعقاب المجرمين حيث كان كل قاتل وخبيث وقح يُعدم بالصلب، لهذا كان الله ﷺ قد حرّم الصلب على الصادقين لكي لا يشبهه الطيب بالخبيث، فمن العجيب أن أي نبي لم يصلب لكيلا يلتبس صدقهم على العامة.

باختصار؛ كان الله ﷺ قد طمأن المسيح عليه السلام بهذه الآية عند اضطرابه يوم كان اليهود يبذلون قصارى جهدهم لصلبه في كل حال. الآن حين نزلت هذه الآية على هذا العبد المتواضع في الوحي وهي مسجلة في البراهين الأحمدية، ففيها إشارة لطيفة إلى أن هذا العبد المتواضع أيضا سيتعرض لمثل هذا الحادث، بحيث يحيك الناس مكاييد القتل أو الصلب، لكي أنال عقوبة المجرمين ويلتبس الحق على الناس، ففي

هذا الوحي سَمَّاني الله ﷻ عيسى، ووعدني بأنه هو الذي سيتوفاني ليشير إلى أن هذه المكاييد لن تنجح وأنه سيحفظني من شرورهم. (السراج المنير، الخزائن الروحانية المجلد ١٢ ص ٤٣-٤٤)

عيسى عليه السلام هو الآخر كان بحاجة إلى هذه البشارة، لأن روحه كانت عرضة للخطر بسبب تهديدات اليهود اليومية، إذ كان اليهود يهددونه بالقتل بأسلوب يخص المجرمين ويلصق بالمقتول وصمة عار أيضا بحسب نصوص التوراة، لهذا قد أنقذه الله في هذا الوقت المليء بالأخطار من الموت النجس واللعين. فهذا الإلهام الذي نزل على هذا العبد المتواضع في كلمات هذه الآية، يضم نبوءة لطيفة صدرت قبل ١٧ عاما من اليوم وتعرب بصوت عال أنني أيضا سأعرض لحادث مماثل، وإن خطاب الله لي بعد تسميتي بعيسى: "يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي" يبين في الحقيقة الحادثة التي تعرّض لها عيسى عليه السلام، وهي أن اليهود أرادوا قتله ليثبتوا كاذبا، واتخذوا الصلب وسيلة لإعدامه، لأن المصلوب ملعون. ومن مدلول اللعنة أن الإنسان الملعون يكون عديم الإيمان ومُعْرَضاً عن الله وبعيدا ومهجورا، وذلك ليثبتوا أنه كان كاذبا، فطمأنه الله ﷻ قائلا: لن تموت بموت يدل على أنك ملعون وبعيد عن الله ومهجور، بل سوف أرفعك إلي؛ أي سأثبت أنك مقرب لي وأن اليهود سيُخفَقون في قصدهم هذا. فكانت كلمة "رافعك" تتضمن نبوءة خفية ببعثة نبينا عليه السلام، لأن الحق الذي كان هناك وعُد بأنه سيظهر أكثر، قد ظهر ببعثة نبينا عليه السلام، ولم يترك الله نبيا صادقا له دون شهادة. (السراج المنير الخزائن الروحانية، المجلد ١٢، ص ٤٦-٤٨)

لقد وُعدت أنا العبد المتواضع أيضا: إني سأتوفاك وأرفعك إلي، فقد أوحى الله بحقي أيضا هذه الآية نفسها التي يستنبط منها المشايخ رفع الجسم، وقد أثبتُ بأدلة أن هذه الآية قد نزلت بحقي أيضا، فهل ينبغي الاعتقاد بحقي أيضا أي سوف أرفع بالجسم المادي إلى السماء، إن قُلتُ إن إلهامك غير ثابت فهذا عذر سخي، وذلك

لأن النبوءة اللطيفة التي يحويها هذا الألهام قد تحققت، إذن فهذا الدليل وحده ثبت صدق الإلهام. (السراج المنير الخزائن الروحانية، المجلد ١٢، ص ٤٨، الحاشية)

من جملة الحاجات إلى القرآن الكريم رفع الخلاف الدائر بين اليهود والنصارى عن المسيح، فقد حكم القرآن الكريم في هذه النزاعات، فأية ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَرَافِعُكَ إِلَيْنَا﴾ في القرآن إنما هي للبت في هذه القضية نفسها، لأن اليهود كانوا يزعمون أن نبي النصارى أي المسيح عُلق على الصليب، فصار لعينا بموجب ما ورد في التوراة، ولم يُرفع، وهذا يدل على كذبه. أما النصارى فكانوا يقولون إنه لا شك أنه صار لعينا، لكنه تلقى اللعنة من أجلانا وبعده زالت عنه اللعنة ورفع وأجلسه الله على يمينه. فهذه الآية حكمت أنه رفع مباشرة؛ فلم يتعرض لللعنة الدائمة بحسب زعم اليهود التي تمنع رفعه إلى الله، ولم يتلق اللعنة بحسب زعم النصارى لبضعة أيام ثم رفع إلى الله، بل قد رفع إلى الله مع الوفاة. وفي الآية نفسها قد فهمنا الله ﷻ أن هذا الرفع لا يناقض أحكام التوراة، لأن حكم التوراة بعدم الرفع واللعنة يتحقق عندما يُقتل أحد على الصليب، وإن اللعنة لا تتحقق بمجرد تعليق أحد على الصليب أو بتلقي الألم على الصليب الذي لا يؤدي إلى الموت، ولا يستلزم ذلك عدم الرفع، لأن مدلول التوراة أن الصليب وسيلة من الله لإعدام المجرمين، فمن مات على الصليب فقد مات ميتة المجرمين وهي موت اللعنة، غير أن المسيح لم يمت على الصليب وقد أنقذه الله من الموت على الصليب، وتحقق ما قاله من مشاهجة حالته بيونس، فلا يونس مات داخل بطن الحوت ولا المسيح معلقا على الصليب، وسمع دعاؤه "إيلي، إيلي، لما شبقثاني؟" فلو مات لتعرض بيلاطس أيضا للوبال، لأن الملك كان قد أخبر زوجة بيلاطس وأنذرها بالوبال عليه إذا مات يسوع لكن أي وبال لم يصب بيلاطس. كما أن من علامات حياة يسوع أن عظامه لم تُكسر عند الصلب، وخرج الدم عند طعنه بالحربة عند إنزاله عن الصليب وأرى الحواريين جروحه

بعد حادثة الصلب، والظاهر أنه لا يمكن أن تبقى الجروح مع الحياة الجديدة، ومن هنا ثبت أن يسوع لم يمت على الصليب ومن ثم لم يكن ملعونا، ومن المؤكد أنه نال الوفاة الطاهرة ورفع إلى الله بعد الوفاة مثل جميع الرسل الأطهار، وبموجب الوعد ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ قد رفع إلى الله ﷻ، فلو مات على الصليب لعدّ من الكاذبين بموجب قوله، لأنه بذلك لا تتحقق أي مشابهة له بيونس. (الرد على أربعة أسئلة لسراج الدين المسيحي الخزان الروحانية، المجلد ١٢، ص ٣٥٣-٣٥٤)

هذا هو مذهب الشيخ محيي الدين بن عربي أيضاً... أي "رفع عيسى ﷺ باتصال روحه عند المفارقة عن العالم السفلي بالعالم العلوي" ثم كتب في الصفحة ١٧٨ (من تفسيره) أن الرفع يعني أن روح عيسى عند قبضها قد أُوصلت إلى سماء الأرواح. فتدبر. (كتاب البراءة الخزان الروحانية، المجلد ١٣، ص ٢٢-٢٣، الحاشية) من المؤسف أن المشايخ المعاصرين المعوجين قد أُصيبوا بغباء وسفه إذ لا يفكرون أنه إذا كان القرآن الكريم قد ذكر في آية ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾. الرفع الجسماني فما مناسبة ذلك؟ وأيُّ نزاع كان دائراً بين اليهود والنصارى؟ إنما كان أصل النزاع أن اليهود اغتنموا فرصة صلب المسيح ﷺ ليثبتوا أنه كان ملعوناً والعياذ بالله، أي لم يُرفع إلى الله، فحين لم يتم رفعه ثبت أنه كان ملعوناً، لأن اللعنة ضد الرفع إلى الله. فبهذا الإنكار كان يثبت كذب عيسى ﷺ في ادّعائه النبوة، ذلك لأن التوراة قد حكمت بأن المصلوب لا يكون مرفوعاً إلى الله، أي لا تُرفع روحه إلى الله بعد الوفاة كالصادقين، أي لا يفوز هذا الإنسان بالنجاة أبداً. فأراد الله ﷻ أن يبرئ ساحة نبيه الصادق من هذه التهمة، لهذا ذكر في القرآن الكريم ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ (النساء: ١٥٨) وقال ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْفَعْكَ عَلَيْنَا مَوْجِدًا﴾، ليتبين أن اليهود كاذبون، وأن عيسى ﷺ قد رُفع إلى الله كسائر الأنبياء الصادقين، ولهذا السبب لم يقل الله في هذه الآية "رافعك إلى السماء" بل قال ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ لكي يعلم كل

واحد صراحة أن هذا الرفع روحاني وليس جسمانيًا، لأن الله الذي يُرفع إليه الصادقون روحانيٌّ غير مادي، فالأرواح هي التي تصعد إلى الله لا الأجسام.

وحين قدّم الله ﷻ التوفي في هذه الآية على الرفع، فإنما اتخذ هذا الترتيب لكي يعرف الجميع أن هذا هو الرفع الذي يتمتع به الصادقون بعد الموت. ينبغي أن لا نقول محرفين كاليهود إن كلمة التوفي في الحقيقة مؤخّرة وكلمة الرفع مقدّمة، لأن قلب ترتيب القرآن الكريم بناء على مجرد الظنون والأوهام دون أي برهان محكم وقاطع إنما هو فعل أولئك الذين تُشابه طبيعتهم طبيعة اليهود. ثم إذا كانت آية ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ (المائدة: ١١٨)، تصرّح بوضوح أن فساد النصارى وضلالهم كله حصل بعد وفاة عيسى عليه السلام، فالجدير بالتأمل أن الإيمان بأن عيسى عليه السلام ما زال حيًّا يستلزم الإقرار بأن النصارى لم يضلوا بعد، وهذه الفكرة خطرٌ على الإيمان. (كتاب البراءة الخزائن الروحانية، المجلد ١٣، ص ٢٣-٢٥)

في هذه الآية دحض لقول اليهود الذين قالوا بأن عيسى صُلب لذا هو ملعون ولم يُرفع إلى الله تعالى. وقالت النصارى بأنه بقي ملعونًا إلى ثلاثة أيام ثم رُفع. ولقد حكمت هذه الآية أن عيسى رُفع إلى الله تعالى روحانيا بلا تأخير بعد وفاته. ولم يقل الله هنا "رافعك إلى السماء"، بل قال: "رافعك إلي"، لئلا يُظنّ الرفع الجسدي لأن الذي يصعد إلى الله فهو يصعد بالروح لا بالجسد. ومثاله قول الله تعالى: ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ (الفجر: ٢٩). باختصار؛ هكذا حُكم في هذه القضية المتنازع فيها، ولكن معارضيها الجاهلاء الذين يقولون برفع الجسد لا يفقهون أن رفع الجسد لم يكن الأمر المتنازع فيه أصلاً، وإن قبلنا جدلاً هذا الأمر غير ذا الصلة بالموضوع سينشأ السؤال: ما هي الآيات في القرآن الكريم التي تحكم في النزاع الدائر بين اليهود والنصارى المتعلق بالرفع الروحاني؟ فلا بد من العودة إلى هذا الأمر والاعتراف بأن هذه هي الآيات التي تحكم فيه. (مجموعة الإعلانات، المجلد ٢، ص ١٥٤)

أي يا عيسى إني سأميتك، وبعد الوفاة أرفعك إلي وأطهرّك من التهم التي ألصقتها بك أولئك الذين لم يقبلوا صدقك. فالواضح الآن أن الرفع المادي لم يكن قيد البحث هنا، فليس من عقيدة اليهود أبداً أن الذي لم يُرفع بجسمه فليس نبيا أو مؤمنا، فأبي حاجة كانت لبدء هذا البحث السخيف؟ إن كلام الله منزّه من اللغو فهو يحكم في القضايا التي من الضروري البتُّ فيها، فاليهود الأشقياء كانوا يحسبون المسيح ﷺ كافرا وكاذبا ومفتريا والعياذ بالله، وكانوا يقولون إنه لم يحظ بالرفع الروحاني مثل موسى ﷺ وسائر الصالحين، ولحدّ ما بدأ النصارى يوافقونهم الرأي، فحكم الله ﷻ أن كلا الفريقين كاذب وأن المسيح قد رُفع بلا شك إلى الله ﷻ بعد الموت مثلما رُفع جميع الصادقين، فهذا القرار بعينه مثل الذي ورد في الأحاديث أن عيسى وأمه عليهما السلام منزّهان من مسّ الشيطان، وفسر المشايخ الجهلة أن كل من سوى عيسى وأمه ليس منزّها من مسّ الشيطان سواء كان نبيا أو رسولا، أي ليس بريئا، ونسوا آية ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (الحجر: ٤٣)، كما أهملوا آية ﴿سَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ (مريم: ١٦). بينما كان هدف هذا الحديث هو ذبّ اليهود ودفع اعتراضهم، إذ لما كانوا يلصقون بمریم وعيسى عليهما السلام أشنع التهم فقد شهد رسول الله المقدس ﷺ أنه لم يكن أحد من اليهود محفوظا من مسّ الشيطان، فإذا كان أحد منهم بريئا فكان عيسى ﷺ وأمه. وليس المراد من الحديث والعياذ بالله أن عيسى ﷺ وأمه حصراً معصومان من مسّ الشيطان، أما من سواهما فليس بمعصوم منه سواء كان نبيا أو رسولا! (أيام الصلح، الخزانة الروحانية، المجلد ١٤، ص ٣٥٤-٣٥٥)

إن حالة المعارضين مدعاة للرتاء؛ فهم لا يفكّرون أنه إذا كانت آية ﴿يَا عِيسَى﴾ إني مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ لم تهدف إلى بيان الموت الطاهر ولم تقصد بيان الرفع الروحاني ودحض فكرة كونه ملعونا، فأبي حاجة كانت إلى ذلك؟ وأي حاجة دينية



فرضت نفسها للرفع الجسماني، فالمؤسف أنهم يحرفون الأمر السديد بغير حق، إنما القضية أن اليهود كانوا يُنكرون الرفع الروحاني للمسيح بعد وصفه ملعونا. فالآن قُصد من ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ البيان أن عيسى لم يكن ملعونا، بل كان قد رُفع إلى الله. فبكلمة التوفي -التي معناها في البخاري: الإمامة- قد ثبت موثُ المسيح عليه السلام. أضف إلى ذلك أن كلمة ﴿حَلَّتْ﴾ حيثما وردت في القرآن الكريم بحق الناس فإنما جاءت بمعنى الموت، لذا فآية ﴿قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (آل عمران: ١٤٥)، أيضا تثبت وفاة عيسى عليه السلام حصرا. (أيام الصلح، الحزائن الروحانية، المجلد ١٤، ص ٣٥٤، الحاشية) فقد ثبت من قول عبد الله بن عباس في البخاري أن معنى ﴿يَا عِيسَى إِلَيَّ مُتَوَفِّيكَ﴾: يا عيسى إني مميتك. فقد كتب الإمام البخاري في الموضع نفسه حديث النبي ﷺ الذي ورد فيه "كما قال العبد الصالح" فبذلك أشار إلى تفسير النبي ﷺ لهذه الكلمة. فبعد أن قال النبي ﷺ والقرآن الكريم بوفاة عيسى عليه السلام وورد في قول ابن عباس أيضًا، فإن بيان معان أخرى خيانة كفعل اليهود. تأكدوا بالتدبر في القرآن الكريم كله أنه لم يرد للتوفي معنى آخر سوى قبض الروح والإماتة، كما لم تستخدم الأحاديث كلها أيضا كلمة "التوفي" في أي محل غير قبض الروح والإماتة. كما ورد في جميع القواميس حصراً أنه إذا كان الله ﻻ ﻳَﻤُوتُ فاعلا وأحد الناس مفعولا به فلن يُراد من التوفي معنى آخر سوى الموت وقبض الروح، كما في جملة "توفي الله زيدا" مثلاً. فلما تقرّر بهذه الصراحة والتحقيق أن التوفي يعني الإمامة، وقد ثبت من آية ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ (المائدة: ١١٨) أن عيسى كان قد تُوُفِّي قبل فساد النصارى، أي كان قد مات قبل اتخاذهم إياه إلهًا، فعدم قبول موته حتى الآن ليس من آداب الحوار بل هو نوع من الوقاحة. فلما كان الله يقصد إذلالَ الذين كانوا يعتقدون بحياة عيسى عليه السلام عبثًا، أثبت موته من جوانب كثيرة لا من جهة واحدة؛ فقد ثبت موته من كلمة التوفي، ثم ثبت الموت من آية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ

قَبْلَهُ الرُّسُلُ﴾ (آل عمران: ١٤٥)، ثم ثبت الموت من آية ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (المائدة: ٧٦)، ثم ثبت الموت من آية ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ (الأعراف: ٢٦)، ثم ثبت الموت من آية القرآن الكريم ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ (البقرة: ٣٧)، فقد ثبت من هاتين الآيتين أنه لا يمكن أن يستقر الإنسان بحياة جسمانية في السماء. (أيام الصلح، الخزانة الروحانية المجلد ١٤، ٣٨٣-٣٨٥) اذكر يا محمد (ﷺ) فضل ربك ورحمته على عيسى (ﷺ) إذ بشره بأبي ساميتك بموت طبيعي، أي لن تموت مصلوبا، ثم أرفعك إليّ بعد مماتك، أي سأظهر علامات قوية وجليّة على كونك مصطفيّ وصادقا. وسيبقى ذكرك بالخير في الدنيا فيثبت أنك مقربٌ في حضرة الله، ودُعيت إلى حضرته الأقدس، وسأبرئ ساحتك من تُهم توجّه إليك، وسأجعل الذين يتبعونك ويعملون بتعليمك الصحيح غالبين بالحجة والبرهان على الآخرين إلى يوم القيامة، ولن يقدر أحد على مواجهتهم. وسأجعل الذلة على معارضيك والذين يشتمونك، فسيعيشون أذلاء مهانين دائما.

الحق أن الله تعالى قد طمأن سيدنا ونبينا الأكرم ﷺ في هذه الآية الكريمة وبشره بما يتلخص في أن الذين يريدون قتلك ويغون ألا ينتشر هذا النور في العالم سوف تخيب آمالهم ويفشلون. وسينصرك الله تعالى في وقت عصيب كما نصر المسيح عيسى (ﷺ)، وسينقذك من شر الأعداء. وستوجّه إليك تُهم كثيرة ولكن الله تعالى سينزّلك منها وسيجعل حزبك غالبا إلى يوم القيامة.

ففي قوله تعالى: ﴿مُطَهَّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إشارة إلى أن اليهود والنصارى حين وجّهوا تُهما كثيرة إلى المسيح (ﷺ) وعده الله تعالى أنه سيعث بعده نبيا ينزّله من جميع هذه التهم. كذلك فقد أراد الله ﷻ لك - حين يبلغ طعن الأعداء وازدراؤهم في الزمن الأخير ذروته - أن يُعث من أمتك المسيح الموعود لتصديقك الذي سيثبت طهارتك ونزاهتك من كل تهمة وسيجدد معجزاتك.

وفي هذه النبوءة إشارة أيضا إلى أن رسولنا الأكرم ﷺ لن يُقتل، وأن رفعه إلى السماء من حيث نبوته سيلمع كالشمس الساطعة، لأنه سيكون في أمته ألوف من الأولياء. ولقد قيل في هذه النبوءة بكلمات صريحة إن المسيح يموت قبل زمن ظهور ذلك النبي المقدس الذي سينزّهه من اعتراضات معارضيه، لأن الآية الكريمة تحتوي على ترتيب محكم، فقد جاء وعد التوفّي أولا ثم الرفع، ثم التطهير، ثم قيل بعد ذلك أن الله تعالى سيرزق أتباعه الغلبة من كل الوجوه، ويهين معارضيه إلى يوم القيامة. الفساد الكبير سيقع في حالة عدم مراعاة هذا الترتيب الذي أثبتته الأحداث الواقعة. ولا يحق لأحد أن يغيّر في الترتيب القرآني دون الارتكاز على مستند قوي، لأن فعل ذلك إنما هو اتباع اليهود حذو النعل بالنعل. صحيح أنه ليس ضروريا دائما أن يُراعى الترتيب بحرف الواو، ولكن مما لا شك فيه أيضا أن الله تعالى قد أورد في هذه الآية "متوفيك" أولا، ثم "رافعك" ثم أورد "مطهرّك" بعدهما. ولا شك أن كل هذه الكلمات وردت بترتيب محكم اختاره الله العليم الحكيم في كلامه الأوضح والأبلغ، ولا يحق لنا أن نغيّر هذا الترتيب دون سبب. أما إذا كان المفسرون قالوا في تفسير بعض الآيات الأخرى ما يخالف ترتيب القرآن الكريم الحالي فيجب ألا يُفهم من ذلك أنهم فعلوا ذلك من تلقاء أنفسهم أو كانوا محوّلين لذلك، بل لأن بعض نصوص الحديث قد شرحتها على هذا النحو، أو أن القرائن الصريحة الموجودة في القرآن الكريم في مواضع أخرى؛ قد ألجأتهم على غضّ الطرف عن الترتيب الظاهري. ولكن مع ذلك فإن كلام الله الأبلغ والأوضح لا يخلو من الترتيب قط. فإن لم يلاحظ ترتيب ظاهري في فقرة من الفقرات، فلا بد من وجود ترتيب خفيّ فيها من حيث المعنى. ولكن الترتيب الظاهري مقدّم على أية حال، وإن غضّ الطرف عنه دون وجود قرينة قوية؛ إلحادٌ محضٌ وخيانة وتحريف. ولقد صار اليهود ملعونين في نظر الله لنهجهم هذا المنهج فقط. (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٤٥٢-٤٥٦، الحاشية)

ففي الزمن الذي نحن فيه بلغت بذاءة لسان الأعداء ذروتها، وبلغ سوء الكلام والطعن والافتراء درجة لا يمكن أن يُتصوّر أكثر منها. وإلى جانب ذلك فإن حالة المسلمين الداخلية صارت خطيرة جدا؛ إذ قد تطرقت إليهم مئات من البدعات وأصناف الشرك والإلحاد والإباء، وذلك لأن هذا الزمن على وجه القطع واليقين هو الزمن الذي يُفترض أن يُبعث فيه المصلح العظيم بحسب نبوءة: "مظهرك من الذين" وهو أنا، والحمد لله. (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية، المجلد ١٥، ص ٤٥٣، الحاشية)

وإذا قلتم بأننا نقبل وجود الترتيب ولكن لا نقبل أن "التوفي" يعني الموت، فسنردّ على ذلك بجوابين:

الأول: لقد رُوي عن ابن عباس في صحيح البخاري: "متوفيك: مميتك". وبالإضافة إلى ذلك، فكلّ من يتعمّق في جميع الأحاديث والقرآن الكريم ويتأمل في كتب اللغة والأدب، لن يخفى عليه أنه إذا كان الله هو الفاعل لفعل "توفّي" وكان الإنسان مفعولا به، لم يُستخدم في اللغة العربية منذ القدم إلّا بمعنى الموت. ولو أنكر أحد هذا الأصل فعليه أن يثبت لنا من القرآن الكريم أو الحديث أو من كتب الأدب أن لهذه الكلمة معنى آخر أيضا في هذه الحالة. ولو استطاع تقديم الدليل على ذلك من كلمات النبي ﷺ المقدسة لأعطيناه ٥٠٠ روية دون تأخير.

انظروا إلى مدى جاهزيتنا لإنفاق أموال هائلة إظهارا للحق، فلماذا لا يرد علينا أحد؟ لو كانوا على الحق لردّوا على سُؤالي حتما لينالوا المال نقدا. فلما تقرر أن "التوفي" يعني الموت، وهذا ما تبين أيضا من حديث مروي عن ابن عباس، وقد أوردَ "العيني" في شرحه لصحيح البخاري قوله هذا الوارد في صحيح البخاري مرفوعا إلى النبي ﷺ، وهذا هو المعنى الثابت من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة ومن تقصّي كلام بلغاء العرب، ولم يثبت معنى آخر قط، فلا بد من القبول في هذه الحالة أن

هذا الوعد الوارد في هذه الآية الكريمة إنما هو وعد موت طبيعي للمسيح ﷺ. وقد بُشِّرَ فيها أن اليهود الذين خططوا لقتله على الصليب لن ينجحوا في ذلك. فقد طمأن الله تعالى المسيح ﷺ من هذا الخوف ووعدَه بحياة طويلة بحسب قانون الطبيعة الموضوع للإنسان، وقال بأنك ستموت ميتة طبيعية.

والأمر الثاني الجدير بالتمحيص بعد هذا الحكم هو: هل سبق أن تحقق ذلك الوعد أم أن المسيح ﷺ لا يزال حيا؟ ولقد حُكِمَ في هذه المسألة أيضا بجلاء تام، والحكم هو أن ترتيب هذه الآية الكريمة يدل بوضوح أنه ﷺ قد مات؛ لأنه لو كان حيا إلى الآن للزم أنه لم يُرفع بعد، ولم يُطهر، وأن أعداءه لم يواجهوا ذلةً إلى الآن. وواضح أن هذه الفكرة باطلة بالبدهة. (ترياق القلوب، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٤٥٧ - ٤٦٠ الحاشية)

لو أُزِيحت كلمة: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ من عبارة ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ من المكان الذي وضعها الله تعالى فيه لما وُجد مكان آخر مناسب لها إذ لا يمكن وضعها بعد ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ لأنه - بحسب اعتقاد المعتقدين بالرفع الجسدي - لن يحدث الموت بعد الرفع دون فاصل زمني بل لا بد أن تمسك السماءُ المسيحَ ما لم يتحقق وعد التطهير بظهور خاتم الأنبياء. كذلك لا يمكن وضعها بعد ﴿مُطَهَّرُكَ﴾ أيضا لأنه لن يحدث الموت دون فاصل زمني بعد التطهير أيضا بحسب المعتقدين بهذه العقيدة بل سيحدث الموت بعد الغلبة الدائمة لأتباعه. أما الغلبة المذكورة في قوله تعالى ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فإن فترة هذه العبارة ممتدة إلى يوم القيامة، لذا لا يسعنا أن نضع ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ بعدها ما لم تقم القيامة. والمعلوم أن يوم القيامة هو يوم الحشر وليس يوم الموت. فتبين من ذلك أن المسيح ﷺ لن يموت، بل سيصل ميدان القيامة دون أن يموت، وهذه الفكرة تتنافى مع وعد ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾، ولذلك فإن تغيير مكان ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ يؤدي إلى جمع النقيضين،

وهو محال طبعاً، وعليه فإن تأخير العبارة أيضاً محال. وإن لم يكن ذلك محالاً، فليخبرني أحد أين يمكن أن نضع هذه الكلمة؟ أما القول بوضعها بعد ﴿رَافِعُكَ﴾ فقد قلنا قبل قليل إن وضعها هنا مستحيل في كل الأحوال، لأنه ما من أحد يقول بموته بعد الرفع فوراً دون فاصل زمني بينهما ودون وقوع الأحداث المذكورة في الآية. ويحدث الخلل نفسه لو وضعناها في أماكن أخرى كما قلنا آنفاً. وإذا كان التحريف في الترتيب القرآني واستنباط المعاني منه بحسب هذا التحريف جائزاً فإن ذلك يستلزم صحة الصلاة بالترتيب المحرّف، بمعنى أنه سيكون جائزاً أن نقرأ في الصلاة: "يا عيسى إني رافعك إليّ ثم متوفيك" مع أن هذا النوع من التصرف يفسد الصلاة ويدخل في تحريف القرآن. (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٤٦٠، الحاشية على الحاشية)

"وَالْمَرْفُوعُ مَنْ يُسَمَّى كَأَنَّ الْوَصَالَ، مِنْ أَيْدِي الْمَحْبُوبِ الَّذِي هُوَ لِحَّةُ الْجَمَالِ، وَيُدْخَلُ تَحْتَ رِذَاءِ الرُّبُوبِيَّةِ مَعَ الْعُبُودِيَّةِ الْأَبَدِيَّةِ. وَهَذَا آخِرُ مَقَامٍ يَبْلُغُهُ طَالِبُ الْحَقِّ فِي النَّشْأَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ". (الخطبة الإلهامية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٦، ص ٤١-٤٢)

تنبأ القرآن الكريم بكلمات صريحة: ﴿يَا عِيسَى إِنْ مِتُّوْفَيْكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾، أي يا عيسى أنا سأتوفّك، وبعد الوفاة سأرفعك إليّ. لكن معارضينا لم يعملوا بظاهر كلمات النص، ولجأوا إلى تأويلٍ مكروه جدّاً ومليء بالتكلف، أي قد قدّموا كلمة "رافعك" على كلمة "متوفيك"، وقاموا بتحريف صريح، أو أوّل بعضهم كلمة التوفي بالاستيفاء، وهو غير ثابت من القرآن الكريم والأحاديث ولا من علم اللغة. وأضافوا من عندهم رفع الجسم، مع أن ابن عباس رضي الله عنه قد فسّر صراحة - في البخاري - متوفيك بـ "ميتك"، لكنهم أعرضوا عنه. ثم في علم النحو هناك قاعدة لغوية مسلمٌ بها أنه إذا كان الله فاعلاً فعل التوفي وكان الإنسان المفعول به، فمعناه دوماً الإماتة وقبض الروح. لكن هؤلاء لم يبالوا بهذه القاعدة أيضاً، ولم يرد في أيّ من كتب الله،

أن "رُفِعَ إلى الله" تعني أن أحدا رُفِعَ إلى الله بجسمه. لكن هؤلاء فسروا "رُفِعَ إلى الله" هنا بتعنت أنه رُفِعَ بجسمه. وكذلك لم يقدموا أي نظير عند تفسيرهم الباطل لكلمة التوفي، حيث بينوا أن معناها الاستيفاء. فقولوا الآن: مَنْ الذي ترك العمل بظاهر النصوص؟ (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ١٦٢)

إحكام أي حصن فولاذي لا يبلغ إحكام آية وفاة المسيح في القرآن الكريم. ثم كم تناقض النبوءة بنزوله من السماء بجسمه المادي نبوءة الموت؟! تدبروا قليلا. وقد أفهمنا القرآن الكريم، باستخدام كلمتي "التوفي" و"الرفع" بمعنى واحد في آيات عديدة في محل الموت والرفع الروحاني، أن التوفي يعني الإماتة، أما الرفع إلى الله فمعناه رُفِعَ الروح إلى الله. ثم إن معنى لفظ التوفي قد تبين بجلاء من حيث الحديث أيضا، ففي البخاري رواية عن ابن عباس "متوفيك: مميتك"، أي أن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فسر ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ بأني مميتك حصرا. وقد حصل إجماع الصحابة أيضا على أن عيسى ﷺ قد توفي والتحق بالأرواح السابقة. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ١٦٣-١٦٤)

لماذا تفسر جملتنا ﴿وَرَأَفَعَكَ إِلَى﴾ (آل عمران: ٥٦) و﴿بَلَّ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ (النساء: ١٥٩)، بأن المسيح ﷺ قد رُفِعَ إلى السماء؟ فهذه الكلمات لا تعني ذلك، أما إذا كان هناك حديث ورد فيه هذا الشرح فيجب تقديمه، وإلا عُدَّ ذلك تحريفا كتحرif اليهود. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ٩٧، الحاشية)

"يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْقُطْ فِي الْكِتَابِ" وَمُطَهَّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

المراد من عيسى في هذا الوحي الإلهي هو أنا، والمراد من التابعين هم جماعتي. لقد جاءت هذه النبوءة في القرآن الكريم بحق عيسى ﷺ. والمراد من قوم مغلوين هم اليهود الذين ظل عددهم يقلّ يوما بعد يوم. ففي إنزال هذه الآية مجددا بحقي

وبحق جماعتي إشارة إلى أنه من المقدر أن عدد الذين ليسوا من هذه الجماعة سيتضاءل رويدا رويدا، وأن جميع فرق المسلمين الذين ما زالوا خارج هذه الجماعة سيتضاءل عددهم أيضا يوما بعد يوم نتيجة دخولهم هذه الجماعة أو سيُقضى عليهم رويدا رويدا كما قلّ عدد اليهود شيئا فشيئا حتى بقيت قلة قليلة جدا منهم، كذلك تماما ستكون عاقبة معارضي هذه الجماعة. وسيغلب أفراد هذه الجماعة على الجميع من حيث عددهم وقوة مذهبهم. (البراهين الأحمديّة، الجزء الخامس الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٩٤-٩٥)

"قال الله ﷻ ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْفَعْكَ وَإِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾. فقدّم التوفي على الرفع كما أنتم تقرّون. فهذا حكم الله، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون. ولا ينبغي لأحد أن يحرف كلم الله عن مواضعها وقد لعن الله المحرفين كما أنتم تعلمون." (البراهين الأحمديّة، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية المجلد ٢١، ص ٣٢١، الحاشية)

قال صاحب تفسير "الكشاف" في تفسير الآية: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾، إني مميتك حتف أنفك. إن آية القرآن الكريم: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْفَعْكَ وَإِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ تحكم في النزاع كله، لأن معارضينا يقولون بأن عيسى عليه السلام رُفِعَ حيًّا، ويقول الله تعالى في هذه الآية بأن رفعه كان بعد الممات. واأسفا على قوم يدّعون خلاف نص كتاب الله الصريح! يبين القرآن الكريم والكتب السابقة كلها وكذلك الأحاديث الشريفة أنه لا رفع بعد الموت إلا الرفع الروحاني، وهو ضروري لكل مؤمن بعد موته. يقول بعض المتعصبين حين يعوزهم الجواب في هذا المقام بأنه يجب أن تُقرأ هذه الآية كالتالي: يا عيسى إني رافعك إليّ ومتوفيك، وكأن الله تعالى أخطأ إذ قدّم ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ على ﴿رَافِعُكَ﴾ فقال: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْفَعْكَ وَإِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ بينما كان عليه أن يقول: يا عيسى إني رافعك إليّ ومتوفيك. يا أسفاه! ما أشنع بلاء التعنت إذ يحرفون كتاب الله من أجله! التحريف عمل نجسٌ وهو العمل نفسه الذي



بسببه لُعن اليهود ومُسخوا. أما هؤلاء القوم فمستعدون الآن للتحريف في القرآن الكريم، ولولا الوعد: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ١٠) لكان من المتوقع من هؤلاء القوم أن يكتبوا في القرآن الكريم: يا عيسى إني رافعك إليّ ومتوفيك، بدلا من الآية: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ كُنْ هَاجِرًا وَنَاجِيًا﴾ ولكن التحريف من هذا القبيل ليس ممكنا، لأن الله تعالى أكّد في هذه الآية أربعة وعود كما يقول: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ (١) وَرَافِعُكَ (٢) إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ (٣) مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ (٤) الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾. فهذه أربعة وعود وُضعت عليها أرقام. والثابت من الأحاديث الصحيحة، بل من القرآن الكريم نفسه أن وعد ﴿مُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الذي جاء بعد "الرفع" قد تحقق ببعثة النبي ﷺ، لأنه قد طهر عيسى عليه السلام من التهم الباطلة التي ألصقتها به اليهود والنصارى. أما الوعد الرابع أي: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، فقد تحقق بغلبة الإسلام وشوكته. فلو أُخِرَ لفظ ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ وقُدِّمَ ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ كما يريد معارضونا لاستحال تقديم ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ على ﴿مُطَهِّرُكَ﴾، لأن الوعد المذكور في ﴿مُطَهِّرُكَ﴾ قد تحقق، ولكن لم يتحقق وعد ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ إلى الآن بحسب قول معارضينا. كذلك لا يمكن تقديم لفظ: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ على وعد ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أيضا لأن هذا الوعد أيضا قد تحقق، وتحققه ممتد إلى يوم القيامة. ففي هذه الحالة لو أزيلت كلمة "التوفي" من صدر الآية فلا مجال لوضعها في أيّ مكان آخر قبل لفظ ﴿القيامة﴾. وهذا يستلزم أن عيسى عليه السلام سيموت بعد القيامة، لأن هذا الترتيب يمنع موته قبلها.

يجب الانتباه إلى أنه من كرامات القرآن الكريم أن معارضينا استعدوا للتحريف فيه كاليهود ولكن لم يقدروا عليه، ولا يوجد مكان يمكن أن يوضع فيه لفظ ﴿رَافِعُكَ﴾ بعد إزالته من مكانه، إذ قد ملئ كل فراغ بترتيب محكم فلا مجال للتداول

أبدا. والحق أن هذه الآية أي: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْفَعْكَ إِلَيْنَا وَارْفَعْنَاكَ إِلَيْنَا﴾ وحدها تكفي باحثا عن الحق وتثبت أن الرفع الذي يثير معارضونا حوله ضجة هو بعد الموت وليس قبله لأن ذلك ثابت من شهادة الله. وعدم قبول شهادة الله ليس من شيمة مؤمن. ولما كان الرفع بعد الموت بحسب نص القرآن الكريم فتبين من ذلك أنه الرفع نفسه الذي وعد به الله تعالى كل مؤمن بعد موته. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ٣٤٧-٣٤٩)

سأमितك يا عيسى ميتة طبيعية، أي لن تهلك بالقتل أو الصلب. فجاءت هذه الآية وعدًا من الله. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ٣٧٧-٣٧٨)

لم يثبت من النبي ﷺ والصحابة معنى التوفي غير الإماتة. فإذا كانت هذه هي الحقيقة للمسألة الأصلية، فالنزول فرغها، ولا بد أن نشرحه بشرح ينسجم مع أصل القضية. فإذا أراد مشايخ العالم بأسره متفقين على أن يثبتوا من كلام النبي ﷺ أو أي صحابي رضي الله عنه معنى آخر غير الإماتة لـ ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْفَعْكَ إِلَيْنَا وَارْفَعْنَاكَ إِلَيْنَا﴾ (المائدة: ١١٨) فلن يتمكنوا من ذلك أبدا حتى لو ماتوا في هذا الهم. ولهذا كان مذهب الإمام ابن حزم والإمام مالك والإمام البخاري وكثير من كبار العلماء العظام بأن عيسى ﷺ قد مات في الحقيقة. فالمؤسف أن المشايخ الجهلة أثاروا شغبا بغير حق وأخيرا ثبت موت عيسى ﷺ فحجلوا من هذا الإثبات وكأنهم قد ماتوا. فقد أصابتهم كل هذه المصائب لقلة اهتمامهم بالوحي الإلهي. فلم يفكر المشايخ بأن الله ﻻ قد سماني أنا المتواضع بعيسى قبل ١٦ عاما من اليوم في الوحي المسجل في البراهين الأحمدية. فهل يستطيع الإنسان أن يخطط لافتراء سيتقدم به بعد ١٦ عاما؟ ثم مهد الله ﻻ لذلك قبل هذه المدة حيث أعطاني المهلة الطويلة التي لم يسبق لها نظير منذ خلق العالم. والسلام على من اتبع الهدى. (ضياء الحق، الخزان الروحانية المجلد ٩، ص ٣٠٨)

ليكن معلوماً أن "التوفي" في العربية لا يعني الموت فقط بل معناه الموت الطبيعي الذي لا يحدث بالقتل أو الصلب أو بعوامل خارجية أخرى. لذلك قال صاحب الكشف - وهو علامة لسان العرب - في هذا المقام عند تفسير ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾: "إني مميتك حتف أنفك. وبناء على ذلك جاء في "لسان العرب" و "تاج العروس": "تَوَفَّى الميت استيفاءً مدته التي وفيت له، وعدد أيامه وشهوره وأعوامه في الدنيا." وبطبيعة الحال هذا لا يحدث إلا إذا كان الموت طبيعياً وليس بالقتل. (البراهين الأحمديّة، الجزء الخامس الخزائن الروحانية المجلد ٢١، ص ٣٧٧، الحاشية)

لا يفيد هنا الإصرار على أن "التوفي" لا يعني الإمامة، لأن أئمة لغة العرب كلهم متفقون على أنه إذا أُطلق لفظ "التوفي" على عَلم، أي بذكر شخص معين، كأن يُقال "توفي الله زيداً"، كان المعنى: أَمَاتَ اللهُ زيداً. لذلك لم يورد أئمة اللغة معنى آخر في مثل هذا المقام بل كتبوا الإمامة فقط. فقد ورد في "لسان العرب" تأييداً لبياني: "تَوَفَّى فلانٌ وتوفاه الله إذا قبض نفسه، وفي الصحاح إذا قبض روحه". وجاء في "تاج العروس" في هذا المقام: "تَوَفَّى فلانٌ إذا مات"، وجاء فيه أيضاً: "توفاه الله رَحْلًا: إذا قبض نفسه". وورد في الصحاح: "توفاه الله: قبض روحه".

وبقدر ما تصفّحتُ الصحاح الستة وغيرها من الأحاديث النبوية الشريفة وجدت أنه لا يوجد في كلام النبي ﷺ ولا في كلام الصحابة رضي الله عنهم أو كلام التابعين أو تابعي التابعين نظيرٌ حيث أُطلق لفظ التوفي على عَلم - أي أُطلق هذا الفعل على شخص بذكر اسمه - وكان الفاعل هو الله وكان الشخص المذكور هو الواقع عليه الفعل، ثم كان المعنى غير الإمامة. بل كلّمّا أُطلق فعل التوفي على شخص بذكر اسمه وكان الفاعل هو الله، ومن يقع عليه الفعل هو الشخص المذكور أريد به دائماً أنه مات. فقد وجدتُ على ذلك في الأحاديث أكثر من ٣٠٠ نظير تبين منها أنه حيثما أُطلق فعل التوفي وكان الفاعل هو الله وكان الواقع عليه الفعل هو الشخص المذكور

اسمُهُ، كان المعنى دائما هو الإمامة حصرا. ولم أجد، مع أنني بحثت بحثا مضنياً، حديثا واحداً كان الفاعل في فعل التوفي هو الله والواقع عليه الفعل هو عَلِمَ، أي اسم شخص، وكان المعنى هو غير الإمامة. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزانة الروحانية المجلد ٢١، ص ٣٧٨-٣٧٩)

يستنبط العلامة الزمخشري من الآية: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾: "إني مميتك حتف أنفك". ومعنى "حتف" في العربية هو الموت، والأنف معروف. وقد ساد بين العرب منذ القدم اعتقاد أن نفس الإنسان تزهق عن طريق أنفه، لذا أطلقوا على الموت الطبيعي: "حتف أنف". والاستخدام الصحيح للفظ التوفي في اللغة العربية هو في محل الموت الطبيعي. أما إذا هلك أحد قتلا أطلق عليه العرب فعل "قتل". وهذا الاستخدام لا يخفى على من لديه إلمام بالعربية، غير أنه من القواعد المتداولة عند العرب استخدامهم أحيانا كلمة- تستعمل عادة استعمالا خاصا بتركيباتها الأصلية- في غير محلها مع إقامة قرينة؛ أي يوسّعون استخدامها. أما عند غياب القرينة فيكون استخدام الكلمة بمعناها الحقيقي ضروريا. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزانة الروحانية المجلد ٢١، ص ٣٨١)

لما كان رفع نبيّ روحانيا بحسب اعتقاد اليهود يتوقف على موته الطبيعي، وأما القتل والصلب فيعيق الرفع الروحاني لذا قال الله تعالى أولا في ردّ اليهود أن عيسى سيموت موتا طبيعيا. ولأن الرفع الروحاني هو نتيجة الموت الطبيعي فأورد "رافعك إليّ" بعد "متوفيك" لدحض أفكار اليهود دحضا تاما. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزانة الروحانية المجلد ٢١، ص ٣٨٢، الحاشية)

إن الذين يحبون إلههم حبا كاملا ويطيعونه طاعة كاملة ويخزّون على عتباته بكل صدق ووفاء يُعطون حياة كاملة بوجه خاص وتُشخّذ حواسهم الفطرية أيضا بشدة متناهية، وتوهّب فطرتهم نورا بسببه تهيج فيهم روحانية تفوق العادة. وجميع القوى

الروحانية التي ملكوها في الدنيا يوسّع فيها كثيرا بعد موتهم. ويُرفعون إلى السماء بعد الممات بسبب علاقتهم مع الله تعالى التي وهبهم الله تعالى إياها. هذا ما يسمّى "الرفع" في مصطلح الشريعة. ولكن الذين ليسوا بمؤمنين وعلاقتهم مع الله تعالى ليست نزيهة لا يوهبون هذه الحياة ولا يحظون بهذه الصفات، فيكونون في حكم الأموات. (ينبوع المسيحية الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٣٧٢، الحاشية)

لا يثبت من القرآن الكريم إلا الرفع إلى الله، وهو أمر روحي ولا يثبت الرفع إلى السماء. وكان اعتراض اليهود أن الذي يُعلّق على الخشبة لا يُرفَع إلى الله مثل الأنبياء الآخرين؛ وهذا الاعتراض نفسه كان جديرا بالدحض، فأين دحض القرآن الكريم هذا الاعتراض يا تُرى؟ إن أساس النزاع كله هو أن اليهود كانوا يقولون إن عيسى صُلب، ومَن يصلّب لا يُرفَع إلى الله، فلم يُرفَع هو إلى الله تعالى رفعا روحانيا مثل بقية الأنبياء، ونتيجةً لذلك فهو ليس مؤمنا وليس حائزا على النجاة. ولما كان المطلوب من القرآن أن يبيّن في النزاعات السابقة، فقد حكم أن عيسى أيضا رفع مثل بقية الأنبياء. لقد كان من المفروض أن يحكم الله تعالى في ما اختُلف فيه، وإن لم يكن الله قد حكم في تلك الآيات فأخبروني أين أصدر حكمه؟ هل يمكن أن يُنسب سوء الفهم إلى الله تعالى؛ إذ يحاجج اليهود حول الرفع الروحاني، فيردّ الله تعالى عليهم - كما ورد في حديث المعراج - بأن عيسى موجود في السماء الثانية بجسده العنصري؟ ثم من البديهي أن الصعود إلى السماء بالجسد العنصري ليس شرطا للنجاة، وإنما الشرط هو الرفع الروحاني وحده.

فكان لا بد من البيان، بُغية الحكم في النزاع، بأن عيسى ليس ملعونا بل رُفِع رفعا روحانيا. كما أن ذكر الرفع بعد التوفي في القرآن يدل دلالة صريحة على أن هذا النوع من الرفع يحظى به كل مؤمن بعد الموت. والاستنباط من "التوفي" أن عيسى عليه السلام رُفِع إلى السماء حيّا إنما هو تحريف في القرآن، كفعل اليهود. لقد استُخدمت

كلمة التوفي في القرآن الكريم وفي الأحاديث دائماً بمعنى قبض الروح، ولم تُستخدَم في أي مكان للدلالة على أن شخصا رُفع إلى السماء حيّاً بجسمه.

وبذلك لا بد من الاعتراف بحسب هذا المعنى أن موت عيسى لم يُذكر في القرآن الكريم قط، وأنه لن يموت أبداً، لأنه حيثما ورد لفظ التوفي في القرآن بحقِّ عيسى عليه السلام لا بد من الاستنتاج منه أنه رُفع إلى السماء بجسده، فكيف تثبت وفاته؟ (تذكرة الشهادتين، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٧-١٨)

الاعتقاد أنه سيأتي زمان يؤمن فيه الناس كلهم بعيسى عليه السلام يتنافى مع القرآن الكريم أيما منافاة، لأن الله تعالى يقول فيه: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْفَعْكَ وَإِنَّا لَمُتَوِّفِيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىٰ مَوْطِنٍ نَّهْبَهُهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَسَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ والواضح أنه إذا آمن الناس كلهم بعيسى عليه السلام قبل يوم القيامة فمن سيقى من معارضيه إلى يوم القيامة؟ ثم يقول الله تعالى في موضع آخر: ﴿وَأَلَقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾. وواضح أيضاً أنه لو آمن اليهود كلهم بعيسى قبل يوم القيامة فهل يبقى أحد من المعادين إلى يوم القيامة؟ (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٣٦)

"وأما ما قال عليه السلام: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْفَعْكَ وَإِنَّا لَمُتَوِّفِيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىٰ مَوْطِنٍ نَّهْبَهُهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَسَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فليس معناه رفع الجسم مع الروح، والدليل عليه ذكر التوفي قبل الرفع، وإن هذا الرفع حقّ كلّ مؤمن بعد الممات، وهو ثابت من القرآن والأحاديث والروايات. وإن اليهود كانوا منكروين رفع عيسى، ويقولون إن عيسى لا يُرْفَع كمثّل المؤمنين ولا يُحْيَى، وذلك بأنهم كانوا يُكْفِرُونَهُ ولا يحسبونهُ من المؤمنين. فردّ الله عليهم في هذه الآية." (الاستفتاء، حقيقة الوحي الخزان الروحانية المجلد ٢٢، ص ٦٤٥، الحاشية)

"فانظر كيف شهد الله على وفاته في كتابه المبين! ومعلوم أن الرفع وتطهير ذيل المسيح من إلزامات اليهود وبهتاناتهم، وغلبة أهل الحق وضرب الذلة على اليهود،

وجعلهم مغلوبين مقهورين تحت النصارى والمسلمين لقد وقعت هذه الأنباء والمواعيد كلها وتمت وظهرت، وما وقعت إلا على صورتها وترتيبها، وقد انقضت مدة طويلة على ظهورها ووقوعها، فكيف يعتقد عاقل بالغ ذو عقل سليم وفهم مستقيم بأن خبر التوفي الذي قُدِّمَ على هذه الأخبار في ترتيب الآية الموصوفة هو غير واقع إلى وقتنا هذا، وما مات عيسى بن مريم إلى هذا الزمان الذي فسد بضلالات أُمته، بل يموت بعد نزوله في وقت غير معلوم؟ ولا يخفى سخافة هذا الرأي على المتفكرين. والقائلون بحياة المسيح لما رأوا أن الآية الموصوفة تُبَيِّن وفاته بتصريح لا يُمكن إخفاؤه، جعلوا يؤوّلونها بتأويلات ركيكة واهية، وقالوا إن لفظ التوفي في آية: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ خُذْ زُكْرَتَكَ هَذَا نَمُوتُ﴾ كان مؤخراً في الحقيقة من كل هذه الوقائع، يعني من رفع عيسى وتطهيره من البهتانات ببعث النبي المصديق وغلبة المسلمين على اليهود وجعل اليهود من السافلين، ولكن الله قَدَّمَ لفظ "المتوفي" على لفظ "رافعك" وعلى لفظ "مطهرك" وغيرها مع حذف بعض الفقرات الضرورية رعايةً لصفاء نظم الكلام كالمضطربين. وكان اللفظ المذكور.. يعني: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ في آخر ألفاظ الآية، فوضعه الله في أولها اضطراراً لرعاية النظم المحكم، وكان الله في هذا التأخير والتقديم من المعذورين، فلاجل هذا الاضطرار وضع الألفاظ في غير مواضعها وجعل القرآن عريضاً. والآية بزعمهم كانت في الأصل على هذه الصورة: يا عيسى ابني رافعك إليّ، ومطهرك من الذين كفروا، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، ثم منزلك من السماء ثم متوفاك. فانظر كيف يبدلون كلام الله ويحرفون الكلم عن مواضعها، وليس عندهم من برهان على هذا.. إن يتبعون إلا أهواءهم، وما كان لهم أن يتكلموا في القرآن إلا خائفين. وأنت تعلم أن الله مُنَزَّه عن هذه الاضطرابات، وكلامه كله مُرْتَّب كالجواهرات، والتكلم في شأنه بمثل ذلك جهالة عظيمة، وسفاهة شنيعة، وما يقع في هذه الوسوس إلا الذي نسي قدرة الله تعالى وقوته وحوله، واحتقره وما قدره

حقّ قدره، وما عَرَفَ شأنَ كلامه، بل اجتراً وألحقَ كلامَ الله بكلامَ الشاعرين. وكيف يجوز لأحد من المسلمين أن يتكلم بمثل هذا، ويبدّل كلامَ الله من تلقاء نفسه، ويُحرّفه عن موضعه من غير سند من الله ورسوله؟ أليست لعنة الله على المحرّفين؟ ولو كانوا على الحق فلم لا يأتون ببرهان على هذا التحريف من آية أو حديث أو قول صحابي أو رأي إمام مجتهد إن كانوا من الصادقين؟ وكيف نقبل تحريفاتهم التي لا دليل عليها من الكتاب والسنة ولا نَجدها إلا كتّحريف اليهود من تلبّيس الشياطين. وأما السلف الصالح فما تكلموا في هذه المسألة تفصيلاً، بل آمنوا مجملاً بأن المسيح عيسى بن مريم قد تُوفّي كما ورد في القرآن، وآمنوا بمجدّد يأتي من هذه الأمة في آخر الزمان عند غلبة النصارى على وجه الأرض اسمه عيسى بن مريم، وفوّضوا تفصيل هذه الحقيقة إلى الله تعالى، وما دخلوا في تفاصيله قبل الوقوع، وكذلك كانت سيرتهم في الأنبياء المستقبلية كما هي سنة الصالحين. فخلف من بعدهم خلفٌ أضاعوا سنتهم وتركوا سيرتهم، وأولّوا قول الله ورسوله إلى ما اشتتهت أنفسهم، ثم أصرّوا عليه كأهم عرفوا أسرار الله يقينا وكأهم كانوا من المستيقنين". (حماسة البشرية، الخزانة الروحانية، المجلد ٧، ص ١٩٤-١٩٨)

"وأنت تعلم أن في ترتيب هذه الآية كانت هذه المواعيد كلها بعد وعد التوفي، وكان وعد التوفي مقدّماً على كلها، وقد اتفق القوم على أنها وقعت بترتيب يوجد في الآية، فلو فرضنا أن لفظ التوفي مؤخر من لفظ الرفع، للزمنا أن نقر بأن عيسى ﷺ قد توفي بعد الرفع وقبل وقوع المواعيد الباقية، وهذا مما لا يعتقد به أحد من المخالفين. ولو قلنا إن لفظ التوفي مؤخر من جملة: ﴿وَمُطَهَّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ومقدّم من وعد وقع في ترتيب الآية بعدها، للزمنا أن نقر بأن وفاة عيسى ﷺ كان بعد نبينا ﷺ من غير مكث قبل غلبة أتباعه على أعدائهم، وهذا باطل أيضاً بزعم القوم، فإنهم قد اعتقدوا أن المسيح لا يموت إلا بعد هلاك الملل كلها. فلو



رجعنا من هذه الأقوال كلها وقلنا إن المسيح لا يموت إلا بعد تكميل وعد الغلبة الممتدة إلى يوم القيامة كما صرحت آية: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، للزمنا أن نقر بأن المسيح لا يموت إلا بعد يوم القيامة، فإن الوعد قد امتد إلى يوم القيامة، ولا يمكن نزول المسيح إلا بعد وقوعه على الوجه الأتم والأكمل، فما نجد له موضع قدم في كتاب الله إلا بعد يوم الحشر على طريق فرض المحال. وليت شعري.. إن أعداءنا يقولون بأفواههم إن لفظ ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ في آية: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ سَلِّمْ عَلَيَّ﴾ مؤخر في الحقيقة، وليس هذا الموضع موضعه، ولكنهم لا يُبَيِّنُونَا بأن لو نرفع هذا اللفظ من هذا المقام فأين نضعه، أنسقطه من كتاب الله كالحرفين؟ والذين يقولون إن لفظ التوفي مؤخر من لفظ الرفع ومقدم على مواعيد أخرى، فيضحك العاقل من قولهم، ويتعجب من حمقهم. ألا يعلمون أن هذا القول خلاف ما يعتقدون في وقت وفاة المسيح بزعمهم؟ وإنا ذكرنا آنفاً أنهم يعتقدون أن وعد التوفي لا يظهر ولا يقع إلا بعد هلاك أهل الملل كلها، فلزمهم أن يعتقدوا أن لفظ التوفي مؤخر من هذا الوعد الآخر لا من الرفع فقط، فإن التأخر الوضعي يتبع التأخر الطبيعي، كما لا يخفى على المتفكرين. ثم ما كان لنا أن نؤخر من عند أنفسنا ما قدّم الله تعالى في كتابه المحكم من غير سند من الله ورسوله، وما هذا إلا التحريف الذي لعن الله لأجله اليهود؛ فاتقوه ولا تقلبوا آيات الله بعد ترتيبها إن كنتم خائفين."

(حماسة البشرية، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٥٨-٢٦٠)

"والذين قالوا إن لفظ ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ في آية: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ سَلِّمْ عَلَيَّ﴾ بمعنى إني مُنِمْكَ، ما كان خطؤهم خطأ واحداً، بل جمعوا أنواع العثرات في قولهم وتركوا تفسير رسول الله ﷺ، وهو خير البشر وكان تكلمه بالروح الرحماني، وكان قوله خيراً من أقوال كلها، وقد أحاطت كلماته طرق الذوق والوجدان والعلم والعرفان والنور الذي أُعطي له من الرحمن، وتركوا ما قال ابن عباس في معنى: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾،

وما نظروا إلى القرآن وطريق استعماله في هذا اللفظ، ووروده فيه بمعنى الإماتة بالتواتر والتتابع، فضلّوا وأضلّوا وما كانوا من المهتدين. ثم إذا فرضنا أن التوفي بمعنى الإنامة، فما نرى أن ينفعهم هذا المعنى مثقال ذرة، فإن النوم مراد من قبض الروح وتعطلّ حواس الجسم مع بقاء تعلّق بين الروح والجسد، فمن أين يثبت من هذا أن الله قبض جسم المسيح؟ ألا تنظر إلى سنّة الله القديمة... فإنه يقبض الأرواح في حالة النوم ويترك الأجسام على الأرض. فمن أين علمت أن لفظ ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ مُشعّر برفع الجسد؟ والخلق ينامون كلهم ولكن لا يقبض الله جسم أحد منهم.....

وعلى تقدير فرض هذا المعنى يلزم فساد آخر، وهو أن لفظ التوفي في هذه الآية وعدّ محدث من الله تعالى كمواعيد أخرى التي ذكرها الله فيها، ولو كان هذا المعنى هو الحق فيلزم منه أن يكون نوم المسيح عند الرفع أول أمر ورد عليه في عمره، ويلزمهم أن يعتقدوا أن عيسى عليه السلام كان لا ينام قبل الرفع قط، فإن الأمر الذي قد وقع عليه في حياته غير مرة.. كيف يمكن أن يذكره الله في مواعيد جديدة محدثة؟ فإن وعد الشيء يدل على عدم وجود الشيء قبل الوعد، وإلا فيلزم تحصيل حاصل، وهو فعل لغو لا يليق بشأن الله تعالى، ووجب أن يُنزه عنه وعدّ رب العالمين. ثم لو كان هذا المعنى هو الصحيح.. فما تقول في آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾؟ أتظن أن النصارى اتخذوا المسيح إلها بعد نومه لا بعد وفاته؟ وتظن أن المسيح ما نام قط في عمره إلا في وقت ضلالة النصارى.. ولم تذق عينه طعم النوم قط إلا عند الرفع وكان قبل الرفع مستيقظا دائما؟ فانظر منصفا. أيستقيم هذا المعنى في هذا الموضع ويحصل منه ثلج القلب وسكينة الروح واطمئنان الباطن؟ وأنت تعلم أنه مستبعد جدا وفاسد بالبداهة، وما كان أن يُصلّحه تأويل المؤولين. " (حماسة البشرية، الخزائن الروحانية المجلد ٧، ص ٢٦٣-٢٦٤)

"وما خالفنا المكفرين إلا في وفاة عيسى بن مريم عليه السلام، فاعتناظوا غيظا شديدا، ومثلثوا منه كأنهم لا يؤمنون بآية: ﴿يَا عِيسَى ابْنِي مَرْثُوكَ﴾، ولا يؤمنون بوعده الوفاة الذي قد صرح فيها، وكأنهم لا يعرفون آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ التي فيها إشارة إلى إنجاز هذا الوعد ووقوع الموت. والآيات بيّنة منكشفة، فلعلهم في شك من كتاب مبين، فنبذوا كتاب الله وراء ظهورهم بعدما كانوا مؤمنين." (نور الحق، الخزان الروحانية، المجلد ٨، ص ٨)

"وقد ذكرت آنفا أننا لو فرضنا على سبيل التنزل وقلنا إن التوفي ههنا.. أعني في آية: ﴿يَا عِيسَى ابْنِي مَرْثُوكَ﴾ بمعنى الإنامة.. لكانت هذه الواقعة واقعة أخرى، ولا ينفع الاستدلال بها قوما مخالفين. فإن المطلوب المخالفين من خبطهم أن يثبتوا رفع المسيح مع جسمه العنصري، ولكن لا يحصل هذا المطلوب من هذا المعنى، بل يحصل ما يخالفه؛ فإن معنى الآية في هذه الصورة يكون هكذا: يا عيسى إني قابض روحك وتارك جسدك على الأرض مع بقاء علاقة بين الجسد والروح، فإن النوم عبارة عن قبض الروح وترك الجسد مع بقاء علاقتهما على وجه تام. فانظر أليّ يحصل المطلوب المخالفين من هذا المعنى؟ وأين يثبت منه رفع جسد عيسى عليه السلام إلى السماء، بل الأمر بقي على حاله مع حمل معنى التوفي على غير محله." (حمامة البشري الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٦٥)

"وقد تقتضي حكمة الله تعالى ودقائق مصالحه أنه يتوفى نبيا قبل مجيء أيام فتحه وإقباله، فلا يتوفاه حزينا يائسا، بل يبشره بتبشيرات متوالية متتابعة بغلبة متبعية بعد وفاته، ليطمئن بها قلبه، ولكي لا يحزن ولكي لا يرجع إلى ربه بقلب أليم، بل ينتقل من هذا العالم بسكينة وسرور وجور وقرّة عين، ولا يبقى له هم بعد تبشير الله ومواعيده الصادقة، ويذهب إلى ربه فرحان غير حزين. فكذلك كان أمر عيسى عليه السلام.. فإنه ما رأى غلبة في زمن حياته، واقترب يوم وفاته فبشره الله

تعالى بغلبة متّبعيه بعد موته، وما بشره بغلبة في أيام حياته، فارجع إلى الآية المتقدمة ودقق النظر فيها.. هل ترى في هذا المعنى من فتور؟ فكأنه قال في هذه الآية يا عيسى إني متوفيك قبل أن ترى ظفرك وفتحك وغلبتك، وإني معطيك مقام العزة والرفع والقرب على خلاف زعم اليهود، فلا تبتئس بما تموت قبل رؤية غلبتك، ولا تخش على ضعف متبعيك وكثرة أعدائك، فإني خليفتك بعدك، فأمزق أعداءك كل ممزق، وأستأصلهم للأبد، وأجعل الذين اتبعوك وتصدوا لخلافتك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، هذا تفسير ما قال أحسن القائلين. ولو كان عيسى نازلا من السماء في وقت من الأوقات لما قال كذلك، بل قال يا عيسى لا تحف ولا تحزن، فإنّا لا نميتك بل نرفعك حيا إلى السماء، ثم إنّنا نُنزلُك إلى الأرض ونردك إلى أمتك، ونجعلك غالبا على أعدائك، ثم نجعل متّبعيك غالبين عليهم إلى يوم القيامة، فلا تحسب نفسك من المغلوبين. ولكن الله ما وعد له أن يُنزلَه من السماء، ثم يجعله غالبا على أعدائه، بل وعد له أن يجعل متّبعيه غالبين على الكافرين إلى يوم القيامة، ففعل كما وعد ومضى عليه قرون كثيرة. " (حماسة البشري الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٦٦-٢٦٧)

إن المسيح عيسى بن مريم قد مات بموته الطبعي وتوفي كإخوانه من المرسلين. وبشرني وقال إن المسيح الموعود الذي يرقبونه والمهدي المسعود الذي ينتظرونه هو أنت، نفعل ما نشاء فلا تكوننّ من الممترين. وقال: إنّنا جعلناك المسيح ابن مريم، ففَضَّ حَتَمَ سِرِّه وجعلني على دقائق الأمر من المطّلعين. وتواترت هذه الإلهامات، وتتابع البشارات، حتى صرْتُ من المطمئنين. ثم تَخَيَّرْتُ طريق الحزامة، ورجعتُ إلى كتاب الله خفير طرق السلامة، فوجدته عليه أوّل الشاهدين. وأيُّ بيان يكون وضح من بيانه: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ خُذْ كِتَابَكِ﴾؟ فانظر، هداك الله قبل تَوَفِّيك وجعلك من المستبصرين. وأكّده الله بقوله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾، فَكَرَّ فيه يا من آذيتني، وحسبتي

من الكافرين. وهذا نص لا يردّه قولٌ مُبارٍ بآثار، ولا يجرحه سهمٌ مُمارٍ في مضمار، ولا ينكره إلا من كان من الظالمين.

والذين غاض دُرُّ أفكارهم، وضعفت جوازل أنظارهم، لا ينظرون إلى كتاب الله وبيناته، ويتيهون كرجل تبع جهلاته، ويتكلمون كمجانين. يقولون إن لفظ التوفيّ ما وُضع لمعنى خاص بل عمّت معانيه، وما أُحكمت مبانيه، وكذلك يكيدون كالمفتريين. وإذا قيل لهم إن هذا اللفظ ما جاء في القرآن كتاب الله الرحمن إلا للإمامة وقبض الأرواح المرجوعة، لا لقبض الأجسام العنصرية، فكيف تصرّون على معنى ما ثبت من كتاب الله وبيان خير المرسلين عليه السلام؟ قالوا إنّنا ألقينا آباءنا على عقيدتنا ولسنا بتاركيها إلى أبد الآبدین.

ثم إذا قيل لهم إن خاتم النبيين وأصدق المفسرين فسّر هكذا لفظ التوفيّ في تفسير هذه الآية؛ أعني: ﴿تَوَفَّيْتَنِي﴾، كما لا يخفى على أهل الدراية، وتبعه ابن عباس ليقطع عرق الوسواس، وقال: متوفّيك: مميتك، فلم تترك المعنى الذي ثبت من نبي كان أوّل المعصومين، ومن ابن عمّه الذي كان من الراشدين المهديين؟ قالوا: كيف نقبل ولم يعتقد بهذا آباؤنا الأوّلون؟ وما قالوا إلا ظلمًا وزورًا ومن الفرية ولم يحيطوا آراء سلف الأمة إلا الذين قربوا منهم من المخطئين، وما تبعوا إلا الذين ضلّوا من قبل من فَيَجّ أعوجّ ومن قوم محجوبين. فما زالوا آخذين بآثارهم حتى حصّص الحق، فرجع بعضهم متندّمين. وأمّا الذين طبع الله على قلوبهم فما كانوا أن يقبلوا الحق وما نفعهم وعظ الواعظين. والعلماء الراسخون ييكون عليهم ويجدونهم على شفا حفرة نائمين.

يا حسرة عليهم! لم لا يفكّرون في أنفسهم أن لفظ التوفيّ لفظٌ قد اتضح معناه من سلسلة شواهد القرآن، ثم من تفسير نبيّ الإنس ونبيّ الجنّ، ثم من تفسير صحابيّ جليل الشأن، ومن فسّر القرآن برأيه فهو ليس بمؤمن بل هو أخ الشيطان،

فأي حجة أوضح من هذا إن كانوا مؤمنين؟ ولو جاز صرفُ ألفاظ تحكُّمًا من المعاني المرادة المتواترة، لارتفع الأمان عن اللغة والشرع بالكلية، وفسدت العقائد كلها، ونزلت آفات على الملة والدين. وكل ما وقع في كلام العرب من ألفاظ وجب علينا أن لا ننحت معانيها من عند أنفسنا، ولا نقدِّم الأقلَّ على الأكثر إلا عند قرينة يوجب تقديمه عند أهل المعرفة، وكذلك كانت سُنن المجتهدين.

ولما تفرقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة من الملة، وكلُّ زعم أنه من أهل السنة، فأئى مخرج من هذه الاختلافات، وأي طريق الخلاص من الآفات من غير أن نعتصم بجبل الله المتين؟ فعليكم معاشر المؤمنين باتباع الفرقان، ومن تبعه فقد نجا من طرق الخسران. ففكِّروا الآن.. إن القرآن يتوقَّى المسيح ويكمل فيه البيان، وما خالفه حديثٌ في هذا المعنى بل فسره وزاد العرفان، وتقرأ في البخاري والعيني وفضل الباري أن التوقَّى هو الإمامة، كما شهد ابنُ عباس بتوضيح البيان، وسيّدنا الذي إمام الإنس ونبيّ الجنّ، فأئى أمرٍ بقي بعده يا معشر الإخوان وطوائف المسلمين؟

وقد أقرّ المسيح في القرآن أن فساد أُمته ما كان إلا بعد موته، فإن كان عيسى لم يمت إلى الآن، فلزمك أن تقول إن النصارى ما أفسدوا مذهبهم إلى هذا الزمان. والذين نحتوا معنى آخر للتوقَّى فهو بعيد عن التشقي، وإن هو إلا من أهوائهم، وفساد آرائهم، ما أنزل الله به من سلطان، كما لا يخفى على أهل الخبرة وقلب يقظان. وإن لم ينتهوا حقداً، وأصروا على الكذب عمداً، فليُخرجوا لنا على معناهم سنداً، وليأتوا من الله ورسوله بشرح مستند إن كانوا صادقين. وقد عرفتم أن رسول الله ﷺ ما تكلم بلفظ التوقَّى إلا في معنى الإمامة، وكان أعمق الناس علماً وأول المبصرين. وما جاء في القرآن إلا لهذا المعنى، فلا تحزفوا كلمات الله بخيال أدنى، ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب ذلك حق وهذا باطل، واتقوا الله إن كنتم متقين. لم تتبعون غلطاً ورجماً بالغيب، ولا تبغون تفسير من هو منزّه من العيب، وكان

سَيِّدَ الْمُعْصُومِينَ؟ فَاجْتَنِبُوا مِثْلَ هَذِهِ التَّعَصُّبَاتِ، وَادْكُرُوا الْمَوْتَ يَا ذُودَ الْمَمَاتِ، أَتُتْرَكُونَ فِي الدُّنْيَا فَرَحِينَ؟ فَادْكُرُوا يَوْمًا يَتَوَفَّاكُمْ اللَّهُ ثُمَّ تُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فُرَادَى، وَلَا يَنْصُرُكُمْ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ وَعَادَى، وَتُسْأَلُونَ كَالْمُجْرِمِينَ.

وَأَمَّا قَوْلُ بَعْضِ الْحَمَقِيِّ أَنَّ الْإِجْمَاعَ قَدْ انْعَقَدَ عَلَى رَفْعِ عِيسَى إِلَى السَّمَاوَاتِ الْعُلَى بِحَيَاتِهِ الْجَسَمَانِيِّ لَا بِحَيَاتِهِ الرُّوحَانِيِّ، فاعلم أن هذا القول فاسد ومتاع كاسد، لا يشتريه إلا من كان من الجاهلِين. فإن المراد من الإجماع إجماع الصحابة، وهو ليس بثابت في هذه العقيدة، وقد قال ابن عباس: متوقيك: ميثُك، فالموت ثابت وإن لم يقبل عفريتُك. وقد سمعتَ يا من آذيتني أن آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ تدل بدلالة قطعية وعبرة واضحة أن الإمامة التي ثبتت من تفسير ابن عباس، قد وقعت وتمت وليس بواقع كما ظن بعض الناس. أفأنت تظن أن النصاري ما أشركوا برهم وليسوا في شرك كالأَسَارَى؟ وإن أقررت بأنهم قد ضلوا وأضلوا، فلزمك الإقرار بأن المسيح قد مات وفات، فإن ضلالتهم كانت موقوفة على وفاة المسيح، فتفكّر ولا تُجادل كالوقيح. وهذا أمر قد ثبت من القرآن، ومن حديث إمام الإنس ونبيّ الجنّ، فلا تسمع رواية تخالفها، وإن الحقيقة قد انكشفت فلا تلتفت إلى من خالفها، ولا تلتفت بعدها إلى رواية والراوي، ولا تُهلك نفسك من الدعاوي، وفكّر كالمُتَوَاضِعِينَ.

هذا ما ذكرناك من النبي والصحابة لنزيل عنك غشاوة الاسترابة، وأما حقيقة إجماع الذين جاءوا بعدهم، فنذكرُك شيئاً من كَلِمِهِمْ، وإن كنتَ من قبل من الغافلين. فاعلم أن الإمام البخاري، الذي كان رئيس المحدثين من فضل الباري، كان أول المقرّين بوفاة المسيح، كما أشار إليه في الصحيح، فإنه جمع الآيتين لهذا المراد، ليتظاهرا ويحصل القوة للاجتهاد. وإن كنتَ تزعم أنه ما جمع الآيتين المتباعدتين لهذه النية، وما كان له غرض لإثبات هذه العقيدة، فبيّن لِمَ جمع الآيتين إن كنتَ من ذوي العينين؟ وإن لم تبين، ولن تبين، فاتق الله ولا تُصِرَّ على طرق الفاسقين.

ثم بعد البخاري انظروا يا ذوي الأبصار، إلى كتابكم المسلّم "مجمع البحار"، فإنه ذكر اختلافات في أمر عيسى ﷺ، وقدّم الحياة ثم قال: وقال مالك: مات. فانظروا "المجمع" يا أهل الآراء، وخذوا حظًا من الحياء، هذا هو القول الذي تكفرون به وتقطعون ما أمر الله به أن يوصل وباعدتم عن مقام الاتّقاء، أليس منكم رجل رشيد يا معشر المفتنين؟

وجاء في الطبراني والمستدرک عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ إن عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة. ثم بعد هذه الشهادات، انظروا إلى ابن القيم المحدث المشهود له بالتدقيقات، فإنه قال في "مدارج السالكين" إن موسى وعيسى لو كانا حيّين ما وسعهم إلا اقتداء خاتم النبيين. ثم بعد ذلك انظروا في الرسالة "الفوز الكبير" وفتح الخبير" التي هي تفسير القرآن بأقوال خير البريّة، وهي من ولي الله الدهلوي حكيم الملة، قال: متوفّيكَ: مميتُكَ. ولم يقل غيرها من الكلمة، ولم يذكر معنى سواها اتّباعاً لمعنى خرج من مشكاة النبوة. ثم انظر في "الكشاف"، واتق الله ولا تحترّ طرق الاعتساف كمجترئين.

ثم بعد ذلك تعلمون عقيدة الفرق المعتزلة، فإنهم لا يعتقدون بحياة عيسى، بل أقرّوا بموته وأدخلوه في العقيدة. ولا شك أنهم من المذاهب الإسلامية، فإن الأمة قد اختلفت بعد القرون الثلاثة، ولا ينكر افتراق هذه الملة، والمعتزلة أحد من الطوائف المتفرقة. وقال الإمام عبد الوهاب الشعراني المقبول عند الثقات، في كتابه المعروف باسم "الطبقات": وكان سيدي أفضل الدين رحمه الله يقول: كثير من كلام الصوفية لا يتمشى ظاهره إلا على قواعد المعتزلة والفلاسفة، فالعاقل لا يُبادر إلى الإنكار بمجرد عزاء ذلك الكلام إليهم، بل ينظر ويتأمل في أدلّتهم. ثم قال: ورأيت في رسالة سيدي الشيخ محمد المغربي الشاذلي: اعلم أن طريق القوم مبني على شهود الإثبات، وعلى ما يقرب من طريق المعتزلة في بعض الحالات. هذا ما نقلنا من لوائح الأنوار،



فندبّر كالأخيار، ولا تعرض كالأشرار، ولا تختز سبل المعتدين. (إتمام الحجّة، الخزان الروحانية، المجلد ٨، ٢٧٥-٢٨٠)

عندما علّق المسيح على الصليب فكّر أن اليهود يريدون قتله بإماتته على الصليب، وستكون هذه ميتة ملعونة، فبشّره الله في تلك الساعة العصيبة بأني مميّتك حتف أنفك، ورافعك ومطهّرك. وكل كلمة من هذه الآية تنطوي على حقيقة، ولكن هؤلاء المشايخ لا يتدبرون شيئاً للأسف الشديد، ويريدون تحريف القرآن بتغيير ترتيبه. ألم يكن الله قادراً على أن يقول: "يا عيسى إني رافعك إلى السماء؟" فما هو المانع الذي جعل الله تعالى يقول: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ خُذْ هَذَا الصَّليبَ﴾؟ (الحكم مجلده، رقم ١٢، عدد: ٣١/٣/١٩٠١ م ص ٣)

الحق أن ترتيب كلمات هذه الآية مبني على ضوء الوقائع الحقيقية، ومن قال إن الواو هنا ليست للترتيب فهو أحق، وإذا كان قد بلغ من الغباء بحيث لا يفهم هذا الأمر فكان عليه أن ينظر في الوقائع، ويرى هل يكون التطهير بعد الرفع أم قبله؟ الحق أن التطهير هنا إشارة إلى أنه سيأتي بعدك يا عيسى رسول حَكَمًا، فيفصل الخصومات فيك، ويطهّرك من كل التهم التي يلصقها بك اليهود.

إن معارضينا هؤلاء أيضاً يقرّون بترتيب ثلاث جمل، أعني: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ، وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا، وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ويعترفون بأنه كلام مرتب، وأن كل ما وعد الله به هنا قد تحقق، ولا يستطيع هؤلاء القائلون بالرفع المادي أن يعترضوا على ذلك شيئاً، ولكنني أستغرب أنهم مع اعترافهم بترتيب هذه الجمل الثلاث وتسليمهم بذلك، لماذا يسعون لتبديل كلمة التوفي من مكانها عبثاً؟ هلا أخبرتموني أين تضعونها بعد أخذها من مكانها على شاكلة اليهود؟ لو وضعتم (التوفي) بعد الرفع فهذا خلاف للواقع، إذ ليس هنالك فاصل بين الرفع والتطهير، بل ليس التطهير إلا بعد الرفع نفسه. لقد قام النبي ﷺ بتبرئة المسيح عليه السلام

من تهمة اليهود التي أرادوا إلصاقها به أنه ليس نبيا بل ملعون -والعياذ بالله-، وأيضا من زعم النصارى أنه ابن الله والإله الذي رُفع إلى السماء، وصار ملعونا من أجلنا. فالرفع والتطهير كأصبعين متلاصقتين لا يمكن الفصل بينهما.

أما عبارة ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فلا تسمح إلى يوم القيامة بإقحام أي كلمة أخرى بينها وبين كلمة (وَمُطَهِّرُك)، فأين تُقَحِّمون التوفي بعد ذلك؟ الحق أن الله تعالى قد ذكر هذه الأحداث بالترتيب الذي وقعت به، فأين تضعون التوفي بعد قلب هذا الترتيب؟ بل إني أقول: لماذا تكون هذا العداء تجاه كلام الله تعالى حيث تريدون أن تفسدوا ترتيبه؟ ألا ترضون إلا بإثبات ألوهية المسيح؟ لماذا لا تدعون إله المسيحيين هذا يموت؟ (الحكم مجلد ٥، رقم ١٣، عدد ١٠/٤/١٩٠١ م ص ١)

الرفع ضد اللعنة ونتيجته قرب الله. فإن هذا الرفع لا يحصل بغير الموت. وما دام معارضونا لا يعتقدون بموته لذا لم يُرفع المسيح إلى الآن بحسب اعتقادهم لأن هذا الرفع هو النتيجة الأخيرة لحياة الإنسان، وهو ما لم يحظ به المسيح. فمن هذا المنطلق بطل صعوده إلى السماء. (الحكم مجلد ٦، رقم ٣١، عدد ٣١/٨/١٩٠٢ م ص ٥)

يقولون إن ترتيب الآية: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْقُطْ فِي الْكِتَابِ﴾ الوارد في القرآن ليس صحيحا، ولكني أقول بأن مثل هذا الاعتقاد أو الظن عن القرآن الكريم إساءة وجساسة خطيرة. أقول بأن ترتيب هذه الآية صحيح تماما ولكن هؤلاء الناس يحسبون الترتيب خاطئا، والعياذ بالله، ويقولون بأنه يجب أن يكون الترتيب "رافعك إلى السماء الثانية" بدلا من "رافعك إلي" ثم يجب أن يأتي "متوفيك" بعد ذلك. وكأن الله تعالى أخطأ بحسب اعتقادهم إذ كان يريد أن يقول "يا عيسى إني رافعك إلى السماء الثانية ومتوفيك" ولكنه قال ما هو مذكور في الآية المذكورة. (الحكم مجلد ٨، رقم ٣١، عدد ١٧/٩/١٩٠٤ م ص ٥)

لقد أخبرنا الله تعالى في القرآن الكريم مرارا وتكرارا أن المسيح مات. والرفع الذي يحظى به المؤمنون بعد الممات حظي به هو أيضا كما يفهم من الآية: ﴿يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي﴾ لأن كلمة "رافعك" جاءت في القرآن الكريم بعد "متوفيك"، وهذه قرينة قطعية على أنه هو الرفع الذي يحظى به المؤمنون بعد الممات. إن أصل القضية هو أن اليهود ينكرون رفع المسيح الروحاني ويقولون بأنه لما مات مصلوبا فهو محروم، بحسب حكم التوراة، من الرفع الذي يناله المؤمنون إنعاما من الله تعالى بعد موتهم ويحظون بحياة طيبة نتيجة قرب الله تعالى. ففي هذه الآيات دحضت فكرة اليهود التي مفادها بأن المسيح لم يُقتل بالصليب إذ لم يمت عليه فلا ينطبق عليه حكم التوراة القائل بأن الذي يعلّق على الصليب لا يُرفع إلى الله بل يدخل جهنم ملعونا.

انظروا الآن، لم يكن هناك أيّ نزاع حول الرفع بالجسد ولم يعتقد به اليهود قط ولا يعتقدون الآن أيضا بأن الذي يعلّق على الصليب لا يُرفع رفعا جسديا لأن السبب وراء إنكار اليهود رفع المسيح الذي يحظى به كل مؤمن بعد موته كان عائدا إلى أنه من الضروري عند اليهود والمسلمين أيضا أن المؤمن يُرفع إلى الله بعد الممات كما تدل عليه بصراحة الآية: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ (الاعراف: ٤١)، وكما تتضمن الآية: ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (الفجر: ٢٩) أيضا الإشارة نفسها. ولكن رفع الجسد ليس شرطا للنجاة عند اليهود ولا عند المسلمين. والمعلوم أن موسى عليه السلام لم يُرفع بالجسد، أفليس هو أيضا ناجيا عند اليهود؟ باختصار، إن معظم الناس تركوا الحقيقة في هذه القصة وذهبوا بعيدا. القرآن الكريم لا يعلم قط عقيدة أن رفع الجسد ضروري للنجاة، ولا يعلم أن المسيح رُفع إلى السماء حيا.

لماذا سرد القرآن الكريم هذه القصة؟ السبب الوحيد وراءه كان النزاع الدائر بين اليهود والنصارى في موضوع الرفع وعدمه. لقد وجد اليهود حجة أن المسيح صُلب

وبالتالي حُرِّم بحسب التوراة من الرفع الذي يحظى به المؤمنون، واستنتجوا من ذلك أنه ليس نبيا صادقا كما لا يزالون يسردون قصة الصلب ويقدمون العبارة نفسها من التوراة. لقد استفسرتُ كثيرا من اليهود فقالوا في الرد إنه لا يهمننا رفع الجسد بل ما نثبته هو أن ذلك الشخص لا يمكن أن يُعدَّ مؤمنا وصادقا لأنه صُلب. فالتوراة نفتي أنه لم يُرفع روحانيا. هناك كثير من اليهود في كالكوٲا ومومباي فاسألوا من شتتم منهم سيرد عليكم بالجواب نفسه. فهذا كان النزاع الجدير بالحكم فحكم الله تعالى في القرآن الكريم في هذا النزاع بقوله: ﴿يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلی﴾، أي أن رفع المسيح ﷺ كان بعد الوفاة وهو من حزب المؤمنين لا من الذين أُغلقت عليهم أبواب السماء. (مجموعة الإعلانات، المجلد ٢ ص ٣٨٥-٣٨٦)

إنه حق وصدق أنه ﷺ سيجعل متبعي غالبين على معارضي والكافرين بي. ولكن ما يدعو إلى التأمل هو أنه لا يدخل أحد في المتبعين الحقيقيين بمجرد أن بايع على يدي. بل لا يدخل في المتبعين ما لم يحدث في نفسه حالة الاتباع التامة، وما لم يطعني طاعة كاملة كأنه يتفاني في طاعتي، ويقتفي آثاري، ما لم يحدث هذا لا تنطبق عليه كلمة الاتباع. يظهر من هنا أن الله تعالى قدّر لي جماعة سيتفانون في طاعتي ويطيعوني طاعة كاملة. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ١، عدد ١٠٠٦/١/١٩٠٦ م ص ٥)

يثبت من الآية القرآنية ﴿يا عيسى إني متوفيك...﴾ أن الأمر الأكبر الذي تسبّب في كون اليهود ﴿الْمَعْصُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ فعوقبوا إلى يوم القيامة وأصيبوا بذلة وأن يُحكموا على الدوام، إنما هو أنهم كفّروا عيسى ﷺ وأسأءوا إليه مع رؤية آيات الله على يديه، وفسّقه وكذبوه بمنتهى العناد والفتنة والحماس، وألصقوا به وبوالدته الصديقة تهما باطلة، كما يُفهم بصراحة من آية: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، فليس هناك ذلة مثل أن يظل المرء محكوماً دوماً. فالذلة الدائمة تستلزم العذاب الدائم. (التحفة الغلورية، الخزائن الروحانية المجلد ١٧ ص ١٩٨)

نعلم بتدبر الآية: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أن العقوبة المذكورة في آية: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ (البقرة: ٦٢) أصيب بها اليهود على إيدائهم المسيح ﷺ أيضا. لأن الآية المذكورة آنفا تتضمن وعيدا دائما بحق اليهود أنهم سيخضعون دوما لسيطرة غيرهم في الحياة، وهي أصل كل عذاب وذلة. كما ثبت حتى الآن بملاحظة الأوضاع البائسة لليهود أنه لم يهدأ بعد غضب الله الذي ثار عليهم حين ذهبوا بذلك النبي الوجيه معتقلا إلى موضع "جلجثة"، ليصلبوه. وأصابوه بشتى ألوان الهوان قدر ما استطاعوا، وبذلوا السعي ليكون مصلوبا لكي يُعَدَّ من الملعونين بحسب النصوص الصريحة للتوراة ويُكتب من الذين ينحطّون إلى تحت الثرى بعد الوفاة ولا يكون رفعهم إلى الله. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية المجلد ١٧ ص ١٩٩-٢٠٠) يُفهم من الآية: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فهذا النوع من الغضب الذي لن ينقطع إلى يوم القيامة لا يوجد له نظير في أي قوم. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية المجلد ١٧، ص ٢١٤)

يا عيسى إن الله سيجعل أتباعك الحقيقيين أي المسلمين، والذين يدعون اتباعك أي النصارى فقط، فوق الذين عادوك وأنكروك وكذبوك، إلى يوم القيامة. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٣١)

من واجبا الإيمان بموجب آية ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أن الحكومة والسلطنة ستبقى في المسلمين والمسيحيين إلى يوم القيامة، وأن الذين يُنكرون المسيح لن يحكموا البلاد الإسلامية أبدا حتى تأتي القيامة. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية المجلد ١٧، ص ٢٣٢)

فالضمير في "كفروا" هنا أيضا يعود إلى اليهود، لأن عيسى ﷺ كان قد بعث إلى اليهود فقط، وهذه الآية تتضمن الوعد بأن المؤمنين بالمسيح ﷺ سيكونون فوق اليهود إلى يوم القيامة. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٣٠٩)

وبموجب آية: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾؛ فإن إيمان الجميع ينافي النص الصريح. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٧٤، الحاشية)

"هذه الآية دليل قطعي على أن المسلمين والنصارى يرثون الأرض ويتملكون أهلها إلى يوم القيامة، لأن المسلمين اتبعوا المسيح اتباعاً حقيقياً، والنصارى اتبعوه اتباعاً ادّعائياً". (حماسة البشرى، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ١٩٣-١٩٤ الحاشية)

"ومعلوم أن كون اليهود مغلوبين إلى يوم القيامة يقتضي وجودهم وبقاءهم وكفرهم إلى يوم الدين". (حماسة البشرى، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٣٩، الحاشية)

"والعجب كل العجب أنهم يقولون إنا آمنّا بآيات الله ثم لا يؤمنون، ويقولون إنا ننبع صحف الله ثم لا يتبعون. ألا يقرأون في الكتاب الأعلى ما قال الله في عيسى إذ قال: ﴿يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَذَا الصَّلَافَ﴾، وقال: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾، وما قال: "إني مُحييكَ". فمن أين علِمَ حياة المسيح بعد موته الصريح؟ يؤمنون بأنه لقي الأموات، ثم يقولون ما مات. تلك كلمٌ متهافئة متناقضة، لا ينطق بها إلا الذي ضلت حواسه، وغرب عقله وقياسه، وترك طريق المهتدين.

يا أسفا عليهم! إنهم اتفقوا على الضلالة جميعاً، وخلطوا في الكلام تخليطاً شنيعاً. فكيف نقبل قولهم الذي يخالف القرآن؟ وكيف نسلّم وهمهم الذي لا يشفي الجنان؟ أنقبل خرافاتهم التي ليست معها حجة قاطعة، ولا دلائل مقنعة واضحة؟ (عاقبة آثم، الخزان الروحانية، المجلد ١١، ص ٨٣-٨٤)

"أيها الناس! قد أعثرني الله على هذا السر وعلمني ما لم تعلموا، وأرسلني إليكم حكماً عدلاً، لأكشف عليكم ما كان عليكم مستتراً. فلا تماروا ولا تجادلوا، وتدبروا

في قوله: ﴿يا عيسى إني متوفيك﴾، واقرأوا هذه الآية إلى قوله: ﴿يوم القيامة﴾ ثم أَمَعِنُوا النظر يا أولي النهى! وانظروا كيف افتتح الله من وفاة المسيح، وذكر كل واقعة بترتيب طبعي تتعلق بعيسى، حتى اختتمها على يوم القيامة، ولم يذكر من نزول المسيح في هذه السلسلة شيئاً، وما أحدث في هذا الأمر ذكراً. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية المجلد ٥، ص ٤٣٤-٤٣٥)

قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾. لقد قُطِعَ هذا الوعد الباعث على الطمأنينة مع ابن مريم المولود في "الناصره"، ولكني أبشركم بأن الله تعالى قد خاطبَ وبشَّرَ بالكلمات نفسها ابن مريم هذا الذي جاءكم باسم يسوع المسيح. ففكروا الآن هل يمكن للذين ما زالوا في درجة النفس الأمّارة ويسلكون سبل الفسق والفجور أن ينالوا نصيباً من هذا الوعد العظيم والبشارة العظيمة بالانتماء إليّ؟ كلا، ثم كلا. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ١٠٠)

الذين يؤمنون بي سيصلح دينهم ودنياهم أيضاً لأن الله تعالى قد وعد: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾. اقترب الزمن الذي فيه يُجرّهم الله تعالى بنفسه من الأُمِّيَّة ويهبهم قوة البيان وسيغلبون المنكرين. (الحكم مجلد ٦، رقم ٤٤، عدد ١٠/١٢/١٩٠٢م ص ٢)

حكّم القرآن الكريم أخيراً، وإلى ذلك أشار الله ﷻ في القرآن الكريم في قوله: ﴿يا عيسى إني مَتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ أي يا عيسى سوف أُميتك موتاً طبعياً وسأرفعك إليّ، أي لن تُصلب. ففي هذا ردّ على قول اليهود القائل بأن عيسى قد صُلب فهو ملعون، ولم يُرفع إلى الله، بينما النصارى كانوا يقولون إنه بقي ملعوناً ثلاثة أيام فقط، ثم رُفِعَ إلى الله بعد ذلك. فهذه الآية حكمت بينهما أنه بعد الوفاة تم رفع عيسى إلى الله روحانياً بلا تأخير، وليكن معلوماً أن الله لم يقل هنا "رافعك إلى السماء" بل قال

﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ لئلا يشك أحد في الرفع المادي، لأن الذي يذهب إلى الله فإنما يتوجّه بالروح لا بالجسم، ونظيره موجود في: ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ (الفجر: ٢٩). باختصار، قد حَكَمَ (أي القرآن الكريم) في هذه القضية على هذا النحو. لكن معارضينا السفهاء القائلين بالرفع الجسماني لا يدركون أن القضية لم تكن تتعلق بالرفع المادي. وإذا قبلنا جدلاً هذا الأمر الذي لا علاقة له بالموضوع لنشأ التساؤل التالي: بم حَكَمَ القرآن الكريم في النزاع المتعلّق بالرفع الروحاني بين اليهود والنصارى؟ وفي أي آية ورد هذا الحكم والفصل؟ عندها لن تجدوا بُدّاً من العودة إلى هذه الآيات أخيراً. (كتاب البراءة، الخزائن الروحانية، المجلد ١٣، ص ٣٦٢)

يتبين من الآية: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أن الدجال ليس إلا فئة المسيحيين لأنه ما دامت الغلبة والسلطة مقدرة للمسيحيين إلى يوم القيامة، أو للمسلمين الملتزمين حقيقةً، فهل لعادل أن يظن أن يتسلط على الأرض كلها شخص يعارض عيسى عليه السلام ولا يؤمن بنبوته. إن هذه الفكرة تتنافى مع النص القرآني الصريح. (تتمة حقيقة الوحي الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٤٥٦-٤٥٧)

لقد قال (القرآن الكريم): ﴿فَلَمَّا تَوَقَّيْتَنِي﴾ وبيّن البخاري معنى هذه الآية بقوله "متوقّيك: مُميتك". وبعد ذلك كم من الخطأ الفادح لهؤلاء إجلالهم إياه في السماء عبثاً! فهو المسكين يصرخ ويقول إن هؤلاء ضلُّوا بعد وفاته، فليخبرنا أحد هل قد ضل المسيحيون أم لا؟ فإن كانوا قد ضلوا فالمسيح قد مات. (الحكم، المجلد ٧، رقم ١٨، عدد: ١٧/٥/١٩٠٣ م، ص ٢)

إن أول الخصومات هي قضية وفاة المسيح عليه السلام، وهناك آيات بينة عليها، كقول الله تعالى: ﴿يَا عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ كُنْ هَٰذَا صُلْبًا﴾ وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَقَّيْتَنِي كُنْتُ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ (المائدة: ١١٨) ومن الأعذار الواهية الباطلة أن "التوفي" هنا



لا يعني الإمامة، فإن ابن عباس رضي الله عنه، بل إن هادينا الكامل عليه السلام نفسه قد فسّر التوفي بمعنى الإمامة. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧، ص ٥٨٠)

لقد جاء القرآن الكريم لرفع الخلاف. فإذا كان معارضونا يستنبطون من ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ أن المسيح صعد إلى السماء بالجسد فليخبرونا هل هذا ما كان اليهود يهدفون إليه؟ هل كانوا يقولون بأن المسيح لم يصعد إلى السماء؟ بل كان اعتراضهم على أن المسيح لم يُرفع إلى الله. إن لم تكن الجملة ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ جوابا على هذا الاعتراض فعلى معارضينا أن يردّوا عليه. (الحكم، المجلد ٨، رقم ٢٥-٢٦، عدد: ٧/٣١-١٠/٨/١٩٠٤م، ص ١٣)

الآية ٦٠: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾

حين استدل النصارى في زمن النبي عليه السلام على كون المسيح بغير أب فهو إله، ذكر الله فوراً نظير الولادة من هذا النوع بل أزيد منه، وقال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾. والجدير بالذكر أنه عليه السلام ذكر نظيراً يُعَدُّ من البديهيّات ومعتقدات اليهود والنصارى والمسلم به لديهم. (أيام الصلح، الخزان الروحانية، المجلد ١٤، ص ٣٨٢، الحاشية)

إن ولادة المسيح بلا أب أيضاً من الأمور النادرة وليست مخالفة لقانون الطبيعة؛ لأن الأطباء اليونانيين والهنود والمصريين قد كتبوا نظائر كثيرة لولادة أولاد من دون أب. فبعضُ النساء يتمتعن - بحكم القادر المقتدر - بكلتا القوتين العاقدة والمنعقدة، ومن ثم توجد في بذرتهن خصائص الذكر والأنثى كليهما. ولقد ذكر اليونانيون نظائر هذه الولادة كما قدم الهندوس أيضاً أمثلة. وسُجِّلَت أيضاً في الكتب الطبية التي أُلِّفَت مؤخراً في مصر هذه الظواهر بتحقيق كبير. إن الكلمتين "شندر بنسي" و"سورج بنسي" في الكتب الهندوسية أيضاً تشير في الحقيقة إلى هذه الأمور. فهذا

النوع من الولادة يتضمن ندرة فقط، كما في ولادة التوأم ندرة ليس أكثر. فلا يمكن القول: إن الولادة بلا أب أمر خارق للعادة يخص عيسى ﷺ وحده فقط. فلو كان ذلك ميزة خاصة بعيسى ﷺ لما قَدَّمَ الله في القرآن الكريم نظيره الأكثر ندرة، ولما قال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ... خلقه من التراب الذي هو أُمُّ جميع الناس ثم قال له كن فكان، أي صار حيا يقظا. فواضح أنه إذا ظهر نظير شيء ما فلن يبقى منقطع النظر. فإذا عُثِرَ على ميزة لأحد فلا يسعه القول إنها تخصه وحده. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ٢٠٢-٢٠٣)

والجدير بالانتباه أن الله شَبَّهَ المسيح بآدم في كونه وُلِدَ من دون أب. وإن قيل لماذا لم يُشَبَّهَ بإنسان آخر، فأقول كان ذلك بمهدف أن يقدَّم نظير معروف مشهور، وذلك لأن النصارى كانوا يدَّعون بأن الولادة بدون أب ميزة تخص المسيح وحده، ومن ثم كانوا يستدلون به على ألوهيته. فلدحض هذه الحجة قدم الله نظيرا يسلم به النصارى أيضا ويقبلونه. فلو كان الله قَدَّمَ أحداً آخر من مخلوقاته لما كان مقبولا ومسلماً به مثل هذا النظر ولعُدَّ أمرا نظريا فقط، وإلا فهناك في العالم آلاف الأشخاص قد ولدوا بدون أب. وعلى أقصى تقدير يعدّ هذا الأمر من الأمور النادرة وليس مخالفا لسنة الله وقانون الطبيعة. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٠٨، الحاشية)

الإله القادر الذي خلق الإنسان من التراب فقط في بداية الدنيا ما الغرابة فيما لو خلق إنسانا من نطفة المرأة فقط؟ من الواضح أن النطفة أقرب قدرة على الخلق من التراب. وأن قدرة التراب على ذلك أبعد. فما دمتم تعترفون أن الشيء الذي قدرته أقل وأبعد يمكن أن يتولّد الإنسان منه أيضا أفليس من الحمق والغباوة القول بعدم إمكانية ولادة الولد مما هو أقدر على الخلق من التراب؟ لذلك قدّم الله تعالى آدم وحده عند

بيانه مثل ولادة يسوع بقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٢٧)

إن اعتقاد معارضينا أن عيسى ﷺ صعد إلى السماء بجسده المادي محفوظا من الصلب اعتقادٌ يصبح بسببه القرآن الكريم عرضة لاعتراض شديد؛ لأن القرآن الكريم يدحض في كل مكان دعاوى المسيحيين التي يحاولون بها إثبات ألوهية عيسى، مثل ولادته بلا أب، الأمر الذي يُستدل به على ألوهيته، لكن القرآن الكريم يدحض هذه الحجة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فإذا كان عيسى قد صعد بالجسد المادي إلى السماء فعلا وسينزل منها فهذه ميزة خاصة به وحده ومن شأنها أن توقع في الخطأ أكثر من ولادته بلا أب. فأجيبوا بالله عليكم، أين قدّم القرآن الكريم نظيره ثم دحضه. أو هل عجز الله عن إبطال هذه الخصوصية؟ (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٤٣)

"والله، إن عيسى مات، وإنهم يعاندون الحق الصريح، ويقولون ما يخالف القرآن وما يخافون. وأي إشكال يأخذهم في موت عيسى، بل هم قوم مسرفون. يخصّصونه بصفة لا توجد في أحد من الناس، ويؤيّدون النصارى وهم يعلمون. وكيف تقبل غيره الله أن يُخصّص أحد بصفة لا شريك له فيها من بدء الدنيا إلى آخرها، وأي عقيدة أقرب إلى الكفر منها، لو كانوا يتدبّرون. فإن التخصيص أساس الشرك، وأيّ ذنب أكبر من الشرك أيّها الجاهلون؟ وإذ قالت النصارى إن عيسى ابن الله بما تولّد من غير أب، وكانوا به يتمسّكون، فأجابهم الله بقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، ولكننا لا نرى جواب خصوصية رفع عيسى ونزوله في القرآن، مع أنه أكبر الدلائل على ألوهية عيسى عند أهل الصّلبان. فلو كان أمر صعود عيسى وهبوطه صحيحًا في علم ربّنا الرحمن، لكان من الواجب أن يذكر الله مثيل عيسى في هذه الصفة في الفرقان، كما ذكر آدم

ليطبل به حُجَّة أهل الصليبان. فلا شك أن في ترك الجواب إشعار بأن هذه القصة باطلة لا أصل لها وليس إلا كالهذيان. " (الاستفتاء، حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٦٧٣-٦٧٤)

في زمن نبينا عليه السلام ذكر بعض النصارى خصوصية عيسى عليه السلام أنه وُلد بغير أب، فردَّ الله تعالى في القرآن الكريم فورا فقال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: ٦٠) أي كما خلق الله آدم من تراب فقال له: كُنْ فكان، كذلك خلق عيسى بن مريم من دم مريم ومائها ثم قال: كُنْ، فكان. فأَيُّ ألوهية أو خصوصية نشأت فيه من جراء هذا الأمر البسيط؟! في موسم الأمطار تتولد في الأرض آلاف أنواع الحشرات من تلقاء نفسها بدون أب وأم ولا يؤلِّهها أحد ولا يعبدها ولا يطأطئ رأسه أمامها. إذا، فإن إثارة ضجة كبيرة عن عيسى عليه السلام ليس إلا جهلا وغباوة. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٥٠-٥١)

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي أن ولادة عيسى بغير أب ليس أمرا غير عادي حتى يستلزم ألوهيته، إذ إن آدم كان بغير أب وأم أيضا. فلما اقتضت غيرة الله ألا تكون لعيسى عليه السلام خصوصية الولادة بغير أب حتى لا تكون دليلا على ألوهيته فأتى يمكن أن يقبل عليه السلام أربع خصائص<sup>١</sup> له تفوق العادة. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس الخزائن الروحانية المجلد ٢١، ص ٣٩٧-٣٩٨)

<sup>١</sup> (١) صعد إلى السماء مع جسده المادي (٢) بقي في السماء إلى مئات السنين بغير الماء والطعام (٣) بقي في السماء كل هذه المدة دون أن يؤثر فيه التقدم في السن والضعف. (٤) سينزل من السماء بعد مدة مديدة مع الملائكة. (تلخيصا من البراهين الأحمدية الجزء الخامس ص ٢١). (الناشر)

إن لم يكن المسيح دون أب فما وجه المماثلة؟ وأي اعتراض على المسيح دُحض بذلك؟ نرى من منطلق التاريخ أيضا أن اليهود كانوا يصفون ولادته بأنها غير شرعية لأنه لم يكن له أبٌ. فردَّ الله على اليهود في قوله: إن آدم أيضا كان بلا أب بل لم تكن أمٌ أيضا، كان بلا أبوين، فيجب أن يعدَّ الجواب بحسب الاعتراضات التي تثار بناء على بعض الأحداث، فإذا كان أحد يعدّ هذه الولادة خلافا لقانون الطبيعة فعليه أن يحدّد أولا قانون الطبيعة. (بدر مجلد ٢، رقم ١٦، عدد ٨٥/٥/١٩٠٣ م ص ١٢٢)

من المعلوم أنه لا يقبل أي أمر دون نظير، فحين استدل النصارى من كون المسيح بلا أب على ألوهيته، ردَّ الله عليهم بتقديم نظير بقوله ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾، بمعنى أنه إذا كان الإنسان يصبح إلهًا لكونه بلا أب فآدم لم تكن له أمٌ أيضا، فلم لا تتخذونه إلهًا؟ فحين دحض الله قول النصارى هذا، فإن كان المسيح حيا أيضا في السماء في الحقيقة واستدل النصارى به على كونه إلهًا لردَّ الله حتما على ذلك أيضا، ولقد عددا من النظائر، قائلا: إن فلانا وفلانا من الأنبياء أيضا أحياء في السماء. (بدر مجلد ٣، رقم ١٠، عدد ٨٥/٣/١٩٠٤ م ص ٥)

إذا كان الذي وُلد بغير أب إلهًا فمن ليس له الأبوان أحق بأن يُكون إلهًا، ولكنهم لا يعتقدون به إلهًا. كذلك يجب أن يُتخذ يحيى أيضا إلهًا لأنه وُلد من بطن عقيم. (الحكم مجلد ٩، رقم ٤٢، عدد ٣٠/١١/١٩٠٥ م ص ٢)

إذا كانت الولادة بغير أب دليل على الألوهية أو بنوة الله، فإن آدم عليه السلام أحق بهما لأنه ليس له أبٌ ولا أمٌ، ويقول الله تعالى عنه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾، والجدير بالذكر أنه لما كان هناك خطر أن ينخدع الخلق نتيجة ولادة عيسى بغير أب فقد جعل الله لذلك نظيرا بخلقه آدم بغير أب وأم. ولكن إذا اعترف بصعوده إلى السماء لكان ضروريا أن يجعل الله لذلك أيضا نظيرا. فلما لم يجعل الله نظيرا للصعود إلى السماء فثبت أن القول بصعوده إلى السماء كذب بحت. (الحكم مجلد ١١ رقم ٣٩، عدد ٣١/١٠/١٩٠٧ م ص ٦)

لقد تمسك النصارى بمعتقد أنه لما كان المسيح ﷺ بلا أب، فهذا الأمر دليل قوي على ألوهيته، وكان اعتراضهم القوي على المسلمين وكانوا يحتجون بإثبات هذه الميزة على ألوهيته، ففند الله زعمهم بقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾، أي إذا كنتم تستدلون بولادة عيسى ﷺ بلا أب على ألوهيته فأدم أولى بذلك لأنه كان بلا أبوين. فآمنوا بأن آدم كان إلها أكبر، وبعده يمكن أن تستدلوا بهذا الأمر على ألوهية عيسى. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٤٢، عدد ١٨/٧/١٩٠٨ م ص ٧-٨)

اللافت في الموضوع أن يكون أحد متحليا بصفات الإنسان وتنطبق عليه كافة مقتضيات البشرية فبأي دليل يمكن أن يُعَدَّ إنسانا فوق العادة؟ إن قلتم بأنه يُعرف من الملامح أنه إله فهذه الفكرة باطلة تماما ومحال، وقد لا يعتقد به النصارى أيضا. إذن، لا بد لكم أن تقدموا أن أعماله وأفعاله كانت كذا وكذا وهي تفوق قدرات البشر وتؤهله ليحتل منصب الألوهية، ولا يمكن أن يكون هناك دليل قوي على ألوهيته سواه مع أن ذلك أيضا ليس سوى غباوة محضة. الإسلام لا يزال يعلن إلى يومنا هذا بقرع الطبول: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ أي عند الله الذي هو أحق بالألوهية لأنه جامع لجميع الصفات الكاملة ومنزه عن كل نوع من الضعف البشري ومستلزمات المخلوقين ومقتضياتهم غير أن عيسى ليس عند الله أكثر من إنسان عادي أي توجد فيه كل المستلزمات والأعراض البشرية. والذي يدعي ألوهيته عليه أن يُري فيه خواصا تفوق إنسانا عاديا. وهذا دين كبير في عنق النصارى ولا يزال معلقًا منذ ١٣٠٠ عاما. كان من مقتضى غيرهم -إذا كانت فيهم أصلا- أن يبرِّثوا أنفسهم من هذه التهمة الشديدة فضلا عن أن يعدّوا إنسانا إلها وبداية كل شيء ونهايته، ومن ناحية ثانية لا يعدّه الإسلام بحال من الأحوال أكثر من إنسان خُلق من تراب ولا يسمح لأحد أن يعدّه أكثر من ذلك. (الحكم مجلد ٧، رقم ٢٢، عدد ١٧/٦/١٩٠٣ م ص ٤)

إن ابن مريم الذي ليس له أب روحاني في الأرض إلا ذلك المعلم الحقيقي، وبماثل بذلك آدم أيضاً؛ سيوزع كنوز القرآن الكريم الكثيرة حتى يسأم الناس من قبولها، ويكونون مصداقاً لحديث "لا يقبله أحد"، وتصبح كل طبيعة قانعة بقدر وسعها. والخلافة التي بدأت بآدم عليه السلام قد أتمتها حكمة الله الكاملة غير المتغيرة على آدم آخرًا. هذه هي الحكمة في إلهام: "أردت أن أستخلف فخلقت آدم." ولما كان الوقت الحالي هو وقت استكمال دائرة الزمان كما تشهد عليه الأحاديث الصحيحة؛ فسمي الله تعالى الخليفة الأخير باسم آدم، ليجعل كلمة الأول والأخير واحدة. فليس هناك تباين روحاني بين آدم وعيسى من أي نوع، بل هناك مماثلة بينهما؛ إذ قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٦٧)

الآية ٦٣: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾

المباهلة تعني في اللغة وفي المصطلح الشرعي أن يستنزل الفريقان المتعارضان اللعنة والعذاب كل منهما على الآخر، أما في هذا الدعاء فسيُصيب أثر الدعاء نفسي فقط فليس هناك أي دعاء ضد الفريق الثاني. (أربعين، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧ ص ٣٧٧ الحاشية)

أرى أنه يمكن أن تكون المباهلة خطيئة أيضاً. (مجموعة الإعلانات، المجلد ٢ ص ٦٧١) لقد ثبت من سنة الصلحاء منذ القدم أن ميعاد المباهلة سنة واحدة على أكثر تقدير، وعندنا إثبات واضح أن البركات التي ذكرناها قد نزلت علينا خلال سنة واحدة. (أنوار الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٩، ص ٣٤، الحاشية)

ولا يغيب عن البال أيضا أن الأسلوب الصحيح المسنون للمباهلة هو أن الذين يريدون أن يباهلوا مَنْ يدّعي أنه مبعوث من الله ويريدون أن يكذبوه ويكفّروه، فعليهم أن يكونوا جماعة من المباهلين لا شخصا واحدا أو اثنين، لأن الله تعالى استخدم كلمة "تعالوا" في صيغة الجمع في آية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا﴾ (آل عمران: ٦٢) <sup>١</sup>. فقد دعا للمباهلة - بصيغة الجمع هذه - مقابل نبيه جماعة المكذبين لا شخصا واحدا، وقد وجّه الخطاب أولا في ﴿مَنْ حَاجَّكَ﴾ لشخص واحد باستخدام صيغة المفرد ثم طالب بالجماعة، فقال: إذا لم يمتنع أحدٌ من الجدل والخصومة ولم يقتنع بالدلائل المقدّمة فقل له - أيها النبي - أن يأتي مع جماعة للمباهلة. وبناءً على ذلك قد اشترطنا أن تكون مقابلتنا جماعةً، وتحقق الفائدة الصريحة من ذلك وهي أن الأمر الخارق الذي سينزل على المكذبين في صورة عذاب لن يلتبس على أحد، أما إذا كان شخص واحد فيبقى احتمال الالتباس والاشتباه قائما. (ملحق عاقبة آثم، الخزان الروحانية، المجلد ١١، ص ٣١٩-٣٢٠)

إن كون المسيح عبدا صحيح تماما ومنزّه عن كل ريب. وإن حاجك المسيحيون في ألوهية المسيح ابن مريم مع ذلك وكذبوا ببيان الله تعالى أن المسيح عبد في الحقيقة مثل آدم وإن كان بغير أب، وعدّوه افتراء الإنسان فقل لهم أن يأتوا للمباهلة مع جماعة من أقاربهم ونأتي نحن أيضا بدورنا مع جماعتنا للمباهلة وسنلعن الكاذبين.

لقد تبين من هذا البيان بكل صراحة أن طريق المباهلة المسنون هو أن الذي يطلب المباهلة يجب أن يكون أساس ادّعاءه على يقين يعتبر بناء عليه خصمه مفتريا وكاذبا بصورة قاطعة ويجب أن يعلن يقينه هذا بكل صراحة ويقول بأنه يرى هذا

<sup>١</sup> آل عمران: ٦٢، والآية كاملة هي: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾. (المترجم)



الشخص مفتريا وكاذبا، وذلك ليس بناء على الظن والشك فقط بل باليقين الكامل كما قال الله تعالى في الآية المذكورة. ثم يتبين أيضا من هذه الآيات أن الله تعالى فهم المسيحيين جيدا أولا بالأدلة البينة أنه لا علامة للألوهية في عيسى بن مريم، ولكنهم عندما لم يرتدعوا من ذلك طُلبت المباهلة. كذلك يتبين من الآيات المذكورة أن الطريق المسنون للمباهلة هو أن تحضر الجماعتان من كلا الجانبين. وإذا كان لأحد الحق أن يستغني عن الجماعة فكان نبينا الأكرم ﷺ أحق بذلك. (مجموعة الإعلانات، المجلد ١، ص ١٨٢-١٨٣)

إن كلمة "الكاذبين" في هذه الآية تشهد بوضوح على بياني لأن الله تعالى بين بقوله "لعنة الله على الكاذبين" أن المباهلة إنما تجوز إذا كان الفريقان يعتبر أحدهما الآخر كاذبا متعمدا وليس مخطئا فحسب. (مجموعة الإعلانات، المجلد ١، ص ١٨٢، الحاشية)

الآية ٦٥: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

المزجة الثانية لتعليم القرآن هو كمال التفهيم. أي قد اختار من أجل التفهيم جميع الأساليب التي يمكن تصورهما. الشخص البسيط يستطيع أن يستفيد منه بحسب فهمه البسيط، كذلك يستطيع الفيلسوف أن يستمد منه الحقائق بحسب أفكاره الدقيقة. وبالإضافة إلى ذلك فقد أثبت كافة الأصول الإيمانية بالأدلة العقلية. وبقوله: ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ﴾ قد أتم الحجة على أهل الكتاب أن الإسلام هو الدين الكامل الذي لو أزيلت الزوائد الخلافية التي عندكم أو عند الدنيا كلها لبقى الإسلام وحده. (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٨٩)

مع أننا نؤمن أن التوحيد الجاف البحت لا يمكن أن يكون سببا للنجاة، كما لا يمكن أن ينجي الإنسان عملٌ إن ترك اتباع النبي ﷺ، ولكن ليطمئن قلبي أريد أن أعرف معنى الآيات التي اقتبسها عبد الحكيم خان وهي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (البقرة: ٦٣) والآية: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ (البقرة: ١١٣) والآية: ﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

ليكن واضحا أنه ليس المراد من إيراد هذه الآيات في القرآن الكريم أن النجاة ممكنة دون الإيمان بالرسول، بل المراد هو أن النجاة مستحيلة دون الإيمان بالله الواحد الذي لا شريك له ودون الإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالله لا يكمل دون الإيمان برسله. والسبب في ذلك أنهم مظاهر صفاته، ولا يثبت وجود شيء إلا من خلال صفاته. وعليه فإن معرفة البارئ تعالى تبقى ناقصة دون معرفة صفاته عليه السلام. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٧٢-١٧٣)

الآية ٧٠: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾

وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْمَسِيحِيِّينَ وَالْيَهُودِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ بِطَرِيقَةِ مَا، وَأَيُّ لَهُمْ أَنْ يَضِلُّوكُمْ بَلْ مَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَلَا يَشْعُرُونَ بِخَطَأِهِمْ. (البراهين الأحمديّة الجزء الثالث، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٢٦٠، الحاشية رقم ١١)

الآية ٧٢: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

"لم لا تتجافون عن الاشتطاط في تحريف كلمات الله وأنتم تعلمون أن الصدق وسيلة الفلاح والكذب من آثار الطلاح؛ وفي التزام الحق نباهة وفي اختيار الزور

عاهة، فإياكم وطرقَ الكذّابين. فأشار الله في هذا أن علماء النصارى هم الدجالون المفسدون أعداء الحق وأهله. نسوا ظلمة الرمس فلا يذكرون ما تمّ، وحبُّ الشهوات فيهم عمّ وتمّ وغاب أثر الدين. " (نور الحق، الجزء الأول، الخزانة الروحانية، المجلد ٨، ص ٨٢-٨٣)

الآية ٧٣: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

قال بعض من اليهود والنصارى أن آمنوا في أول النهار ثم أنكروا صدق الإسلام في آخره، أي في المساء، لعل الناس ينتهون عن الرجوع إلى الإسلام باختياركم هذا الأسلوب. (البراهين الأحمدية، الجزء الثالث، الخزانة الروحانية، المجلد ١، ص ٢٤٨، الحاشية رقم ١١)

قال بعض من اليهود والنصارى قولاً أن آمنوا في أول النهار أي في وقت الصباح ثم ارجعوا إلى دينكم مرة أخرى مساء ففعل الناس يشكون في الأمر ويتركون الدين الإسلامي. (البراهين الأحمدية، الجزء الرابع، الخزانة الروحانية، المجلد ١، ص ٥٨٦)

الآية ٧٦: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُودِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ من المال النقدي يُودِّهِ إِلَيْكَ عند الطلب وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ كَأَمَانَةٍ لَا يُودِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَى رَأْسِهِ قَائِمًا ذَلِكَ بسوء عملهم بأنهم قالوا مبيناً لَيْسَ عَلَيْنَا سَبِيلٌ في حقوق الْأُمِّيِّينَ العرب لتسلب وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ. (ينبوع المعرفة، الخزانة الروحانية، المجلد ٢٣،

الآية ٨٢: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾

من الواضح أن جميع الأنبياء ماتوا حسب آجالهم. والأمر هنا موجّه إلى أمة كل نبي أن يؤمنوا بذلك الرسول عند بعثته وإلا سيؤاخذون. فليقل الآن ميان عبد الحكيم- الذي ينطبق عليه مثل مفاده: "ناقص العلم خطر على الإيمان" لماذا يؤاخذ الله أناسا لم يؤمنوا بالنبي ﷺ وهم يعتقدون بوحدانية الله تعالى إذا كانت النجاة بمحض التوحيد ممكنة؟ (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٣٣-١٣٤)

يثبت من القرآن الكريم أن كل نبي عموما يدخل في أمة النبي ﷺ كما يقول تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ (آل عمران: ٨٢). فبذلك صار جميع الأنبياء من أمته ﷺ، فما معنى اعتبار عيسى ﷺ من أمته بوجه خاص؟ وما خصوصيته؟ هل كان قد انحرف عن إيمانه السابق، إذ آمن مع بقية الأنبياء، حتى عوقب- والعياذ بالله- بأن يُنزل على الأرض ويُكره على تحديد إيمانه، بينما كان في الإيمان السابق كفاية للأنبياء الآخرين؟! ألا تبعث مثل هذه الأفكار السخيفة على السخرية من الإسلام؟! (ملحق البراهين الأحمدية، الجزء الخامس الخزان الروحانية المجلد ٢١، ص ٣٠٠)

يتبين من نص هذه الآية بصراحة تامة أن جميع الأنبياء بمن فيهم المسيح ﷺ كانوا مأمورين بالإيمان بالنبي ﷺ، وقد أقرّوا بإيمانهم. (مجلة مقارنة الأديان مجلد ١، رقم ٥، ص ١٩١)

الآية ٨٥: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالتَّابِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

لا أريد أن ألوّم هنا طائفة معينة دونما سبب، ولا أنوي أن أجرح مشاعر أحد، ولكنني أقول متأوها بالأسف الشديد أن الإسلام هو دين طاهر ودين السلام الذي لم يهاجم أياً من زعماء الدين، والقرآن هو الكتاب الجدير بالتعظيم والتبجيل الذي وضع أسس السلام بين الأقوام، وصدّق نبي كل أمة، وهذا الشرف في العالم كله يعود للقرآن الكريم وحده الذي علّمنا: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ أي أعلنوا أيها المسلمون قائلين: إننا نؤمن بجميع الأنبياء في العالم ولا نفرق بحيث نؤمن ببعض ونكفر ببعض. فإذا كان هناك كتاب آخر موحى به يؤسس للصلح والوئام مثل القرآن الكريم فاذكروا لي اسمه. القرآن الكريم لم يجعل رحمة الله العامة مقتصرة على سلالة معينة. إنه يعترف بصدق أنبياء بني إسرائيل كلهم، سواء أكان يعقوب أو إسحاق أو موسى أو داود أو عيسى. ولقد أكد على صدق أنبياء الأمم الأخرى سواء كانوا في الهند أو في بلاد فارس، ولم يعدّ أي واحد منهم مخادعا أو محتالا، بل أعلن بوضوح أنه قد بُعث الأنبياء في كل أمة وفي كل قرية، ووضعوا أسس السلام بين الأمم كلها. ولكن من المؤسف حقاً أن كل قوم يسب رسول السلام هذا ويستخفّون به! (رسالة الصلح، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ٤٥٩-٤٦٠)

الآية ٨٦: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

من ميزات الإسلام أن العاملين به بصدق يُكرمون بشرف المكالمات الإلهية الخاصة، وتنشأ في قلوبهم أنوار القبول التي لا يشاركون فيها غيرهم. وهذه حقيقة واقعة. (مجموعة الإعلانات المجلد ١، ص ١٥٥)

تذكروا جيدا أن الدين الصادق في الدنيا والبريء من كل خطأ والنزيه عن كل عيب هو الإسلام وحده. هذا هو الدين الذي يوصل الإنسان إلى الله تعالى ويرسخ عظمة الله في القلوب. (مجموعة الإعلانات المجلد ٢، ص ١٥٩)

مَنْ لَا يَقْبَلُ تَعْلِيمَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَدِينَ الْإِسْلَامِ الَّذِي قَدَمَهُ لَنْ يَكُونَ مَقْبُولًا عِنْدَ اللَّهِ وَيَكُونُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ. (مكتوبات أحمد، المجلد ١، ص ٩٣)

النَّجَاةُ لَا تُنَالُ بِسَعْيِ الْإِنْسَانِ بَلْ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى. وَالْقَانُونُ الَّذِي سَنَّهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْحَصُولِ عَلَى الْفَضْلِ لَا يَبْطُلُ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، وَذَلِكَ الْقَانُونُ هُوَ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣٢) وَ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. (بدر المجلد ١، رقم ٤، عدد ٢١/١١/١٩٠٢ م ص ٣١)

﴿يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾، هذا ليس ادعاءً محضاً بل هذا ما تُظهره تأثيراته. وإذا كان أحد من أصحاب الأديان سوى الإسلام يجد في دينه تأثيرات فليبارزني. أقدم هذه الدعوة دائماً ولكن لم يأت أحد للمبارزة. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٤٠، عدد ١٧/١١/١٩٠٥ م، ص ٧)

الآية ٨٧: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾  
أي قد شهدوا بحق الرسول وقد بلغتهم الآيات بالبينات. (مكتوبات أحمد، المجلد ١، ص ١٢٨)

الآية ٩١: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾

اعلموا أن كلمة التوبة تضم في طياتها معاني لطيفة جداً وروحانية لا تعرفها الأمم الأخرى. المراد من التوبة هو الرجوع حين يتصدى الإنسان للأهواء النفسانية كلها

ويقبل لنفسه الموت ويسير إلى الله تعالى. ولكن هذا ليس سهلاً. ولا يُعَدُّ المرء تائباً إلا إذا تخلّى عن اتباع النفس الأمارة كلياً واختار لنفسه كل مرارة وكل موت في سبيل الله وخرّ على عتبات الله، عندها يستحق أن يهبه الله تعالى الحياة مقابل هذا الموت. (آريو قاديان ونحن، الخزائن الروحانية المجلد ٢٠، ص ٤٤٨)

معنى التوبة أن يترك الإنسان سيئة مقررًا بأنه لن يعود إليها أبداً وإن أُلقي في النار. فعندما يتوب الإنسان إلى الله تعالى بهذا الصدق والعزم الصميم يغفر الله الكريم والرحيم ذنبه. ومن صفات الله العليا أن يقبل التوبة وينقذ من الهلاك. ولو لم يتوقع الإنسان قبول التوبة لما ارتدع عن ارتكاب الذنوب قط. الديانة المسيحية أيضاً تقول بقبول التوبة ولكن بشرط أن يكون التائب مسيحياً. ولكن الإسلام لا يجعل قبول التوبة مشروطاً بأي دين، ويقول بأن التوبة تُقبل بالالتزام بأيّ دين كان. ولا يبقى ذنب إلا إذا كان أحد ينكر كتاب الله ورسوله. ومستحيل تماماً أن ينال الإنسان النجاة بأعماله بل هي منة من الله أنه يقبل توبة أحد ويعطي آخر بفضلته قوةً فيجتنب ارتكاب الذنب. (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ١٩٠)

الحق أن التوبة دافع قوي ومساعد كبير على التحلي بالأخلاق الفاضلة، وتجعل الإنسان كاملاً. أعني أن الذي يريد تغيير أخلاقه السيئة عليه أن يتوب بصدق القلب والعزيمة القوية.

واعلموا أن للتوبة ثلاثة شروط لا تتيسر بدونها التوبة الحقيقية التي تسمى بالتوبة النصوح.

وأول هذه الشروط الثلاثة يسمّى بالعربية الإقلاع، أي إزالة الأفكار الفاسدة الدافعة إلى الخصال الرديئة. والواقع أن التصورات لها تأثير قوي، لأن كل فعل يكون مجرد تصوّرٍ قبل تحوُّله إلى حيّز العمل. فالشرط الأول للتوبة هو أن يقلع المرء عن الأفكار الفاسدة والتصورات السيئة. وعلى سبيل المثال، إذا كان على علاقة غير

مشروعة مع امرأة فلا بد له قبل التوبة أن يستكره ويستبشع صورها ويستحضر في ذهنه رذائلها كلها، لأنه كما قلتُ آنفاً إن للتصورات تأثيراً قويا جداً. وقد قرأت في سوانح الصوفية أنهم بلغوا في التصور بحيث رأوا الإنسان على صورة قرد أو خنزير. باختصار، إن الإنسان يتصبغ بصبغة تصوراته، لذا عليه أن يقتلع نهائياً الأفكار التي هي السبب وراء تلك الملذات المنكرة، وهذا هو الشرط الأول.

والشرط الثاني للتوبة هو الندم. إن ضمير كل إنسان قادر على تحذيره عند كل سيئة، ولكن الشقي يترك ضميره عاطلاً. لذا على المرء أن يندم على ارتكاب معصية وسيئة ويفكر أنها ملذات آنية عابرة. ثم عليه أن يتذكر أيضاً أن الاستمتاع بتلك الملذات الفانية يضعف ويتضاءل في كل مرة، حتى أنه يتخلى عنها في الشيخوخة نهائياً حين تضعف قواه وتتعطل. فما دامت كل هذه المتع ستزول في حياته تلقائياً في نهاية المطاف، فما الفائدة من تعاطيها أصلاً؟ فيا لسعادة امرئ يلجأ إلى التوبة ويفكر في الإقلاع أولاً، أي يقتلع الأفكار الفاسدة والتصورات السخيفة الدنية، وبعد التطهر من هذه النجاسة والقذارة يخجل ويندم على ما صدر منه من قبل.

والشرط الثالث هو العزم، أي أن يصمم المرء على ألا يعود إلى تلك السيئات أبداً. وحين يداوم على ذلك فإن الله تعالى سيوفقه إلى التوبة الصادقة حتى يتخلص من المعاصي نهائياً وتحل محلها الأخلاق الحسنة والأفعال المحمودة. وهذا هو الانتصار في مجال الأخلاق. أما التوفيق في ذلك فهو بيد الله تعالى، فهو الذي يملك القوة والقدرة كلها كما قال: ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (البقرة: ١٦٦). (تقرير الجلسة السنوية

عام ١٨٩٧ م ص ١٥٧-١٥٨)

التوبة تعني التخلي عن الذنب والرجوع إلى الله، والتقدم إلى الحسنات وترك السيئات. التوبة تتطلب موتاً يحيا الإنسان بعده ثم لا يموت. يجب أن يكون الإنسان بعد التوبة إنساناً جديداً وكأنه نال حياة جديدة، فلا يبقى له سلوك قديم ولا لسان



ولا قدم ولا يد قديمة، بل يصبح كله وجودًا جديدًا، ويرى كأنه يعمل تحت أمر غيره، وليعرف الناظرون إليه أنه إنسان جديد.

الملخص هو أن أيقنوا بأن للتوبة ثمارًا كثيرة فهي منبع البركات، إن الأولياء والصلحاء في الحقيقة هم أولئك الذين يتوبون ثم يعتصمون بتوبتهم، ويتعدون عن الذنوب ويقتربون إلى الله باستمرار. التائب - توبةً كاملة - هو الذي يسمى وليًا وقطبا وغوثا ويكون حبيب الله في هذه الحالة فقط، وبعدها تُصرف البلايا المقدرة للإنسان. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١١، عدد ٢٤٤٣/٣/١٩٠٣ م ص ١٠)

الآية ٩٣: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ الحقيقي الذي يوصل إلى النجاة حَتَّى تُنْفِقُوا في سبيل الله المال والأشياء مِمَّا تُحِبُّونَ. (فتح الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٨)

ليس هناك تضحية أكبر لإرضاء الله من أن نقبل الموت لأجله وأن نخر على عتباته. قد علمنا الله هذه التضحية فقط، فيقول ﷺ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ أي لا تستطيعون إحراز البر الحقيقي ما لم تنفقوا في سبيل الله كل ما تحبون. (الرد على أربعة أسئلة لسراج الدين المسيحي، الخزان الروحانية، المجلد ١٢، ص ٣٤٧)

لا تستطيعون أن تنالوا الحسنة الحقيقية ما لم تنفقوا في مواساة الله مالكم الذي تحبونه. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٥٨)

يجب ألا يحب المرء المال. يقول الله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾. لو قارنًا زمن النبي ﷺ بالظروف السائدة الآن لتأسفنا على حالة الزمن الراهن إذ ما من شيء أحب من الحياة، والتضحية بالحياة في سبيل الله هي المطلوبة في هذا العصر. وهؤلاء أيضا كانت لديهم زوجات وأولاد. كل واحد يحب حياته ولكنهم

كانوا حريصين دائما على أن يضحوا بحياتهم في سبيل الله كلما وجدوا فرصة.  
(الكلمة الطيبة ص ١٤)

لا يحقّ لأحد ينفق في سبيل الله الأشياء التافهة الرديئة أن يدّعي فعلَ البرّ. اعلّموا أن باب الحسنة ضيق، ولن يدخله أحد بإنفاق الأشياء التافهة، فقد ورد في النص القرآني الصريح: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، أي لن تحوزوا درجة أحباء الله تعالى ما لم تُنفقوا ما هو أحب وأعز عليكم. إن كنتم لا تريدون مكابدة المشقة ولا تريدون أن تعملوا البرّ الحقيقي فأنتي لكم أن تكونوا من الفائزين والناجحين؟ هل مجّاناً نال الصحابة المكانة التي نالوها؟ كم ينفق الناس من الأموال وكم يكابدون من الأهوال في سبيل الفوز بألقاب دنيوية. يحظون بعد صنوف المشقة والعناء بلقب دنيوي عادي ولكنه لا يبعثهم على الطمأنينة والسكينة القلبية! فكّرُوا هل مجّاناً وبسهولة حاز الصحابة لقب "رضي الله عنهم" الذي كان مدعاة لاطمئنان النفس وسكينة القلب ورضا الله تعالى؟

الحق أن رضوان الله الذي يبعث على السعادة الحقيقية للإنسان، لا يُنال إلا بمكابدة الصعوبات التي تكون مؤقتةً عابرة في الواقع. إن الله تعالى لا يمكن خداعه. فطوبى للذين لا يأبهون بالأذى في سبيل الفوز برضا الله تعالى، لأن نور السرور الأبدي والسعادة الأبدية لا يناله المؤمن إلا بعد تلك المعاناة المؤقتة. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧ م ص ٧٩)

يحبّ الإنسان المال في الدنيا كثيرا، لذا قيل في علم تعبير الرؤى بأن من رأى أنه قد أخرج كبده وأعطاه لغيره، فتعبيره المأل. ومن أجل ذلك قال الله تعالى وهو يذكر السبيل لنيل التقوى الحقيقية والإيمان: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾. ذلك أن مواساة خلق الله ومعاملتهم الحسنة تتطلب إنفاقَ قسط كبير من المال، وإن مواساة البشرِ وخلقِ الله هو الجزء الثاني للإيمان، ومن دونه لا يكون الإيمان كاملا

ولا راسخا. ومن لم يتحلَّ بالإيثار فأثَّى له أن ينفع الآخرين. فلا بد من الإيثار من أجل نفع الآخرين ومواساتهم. إن قول الله: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ إنما هو تعليمٌ وحثٌّ على الإيثارِ نفسه.

إن الإنفاق في سبيل الله تعالى أيضا معيارٌ ومحكٌّ لمعرفة سعادة الإنسان وتقواه. ولقد بلغ أبو بكر رضي الله عنه في وقف الحياة لله تعالى بحيث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر حاجة له ذات مرة، فجاء أبو بكر بكل ما كان في بيته من المال والمتاع. (الحكم، مجلد ٤، رقم ٣٠، عدد ٢٤٨/٨/١٩٠٠م ص ٤)

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْأَشْيَاءَ مِمَّا تُحِبُّونَهَا حَبًّا جَمًّا. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٥، عدد ١٠٨/٧/١٩٠٣م ص ٨)

في ذلك تأكيد وإشارة إلى دفع التبرعات وبذل الأموال. (بدر مجلد ٢، رقم ٢٦، عدد ١٧/٧/١٩٠٣م ص ٢٠٢)

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ أنه إذا تطلَّب الوضع فيجب ألا يمتنع المرء حتى عن التضحية بأحب شيء إليه؛ أي الحياة. فالذي يورد على نفسه الموت في الصلاة فهو الآخر يصل إلى البر. (بدر مجلد ٣، رقم ١٥، عدد ١٦٤/٤/١٩٠٤م ص ٤) كذلك العبادة المالية التي يمكن للإنسان أن يسعى فيها لا تتعدى إنفاق شيء من أمواله المرغوب فيها في سبيل الله، كما يقول تعالى في السورة نفسها: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة: ٤) ويقول في آية أخرى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وواضح أنه لو اقتصرَت عبادة الإنسان المالية على إنفاقه في سبيل الله من أمواله المرغوب فيها والمحبة إليه فحسب، فهذا ليس بالعمل الجبار، بل العمل الجبار هو أن يتخلى الإنسان عن كل شيء سوى الله كليا، وألا يبقى له ما كان له من قبل، بل يصبح كل شيء لله تعالى، حتى يكون على استعداد تام للتضحية بنفسه أيضا في سبيل الله. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٣٩-١٤٠)

المواساة ميزة سامية في الإنسان، يقول الله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ لا يُرضي الله أن يقول هندوسي إذا مرضت بقرته: حسنا، نعطيها في سبيل الله. هناك كثير من الناس الذين يعطون المتسولين أرغفة بائنة وعفنة لا فائدة منها ويظنون أنهم تصدَّقوا. إن الله تعالى لا يحب مثل هذه الأمور ولا تُقبل الصدقات مثلها. يقول الله بكل صراحة ووضوح: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ أي لا يمكن أن يكون البرَّ برًّا حقيقيا ما لم تنفقوا في سبيل الله ولنشر الدين ومواساة خلق الله من أموالكم التي تحبونها. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٣، عدد ٩/٢/١٩٠٥ م ص ٩) لا يمكن أن تكسبوا البرَّ الحقيقي ما لم تنفقوا في سبيل الله ما تحبونه. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ١، عدد ١٠/١/١٩٠٦ م ص ٤)

لا تحبوا المال، يقول الله تعالى ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ أي لا يمكن أن تصلوا إلى البرِّ ما لم تنفقوا المال الذي تحبونه. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٢، عدد ١٧/١/١٩٠٧ م ص ٩)

للمولوي الحكيم نور الدين شأن عجيب في إخلاصه وحب وإيثاره وشجاعته لله وجوده ومواساته للإسلام. لقد رأينا الكثيرين ينفقون القليل في سبيل الله تعالى مع أنهم يملكون ثروات هائلة، أما أن ينفق أحدٌ ثروته الحبيبة ابتغاء رضا المولى ويبقى جائعًا وعطشانًا، وألا يهتم بادخار شيء لنفسه في الدنيا، فإن هذه الصفة لم نرها بصورة كاملة إلا في حضرة المولوي نور الدين، أو في الذين على قلوبهم أثر صحبته. ولقد أعطاني المولوي الموصوف إلى الآن تبرعًا قدره ثلاثة آلاف روبية تقريبا. وما نفني مال أحد قط كمثل ماله. لا شك أن هذا الطريق يخالف طرق الدنيا وأصول علم الاجتماع، إلا أن الذي يؤمن بوجود الله تعالى، ويعتبر دين الإسلام صادقًا ومن الله تعالى، وإضافة إلى ذلك يوفق في معرفة إمام زمانه، ثم بتفانيه في حب الله تعالى ورسوله ﷺ والقرآن الكريم وتضحيته بماله الحلال والطيب في إعلاء كلمة الإسلام،

فإن شأنه العظيم عند الله تعالى ظاهر وجلي، لقول الله جل شأنه: ﴿لن تنألو البرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.

خدا سے وہی لوگ کرتے ہیں پیار  
جو سب کچھ ہی کرتے ہیں اس پر نثار  
اسی فکر میں رہتے ہیں روز و شب  
کہ راضی وہ دلدار ہوتا ہے کب  
اسے دے چکے مال و جان بار بار  
ابھی خوف دل میں کہ ہیں نابکار

لا يمكن أن يكون من محبي الله تعالى إلا الذين يفدون به بكل ما يملكونه  
الهم الوحيد الذي يشغل بالهم ليل نهار هو أن يرضى بهم ربحهم الحبيب بطريق أو بآخر  
لقد فدى هؤلاء بنفسهم ونفيسهم في سبيله، مع ذلك يساورهم خوف أنهم لم  
يقوموا بالواجب. (الآية السماوية، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ٤٣٤)

الآية ٩٧: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾  
ما دام بيت الله وسيلة لهداية العالم كله ففي ذلك إشارة واضحة أن هذا البيت  
واقع في مركز لغته مشتركة في لغات العالم كله، وهذه هي حقيقة كونها أم اللغات.  
(من الرحمن، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ٢٣٣، الحاشية)

"فأومى إلى أن العربية سبقت الألسنة، وأحاطت الأمكنة، وهي أول غذاء  
للناطقين. فإن البيت لا يخلو من مجمع الناس، والمجمع يحتاج إلى الكلام لدفع الحوائج  
والاستيناس، فإن المعاشرة موقوفة على الفهم والتفهم، كما لا يخفى على الزكي  
الفهم". (من الرحمن، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ٢٣٣)

الآية ٩٨: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا يُبْرَاهِمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ  
حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾  
فاعلم أن مانع الحج لا ينحصر في عدم توفر الزاد فقط بل هناك أمور كثيرة،  
هي أعذار صحيحة عند الله لمنع الحج. ومنها المرض، ومنها أيضا انعدام الأمن في

الطريق أو في مكة بالذات. يقول الله تعالى: ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (أيام الصلح، الخزانة الروحانية، المجلد ١٤، ص ٤١٥)

لقد فرض الإسلام ... ولإظهار الحب سنّ الحج. إن جوانب الخشية كلها واضحة جيداً من أركان الصلاة، كم فيها من التذلل والإقرار بالعبودية. أما الحج ففيه أركان الحب كلها. في بعض حالات الحب الشديد لا يرى الإنسان حاجة إلى الثياب أيضاً. العشق ضرب من الجنون، وإن تسوية اللباس دائماً ليس من العشق في شيء. كانت في مدينة سيالكوت سيدهُ عشقت خياطاً، وكان الناس يمنعوها عنه بكل طريقة ممكنة، ولكنها مع ذلك كانت تذهب إليه ممزقة لباسها. فخلاصة الكلام أن هذا النموذج للحب البالغ منتهاه يوجد في الحج. يخلق الناس رؤوسهم، ويقومون بالسعي. ومن علامات الحب القُبلة أيضاً، فهي أيضاً موجودة في الحج كوجودها شكلياً في شرائع الله كلها. التضحية أيضاً تمثل قمة العشق. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٦، عدد ٢٤٤ / ٢٠٧ / ١٩٠٢ م ص ٣)

الذهاب إلى الحج حباً وإخلاصاً سهلاً لكن العودة في الحالة نفسها صعبة. هناك كثيرون يعودون من هنالك قساة القلوب وخاسرين. والسبب وراء ذلك هو أنهم لا يطلعون هناك أيضاً على الحقيقة، ويتبنون الرأي بعد رؤية القشر فقط، ويُحرمون من بركات ذلك المكان بسبب سيئاتهم. ثم يتهمون الآخرين؛ لذا من الضروري أن يقيم المرء في صحبة المبعوث من الله مدة بصدق وإخلاص ليطلع على أحواله الداخلية ويتبين صدقته كاملاً. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٠، عدد ١٧٣ / ٣ / ١٩٠٣ م ص ٤)

الحج في غير وقت مناسب لا يجدي نفعاً. معظم الحجاج يذهبون لأداء الحج مسرورين جداً ويعودون قساة القلوب. والسبب أنهم زاروا بيت الله في غير وقت مناسب لهم، ولم يزوروا إلا حُجرة فقط، ولم يجدوا معظم مجاوريات ملتزمين بالصدق والصلاح، فقست قلوبهم، وهلم جرا. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٥، عدد ١٠ / ١٠ / ١٩٠٥ م ص ٧ الحاشية)

ليس المراد من الحج مجرد أن يخرج المرء من بيته ويمخر البحر ويصل إلى هناك ويلفظ بعض الكلمات تقليداً ويؤدي شعيرة ويعود. الحق أن الحج عبادة سامية وهو المرحلة الأخيرة لكمال السلوك. فليكن معلوماً أن المراد من انقطاع الإنسان عن نفسه أن يفنى في حب الله ويتولد فيه عشق الله وحبه لدرجة لا يشعر بمقابله بصعوبة سفر ولا يهتم بالنفس أو المال ولا يفكر بالأعزة والأقارب. فكما يكون العاشق والمحب مستعداً دائماً للتضحية بنفسه من أجل حبيبته كذلك يجب ألا يقصر الحاج في ذلك. ولقد سُنَّ نموذج ذلك في الحج، فكما يطوف العاشق حول حبيبته كذلك سُنَّ الطواف في الحج. هذه نقطة دقيقة جداً. كما هناك بيت الله كذلك هناك من هو فوقه، فما لم تطوفوا حوله لا ينفع هذا الطواف وليس مدعاة للثواب. يجب أن تكون حالة الطائفين حوله - سبحانه وتعالى - كما ترون في هذا الطواف. فكما يستعمل الناس لباساً بسيطاً جداً في هذا الطواف كذلك على الطائفين حوله ﷺ أن يخلعوا لباس الدنيا ويختاروا التواضع والانكسار ويطوفوا كالعشاق. الطواف علامة عشق الله ومعناه أنه يجب الطواف حول مرضاة الله فقط دون أن يكون هناك أي هدف آخر. (الحكم، مجلد ١١، رقم ٢، عدد ١٧٧/١/١٩٠٧ م ص ٩)

إذا تيسر للعازم على الحج أن يقابل المسيح الموعود الذي ينتظره المسلمون منذ ١٣ قرناً، فلن يذهب للحج دون إذنه، وذلك بموجب نص القرآن والحديث الصريح، ويمكنه أن يحج بإذنه في وقت آخر. (تذكرة الشهادتين، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٤٩) الحق أن الذين يأتون من عند الله يكون السفر إليهم من أجل تعلم الدين أيضاً نوعاً من الحج. الحج عبارة عن العمل بأمر الله وقد جئت أنا أيضاً لحماية دينه وبيته أي بيت الله الحرام. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٩، عدد ١٠٣/٣/١٩٠٣ م ص ١٢)

لقد جعل حجر الكعبة أي الحجر الأسود رمزاً لأمر روحاني. ولو شاء الله لما بنى الكعبة وما وضع فيها الحجر الأسود، ولكن لما كان من سنة الله الجارية أنه ﷻ

يجعل إزاء الأمور الروحانية رموزاً مادية تمثّلها، وتكون شاهداً ودليلاً على الأمور الروحانية، فقد أُسِّست الكعبة بحسب هذه السُّنة.

الحق أن الإنسان خُلِقَ لعبادة الله، والعبادة نوعان؛ الأول: التذلل والتواضع، والثاني: الحب والفداء. ولإظهار التذلل والتواضع أمرنا الله بالصلاة التي تجعل كل عضو من أعضاء الإنسان في حالة خضوع وخشوع إلى درجة أن وُضع في الصلاة سجود الجسد أيضاً مقابل سجود القلب لكي يشترك في هذه العبادة الجسد والروح كلاهما، وليتضح أن سجود الجسم ليس عبثاً ولغواً. من المسلم به أولاً أنه كما أن الله خالق الروح كذلك هو خالق الجسم، ويملك حق الخالقية على كليهما. وإضافة إلى ذلك فإن الجسم والروح يتأثران ببعضهما. فتارة يكون سجود الجسد دافعاً وراء سجود الروح وتارة يخلق سجود الروح حالة السجود في الجسد لأن الجسم والروح كالمرآيا المتقابلة. فمثلاً عندما يحاول أحد أن يتكلف الضحك يضحك أحياناً ضحكاً حقيقياً له علاقة مع انبساط الروح. كذلك حين يتباكى أحد فكثيراً ما يبكي بكاءً حقيقياً له علاقة مع تألم الروح ورققتها. فثبت أن التذلل والتواضع الموجود في هذا النوع من العبادة، وأعمال الجسد تؤثر في الروح والعكس صحيح. كذلك الحب والفداء في القسم الثاني من العبادة يؤثران في الروح والجسد. فكما أن روح المحب تطوف في حالة الحب حول المحبوب كل حين، وتقبّل عتبة داره، كذلك جُعِلَت الكعبة المشرفة رمزاً مادياً للمحبين الصادقين، وكأن الله تعالى يقول لهم: انظروا، هذا بيتي، وهذا الحجر الأسود حجر عتبي.

ولقد أمر الله تعالى بذلك ليمكن الإنسان من التعبير عن مشاعر عشقه وحبّه الجياشة تعبيراً مادياً. فالْحُجَّاج يطوفون بهذا البيت طوافاً جسمانياً مُظهريين كأنهم مجانين وسكارى في حب الله، فيتخلون عن الزينة، ويحلقون الرؤوس، ويطوفون ببيتهم كالعشاق في هيئة المجذوبين، ويقبّلون هذا الحجر حاسبين إياه حجر عتبه. وهذا الوله الجسدي



يولد لوعة وحبًا روحانيا. فالجسد يطوف بالبيت ويقبل حجر العتبة، بينما تطوف الروح عندئذ حول الحبيب الحقيقي، وتطبع القبلات على عتبه الروحانية.

وليست في ذلك شائبة من الشرك، إذ إن الصديق يُقبل رسالة صديقه الحميم عند استلامها. فالمسلم لا يعبد الكعبة، ولا يطلب مراداته من الحجر الأسود، وإنما يتخذه رمزًا ماديا أقامه الله تعالى وليس إلا. كما أننا نسجد على الأرض، ولكن السجود ليس للأرض؛ كذلك نقبل الحجر الأسود، ولا يكون هذا التقبيل من أجله. فالحجر حجر بحت لا ينفع أحدا ولا يضر، ولكننا نقبله لأنه من يد ذلك الحبيب الذي جعله رمزا لعتبه. (ينبوع المعرفة الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٩٩-١٠١) إن عتبة الله مصدر الفيوض، أي كل فيض يُنال من عتباته وَعَلَى، لذلك كتب المعبرون أنه إذا رأى أحد في المنام أنه قبل الحجر الأسود فسينال العلوم الروحانية لأن المراد من الحجر الأسود هو منبع العلم والفيض. (ينبوع المعرفة الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ١٠٠، الحاشية)

(قال عليه السلام ردا على اعتراض أنك لم تقم بالحج على الرغم من القدرة....)

من الغريب جدًا أن هؤلاء العلماء الأشقياء يجلبون من مكة فتوى تكفيري ثم يقولون لي اذهب إلى الحج. هم يعرفون جيدًا أنه إذا أفتى أهل مكة بكفري فلن تعد مكة خالية من الفتنة. بينما يقول الله تعالى أن اجتنبوا الذهاب إلى مواقع الفتنة، فلا أستوعب من أي نوع هذا الاعتراض، إن هؤلاء يعرفون أن النبي ﷺ لم يحج في أيام الفتنة قط. وثابت من الحديث والقرآن الكريم أن اجتناب التوجه إلى مواقع الفتنة واجب، فما هذا الشر إذ قد أشاعوا في أهل مكة أي كافر ثم يُكرّر الاعتراض على عدم الذهاب للحج. (أيام الصلح، الخزان الروحانية، المجلد ١٤، ص ٤١٥)

هل يريدون أن أهمل المهمة التي عهدتها الله إلي أولاً وأنشغل في أخرى؟ يجب أن نتذكروا أن عادة الملهمين في العمل ليست على شاكلة خدمات عامة الناس،

فهم ينجزون كل عمل بتوجيه من الله وترشيده فقط. صحيح أنهم يعملون بجميع الأعمال الشرعية، إلا أنهم يقدمون كل عمل ويؤخرونه بإذن من الله. الآن إذا خرجنا إلى الحج فسوف نُعد من المخالفين لأمر الله. وقد ورد في كتاب "حجج الكرامة" عن قوله تعالى: ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، أنه إذا كان هناك خطر لفوات الصلاة فالحج يسقط، مع أن الذين يذهبون للحج تفوتهم صلوات كثيرة. إن المهمة الأساسية للمبعوثين من الله، هي تبليغ الرسالة، فقد مكث النبي ﷺ ١٣ عامًا في مكة، فكم مرة حج البيت؟ ولا مرة واحدة؟ (بدر مجلد ٢، رقم ١٦، عدد ١٩٠٣/٥/٨ ص ١٢٢)

عُرض على المسيح الموعود عليه السلام سؤال: كان شخص عاقدا عزمًا صميما على أداء فريضة الحج ولكن الموت لم يمهل له ذلك، فهل يجوز أن يُرسل أحدًا الآن بأداء الزاد له لأداء الحج نيابة عن المرحوم؟ فقال عليه السلام: هذا جائز، وسينال المتوفى ثواب الحج. (بدر مجلد ٦، رقم ١٨، عدد ١٩٠٧/٥/٢ ص ٢)

إن الله غني عن العالمين ... فلا حاجة له لحياة أحد ولا لوجوده لأنه غني تماما. (البراهين الأحمدية، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥٦٤ الحاشية رقم ١١)

إن الله تعالى غني بغناه الذاتي كما يقول: ﴿فإن الله غني عن العالمين...﴾. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١١٧)

إن الله تعالى أيضا يستغني عن الذي يُعرض عنه كما يقول: ﴿فإن الله غني عن العالمين﴾. (الحكم مجلد ١٢، رقم ٣٣، عدد ١٩٠٨/٥/١٤ ص ١-٢)

الآية ١٠٠: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

يا أهل الكتاب لِمَ تمنعون المؤمنين من الإيمان وتختارون الاعوجاج. (الحرب المقدسة، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٥٦)

الآية ١٠٣: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

فلتظهر فيكم صورة الإسلام كاملاً، وليلاحظ أثر السجود في جبينكم، ولتترسخ عظمة الله في قلوبكم. ولو رأيتم عالماً من الأدلة العقلية والنقلية ضد القرآن الكريم والأحاديث، فلا تقبلوها أبداً، وتيقنوا أن العقل تعرض للزلة. استمسكوا بالتوحيد بقوة، والتزموا بالصلوات، وقدموا أوامر مولاكم الحقيقي على كل شيء، وتحملوا جميع المصائب من أجل الإسلام. ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٥٥٢)

الآية ١٠٤: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

ألا يجب علينا أن نؤمن بمنزلة القرآن الكريم التي يحددها لنفسه؟ انظروا، فإنه يقول بوضوح تام: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾. هل المراد من الحبل هنا هو الأحاديث؟ فما دام القرآن الكريم يأمر ويؤكد بشدة على الاعتصام بهذا الحبل أفلا يعني ذلك أن نرجع إلى القرآن الكريم وحده عند كل اختلاف؟ (الحق مناظرة لدهيانه، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ٣٧)

يجب أن تكون كافة أعضائكم وقواكم تابعة لله تعالى، وانصرفوا إلى طاعة الله فرادى. (محاضرة لاهور، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ١٥٧)

قدموا قدوة تكون كرامةً للآخرين. إن الدليل الذي وُجد في الصحابة رضي الله عنهم هو: ﴿كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾، وإن تأليف القلوب معجزة. واعلموا

أنه ما لم يحب كل واحد منكم لأخيه ما يحب لنفسه، فهو ليس من جماعتي. (الحكم مجلد ٤، رقم ١٤، عدد ١٧٠٤/٤/١٩٠٠م، ص ٩)

﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا﴾ أي هيا لكم سببًا للخلاص. (البراهين الأحمدية، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٦٠١، الحاشية على الحاشية رقم ٣) ﴿كُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾، أي كنتم قد وصلتم إلى شفا حفرة جهنم قبل بعثة هذا النبي، ونَبَّهَ النصارى واليهود إلى أنهم بدجلهم بدّلوا كُتِبَ الله وأهم سبقوا جميع الشعوب في كل أنواع الفتن والسيئات، كما أقام الحجة على عبدة الأوثان في مواضع عدة بأنهم يعبدون الأحجار والناس والنجوم والعناصر ونسوا الخالق الحقيقي، وأنهم يأكلون أموال اليتامى ويقتلون الأولاد ويظلمون شركاءهم وقد تجاوزوا حد الاعتدال في كل أمر. (نور القرآن، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ٣٣٧-٣٣٨)

في ساعة متأخرة بالبارحة نبهني الله تعالى إلى نبوءة وردت في التوراة عن الرسول ﷺ ولم ينتبه إليها أحد حتى اليوم. ففتحت التوراة للتو ونظرت فيها. لا شك أن المولعين بالعلوم الإلهية وبما فيها من استعارات سوف يستمتعون بما سأقول، ولكن الذين لا حظ لهم من الحقائق والمعارف سوف يضحكون عليه.

والنبوءة هي: ورد في التوراة أن إبراهيم عليه السلام لما ترك هاجر وإسماعيل في البرية ترك معهما قربة ماء. ولما نفذ الماء، واشتد العطش بإسماعيل أخذ يضطرب وأشرف على الموت. فلم تطق هاجر رؤيته، وذهبت وجلست بعيدا منه. ورد في التوراة: أنها "جَلَسَتْ مُقَابِلَهُ بَعِيدًا نَحْوَ رَمِيَةِ قَوْسٍ... وَنَادَىٰ مَلَأُكَ اللَّهُ هَاجَرَ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ هَا: «يَا هَاجِرُ... لَا تَحْزَني، قُومِي احْمِلِي الْعُلَامَ... فَأُبْصِرْتِ بِئْرَ مَاءٍ، فَذَهَبْتَ وَمَلَأْتَ الْقَرْبَةَ مَاءً.

الجدير بالانتباه هنا أن هذه النبوءة تكمن في البئر التي أرى الملاك هاجر إياها. لقد أُلقيت في قلبي على الفور الآية القرآنية التالية: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ

فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٦﴾ لما نفذ ماء إبراهيم وأشرف إسماعيل على الموت، نجاه الله تعالى بإعطائه بئر ماء أخرى. إن العرب أيضا أولاد إسماعيل، وبالتالي كانوا من بني إسماعيل، ولما انقضت الهداية والشرعية فيهم وأوشكوا على الموت، أنزل الله فيهم شريعة جديدة، وهذه الآية تشير إلى هذا الأمر. موجز القول إنها نبوءة ولم ينتبه إليها أحد من قبل. (الحكم، المجلد ٥، رقم ٤١، عدد: ١٠/١١/١٩٠١ م، ص ٢)

الآية ١٠٧: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ... أي ستكون بعض الوجوه يومئذ مسودة وبعضها بيضاء منيره... أي أن الحالة الروحانية لن تبقى خافية بل ستترأى بصورة مادية. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية المجلد ١٠، ص ٤١١-٤١٢)

الآية ١١١: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ لقد سمى الله ﷺ هذه الأمة خير الأمم، كذلك وهب أكابرها كمالات أكثر من غيرهم لا يمكن أن تُخفى بحال من الأحوال. وإن إنكارها كتمان للحق من الدرجة القصوى.

وأقول أيضا بأن التهمة القائلة بأنه لا تثبت إلهامات الصحابة من هذا النوع، هي تهمة باطلة وفي غير محلها تماما، لأن إلهامات الصحابة الكرام عليهم السلام وخوارقهم ثابتة من الأحاديث الصحيحة بكثرة. بماذا يمكن تفسير اطلاع عمر رضي الله عنه بإعلام من الله تعالى على الحالة الخطيرة لجيش "سارية" - كما رواه البيهقي عن ابن عمر -

إن لم يكن ذلك إلهاما؟ ثم صدور صوت: "يا سَارِيَةَ الْجَبَلِ الْجَبَلُ" من فم عمر رضي الله عنه وهو في المدينة، وسماع سارية وجنوده هذا الصوت على مسافة بعيدة بقوة غيبية، لم يكن إلا أمرا خارقا للعادة. وزد إلى ذلك بعض الإلهامات والكشوف المشهورة والمعروفة لعلي المرتضى كرم الله وجهه.

وبالإضافة إلى ذلك أتساءل: ألا تكفي للإطمئنان شهادة الله تعالى في القرآن الكريم في ذلك؟ ألم يقل الله تعالى بحق الصحابة رضي الله عنهم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ فما دام الله تعالى يُعَدّ صحابة نبيّه الأكرم أفضل وأعلى من جميع الأمم السابقة في جميع الكمالات، ومن ناحية أخرى يبين حالة الكَمَل من الأمم الأخرى كغيض من فيض ويقول إن مريم الصديقة، أم عيسى، وكذلك أم موسى وحواريي المسيح عليه السلام والحَضَر كانوا ملهمين من الله وكانوا يُطَلَّعون على أسرار غيبية بوحى الإعلام مع أنه لم يكن أحد منهم نبيا. فلا بد من التدبر ماذا يُسْتَبْط من ذلك، ألا يثبت منه أنه يجب أن يكون الأتباع الكَمَل من الأمة المحمدية ملهمين ومُحَدِّثين بوجه أولى من هؤلاء القوم إذ أنهم خير الأمم بحسب تصريح القرآن الكريم؟ (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٦٥٣-٦٥٥، الحاشية في الحاشية رقم ٤)

يتبين بنظرة التأمل والتدبر أن الأولاد الروحانيين لبيضة البشرية -الذين وُلدوا بواسطة روح القدس ببركة اتباع النبي صلى الله عليه وسلم- هم أتم وأكمل كيفًا وكَمًا وصورةً ونوعًا وحالةً من أولاد الأنبياء جميعا. وإلى هذا الأمر يشير الله جلّ شأنه بقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، خير أمة: أي خلقتكم لإصلاح الناس، والحق أن كمالات تعليم القرآن الخاصة كلها تشهد على كمالات مواهب هذه الأمة المرحومة، لأن كتب الله جلّ شأنه تنزل بحسب قدرة الأمة المكلفة بالعمل بها؛ فمثلا يرى جميع المحققين أن تعليم الإنجيل ليس كاملا، بل يركّز على جانب واحد فقط، ويُهْمَل

الجانب الثاني كلياً. ولكن الحق أن سبب ذلك يعود إلى قصور قدرات الذين أنزل الإنجيل إليهم. ولأن الله تعالى طوّر القدرات البشرية تدريجياً، لذا فقد كان في الأزمنة الأولى أناس كثيرون أغبياء وبليدون وقليلو العقل والفهم وضيقو الآفاق، وضعفاء العزيمة واليقين وذوو أفكار سطحية وغارقون في الأطماع الدنيوية، وذوو قوى دماغية وقلبية ضعيفة جداً. ولكن بعد تلك الأزمنة جاء زمن سيدنا ومولانا النبي ﷺ الذي ارتقت فيه المواهب رويدا رويدا، وكأن الدنيا أخذت منحى جديداً من حيث قواها الفطرية، فأنزل التعليم الكامل نظراً لاكتمال المواهب. (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية المجلد ٥، ص ١٩٧-١٩٨)

ومن جملة الدلائل التي تثبت أن المسيح الموعود سيكون حصراً من هذه الأمة الآية القرآنية ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، أي أنكم خير أمة أخرجت لتنفع خلق الله بالقضاء على فتنة جميع الدجالين والدجال المعهود ودفع شرهم. فليتضح أن كلمة "الناس" في القرآن الكريم قد جاءت بمعنى الدجال المعهود أيضاً، وإذا حددت القرينة القوية هذا المعنى لها في آية، فالتفسير الآخر لها معصية، فقد وردت كلمة الناس في آية أخرى للقرآن الكريم بمعنى الدجال، وهي: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ (المؤمن: ٥٨). أي أن الأسرار والعجائب التي يزرع بها صنع السماوات والأرض لا يساويها صنع طباع الدجال المعهود. أي مهما بذلوا من جهود مضيئة في اكتشاف أسرار الأرض والسماء ومهما كانوا عباقرة فلن تبلغ طباعهم منتهى تلك الأسرار. ولا يغيب عن البال أن المفسرين فسّروا كلمة الناس في هذه الآية أيضاً بالدجال المعهود حصراً. انظروا تفسير "معالم التنزيل" وغيره. وكتبوا قرينة قوية أن الدجال المعهود يسعى بابتكاراته وصنائعه لينجز أعمال الله، وبذلك سيدعي الألوهية. وسيكون حريصاً جداً على أن يقلد الله ﷻ في جميع الأعمال الإلهية من إنزال المطر وإثمار الأشجار ومواصلة النسل للإنسان والحيوان وتأمين

وسائل السفر والسكن والمرافق الصحية غير العادية للإنسان. وأن يسيطر على كل شيء حيث لا يبقى أمامه مستحيل". وإلى ذلك تشير الآية المذكورة، وملخصها أنّ الأسرار التي أودعت في السماء والأرض ويتمنى الدجال أن يستولي عليها من خلال علمه الطبيعي هي أرفع وأكثر من تقديره لجودة الطبع ومبلغ العلم. وكما أن المراد من لفظة "الناس" في الآية الكريمة هو "الدجال"، كذلك المراد من الناس في آية ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ أيضا، الدجال حصرا. لأن معنى هذه الآية بالقرينة المقابلة يتعين على التقدير التالي "كنتم خير الناس أخرجت لشر الناس"، ولا شك أن المراد من "شر الناس" حزب الدجال. فالثابت من الحديث النبوي أنه لن يساوي الدجال في الشر والفتنة أحدٌ من آدم إلى يوم القيامة، ولم يكن ولن يكون. وهذا الدليل محكم وقطعي، وكلا جزأيه يقيني وقطعي ومن العقائد المسلمة. أي كما لا ينكر أحد من المسلمين أن حزب الدجال شر الناس، وتدل على هذا التقسيم آيتان من سورة "البينة" وهما: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ \* إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (البينة: ٧-٨). انظروا كيف وُصف حزبُ بشر البرية بحسب هذه الآية، والمراد منه الدجال، كما وُصف حزب آخر بخير البرية، وهي الأمة المحمدية. على كل حال قد ثبت قطعا بتقابل كلمة "الناس" بـ"خير أمة" أن المراد من الناس هو الدجال، وكان المراد إثباته.

وهناك قرينة قوية على هذا الهدف أن عادة الله الحكيمة تريد ألا يمكن من ردع فتنة الدجال إلا أفرادا من أمة النبي الذي سيولد الدجال في زمنه؛ لا أن تحدث الفتنة في زمن النبوة المحمدية وينزل نبيٌّ سابق للقضاء على تلك الفتنة. وهذه هي السنة الإلهية منذ القدم ومنذ أن وضع الله الأساس للشرائع، أنه إذا ظهرت في زمن نبوة نبي فرقة مفسدة، فيؤمر بعض ورثة ذلك النبي الأجلّة بالقضاء على تلك الفتنة.



صحيح أن فتنة الدجال إذا كانت في زمن نبوة المسيح ﷺ، لكان من حقه أن يقضي عليها شخصيا أو أحد حواريه أو خلفائه، لكن من غير المفهوم أن تسمى هذه الأمة "خير الأمم" وتكون في نظر الله مقصرة ومتقاعسة لدرجة أنه إذا طرأت حاجة للقضاء على أي فتنة فيها أن يؤمر شخص من خارجها للقضاء عليها؛ فلا يوجد في الأمة أي رجل يقدر على قمعها، فكأن مثل هذه الأمة في هذه الحالة كحكومة فتحت بلدا جديدا يكون سكانه جهلة وشبه الوحوش، فتضطر لتسيير نظام البلد المالي والمدني والعسكري بأن تطلب رجالا من خارج البلد ليشغلوا هذه المناصب الرفيعة. فالعقل السليم لا يقبل بأي حال من الأحوال أن تظهر ذلة الأمة التي قال رسول الله ﷺ بحق علمائها الربانيين "علماء أمتي كأنبيا بني إسرائيل"، فلا يجدوا قدرة على قمع فتنة الدجال الذي ليس له أي مكانة في نظر الله عظيم القدرة. لهذا نحن نعرف آية: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ هذه كما نعرف الشمس. ونفسرها على النحو التالي: أي "كنتم خير أمة أخرجت لشر الناس الذي هو الدجال المعهود." ومعلوم أنه إلى كل أمة تُعهد خدمة دينية معينة، وهي تواجه نوعا خاصا من العدو. فكان من المقدر لهذه الأمة أن تتصدى للدجال، كما ورد بجلاء في رواية نافع بن عتبة أنكم تغزون الدجال وتنتصرون عليه. صحيح أن الصحابة لم يغزوا الدجال، لكنه بحسب منطوق آية ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾ قد عُدَّ المسيح الموعود وجماعته من الصحابة<sup>١</sup>. انظروا الآن قد عُدَّ رسول الله ﷺ الغزاة في هذا الحديث أيضا من الصحابة ومن أمته، ولم يقل إن المسيح الإسرائيلي سيغزو. أما كلمة النزول فتستخدم لمجرد الإجلال والإكرام، وفيها إشارة إلى أن في هذا الزمن المليء بالفتن

<sup>١</sup> عن نافع بن عتبة، قال: قال رسول الله ﷺ: تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ، فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ. ثُمَّ فَارِسَ، فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ. ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ، فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ. ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَالَ، فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ. (رواه مسلم، مشكاة المصابيح، باب الملاحم). منه

سيرتفع الإيمان إلى الثريا ويزول نظام المشيخة والمريديّة، والأسّذة والتلمذة، والإفادة والاستفادة، ولذلك سوف يبعث الله من السماء إلى الأرض رجلا يريه بلا وساطة الوسائل الأرضية، مثلما ينزل المطر من السماء دون وساطة الأيدي الإنسانية. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ١٢٠-١٢٣)

ثم يجب التأمل أيضا في أنه ما دام الله تعالى قد فهم كمثال بأنه سيستخلف في هذه الأمة كما استخلف بعد موسى فيجب البحث ماذا فعل الله تعالى بعد وفاة موسى؟ هل أرسل الخلفاء إلى ثلاثين سنة فقط أم أطل سلسلتهم إلى ١٤٠٠ عام؟ ولما كان فضل الله تعالى على نبينا الأكرم ﷺ أعظم من فضله على موسى بكثير كما قال ﷺ: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٤)، وقال أيضا عن هذه الأمة: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾؛ فكيف يمكن إذا أن تمتد سلسلة خلفاء موسى إلى ١٤٠٠ عام وتنتهي في هذه الأمة بعد ثلاثين عاما فقط؟ فإذا كانت هذه الأمة خالية من أنوار الخلافة الروحانية فما معنى الآية: ﴿أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ﴾؟ فليبين لي أحد. يقول مثل فارسي ما معناه: كيف يهدي الآخرين من كان ضالا طريقه؟ إذا كان المقصود هو إبقاء هذه الأمة عمياء إلى الأبد، وإبقاء هذا الدين ميتا فما معنى القول بأنكم خير أمة وأخرجتم خير الناس وهدايتهم؟ هل يستطيع الأعمى أن يهدي أعمى الطريق؟

فيا من تسمون أنفسكم مسلمين، تدبروا بالله عليكم أن هذه الآية لا تعني إلا أن الحياة الروحانية والبصيرة الباطنية ستبقى فيكم إلى يوم القيامة، وأن أصحاب الأديان الأخرى سينالون النور منكم، وأن الحياة الروحانية والبصيرة الباطنية التي تملك قدرة لدعوة الآخرين إلى الحق هي التي تُسمى الخلافة بتعبير آخر. كيف تقولون إذا بأن الخلافة بقيت إلى ثلاثين عاما ثم اختفت في طيات العدم؟ اتقوا الله! اتقوا الله!! اتقوا الله!!! (شهادة القرآن، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٥٤-٣٥٥)

الشخص الذي كان مقدرا له أن يتحلى - بعد تحليه بصفاتٍ مريمية - بصفات "عيسى" بنفخ من الله فقط؛ قد سُمِّي "ابن مريم" في سورة التحريم، لأن الله تعالى يقول بأن مريم التي ضُربَ بها المثل حين سلكت مسلك التقوى؛ نفخنا فيها روحنا. وفي ذلك إشارة إلى أنه لا خصوصية للمسيح بن مريم في كونه كلمة الله، بل المسيح الأخير أيضا كلمة الله وروح الله معا، بل سيكون أكمل من الأول في كلتا الصفتين كما هو مفهوم من سورة التحريم وسورة الفاتحة وسورة النور، ومن آية: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾. (ترياق القلوب، الخزانة الروحانية، المجلد ١٥، ص ٤٨٤)

إن كمالات جميع الأنبياء كانت متفرقة فيما مضى، وتلقت الأمم السابقة بركات وإنعامات متفرقة. أما الآن فقد علّم الله تعالى هذه الأمة دعاء أن يطلبوا منه جُلّ تلك الكمالات المتفرقة. فمن الواضح أنه عندما تجتمع الكمالات المتفرقة في مكان واحد ستفوق بمجموعها كثيرا الكمالات المتفرقة. فمن هذا المنطلق قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، أي أنكم أفضل من جميع الأمم من حيث كمالاتكم. (ينبوع المسيحية، الخزانة الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٣٨٠-٣٨١)

لقد خلق الله تعالى نبيا عظيما في أولاد إسماعيل عليه السلام ولقّب أمته بـ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١١) لأن الذين أعطوا الشريعة كالقصص أنى كان لهم أن يكونوا سواسية مع المؤمنين بكتاب وشريعة ملؤها العلوم الذهنية؟ لقد رضي الأوائل بالقصص فقط لأن أذهانهم لم تكن قادرة على فهم الحقائق والمعارف. أما أذهان هذه الأمة فكانت على درجة عالية، لذا فشريعتهم وكتابهم كنز العلوم. العلوم التي جاء بها القرآن الكريم لا توجد في أي كتاب في العالم. وكما كان القرآن زائرا بالحقائق والمعارف من الدرجة العليا عند نزول الشريعة فكان ضروريا أن تتقدم العلوم والفنون في زمنه، بل اكتملت البشرية أيضا في الزمن نفسه.

(الحكم، مجلد ٧، رقم ٣، عدد ٢٤/١/١٩٠٣م، ص ٨-٩)

"وقد قال في القرآن: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، وما قال "ولتكن منكم أمة يقتلون الكفار ويدخلونهم جبراً في دينهم". وقال جادلهم (أي جادل النصارى) بالحكمة والموعظة الحسنة، وما قال اقتلوهم بالسيوف والصوارم إلا بعد صدهم عن سبيل الله ومكرهم لإطفاء نور الإسلام وقيامهم في مقام المعادين" (نور الحق، الخزان الروحانية المجلد ٨، ص ٦٣) لقد قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ بحقنا فقد اجتمعت في هذه الأمة أعلى أنواع الخير والبركات. وفي عصر النبي ﷺ كانت القوى الذهنية والعقلية قد تقدمت كثيراً مقارنة مع الأزمنة الغابرة. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٤، عدد ١٧/٤/١٩٠٣ م ص ٨)

لو فهم أنّ باب النبوة مغلق نهائياً، فهذا والعياذ بالله يستلزم انقطاع الفيض، وهو يؤدي إلى النحوسة والإساءة إلى النبي، فكأن الله ﷻ قد كذب حين وصف هذه الأمة بـ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ والعياذ بالله. فلو فسّرنا أنّ باب النبوة في المستقبل مغلق من كل النواحي لصارت هذه الأمة شر الأمم بدلا من خير أمة، فحين لم تُفَرَّج بشرف المكاملة والمخاطبة الإلهية فقد أصبحت ﴿كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾، وينبغي أن توصف ببهائية السيرة، لا بخير الأمم. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٤، عدد ١٧/٤/١٩٠٣ م، ص ٨)

إذا كان اليهود قد صاروا مصداق ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ (البقرة: ٦٢) وانتقلت النبوة من عائلتهم، فمن المستحيل تماما أن يأتي المسيح مرة أخرى من العائلة نفسها. ولو قبل ذلك لكانت النتيجة أن يُعَدَّ النبي ﷺ من الدرجة الدنيا، وتعدّ هذه الأمة أيضا أمة دنيا، مع أن ذلك يخالف منطوق القرآن الكريم بكل صراحة، لأن القرآن الكريم يقول بوضوح: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، فهل ستسّمون هذه الأمة شر أمة بدلا من خير أمة؟ هذا يشكّل هجوما على قوة النبي ﷺ القدسية. ولكن

هذا كله كذب. إن قوة النبي ﷺ القدسية كانت أعلى ولا تزال أرفع وأعلى بحيث تُري تأثيرها إلى الآن بعد مرور ١٣٠٠ عام ولا تزال تخلق أناسا مطهرين ومقدسين. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٨، عدد ٣١/١٠/١٩٠٥ م، ص ٥)

هذا الموضوع تحلل حديثنا كجملعة اعتراضية، وأعود الآن إلى صلب الموضوع وأقول بأنه ليس صحيحاً قط أن نثور على إثر الإيذاء على يد معارضينا أو نستغيث عند حكومتنا. هل يليق بالذين يدعون اعتناق مذهب كما يعلمه الإسلام: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ - أي أنتم قوم قائمون على الاعتدال وحُلق لفائدة الناس - أن يرفعوا القضايا كل يوم بدلا من إفادة الناس، فيرسلوا المذكرات تارة أو يرفعوا القضايا الجنائية أو يشتعلوا تارة أخرى بدلا من أن يُبدوا الصبر والجلد؟ يجب التأمل جيدا في أن الذين ينظرون بلطف إلى الذين ضلوا الطريق يجب أن يتحلّوا برحابة الصدر كثيرا وينبغي أن يكون كل عملهم ونشاطهم وكل إرادة من إراداتهم منصبة بالصبر والتحمل. فالتعليم الذي قدّمه الله لنا في القرآن الكريم في هذا الموضوع صحيح تماما ويتضمن حكما سامية ويعلمنا الصبر. من غريب الصُدف أنه عندما جاء عيسى ﷺ في عهد السلطنة الرومية مبعوثا من الله علّمه الله نظرا إلى حالة ضعفه ألا يقاوم الشر، بل لو لطمك أحد على خدك فحوّل له الآخر. وكان هذا التعليم مناسبا تماما في زمن الضعف. كذلك أوصي المسلمون أنه سيأتي عليهم أيضا زمن الضعف كما أتى على المسيح، ونُصحوا بالصبر على سماع الكلمات القاسية من الأمم الأخرى وظلمهم. فمباركون أولئك الذين يعملون بهذه الآيات ولا يذنبون بحق الله. اقرأوا القرآن الكريم بإمعان فستعلمون أن لتعليم الإسلام في هذا الموضوع جانبين، أولهما يتعلق بما يجب علينا فعله إذا شتّمنا القساوسة وغيرهم من المعارضين وآذونا واستخدموا سوء الكلام من شتى الأنواع بحق ديننا ونبينا ﷺ وسراج هدايتنا أي القرآن الكريم. والجانب الثاني يتعلق بما يجب علينا فعله إذا نشر معارضونا

اعتراضات خادعة عن ديننا الإسلام وعن مقتدانا وهادينا محمد المصطفى ﷺ والقرآن الكريم، وحاولوا إبعاد القلوب عن الحق والصدق. كان هذان الأمران ضروريين وكان يتحتم على المسلمين أن يتذكروهما، ولكن من المؤسف أننا نرى الأمر على النقيض من ذلك تماما، وقد عُذَّ الثوران والعكوف على إيذاء المعارض المؤذي زينة الدين، وُجِّحت سياسة الإنسان على الحكمة التي علّمها الله تعالى مع أن مصلحة ديننا وخيره وبركته تكمن في ألا نهتم بالمخططات البشرية ونخطو بحسب تعليمات الله لنكون عبادا سعداء في نظره ﷻ. لقد أعطانا الله تعالى تعليما واضحا لمعالجة موقف يساء فيه إلى ديننا وتستخدم كلمات بذيئة بحق نبينا الأكرم ﷺ، وقد ورد هذا التعليم في نهاية سورة آل عمران كما يلي: ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (آل عمران: ٨٧). كذلك وضح عن موقف آخر حين تُوجَّه إلى ديننا اعتراضات فقال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهِمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ (النحل: ١٢٦) ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٥). أي عندما تخوض مع المسيحيين في نقاش ديني ناقشهم بالأدلة العقلية وبالحكمة. وليكن وعظك مبنيًا على أسلوب مُرضٍ. ولتكن منكم دائما فئة يدعون الناس إلى الخير وإلى الأمور التي شهد على صدقها العقل والسلسلة السماوية دائما، وليمنعوهم عما أنكر صدقها العقل والسلسلة السماوية دائما. والذين يختارون هذا الأسلوب ويفيدون بني البشر فائدة دينية فأولئك هم الناجون. (البلاغ، الخزائن الروحانية، المجلد ١٣، ٣٨٩-٣٩١)

فقد قال الله تعالى للنبي ﷺ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (الكوثر: ٢) كذلك وصف هذه الأمة بـ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ لإدانة اليهود، ولكن يقول معارضي

كلاما غريبا يجعل هذه الأمة شر أمة مع أنها خير أمة. لقد أُكْرِمت في بني إسرائيل نساؤهم بشرف المكاملة والمخاطبة، أما في هذه الأمة فلن يُعطى الرجال نصيبا منها مهما كانوا أتقياء وهلكوا في البحث عن رضا الله تعالى، ومهما جاهدوا في هذا السبيل، بل سيرد الله تعالى عليهم: لقد خُتم عليها بالنسبة لكم وانتهى الأمر! أيّ إساءة وسوء ظن بالله أكبر من هذا؟ وأي إهانة أسوأ منها للنبي ﷺ وللإسلام؟ هذا هو السلاح الأقوى والأمثل في أيديكم لإدانة أمم أخرى ولكنكم ترمون السلاح نفسه من أيديكم. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٩، عدد ١٠/١١/١٩٠٥م، ص ١٣)

قد أثبتنا أن أغلبية اليهود والنصارى في زمن النبي ﷺ كانوا فاسقين كما يشهد على ذلك القرآن الكريم أيضا في قوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (التوبة: ٨) فلما كان أكثرهم فاسقين فقد تركوا آداب التوحيد عمليا والأعمال الصالحة، فاقتضت رحمة الله ﷻ بحسب سنته القديمة لإصلاحهم بعثة رسول إليهم. (الرد على أسئلة أربعة لسراج الدين المسيحي، الخزان الروحانية، المجلد ١٢، ص ٣٦٦)

الآية ١١٣: ﴿ضَرِبْتَ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضَرِبْتَ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾

أي حيثما يسكنون سيعيشون أذلاء محكومين. فلقد قدّر لهم أنهم لن يعيشوا بشرف واحترام في أي بلد بل سيعيشون تحت سيطرة قوم آخرين بضعف وهوان وشقاء أبدا. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية المجلد ١، ص ٢٤٩، الحاشية رقم ١١)

الآية ١١٥: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾

إذا كان كفُّ اللسان عن قولٍ منافٍ لمشیئة الله ضرورياً، فإن إنطاق اللسان لبيان قول الحق أيضاً ضروري بالقدر نفسه. ومن خصائص المؤمنين أنهم يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، لكن من واجب الإنسان - قبل أن يأمر الآخرين بالمعروف وينهاهم عن المنكر - أن يثبت بعمله أنه يملك هذه القدرة، إذ لا بد له أن يجعل حالته مؤثرة قبل أن يؤثر في الآخرين. فلا تكفوا اللسان عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أبداً، ولكن لا بد لكم من مراعاة الظرف أيضاً، كما ينبغي أن يكون أسلوب بيانكم ليناً وسلساً وواضحاً. وتذكروا أيضاً أن التفوه بما ينافي التقوى إثم كبير. (الحكم، مجلده، رقم ١١، عدد ٢٤/٣/١٩٠١م، ص ٤)

الآية ١١٩: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾

أي لا تحبوا اليهود والنصارى ولا تحبوا كل من هو ليس صالحاً، فحين يقرأ النصارى الأغبياء هذه الآيات ينخدعون ويزعمون أن المسلمين أمروا بألا يحبوا النصارى وغيرهم من الذين لم يؤمنوا، لكنهم لا يعرفون أن كل كلمة تُستخدم في محلها، فلا يصح حبُّ المرء للفساق والكفار إلا إذا نال نصيباً من كفرهم وفسقهم. فالذي علّم أتباعه أن يحبوا أعداء دينه هو جاهل غبي. ولقد كتبنا مراراً وتكراراً أن من الحب والمودة أن ينظر المرء إلى قول من يحبه وفعله وعادته وخلقه ودينه بنظرة الإعجاب، وأن يفرح به وأن يتأثر به، ومن المستحيل أن يصدر ذلك من المؤمن بحق الكافر أبداً، إلا أن المؤمن يشفق على الكافر ويخصه بجميع مظاهر المواساة، ويواسيه على جميع أمراضه المادية والروحانية، كما يقول الله ﷻ مراراً ما معناه: واسُوا



الجميع دون تمييز بسبب الدين أو العرق وأطعموا الجائعين وفكّوا رقاب العبيد، وسدّدوا ديون المقترضين وتحملوا أوزار المثقلين، وأدّوا حق المواساة الصادقة تجاه بني البشر. (مكتوبات أحمد، المجلد ١، ٢١٦-٢١٧)

الآية ١٢٤: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدَرِّ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

"لا نحتاج إلى الحُسام، ولا إلى حزبٍ من محاربين، ولأجل ذلك اختار الله سبحانه لبعث المسيح الموعود عِدَّةً من المئات كعِدَّة ليلةِ البدر من هجرة سيدنا خير الكائنات، لتدلّ تلك العِدَّة على مرتبة كمال تام من مراتب الترقّيات، وهي المائة الرابع بعد الألف من خاتم النبيين، ليتم وعدُ إظهار الدين الذي سبق في الكتاب المبين، أعني قوله ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدَرِّ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾، فانظر إلى هذه الآية كالمبصرين، فإنها تدل على البدرين باليقين؛ بدرٌ مضى لنصر الأوّلين، وبدرٌ كانت آية للآخرين. فلا شك أن في هذه الآية إشارة لطيفة إلى الزمان الآتي الذي يُشابه ليلة البدر عِدَّةً. أعني سنة أربعمائة بعد الألف، وهي ليلة البدر استعارةً عند رب العالمين، وإن كان للآية معنى آخر يتعلق بالزمان الماضي مع هذا المعنى، كما لا يخفى على العالمين. فإنّ للآية وجهين، والنصر نصران، والبدر بدران؛ بدرٌ تتعلق بالماضي، وبدرٌ تتعلق بالاستقبال من الزمان عند ذلّة تصيب المسلمين كما ترون في هذا الأوان، وكان الإسلام بدأ كاهلال، وكان قدّر أنه سيكون بدرًا في آخر الزمان والمآل، بإذن الله ذي الجلال، فافتضت حكمة الله أن يكون الإسلام بدرًا في مائة تُشابه البدر عِدَّةً.. فإليه أشار في قوله ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدَرِّ﴾، ففكّر فكرة كاملة ولا تكن من الغافلين. وإن لفظ ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ﴾ قد أتى هنا على وجهٍ آخر.. أعني بمعنى "ينصركم"، كما لا يخفى على العارفين، فحاصل الكلام أن الله كان قد قدّر للإسلام العزّتين بعد الدلتين على رغم اليهود الذين كان قدّر لهم الدلتين بعد العزّتين

نكالا من عنده، كما تقرؤون في سورة بني إسرائيل قصة الفاسقين منهم والظالمين." (الخطبة الإلهامية، الخزائن الروحانية المجلد ١٦، ص ٢٧٢-٢٧٧)

"فإن موسى ومحمدا -عليهما صلوات الرحمن- متماثلان بنص الفرقان، وإن سلسلة هذه الخلافة تشابه سلسلة تلك الخلافة، كما هي مذكورة في القرآن، وفيها لا يختلف اثنان. وقد اختُتِمت مئة سلسلة خلفاء موسى على عيسى كمثل عدة أيام البدر، فكان من الواجب أن يظهر مسيح هذه الأمة في مدة هي كمثل هذا القدر، وقد أشار إليه القرآن في قوله ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتَمَ أَذِلَّةٌ﴾، وإن القرآن ذو الوجوه كما لا يخفى على العلماء الأجلة، فالمعنى الثاني لهذه الآية في هذا المقام، أن الله ينصر المؤمنين بظهور المسيح إلى مئة تشابه عدتها أيام البدر التامة، والمؤمنون أذلة في تلك الأيام. فانظر إلى هذه الآية كيف تشير إلى ضعف الإسلام، ثم تشير إلى كون هلاله بدرًا في أجل مسمى من الله العلام، كما هو مفهوم من لفظ البدر." (إعجاز المسيح، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ١٨٧-١٨٨)

ما دام رسول الله ﷺ هو مثل لموسى، فمن مقتضى هذه المماثلة أن يكون مجدد هذا القرن هو المسيح الموعود نفسه، لأن المسيح الناصري جاء في القرن الرابع عشر بعد موسى، ونحن اليوم في القرن الرابع عشر.

لعدد "أربعة عشر" علاقة قوية بالمسيح الموعود، فإن القمر في الليلة الرابعة عشرة يكون كاملا. وقد أشار الله تعالى إلى ذلك في قوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتَمَ أَذِلَّةٌ﴾ أي كان هناك بدر يوم انتصر رسول الله ﷺ على أعدائه، وكانت جماعته قليلة العدد حينها، وهناك بدر آخر الآن. فكلمة "بدر" إشارة إلى القرن الرابع عشر أيضا، حيث صار الإسلام الآن كأذلة. فبحسب تلك الوعود كلها قد بعثني الله تعالى. (الحكم مجلد ٧، رقم ٢، عدد ١٧٧/١/١٩٠٣ م، ص ٣)

لقد نُصر الصحابة، حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ وعلى قلة الصحابة في بدر قُضي على الكفر.

وإن في ذكر تلك الآية العظيمة ببدر نبوءة عن المستقبل، وبيانها أن القمر في الليلة الرابعة عشرة يسمّى بدرا، وفي ذلك إشارة إلى ظهور نصرته الله في القرن الرابع عشر. والقرن الرابع عشر هو نفس القرن الذي كانت العجائز أيضا يقلن سيكون هذا قرن خير وبركة. فتحقق كلام الله، وفي القرن الرابع عشر ظهر بروز اسم "أحمد" وفقاً لمشيئة الله، وهذا البروز هو أنا الذي أُنبئ بي في ذكر وقعة "بدر" هذه، والذي أوصى النبي ﷺ بأن يُقرأ سلامه عليه.

ولكن المؤسف أنه لما جاء ذلك اليوم، وطلع قمر الليلة الرابعة عشرة، قالوا إنه متاجرّ بالدين وأنااني. والأسف كل الأسف على الذين رأوه ولم يبصروه، ووجدوا زمنه ولم يعرفوه. لقد مات الذين كانوا سيكون على المنابر ويقولون سيحدث في القرن الرابع عشر كذا وكذا، وبقي الذين يقولون على المنابر الآن إن هذا الذي قد جاء كذاب! ما لهم لا ينظرون ولا يفكرون؟

في ذلك الزمن نصر الله المسلمين ببدر، ونصرهم وهم أذلة، حين برز إلى الساحة ٣١٣ مسلماً فقط، ولم تكن لديهم إلا بضعة سيوف خشبية، وكان كثير منهم أطفالاً صغاراً، فيا لهم من قوم ضعفاء! بينما كان إزاءهم جمع كبير من فتيان محاربين محنكين. كان النبي ﷺ يفتقر إلى الأسباب المادية، فدعا في ذلك الوقت العصيب: "اللهم إن أهلك هذه العصاة لن تُعبد في الأرض أبداً."

وكما قال النبي ﷺ في ذلك اليوم أقول بكل يقين: إن الوضع اليوم يماثل تماماً الوضع يوم بدر، فإن الله تعالى يُعدُّ هذه الجماعة على المنوال نفسه، وتنطبق عليها أيضاً كلمتا "بدر" و"أذلة" كل الانطباق. أليس حقاً أن الإسلام قد مسّته الذلّة؟ فلا توجد عند أهله شوكة السلطنة الظاهرية، وكلما تصدّت

لهم سلطنة أوروبية واحدة فرّوا من أمامها، ولا يقدرّون على رفع الرأس أمامها. كيف صارت حال هذه البلاد؟ أليس المسلمون "أذلة"؟ حتى الهندوس صاروا أشدّ منهم قوّة. هل هناك ذلة لم يسبق فيها المسلمون غيرهم. تجذّوهم يمارسون أذلّ المهن، ولن تجذّوا المتسولين العاجزين إلا فيهم؟ ولو زرم السجون لما وجدتّم فيها المجرمين المسجونين إلا المسلمين. ولو زرم دور الخمر فستجدون أكثر روادها مسلمين. ومع ذلك يقولون لم تصبنا أي ذلة! قد أعدتّ ملايين الكتب القدرة والسيئة ضد الإسلام، وتنصر من أمتنا كثيرون من الفئات العريقة الشريفة كالمغول والسادات، وبسطوا ألسنتهم ضد سيد المعصومين خاتم النبيين عليه السلام. فمَن هو صفدر علي، وعماد الدين وغيرهما؟ ومَن هو مؤلف كتاب "أمهات المؤمنين"، الذي أثار عليه المسلمون ضجة كبيرة، ولكنهم فشلوا في فعل شيء في النهاية. ومع ذلك يقولون لم تصبنا ذلّة! هل ستسعدون حين يقضى نحائب على ما بقي للإسلام من أثر واسم؟ هل عندها ستقولون نعم الآن قد أصاب الإسلام الذلة؟

آه، كيف أريكم ما آل إليه الإسلام في هذا العصر؟ وها إني أقول نهارا وجهارا مرة أخرى إن هذا الزمن هو زمن "بدر"، وقد أتى على الإسلام زمن الذلة، ولكن الله تعالى أراد الآن أن ينصر الإسلام، فأرسلني لكي أجعله غالبًا على الأديان والملل كلها بالبراهين الدامغة والحجج الساطعة. لقد أراد الله تعالى في هذا الزمن المبارك أن يُظهر جلاله، وليس بوسع أحد أن يمنع ظهوره. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٣، عدد ٢٤/١/١٩٠١م، ص ٤-٥)

الحقيقة أن في هذه الآية نبوءة كامنة وهي أنه عندما يضعف الإسلام في القرن الرابع عشر سينصره الله بحسب وعده بحفاظته، فلماذا تتعجبون أنه نصر الإسلام؟ (الحكم مجلد ١٠، رقم ٣٦، عدد ١٧/١٠/١٩٠٦م، ص ٥)

الآية ١٣٥: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

والقسم الثاني من الأخلاق هو ما يتعلق بإيصال الخير إلى الآخرين. فالخلق الأول منها هو العفو عن صاحب الذنب؛ فالذي يصفح عن المسيء إليه إنما يصله بخير. ذلك أن من يرتكب خطأ بحق أحد يستحق به أن يعاقب بقدر الضرر الذي ألحقه بالغير كأن يُسجن أو يدفع غرامة، أو أن ينتقم منه الآخر بيده هو؛ ولكنه لو عفا عنه شريطة أن يكون العفو مناسباً. لكان هذا بمثابة إيصال الخير إليه.

ويرشدنا القرآن المجيد إلى هذا الخلق بقول الله تعالى: ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى: ٤١).. أي أن أهل البر هم أولئك الذين يُمسكون عن الغضب عندما يتطلب الموقف منهم ذلك، ويغفرون للناس عندما يقتضي منهم الحال هذا، وإذا عاقبوا المعتدي كان عقابهم بمثل ما اعتدي عليهم.

القاعدة في العقوبات بأن السيئة جزاؤها سيئة مثلها، فمن عفا عن ذنب أحدٍ عفواً يترتب عليه إصلاح ولا يؤدي إلى مزيد من الشر.. أي يكون عفواً في محله تماماً، فإنه يُثاب على ذلك.

يتضح من ذلك أن القرآن المجيد لا يأمرنا بترك مقاومة الشر وعدم معاقبة الأشرار والظالمين في كل الأحوال وبدون أي داع لذلك. كلا، بل يرشدنا أن نتبين ما إذا كان الموقف يقتضي العفو أو العقوبة، وما هو الأنفع في الحقيقة للمجرم، وكذلك لعامة الخلائق. فأحياناً يدفع العفو المجرم إلى التوبة، وأحياناً أخرى يشجعه العفو على المزيد من الإجرام؛ ولذلك يأمرنا الله تعالى ألا نعتاد العفو الأعمى، بل يجب أن نتبين موضع الخير الحقيقي أهو في العفو أم في العقاب، ثم نحكم بما يوافق الحال والمقام.

إننا إذا استقرأنا أخلاقَ البشر لتبين لنا أنه كما يكون بعضهم حقوقاً فلا ينسى أحقادَ آبائه، كذلك يكون من بينهم من يبالغ جداً في العفو والصفح، حتى إن هذا العفو المفرط يؤدي بهم أحياناً إلى الديوثية، ويصدر عنهم باسم الحلم والعفو والتغاضي ما يُججل الإنسانَ وما ينافي تماماً الحمية والغيرة والعفة، بل يكون وصمة عارٍ على سيرة الإنسان، حتى يتبرأ منه الناس ويلعنوه. ونظراً إلى مثل هذه المفاسد فإن القرآن المجيد اشترط لكل خلق بأن يكون في محله ويصدر بحسب المقتضى، ولم يقبل من الأخلاق ما يصدر في غير محله.

تذكروا أن العفو المجرد عن هذه الشروط لا يجوز تسميته خُلُقاً، لأنه قوة طَبِيعِيَّة توجد في الطفل أيضاً. أفلا ترون أن الطفل إذا أصابه أحد بإصابة -ولو كانت بقصد الإيذاء- نسيها بعد قليل، وأقبل على من آذاه بكل حب وشوق؟ بل حتى لو كان قد نوى قتله فإنه يرضى عنه بعدئذ بحديث حلو منه، فعفوه هذا ليس من الأخلاق في شيء أبداً. كلا، إن هو إلا قوة طَبِيعِيَّة تصدر عنه تلقائياً، وإنما تدخل هذه في عداد الأخلاق إذا استعملناها في محلها. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٥١-٣٥٢)

المؤمنون هم الذين يكظمون الغيظ ويصفحون عن هجمات الهاذين والظالمين ولا يقاومون السخف بالسخف. (مجموعة الإعلانات، مجلد ١، ص ١٩٥، الحاشية) ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾.... أي أنهم لا يتضايقون من البذل في أيام الرخاء أو في أيام البؤس والقحط، بل لا يبرحون ينفقون بحسب الاستطاعة في أيام الضيق أيضاً. وينفقون تارة سرا خشيةً الرياء، وطورا علانية كي يكونوا أسوة للآخرين. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٥٥-٣٥٧)

لا بد من مراعاة ما إذا كان المجرم يستحق العفو أم لا؟ ذلك أن المجرمين قسمان، فمنهم من يتصرف تصرفاً مثيراً للغضب ولكنه يستحق العفو عليه، ومنهم من لو

تغاضى المرء عن شرّه وعفا عنه لتجاسرَ وألحق ضرراً أكثر. فأضرب لذلك مثالا: هناك خادم طيب القلب ومطيع جدا، فيأتي لسيدته بالشاي، ولكنه يتعثر بالصدفة فيسقط الفنجان وينكسر ويقع الشاي على سيده، فلو هبَّ سيده لضربه وهاجمه بغضب وغضب كان تصرفه هذا سفاهة، لأن هذا الموقف يقتضي العفو عن الخادم لأنه لم يسقط الشاي عمداً، والعفو عنه سيسبب له الخجل ويدفعه لأخذ الحيلة في المستقبل. أما إذا كان هناك خادم شرير يكسر الفناجين كل يوم ويلحق الأضرار، فمن مقتضى الرحمة به أن يعاقب. (الحكم، مجلده، رقم ١٣، عدد ١٠٤/٤، ١٩٠١م، ص ٤)

شريعتنا تأمر أن ننتبه إلى مقتضى الحال، فإذا كان الأمر يقتضي الليونة كونوا كالتراب، أما إذا كان يقتضي الشدة فكونوا أشداء، وحيثما يتم الإصلاح بالعفو فاعفوا. إذا صدر الخطأ من خادم حييٍّ وصالح فاعفوا عنه ولكن هناك بعض المتجاسرين الذين إذا عفوتهم عنهم يوما سيلحقون في اليوم التالي ضرراً أكبر، في هذه الحالة لا بد من معاقبتهم. (الحكم، مجلده، رقم ٢٨، عدد ١٠٧/٣١، ١٩٠١م، ص ٤)

يُروى أن خادماً أحضر للإمام الحسين عليه السلام فنجاناً من الشاي، وعندما اقترب منه سقط الفنجان على رأس الإمام بخطأ من الخادم، فتأذى الإمام ونظر إليه شزراً. فقرأ الخادم بصوت خافت: ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ﴾، فقال الإمام: "قد كظمتُ" فقال الخادم: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ - علماً أن الكاظم يكبت غيظه ولا يبيده، لكنه لا يكون راضياً عن المخطئ كل الرضى، ولذلك وضع الله تعالى هنا شرط العفو - فقال الإمام: "قد عفوتُ عنك". فقرأ الخادم: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، أي أنما المحبوبون عند الله يحسنون إلى الناس بعد الكظم والعفو. فقال الإمام: اذهب فأنت حرٌّ. هذه هي أسوة الصالحين، حيث نال هذا الخادم حرّيته من سيده نتيجة سقوط فنجان الشاي عليه. وتعلمون أن هذا النموذج الجميل لم يكن إلا نتيجة جمال التعليم.

(الحكم، المجلد ٥، رقم ٢٨، عدد: ١٠٧/٣١، ١٩٠١م، ص ٣)

من الشروط التي يجب على أهل التقوى الالتزام بها أن يقضوا حياتهم بتواضع ومسكنة، هذا فرع من التقوى نحارب به الغضب في غير محله. ذلك أن اجتناب الغضب في غير محله هو المرحلة الأخيرة والأصعب لكبار العارفين والصّديّقين. فالعجب والغرور يتولدان من الغضب، وبالمثل، فإنّ الغضب في بعض الأحيان يكون نتيجة للزهو والغرور، إذ ينشأ الغضب فقط عندما يظن المرء أنه أفضل من غيره. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ٤٩)

اعلموا يقينا أن هناك عداوة شديدة بين العقل والتهوّر، عندما يغضب الإنسان ويتحمس من فورة الغضب فلا يستقيم عقله. أما الذي يصبر ويتجلّد فيعطى نورا، فينشأ به نور جديد في قواه العقلية والفكرية، ثم يتولّد نورٌ من نور. ولأن القلب والدماغ يكونان مظلّمين في حالة الغضب والحماس، فيتولد الظلام من الظلام. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٧، عدد ١٠٥/٥/١٩٠٢م، ص ٥-٦)

تذكّروا أن الذي هو قاسٍ وسريع الغضب لا يمكن أن تخرج المعارف والحكم من لسانه. الذي لا يتمالك نفسه ويستشيط غضبا سريعا أمام خصمه يُحرّم قلبه من كلام الحكمة. إن شفاه الشخص البذيء الذي لا يكبح جماح لسانه تُحرّم من ينبوع اللطائف. الغضب والحكمة لا يجتمعان. إن الذي يستشيط غضبًا يكون ضعيف العقل بليد الفهم، ولا يُكتب له الغلبة والنصر في أي موطن. الغضب نصف الجنون، وإذا التهب يمكن أن يصبح جنونًا كاملاً. يجب على جماعتنا أن يتجنبوا كل المنكرات. الغصن الذي لا يكون له صلة متينة مع الجذع والشجرة يظل بلا ثمر. فإذا لم تدركوا هدفنا الأصلي ولم تلتزموا بالشروط، كيف ترثون الوعود التي قطعها الله معنا. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٩، عدد ١٠٣/٣/١٩٠٣م، ص ٨)

على الرجل أن يستخدم قواه في محلها وفي مواطن الحلال. فمثلا هناك قوة الغضب التي إذا تجاوزت الاعتدال كانت مقدمة للجنون. هناك فرق بسيط جدًّا



بين الغضب والجنون. شديد الغضب يُحرم عين الحكمة. يجب على المرء ألا يتكلم بغضب حتى مع المعارض. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٠، عدد ٢٧٣/٣/١٩٠٣ م، ص ٧٣) قوتان إذا بلغا الإفراط تؤديان بالمرء إلى الجنون، إحداها سوء الظن والثانية الغضب... إذن يجب أن يجتنب المرء سوء الظن والغضب كثيرا، فكل الناس في العالم إلا الصادقين، لديهم بعض الجنون. ففي قواهم كلها يوجد إفراط وتفريط حتما، وهذا يؤدي إلى الجنون.

إنما الفارق بين الغضب والجنون أنه إذا كانت نوبة الغضب مؤقتة يقال لها غضبا، أما إذا دامت وقويت فهي جنون. (بدر، مجلد ٢، رقم ٣١، عدد ٢١/٨/١٩٠٣ م، ص ٢٤١)

﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾. صحيح أن الإنجيل أيضا يعلم الصفح والعفو كما قلت من قبل ولكنه يقتصر على اليهود فقط، ولم يوسع عيسى عليه السلام دائرة مواساته إلى غيرهم. وقال بكل صراحة بأنه لا علاقة له مع غير بني إسرائيل سواء أهلكوا أم نجوا. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٣٩٥)

الآية ١٣٦: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

يتبين من هنا أنه كما أن الله تعالى مالك الإنسان فيعاقبه على ذنبه إذا أراد، كذلك هو مالكة إذ يستطيع أن يعفو عنه أيضا إذا شاء لأن المالكية لا تتحقق إلا إذا كان المالك قادرا على كلاً الأمرين. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٥-٢٦)

الآية ١٤٠-١٤١: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ

نُذَوِلْهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٠﴾

من سنة الله ﷻ أن يكون هناك التباسٌ وغموض في الآيات، فحين طلب من النبي ﷺ معجزة قال إن الله قادر على أن يُظهر آية من السماء أو يوقع القتل فيهم حيث يقتل بعضهم بعضاً، فقد استشهد الصحابة أيضاً في الحروب، فاعترض بعض ضعاف الإيمان أنه إذا كان عذاباً فلماذا يموت بعضنا أيضاً؟ فردَّ الله - سبحانه وتعالى - على ذلك فقال: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ فإن لم يمت أحدٌ من جماعتنا، وماتت الأمم الأخرى كلها لا هتدى العالم كله دفعة واحدة، ولما بقي على الأرض أي دين آخر غير الإسلام، حتى ما وجدت الحكومات بدءاً من اعتناق الإسلام، وهذا هو السر الكامن في موت بعض صحابة النبي ﷺ أيضاً، إلا أن جانب السلامة سيكون في كفتنا نسبياً. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٨، عدد ٢٢/٥/١٩٠٣م، ص ١٣٨)

إن الله ﷻ لا يريد أن يُرى نموذج القيامة في الآيات، ولم يحدث ذلك قط. بل لا بد أن يموت فيها بعض المؤمنين أيضاً، ولذلك قد استشهد بعض الصحابة في هذه الحروب، كما تألم النبي ﷺ إلا أن العاقبة أظهرت كم كانت آية النبي ﷺ عظيمة، وكذلك هنا. وسيكون السلام حليفنا أكثر نسبياً. (الحكم مجلد ٧، رقم ١٩، عدد ١٤/٥/١٩٠٣م، ص ٩)

﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾... يأتي دور أحد مرة ويأتي دور غيره مرة أخرى، وإن أفضال الله تعالى تنزل على مختلف أفراد الأمة المحمدية بالتناوب. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٦٠٤-٦٠٥، الحاشية على الحاشية رقم ٣)

من سنة الله تعالى أن يتخلى عن العائلات القديمة ويصطفي أحداً من خارجها، كما ترك الله تعالى بني إسرائيل واختار بني إسماعيل، لأن الأولين نسوا الله تعالى منغمسين في متع الدنيا وملذاتها، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ٤٢)

اعلموا أن الله تعالى بنفسه يُنجز كل شيء. لو جلستُ أنا وأبناء جماعتي كلنا قابعين في حجراتنا لأنجز الله هذا الأمر ولتعرضَ الدجال لزوال: ﴿تِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾. إن وصول الدجال إلى درجة الكمال دليل على أن زواله قريب، وارتفاعه يُظهر أن انحطاطه وشيك، وعُمرانه علامةُ خرابه. غير أن النسيم العليل قد بدأ بالهبوب، وإن أفعال الله تعالى تتم على مهل. (بدر مجلد ٧، رقم ١١، عدد ١٩٠٨/٣/١٩، ص ٦)

يقول اليهود: لماذا أُعطي بنو إسماعيل النبوة؟ ولا يدرون أن: ﴿تِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ والذي يحارب الله فهو مردود. إن الله قادر على أن يسأل مَنْ يشاء وليس لأحد أن يسأله. (الحكم، المجلد ٦، رقم ٣٠، عدد: ١٩٠٢/٨/٣٠، ص ١٠)

الآية ١٤٥: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ توفى مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أجمعين، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ؟ أي هل ستتركون الإسلام. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٣٩١)

قد بينَ الله تعالى وفاة المسيح بوجه عام وبوجه خاص أيضاً، كما يقول مثلاً على وجه العموم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾. إن هذه الآية التي قدمتها للاستدلال تدل بصراحة متناهية أن الموت

قد أصاب جميع الرُّسل، سواء أكان بالموت الطبيعي أو بالقتل، ولم يسلم من الموت نبي من الأنبياء السابقين. فهنا يستطيع القراء الكرام أن يفهموا بالبداهة أنه إذا كان المسيح - الذي كان رسولا من الرسل السابقين - لم يمت إلى الآن، بل رُفع إلى السماء حيا، ففي هذه الحالة لا يصح مضمون هذه الآية الذي يدلّ بوجه عام على موت كل نبي سبق، بل يصبح هذا الاستدلال لغوا وقابلا للطعن فيه. (إزالة الأوهام، الجزء الأول، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٢٦٤-٢٦٥)

تتلخص هذه الآية في أنه إذا كانت الحياة الدائمة ضرورية لنبي من الأنبياء، فقدّموا لنا ما يثبت أن نبيا لا يزال حيا من الأنبياء السابقين. والمعلوم أنه إذا كان المسيح ابن مريم حيا، فهذا يعني أن تقديم الله تعالى هذا الدليل ليس في محله. (إزالة الأوهام، الجزء الأول، الخزان الروحانية المجلد ٣، ٤٢٧)

فقد وردت في صحيح البخاري رواية عن عائشة رضي الله عنها جاء فيها: حين توفّي النبي ﷺ ظنّ البعض أنه ﷺ لم يُتوفّ، وقال البعض بأنه تُوفّي، ولكنه سيعود إلى الدنيا ثانية. وفي هذه الأثناء جاء أبو بكر رضي الله عنه إلى بيت عائشة ووجد النبي ﷺ قد مات، فكشّف عن وجهه ثم أكبّ عليه فقبّله وبكى ثم قال بأبي أنت وأمي والله لا يجمعُ الله عليك موتتين. ثم خرج إلى الناس وبين وفاة النبي ﷺ، ثم تلا تأكيدا على وفاته وعدم عودته إلى الدنيا آية: ﴿مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾.

وردت في صحيح البخاري رواية عن عائشة رضي الله عنها جاء فيها: حين توفّي النبي ﷺ ظنّ البعض أنه ﷺ لم يُتوفّ، وقال البعض بأنه تُوفّي، ولكنه سيعود إلى الدنيا ثانية. وفي هذه الأثناء جاء أبو بكر رضي الله عنه إلى بيت عائشة ووجد النبي ﷺ قد مات، فكشّف عن وجهه ثم أكبّ عليه فقبّله وبكى ثم قال بأبي أنت وأمي والله لا يجمعُ الله عليك موتتين. ثم خرج إلى الناس وبين وفاة النبي ﷺ، ثم تلا تأكيدا على وفاته وعدم عودته إلى الدنيا آية: ﴿مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾.

فليكن معلوماً أن "ال" في ﴿مَنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ يفيد الاستغراق ويشمل جميع الأنبياء الذين سبقوا، وإلا لبقى الدليل ناقصاً، لأنه لو بقي فرد واحد من الأنبياء خارج نطاق الآية، لما تحقق منها الاستدلال الذي يهدف إليه القرآن الكريم. فبتقديمه هذه الآية؛ أثبت أبو بكر الصديق أنه ما من نبي مضى إلا مات، وأثبت أيضاً أن الذي يموت لا يعود إلى الدنيا أبداً لأن كلمة: "خلا" أو "خلت" تطلق في لغة العرب على الذين ماتوا ولن يعودوا أبداً. فلقد استخدمت الكلمة "خلت" بحق الأنبياء في الآية المذكورة آنفاً للإشارة إلى أنهم خلوا جميعاً، ولن يعودوا إلى الدنيا أبداً. فلما قبل أبو بكر الصديق ﷺ النبي ﷺ بعد وفاته وقال: طبت حياً وميتاً، ولن يجمع الله عليك موتتين، أي لن تعود إلى الدنيا قط، فقدّم الصديق ﷺ تأييداً لقوله؛ الآية التي تتلخص في أن جميع الرسل الذين سبقوا النبي ﷺ قد خلوا جميعاً، والذين خلوا لن يأتوا إلى الدنيا ثانية، لأنه كما أطلقت في القرآن الكريم كلمة "خلا" أو "خلت" على أموات آخرين، كذلك استخدمت الكلمة نفسها بحق الأنبياء أيضاً. وهذه الكلمة خاصة بمعنى الموت، لأنها تتضمن شرطاً عدم العودة إلى هذا العالم مرة أخرى بعد الخلو منه. (إزالة الأوهام، الجزء الأول، الخزانة الروحية المجلد ٣، ص ٥٨٨-٥٨٩)

الدليل العقلي أي ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ الذي قدّمه الله جلّ شأنه على سبيل الاستقراء هو دليل قاطع ويقيني في هذا المجال. وما لم يُنقَض هذا الدليل ولم يُثبت أنه قد جاء أبناء الله أيضاً مع رسالات الله من قبل لا يمكن إثبات كون المسيح ﷺ ابناً حقيقياً لله لأن الله جلّ شأنه يلفت الأنظار في هذا الدليل بوضوح تام إلى أنه يمكنكم أن تفحصوا سلسلة الأنبياء منذ فجر سلسلة النبوة؛ فهل جاء إلى الدنيا مرة إله أو ابن إله أيضاً دون الإنسان؟ وإذا قلتم بأنه لم يأت من قبل، وقد أتى الآن فهذا يسمى "المصادرة على المطلوب" في مجال المناظرة، أي تقديم الأمر المتنازع فيه نفسه كدليل. (الحرب المقدسة، الخزانة الروحية، المجلد ٦، ص ١١٤)

"يعني ماتوا كلهم كما استدل به الصديق الأكبر عند وفاة النبي ﷺ، فما بقي شك بعد ذلك في وفاة المسيح وامتناع رجوعه إن كنتم بالله وآياته مؤمنين". (تحفة بغداد، الخزان الروحانية المجلد ٧، ص ٩)

"فحاصل الكلام.. أن أبا بكر الصديق ردَّ بهذه الآية قولَ عمر رضي الله عنه. ثم ما اكتفى على ذلك بل قصد المسجد وانطلق معه رهط من الصحابة، فجاء وصعد المنبر، وجمع حوله كلَّ من كان موجودا من أصحاب رسول الله ﷺ، ثم أثنى على الله وصلى على رسوله ﷺ وقال: أيها الناس.. اعلموا أن رسول الله ﷺ قد تُوِّفِّي، فمن كان يعبد محمدا ﷺ فليعلم أنه قد مات، ومن كان يعبد الله فإنه حي لا يموت، ثم قرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾، فاستدل بهذه الآية على موت رسول الله ﷺ بناءً على أن الأنبياء كلهم قد ماتوا، فلما سمع الصحابة قول الصديق رضي الله عنه ما ردَّ أحد على قوله، وما قال أحد له: أيها الرجل.. إنك كذبت أو أخطأت في استدلالك أو ذكرت استدلالا ناقصا وما كنت من المصيين، فلو كانوا معتقدين بأن عيسى حي إلى ذلك الزمان لردوا على أبي بكر، وقالوا كيف تفهم من هذه الآية موت الأنبياء كلهم؟ ألا تعلم أن عيسى قد رُفِعَ إلى السماء حيا ويأتي في آخر الزمان؟ فإذا كان عيسى راجعا إلى الدنيا مرة ثانية وأنت تؤمن به، فأبي حرج ومضايقه في أن يأتينا رسولنا ﷺ أيضا كما زعمه عمر.. الذي يجري الحق على لسانه، وله شأن عظيم في الرأي الصائب، ولرأيه موافقة بأحكام القرآن في مواضع، ومع ذلك هو مُلْهِمٌ ومن المحدثين؟ وإن وفاة نبينا ﷺ للمسلمين مصيبة ما أصيبوا بمثلهما. فليس من العجب أن يرجع نبينا ﷺ إلى الدنيا، بل رجوعه إلى الدنيا أحق وأولى وأنفع من رجوع المسيح، وحاجة المسلمين إلى وجوده المبارك أشدَّ وأزید من حاجتهم إلى وجود المسيح، لكنهم ما ردوا على الصديق رضي الله عنه بهذه الكلمات، بل سكتوا كلهم ونبذوا من أيديهم سهام الإنكار،

وقبلوا قوله، وبكوا وقالوا إنا لله وإنا إليه راجعون. ونظروا إلى موت الأنبياء كلهم واطمأنوا بها، فإنهم ماتوا كلهم وما كان أحد منهم من الخالدين". (حماسة البشرية، الخزان الروحانية، المجلد ٧ ص ٢٤٥-٢٤٦)

حيثما استخدمت كلمة "خلت" في القرآن الكريم بحق الناس فقد استخدمت بمعنى الموت، فثبت موت عيسى ﷺ من الآية: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ أيضا. (أيام الصلح، الخزان الروحانية المجلد ١٤، ص ٣٥٤، الحاشية)

"وقد قال الله سبحانه ﴿مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، فصرح بأن الأنبياء الذين كانوا من قبل ماتوا كلهم والمرسلون. وهذه آية تلاها أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذ كان الأصحاب يختلفون.. أعني إذا اختلف بعض الناس من الصحابة في موت رسول الله ﷺ، وقال عمر إنه سيرجع كما يرجع عيسى، وكذلك قال بعضهم الذين كانوا يخطئون، فسمع أبو بكر كلامهم وما كانوا يزعمون، فقام على المنبر واجتمع الصحابة حوله وتلا الآية المذكورة وقال اسمعون. وكانوا مجتمعين كلهم لموت رسول الله ﷺ، فسمعوا وتأثروا بأثر عجيب؛ كأن الآية نزلت في ذلك اليوم، وكانوا ييكون ويصدقون. وما بقي أحد منهم في ذلك اليوم إلا أنه آمن بصميم القلب أن الأنبياء كلهم قد ماتوا، وقد أدركهم المنون. فما بقي لهم أسف على موت رسولهم ولا محل غبطة لحبيهم، وتنبهوا على موته، وفاضت عيونهم وقالوا إنا لله وإنا إليه راجعون. وكانوا يتلون هذه الآية في السكك والأسواق والبيوت وييكون. وقال حسان بن ثابت وهو يرثي لرسول الله ﷺ بعد خطبة أبي بكر:

كُنْتُ السَّوَادَ لِنَاطِرِي      فَعَمِيَ عَلَيْكَ النَّاطِرُ  
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلْيَمُتْ      فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَاذِرُ

يريد أن خوفي كله كان عليك، فإذا متَّ فلا أبالي أن يموت موسى أو عيسى. فانظروا إليهم كيف أحبوا نبيهم، وكيف كان تصدر منهم آداب المحبة وآثارها أيها

المجادلون. وانظروا كيف اقتضت غيرتهم أنهم ما رضوا بحياة نبي بعد موت رسول الله، فهذُّوا إلى الصراط كما يُهْدَى العاشقون. واجتمعت قلوبهم على مفهوم آية ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ وآمنوا به وكانوا به يستبشرون". (الخطبة الإلهامية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٦، ص ٢٢٨-٢٣٣)

"قد جرت سنة أهل اللسان في لفظ "خلا" أنهم إذا قالوا مثلاً: خلا زيد من هذه الدار أو من هذه الدنيا، فيريدون من هذا القول أنه لا يرجع إليها أبداً. وما اختار الله هذا اللفظ إلا إشارة إلى هذه المحاورة كما لا يخفى". (الخطبة الإلهامية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٦، ص ٢٢٨، الحاشية)

إن استنباط أبي بكر رضي الله عنه من الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ يدل بوضوح تام أنه كان يعتقد بوفاة عيسى عليه السلام، لأنه إذا كان معنى الآية أن بعض الأنبياء قد ماتوا قبل زمن النبي صلى الله عليه وسلم وبعضهم لم يموتوا إلى ذلك الحين، فلا يصح الاستشهاد بالآية أصلاً، لأن الدليل الناقص الذي لا يشكّل القاعدة الكلية ولا يحيط بجميع الأفراد الذين خلّوا من هذا النوع؛ لا يمكن أن يُعدّ دليلاً أصلاً. وبذلك يصبح استدلال أبي بكر لغواً.

وليكن معلوماً أيضاً أن هذا الدليل الذي قدّمه أبو بكر رضي الله عنه على موت الأنبياء السابقين جميعاً لم يرفضه أيّ واحد من الصحابة، بل لزموا الصمت جميعاً بعد سماعه. وبذلك تبين جلياً أن الصحابة قد أجمعوا عليه، وإن إجماع الصحابة حجة؛ إذ لا يمكن أن يكونوا على ضلالة.

فمن من أبي بكر على الأمة أنه فتح في زمن خلافته الراشدة باب الحق والصدق لتفادي الخطأ الذي كان محتمل الوقوع في مستقبل الأيام، ووضع سداً منيعاً أمام سيل الضلال إذ لا يمكن لمشايخ هذا العصر أن يهدموه ولو تحالف معهم الجن أيضاً. ندعو الله تعالى أن يُنزل على روح أبي بكر الذي حكّم بموت المسيح عليه السلام



-مُلْهِمًا بكلام الله ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَام - ألف ألف رحمة. (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية المجلد ١، ص ٤٦١-٤٦٢، الحاشية)

لقد أجمع الصحابة جميعا على موته. وإن لم يحدث الإجماع فقل لي من فضلك لماذا قدم أبو بكر رضي الله عنه آية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ ردًا على فكرة عمر رضي الله عنه الخاطئة القائلة بأن النبي ﷺ لم يمت وسيعود إلى الدنيا؟ وأي استدلال كان يقصده وكان في محله أيضا؟ وماذا فهم منه الصحابة؟ ولماذا لم يعارضوه؟ ولماذا ورد في هذا المقام أنه لما سمع الصحابة هذه الآية تراجعوا عن أفكارهم؟ (التحفة الغزنوية، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥٤٢)

"ألا تفكر في قوله عز اسمه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، أو على قلبك الثفل؟ وقد انعقد الإجماع عليه قبل كل إجماع من الصحابة، ورجع الفاروق من قوله بعد سماع هذه الآية، فما لك لا ترجع من قولك وقد قرأنا عليك كثيرا من الآيات؟ أتكفر بالقرآن أو نسيت يوم المجازاة؟" (الهدى والتبصرة لمن يرى، الخزائن الروحانية، المجلد ١٨، ص ٣٦٥)

بعد هذه الآيات هناك آية عظيمة الشأن التي أجمع عليها الصحابة كلهم رضي الله عنهم، حيث آمن أكثر من مئة ألف صحابي أن عيسى عليه السلام وسائر الأنبياء السابقين قد ماتوا، وهي: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾، هنا قد فسر الله نفسه معاني "خلت" بالموت أو القتل، ثم إن أبا بكر رضي الله عنه استشهد بهذه الآية على وفاة جميع الأنبياء السابقين، فترك الصحابة المقاومة وسلّموا بما قال، وبذلك أثبتوا أن هذه الآية برهان قاطع على موت المسيح وسائر الأنبياء السابقين، وحصل إجماع الصحابة على ذلك، ولم يبق أحد مخالفًا له كما بينت ذلك مفصلاً في كتيب "التحفة الغزنوية". ثم بعد ذلك لم يدع أي مجتهد وإمام مقبول ومقتدى الأنام على مدى ١٣ قرناً بأن المسيح عليه السلام ما زال حيًّا. بل

قد شهد الإمام مالك صراحة أنه مات، كما أدلى الإمام ابن حزم بشهادة واضحة على أنه توفي، ولم يُسمع أحد من جميع الكَمَل والملمهين الكاملين إلهاماً أنه قد نزل عليه من الله كلامٌ يفيد بأن عيسى ابن مريم ﷺ ما يزال حياً في السماء خلافاً لجميع الأنبياء. باختصار، حين لم أجد في نصوص القرآن والحديث وأقوال الأئمة الأربعة ووحى أولياء الأمة المحمدية وإجماع الصحابة رضي الله عنهم غير موت المسيح، فنظرت لتكميل مقومات التقوى في قصص الأنبياء السابقين، هل هناك نظير على ذلك في القرون الماضية لصعود أحد إلى السماء وعودته من هناك من جديد، فتبين لي أنه من آدم ﷺ إلى يومنا هذا، لا يوجد أي نظير لصعود أحد إلى السماء ثم عودته من هناك. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية المجلد ١٧، ص ٩١-٩٢)

لم يعترض أحد على أبي بكر رضي الله عنه ولم يقل له أحد: لماذا تحرف القرآن الكريم؟ متى مات الأنبياء السابقون كلهم؟ ثم لو كان أبو بكر رضي الله عنه احتج عند هذا الاعتراض أنه لم يقصد وفاة جميع الأنبياء بل أكد على أنه يؤمن قلباً وقالبا بأن عيسى عليه السلام قد صعد إلى السماء بحسمه المادي وأنه سينزل في المستقبل، لقال له الصحابة: أليس هذا ما تعتقد؟ ثم ينشأ سؤال: بم ردّ على أفكار عمر رضي الله عنه بقراءة هذه الآية؟ فهل هو أصم؟ ألم يسمع ماذا أعلن عمر بصوت عالٍ؟ يا سيدي إنه يقول إن النبي ﷺ لم يمّت، وأنه سيعود إلى العالم مرة أخرى، ليقول المنافقين، وأنه قد رُفع إلى السماء حياً كما رُفع عيسى ابن مريم. صحيح أنك قرأت الآية، لكن أين الرد على هذه الشبهة فيها؟ لكن الصحابة الأذكياء المتفرسون الذين كانوا قد تمت تركيتهم على يد النبي المقدس ﷺ، وكانت اللغة العربية لغتهم الأم، ولم يكن هناك أي تعصب أيضاً، قد أدركوا فور سماع الآية المذكورة أنّ "خلت" تعني ماتت، كما قد فسرها الله نفسه بجملة ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾، لذا تخلّوا فوراً عن أفكارهم ونظموا أبياتاً شعرية أعربوا فيها عن هذا الحب واللوعة والحنين إلى النبي متألمين، كما نظم حسان بن ثابت بيتين رثاءً:

كنت السواد لناظري      فعمي عليك الناظر  
من شاء بعدك فليمت      فعليك كنت أحاذر

أي يا نبي الحبيب، كنت أرى بواسطتك وكنت نور عيني، وموتك قد عميت، ولا أحزن بعد موتك على موت الآخرين؛ فسواء أ مات عيسى أو موسى فلا أبالي، إنما كنت أحذر وفاتك التي قد حصلت. لاحظوا؛ هذا هو العشق والحب، فحين أدرك الصحابة أنّ أفضل الأنبياء - الذي كانت الحاجة ماسةً إلى حياته - قد توفي قبل العمر الطبيعي، تبرأوا جدًّا من القول بحياة نبيِّ والرضا بموت الرسول ﷺ. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية المجلد ١٧، ص ٩٣-٩٤)

ثم آية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، تشهد بصوت عال على أن المسيح ﷺ قد توفي لأن هذه الآية العظيمة الشأن قد أجمع عليها مائة وأربعة وعشرون ألف صحابي رضي الله عنهم، وأقرّوا بذلك بأن جميع الأنبياء قبل النبي ﷺ قد ماتوا. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية المجلد ١٧، ص ٣١٠)

هذه الآية قرأها أبو بكر رضي الله عنه عند وفاة النبي ﷺ واستشهد بها على أن جميع الأنبياء قبله ﷺ قد ماتوا وأجمع الصحابة على ذلك.. (الأربعين الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٣٧٤)

لقد بين الله تعالى في الآية ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ أن قوله ﴿خَلَتْ﴾ يشكل قاسما مشتركا فيما يتعلق بوفاة الأنبياء جميعا، ولم يذكر عيسى ﷺ بكلمة خاصة. وهذا كذب آخر من الله - والعياذ بالله - بحسب رأيكم! إنها الآية نفسها التي قرأها أبو بكر رضي الله عنه لإثبات وفاة النبي ﷺ.

ما أغرب منطق أبي بكر إذ قرأ هذه الآية أمام الناس مع أن عيسى كان حيًّا في السماء! أي نوع من التعزية هذا؟ ألم يعلم أن عيسى حيٌّ وموجود في السماء وسيعود إلى الأرض ثانية ويمكث فيها أربعين عاما؟ أذاك عمرُ عيسى وهذا عمرُ أفضل الرسل؟!!

﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ (النجم: ٢٣)! ثم ما أغرب فهم الصحابة أيضا الذين سكتوا بسماع هذه الآية ولم يرد أحد على أبي بكر ولم يقل له: ما هذه الآية التي تلوها؟ فإنها تزيدنا حسرة وكمدا إذ تقول بأن عيسى حي في السماء وسيأتي مرة أخرى، أما نبينا الحبيب فقد فارقنا إلى الأبد! فإذا كان عيسى عليه السلام خارجا عن قانون الطبيعة وكان سيعيش إلى آلاف السنين وسيعاود مجيئه؛ فلماذا لم يُعط نبينا الأكرم ﷺ هذه النعمة؟ إنه للحق أن أبا بكر رضي الله عنه والصحابة كلهم -وكانوا جميعا موجودين هنالك دون استثناء- فهموا من هذه الآية أن الأنبياء قد ماتوا قاطبةً. ويبدو أن صحابيا أو اثنين من الصحابة من قليلي الفهم الذين لم تكن درايتهم أيضا جيدة -وكانوا قد سمعوا أقوال المسيحيين الساكنين في الجوار؛ كانوا يظنون إلى حد ما أن عيسى حي في السماء- مثل أبي هريرة الذي كان شخصا ساذجا بسيطا ودرايته أيضا لم تكن جيدة. ولكن أبا بكر رضي الله عنه -الذي وهبه الله تعالى علم القرآن الكريم- حين قرأ هذه الآية؛ ثبتت على الصحابة كلهم وفاة الأنبياء جميعا وسُرُّوا كثيرا بسماع ذلك، وزال عن قلوبهم حزن وفاة نبيهم الحبيب الذي كان مستوليا على قلوبهم، فراحوا يرددون هذه الآية في أزقة المدينة. وبهذه المناسبة نظم حسان بن ثابت رضي الله عنه قصيدة في رثاء النبي ﷺ على فراقه وقال فيها:

كنت السواد لناظري      فعمي عليك الناظر

من شاء بعدك فليمت      فعليك كنت أحاذر

كنت أيها النبي ﷺ مقلة عيني وقد صرْتُ أعمى بفراقك، أما الآن فليمت من يشاء، عيسى كان أم موسى، فكنت خائفا على موتك فقط. أي قد أيقنتُ بموتك أن جميع الأنبياء الآخرين قد ماتوا ولا أبالي بموتهم شيئا.

ولله درّ القائل: عجب تهاشق اس دل میں محبت هوتو ایسی ہو

أي: واهما لعشق في قلبه، هذا هو الحب الحقيقي. (إعجاز أحمددي، الملحق ب نزول

المسيح، الخزان الروحانية، المجلد ١٩، ص ١٢٦-١٢٧)

كان الإجماع الأول في الإسلام على أنه ليس هناك نبي من الأنبياء السابقين حياً، وهذا ما تبينه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (آل عمران: ١٤٥). أدعو الله تعالى أن يعطي أبا بكر رضي الله عنه أجراً عظيماً لأنه كان سبب هذا الإجماع، إذ صعد المنبر وتلا هذه الآية. (محاضرة سيالكوت، الخزان الروحانية المجلد ٢٠، ص ٢٤٦-٢٤٧)

لماذا لا يفكرون أن الصحابة أيضاً، ظنوا حين وفاة النبي ﷺ أنه سيعود إلى الدنيا مرة ثانية، ولكن سيدنا أبا بكر رضي الله عنه قرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، ودحض هذه الفكرة كلياً، وبَيَّن معانيها أنه ما من نبي إلا وقد مات؛ وإذا مات النبي ﷺ أيضاً فلا مجال للاعتراض، لأن الموت قاسم مشترك بين الأنبياء كلهم. من الواضح جلياً أنه لو كان الصحابة يظنون أن عيسى عليه السلام موجود في السماء حياً منذ ٦٠٠ عام، ل طرحوا الفكرة أمام أبي بكر رضي الله عنه، ولكن الجميع اعترف في ذلك اليوم أن جميع الأنبياء قد ماتوا من قبل. وإن كان في ذهن أحدهم فكرة حياة عيسى لنبذها كما يُنبذ الشيء الرديء. أقول هذا لأنه من الممكن أن يكون هناك شخص غبي ذو دراية غير سليمة يكرُّ في قلبه -متأثراً بالديانة المسيحية- فكرة أن عيسى ما زال حياً في السماء، ولكن مما لا شك فيه أن جميع الصحابة رضي الله عنهم اتفقوا بعد وعظ "الصِّدِّيق" أن جميع الأنبياء قبل النبي ﷺ قد ماتوا. وكان ذلك أول إجماع أجمع عليه الصحابة أجمعون. وأتى لأصحاب النبي ﷺ الذين كانوا فانيين في حبه ﷺ أن يقبلوا أن نبيهم لم يبلغ من العمر حتى ٦٤ عاماً مع أنه سيد الأنبياء، بينما عيسى حيٌّ في السماء منذ ٦٠٠ عام؟ كلا! ثم كلا! لا يمكن لمن يحب النبي ﷺ أن يفتي بفتوى تقول بأفضلية عيسى بوجه خاص، ألا لعنة الله على اعتقاد يستلزم إهانة النبي ﷺ. إنهم كانوا عشاق الرسول ﷺ، وكانوا يفضلون أن تزهق أرواحهم على أن يسمعوا أن رسولهم الحبيب قد مات، وعيسى حيٌّ في السماء. إن ذلك النبي ﷺ لم يكن الأحب

إليهم فقط بل كان الأحب إلى الله تعالى أيضا من جميع الأنبياء، ولذلك فعندما لم يؤمن به المسيحيون وأطروا عيسى حتى جعلوه إلهًا، اقتضت غيرة الله أن يخلق خادما، أي أنا العبد المتواضع، من خدام محمد ﷺ ويجعله مثيلا لعيسى. ولقد أعطى الله ﷻ هذا الخادم نصيبا من فضله ونعمته، أوفر مما أعطاه لكي يعلم النصارى أن الفضل كله بيد الله. (تذكرة الشهادتين، الخزانة الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٢٣-٢٤)

(لقد اتهم الشيخ عبد الحق الغزنوي سيدنا الإمام المهدي عليه السلام أنه كذب، والعياذ بالله، في قوله بأنه ما من نبي قبل رسول الله ﷺ إلا وقد مات... وما جاء في القرآن الكريم هو: "خلت من قبله الرسل"، وليس معناه إلا أنه مضت الرسل قبل رسول الله ﷻ)

فقال عليه السلام: هل كلمة "مضى" تعني غير الموت؟ فمن مضى من الدنيا يقال له أنه مات. يقول الشيخ سعدي في بيت شعر فارسي تعريبه: "عندما انقضى عمر أبي، نصحني بهذه النصيحة ومضى".

قل الآن ما معنى "مضى" هنا؟ هل صعد أبو الشيخ سعدي، عليه الرحمة، إلى السماء حيا بجسده المادي أم مات؟ يا صاحبي، هل سيثبت من هذه التأويلات الركيكة أن عيسى عليه السلام صعد إلى السماء حيا بجسده المادي؟ هذا التعبير شائع في العالم كله. فمثلا إذا قال أحد: مضى المريض، فلا يستنبط منه أحد معنى أنه صعد إلى السماء حيا بجسده المادي. كذلك كلمة "مضى" أيضا تُستخدم في العربية لأداء مفهوم الموت كتعبير شائع منذ قديم الزمان. فهناك بيت شعر قديم لأحد بشأن عالم كان ينوي تأليف كتاب ولكنه مات قبل التأليف، فقد جاء فيه:

ولم يتفق حتى مضى لسبيله      وكم حسرات في بطون المقابر

أي لم يتفق لهذا المؤلف تأليف هذا الكتاب حتى مضى... أي أن كثيرا من الناس يموتون قبل أن يبلغوا مراميهم ويصطحبون الحسرات معهم في القبور. انظروا

الآن، فقد جاءت كلمة "مضى" هنا بمعنى الموت. وإذا قلت: أيُّ من المفسرين استنبط هذا المعنى؟ فجوابه أن كل مفسر محقق يملك نصيباً من العقل والبصيرة وعلم البصيرة قد أورد المعنى نفسه. فانظر في التفسير المظهرى، الصفحة ٤٨٥، تحت الآية: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، فقد ورد فيه: "مضت وماتت من قبله الرسل". وقد أُشير بلام التعريف إلى أنه لم يسلم أحد منهم من الموت. كذلك ورد في تفسير "تبصير الرحمن وتيسير المنان"، للشيخ العلامة زين الدين علي المهاءمي تحت الآية: ﴿قَدْ خَلَتْ﴾: "قد خلت"، منهم من مات ومنهم من قُتل، فلا منافاة بين الرسالة والقتل والموت. (المجلد ١، الصفحة: ١٧٧) كذلك جاء في تفسير جامع البيان للشيخ العلامة السيد معين الدين بن الشيخ سيد صفى الدين، الصفحة ٢١ تحت الآية: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾: "قد خلت من قبله الرسل بالموت أو القتل، فيخلو محمد ﷺ أيضاً". وقد جاء في حاشية "غاية القاضي وكفاية الرازي" على تفسير البيضاوي، المجلد ٣، الصفحة ٦٨: "ليس رسولنا ﷺ متبرئاً عن الهلاك كسائر الرسل، ويخلو كما خلوا." كذلك ورد في المجلد الأول، الصفحة ٣٣٦، من تفسير "جمل" الذي اسمه الآخر "الفتوحات الإلهية" تحت الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ... قَدْ خَلَتْ﴾ "كأنهم اعتقدوا أنه ليس كسائر الرسل في أنه يموت كما ماتوا". أي ظن بعض الصحابة أن النبي ﷺ لن يموت مثل بقية الأنبياء بل سيبقى حياً، فقال تعالى بأنه أيضاً سيموت كما مات جميع الأنبياء قبله. وجاء في المجلد الأول من "تفسير الصافي" تحت الآية قيد البحث: "فسیخلو كما خلوا بالموت أو القتل".

من الواضح أن جميع هؤلاء المفسرين قد أخذوا من كلمة ﴿خَلَتْ﴾ معنى: "ماتت". أي استنتجوا من هذه الآية أن النبي ﷺ سيموت كما مات جميع الأنبياء الذين سبقوه. انظروا كم هو دليل بَيِّن على وفاة عيسى ﷺ حيث يقول المفسرون كلهم بصوت واحد بأنه قد مات جميع الأنبياء الذين جاؤوا إلى الدنيا من قبل.

وإضافة إلى ذلك من واجب كل مؤمن ألا يحسب صحيحا إلا المعنى الذي أشار إليه الله جلّ شأنه في هذا المقام، ويستيقن أن المعنى الذي يخالفه ليس إلا زَيْغا وإلحادا. وواضح وضوح الشمس أن الله تعالى بنفسه فسّر الآية: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فقال: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾. إذاً، فمعنى هذه الآية كلها هو أن جميع الأنبياء السابقين قد خلوا من هذه الدنيا إما بالموت أو بالقتل. وإذا خلا هذا النبي أيضا بالموت أو القتل مثلهم فهل ترتدّون عن الدين؟

الجدير بالذكر هنا أن الله تعالى بيّن في هذا المقام طريقين اثنين لا ثالث لهما، للخلوّ من الأرض، أحدهما بواسطة: الموت حتف الأنف، أي الموت الطبيعي، والثاني بالقتل. باختصار، قد حصر الله تعالى كلمة: ﴿خَلَتْ﴾ في الموت أو القتل فقط. فمن الواضح أنه إذا كان هناك شقٌّ ثالث أيضا في علم الله لبيّنه حتما لإكمال معنى "خلت"، ولقال مثلا: أفإن مات أو قُتل أو رُفع إلى السماء بجسمه كما رُفع عيسى، انقلبتم على أعقابكم. أي قد مات جميع الأنبياء قبله، فإذا مات هو أيضا أو قُتل أو رُفع إلى السماء بجسمه مثل عيسى فهل سترتدّون عن هذا الدين؟

فيا صاحبي، هل ستعترض على الله بأنه نسي بيان الشق الثالث ولم يبين إلا شقّين فقط؟ ويعرف العقلاء جيدا أن شرح الكلمة: "خلت" -القابلية للشرح- بالموت أو القتل فقط يدل دلالة قاطعة على أن معنى ﴿خَلَتْ﴾ عند الله في هذا المقام ليس إلا الموت أو القتل. وهذا أمر مؤكّد، وإنكاره خروج عن طاعة الله وافتراء عليه. فلما قال الله تعالى في هذه الآية بنفسه بأن معنى ﴿خَلَتْ﴾ هو إما الموت أو القتل فقول شيء على النقيض من ذلك كذب عظيم وافتراء كبير وليس من الصغائر بل من الكبائر.

فلما انحصر مفهوم ﴿خَلَتْ﴾ عند الله تعالى في معنيين فقط أي الموت أو القتل، فأبى افتراء وكذب أكبر من أن يفهم بغير دليل وسلطان مبين أن الرفع إلى السماء بالجدس المادي أيضا يدخل في معنى "خلت"، كما اتخذ النصراني عيسى عليه السلام ابن



الله دون مبرر. لا شك أنه سينشأ تلقائياً في هذا المقام سؤال بأنه ما دام أئمة اللغة لم يذكروا أنّ من معاني كلمة "خلت" هو الصعود إلى السماء حياً بالجسد المادي، فأية حاجة اقتضت حتى شرح الله تعالى كلمة ﴿خَلَّتْ﴾ ب: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ؟﴾ فجوابه بأن الله تعالى كان يعلم أن في زمن "فَيَجِ أَعُوج" سِيُسْتَنْبَط من ﴿خَلَّتْ﴾ معنى أن المسيح ﷺ رُفِعَ إلى السماء حياً بجسده المادي. لذا فَنَدَّ ﷺ بهذا الشرح تلك المزاعم الفاسدة منذ البداية كإجراء وقائي.

يمكنك أن تفهم من هذا البحث كله بأنني لم أكذب في بيان هذا المعنى، ولكن أرجوك ألا تنزعج، فأنت الذي كذبتَ كذباً شنيعاً بترك المعنى الذي ذكره القرآن الكريم. وإذا استطعت أن تثبت من آية قرآنية أو حديث صحيح أو ضعيف أو موضوع، أو من قول صحابي أو من قول إمام آخر أو من خطب عصر الجاهلية ودواوينها أو من أي نوع من الشعر أو الكلام المنظوم أو المنشور للفصحاء المسلمين بأن من معاني "خلت" أن يصعد أحد إلى السماء بجسده المادي، فإني جاهز على إعطائك ألف روية جائزة. أليس في بيان الله تعالى في القرآن الكريم كلمة ﴿خَلَّتْ﴾ أولاً، ثم بيان معناها بالموت أو القتل - بعبارة هي في محل التفسير من حيث أصول البلاغة والمعاني - حجة قاطعة للمؤمن على أنه ليس لها غير معنيين في هذا المقام؛ أي الموت أو القتل؟ هل هناك حاجة إلى شهادة بعد شهادة الله؟

الحمد لله، ثم الحمد لله على أن الله تعالى شهد على صدقي في هذا المقام نفسه وبين أن معنى ﴿خَلَّتْ﴾ هو الموت أو القتل. ولكنك كتبت في إعلانك عني بأنه كذب كذباً لا يليق بمؤمن، بل حتى بمن يملك شائبة من الحياء. ولكنها من آيات الله العظيمة أن الكذب نفسه قد انقلب عليك بشهادة القرآن الكريم. قل الآن، ماذا أقول بحقك؟ لقد سمّيتني بالتسرع بغير حق كاذباً ولكن لا أريد أن أردد السيئة بالسيئة. لو لم يكن الكذب حراماً وذنبا في الشرع الإسلامي لسمّيتك صديقا عوضاً عن تسميتك إياي

كذابا، ولأطلقتُ عليك المحترم والمنتصر مقابل اعتبارك إياي مهانا ومهزوما بكذبك المحض. (التحفة الغزنوية، الخزان الروحانية، المجلد ١٥، ص ٥٧١-٥٧٧)

(قال الشيخ عبد الحق الغزنوي بأن الإجماع على وفاة المسيح عليه السلام وغيره من الأنبياء كذب صريح، إذ إن عدد الصحابة كان يربو على مئة ألف صحابي فإثبات ذلك من الجميع متعذر)

فقال عليه السلام: إنه لما بيعتني على الرثاء على حالتك وأشياعك في هذا المقام، كيف نزع الله تعالى العقل والعلم والأمانة من صدوركم! أَعْلَى هذا المبلغ من العلم تسمّون أنفسكم مشايخ؟ وتنادون بعضكم بالعلماء الكرام والصوفيين العظام؟ فيا أيها الجاهل الجدير بالشفقة، صحيح تماما أن الصحابة رضي الله عنهم قد أجمعوا على وفاة المسيح وغيره من الأنبياء السابقين جميعا، مثل الإجماع على خلافة أبي بكر رضي الله عنه، بل أفضل وأعلى منه. وإذا كان هناك نقد أو طعن في هذا الإجماع سيكون أكبر منه في الإجماع على الخلافة المذكورة. الحق أن هذا الإجماع أقوى وأعلى من الإجماع على خلافة أبي بكر رضي الله عنه لأنه لم يُروَ ولو قول ضعيف يُثبت أن أحدا من الصحابة رضي الله عنهم خالف أبا بكر رضي الله عنه بهذا الشأن أو تخلف عنه، بمعنى أنه عندما قرأ أبو بكر رضي الله عنه للاستدال على وفاة النبي صلى الله عليه وسلم آية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ التي تعني: إن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس إلا رسول، ليس فيه شيء من الألوهية، وقد خلا أي مات جميع الأنبياء الذين كانوا قبله، فلو خلا هو أيضا من الدنيا ميّتا أو مقتولا فهل ترتدون عن دينكم؟- لم يعارضه أحد من الصحابة بعد سماع هذه الآية؛ ولم يقل أحد منهم إن استدلالك هذا ناقص وغير مكتمل، ولم يقل له أحد: ألا تعلم أن بعض الأنبياء موجودون على الأرض أحياء بالجسد المادي مثل إلياس والخضر، وبعضهم موجودون أحياء في السماء مثل إدريس وعيسى؟ فكيف تثبت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الآية والحالة هذه؟ ولماذا لا

يمكن أن يكون هو أيضا حيًّا؟ بل صدّقه الصحابة كلّهم بسماع هذا الاستدلال وتوصّلوا إلى نتيجة أن وفاة النبي ﷺ أيضا كانت ضرورية مثل بقية الأنبياء. فانعقد هذا الإجماع دون أدنى تردد أو تأخير. أما الإجماع المعترف به على خلافة أبي بكر ﷺ فقد ظهر فيه بعض التردد والتوقّف في البيعة من قبل بعض الصحابة وإن بايعوا بعد بضعة أيام، حتى إن سيدنا عليّ ﷺ أيضا واجه ذلك الابتلاء. ولكن لم يواجه أحد من الصحابة أيّ نوع من الابتلاء في موت الأنبياء السابقين بعد سماعهم خطبة الصديق ﷺ ولم يترددوا في القبول ولم يتأخروا قط، بل قبلوا فوراً بعد سماعهم الخطبة. فهذا أول إجماع في الإسلام قبل بقلوب منشحة دون أدنى تردد.

فزبدة الكلام أننا نعتقد دون أدنى شك بناء على النصوص الصريحة أن جميع الصحابة ﷺ قد أجمعوا على موت كافة الأنبياء السابقين بمن فيهم المسيح ﷺ أيضاً، بل كان المسيح ﷺ هو الهدف الأول لهذا الإجماع.

والآن أنقل فيما يلي الأدلة المستقاة من نصوص الأحاديث ليعلم أيّنا ثابت على الصدق خشية الله، وأيّنا يكذب بتجاسر ووقاحة رامياً بالنصوص الصريحة غرض الحائط؟

ليكن واضحاً أنه قد جاءت في صحيح البخاري -الذي يُعدّ أصح الكتب بعد كتاب الله- العبارات التالية: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَرَجَ وَعُمَرُ يُكَلِّمُ النَّاسَ، فَقَالَ: اجْلِسْ يَا عُمَرُ، فَأَبَى عُمَرُ أَنْ يَجْلِسَ. فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَتَرَكُوا عُمَرَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمَّا بَعْدُ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ. قَالَ اللَّهُ: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ إِلَى الشَّاكِرِينَ. وَقَالَ: وَاللَّهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ، فَمَا أَسْمَعَ بَشَرًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا يَنْلُوهَا... أَنَّ عُمَرَ قَالَ: وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنَّ

سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلَاهَا فَعَقَرْتُ، حَتَّى مَا تُقْلِنِي رِجْلَايَ، وَحَتَّى أَهْوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ حِينَ سَمِعْتُهُ تَلَاهَا، عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ مَاتَ.

... خرج أبو بكر رضي الله عنه (يوم وفاة النبي ﷺ) وعمر بن الخطاب يكلم الناس (أي كان يقول لهم بأن النبي ﷺ لم يمت بل هو حي...)

وفي هذا المقام أورد القسطلاني في شرح صحيح البخاري، ما يلي: وعمر بن الخطاب يكلم الناس، يقول لهم ما مات رسول الله ﷺ... ولا يموت حتى يقتل المنافقين.

وجاء في الملل والنحل للشهرستاني عن هذا الحادث ما يلي:

"قال عمر بن الخطاب: من قال إن محمدا مات فقتلته بسيفي هذا. وإنما رفع إلى السماء كما رفع عيسى بن مريم عليه السلام وقال أبو بكر بن أبي قحافة: من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد إله محمد فإنه حي لا يموت، وقرأ هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾. فرجع القوم إلى قوله. (انظروا: الملل والنحل، المجلد الثالث) ... أي أن الله وحده يتحلى بصفة أنه حي دائما أما ما عداه من البشر والحيوانات فتموت قبل أن تخطر فكرة الخلود بالبال.

ففكر الآن، إن لم يكن استدلال أبي بكر رضي الله عنه بموت جميع الأنبياء من القرآن الكريم، أو إن لم يكن صريحا وقطعي الدلالة، كيف أجمع الصحابة كلهم الذين كان عددهم، بحسب قولك، يربو على مئة ألف صحابي على أمر مبني على الشك والظن فقط؟ ولماذا لم يقدموا حجة وقالوا: يا سيدنا، إن دليلك هذا ناقص وليس عندك نص قطعي الدلالة عليه؛ أما زلت تجهل أن القرآن نفسه يبين رفع المسيح ﷺ إلى السماء حيا بجسده المادي في آية: ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾؟! ألم تسمع إلى الآن: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ أيضا؟! لماذا إذاً تستبعد صعود النبي ﷺ إلى السماء؟! بل تحلّي

الصحابة الذين كانوا يدركون أسلوب القرآن الكريم عن فكرهم السابق فورا بعد أن سمعوا الآية وكلمة ﴿حَلَّتْ﴾ ووجدوا شرحها في عبارة: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾. لا شك أن قلوبهم حزنت بشدة وانكسرت بسبب وفاة النبي ﷺ وضاعت عليهم أنفسهم حتى قال عمر رضي الله عنه: "وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلَاهَا فَعَقِرْتُ، حَتَّى مَا تُقْلِنِي رِجَالِي، وَحَتَّى أَهْوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ". سبحان الله، كم كان ﷺ سليم الفطرة ووقفا عند القرآن بحيث حين فهم بعد إمعان النظر في الآية بأن جميع الأنبياء السابقين قد ماتوا، لم يقل شيئا، إلا أنه أجهش بالبكاء وملى حزنا. وقد رثى "حسان بن ثابت" الرسول ﷺ قائلا:

كنتَ السواد لناظري      فعمي عليك الناظرُ  
من شاء بعدك فليمت      فعليك كنت أحاذرُ

أي ما الفائدة من الحياة بعدك، ولا أبالي بعدك بموت عيسى أو موسى أو نبي آخر، فإني كنتُ أخاف عليك فقط.

اعلموا أنه إذا لم يكن عيسى عليه السلام قد مات في رأي أبي بكر رضي الله عنه لما استدل بهذه الآية قط. وكذلك إذا كان عند الصحابة أدنى تردد في معنى الآية القائلة بأن جميع الأنبياء قد ماتوا لقالوا حتما: ما دام عيسى عليه السلام قد صعد إلى السماء حيا بجسده المادي فإن هذا الدليل ناقص، وما السبب في عدم صعود النبي ﷺ إليها حيا على غرار عيسى؟

ولكن يبدو أن الحقيقة هي أنه قد بُتَّ في قضية وفاة عيسى في ذلك اليوم، إذ لم ينبس الصحابة ببنت شفة أبدا بعد سماع هذه الآية ولم يقولوا بأن عيسى حيٌّ. ولأنه يثبت من كلمة "كُلُّهُمْ" الواردة في صحيح البخاري بأن الصحابة كلهم كانوا موجودين آنذاك ولم يعارض أحد منهم بعد سماع الآية؛ لذا لا بد من القبول بأنهم قد أجمعوا كلهم على وفاة الأنبياء السابقين جميعا. وكان ذلك أول إجماع للصحابة.

وكان أقوى وأعلى بكثير من الإجماع على خلافة أبي بكر الذي انعقد بعده، لأنه لم ينبس أحد ببنت شفة ضده، أما عن خلافة أبي بكر فقد حدث الخلاف في بداية الأمر.

نعم، قد يخطر بالبال هنا بأن عمر رضي الله عنه كان يعتنق قبل سماع هذه الآية عن عيسى عليه السلام مذهبا أنه سيعود إلى الدنيا ثانية مع أنه قد مات، لأنه حسب رفعه ورفع النبي صلى الله عليه وسلم من نوع واحد. ولما كان يعلم أن جسد النبي صلى الله عليه وسلم ما زال موجودا في بيت عائشة فكيف كان له أن يستيقن مع إقراره بالمماثلة بينهما بأن جسد المسيح رُفع إلى السماء؟ ولكنه تراجع عن هذه الفكرة أيضا بعد سماع الآية. وقد آمن جميع الصحابة يومذاك بأن جميع الأنبياء السابقين قد ماتوا. والحق أنه كان من سوء الأدب وذنوب كبير أن يموت النبي خاتم الرسل وأفضل الأنبياء وتكون جثته أمام الأعين ويُظنَّ بأن نبيا غيره لم يمت. والحق أن هذه الفكرة وحبَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لا يجتمعان في مكان واحد.

فكروا بالتقوى والأمانة أن تفنيدَ ظنِّ عمر رضي الله عنه بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يمت بل رُفع إلى السماء مثل عيسى عليه السلام لم يكن ممكنا إلا أن يثبت أبو بكر رضي الله عنه وفاة المسيح والأنبياء السابقين جميعا. لو لم يُرد أبو بكر بقراءة الآية: ﴿قَدْ حَلَّتْ﴾ أن يُثبت بها موت عيسى وغيره من الأنبياء السابقين جميعا كيف إذا فندَ زعم عمر رضي الله عنه؟ كان مدار فكرة عمر رضي الله عنه هذه على رفع المسيح حيا. ويبدو أن بعض الصحابة كانوا يعتقدون نتيجة اجتهداهم الشخصي بأن عيسى عليه السلام قد صعد إلى السماء حيا. ثم عندما توفِّي النبي صلى الله عليه وسلم خطرت ببال عمر الفاروق رضي الله عنه فكرة أنه إذا صعد المسيح إلى السماء حيا فإن نبينا أحق وأولى بالصعود إليها حيا لأن هذا شرف عظيم أن يدعو الله تعالى نبيا إلى السماء عنده حيا. وكان من الكفر من حيث الإخلاص وحسن الأدب أن يُظنَّ أن المسيح صعد إلى السماء حيا أما النبي -الذي هو خاتم

الأنبياء وأفضلهم، وقد أنيطت بذاته مصالح كثيرة - فلم يبلغ حتى عمره الطبيعي. فإن لم تمنع المرء خيانة وعناد فالآية المذكورة أنفا نص صريح على أن جميع الصحابة أجمعوا على وفاة المسيح وغيره من الأنبياء السابقين كلهم. وإلا فقل بعد تفكير رصين وبخشية الله ماذا كان يقصد أبو بكر - عند اختلاف الرأي الذي حدث آنذاك بينه وبين عمر رضي الله عنهما حيث كان عمر يقول تأييدا لرأيه إن عيسى رُفِعَ إلى السماء حيًا، لذلك سُرِفَ النبي ﷺ أيضا، وكيف يستحيل أن يُرْفَعَ النبي ﷺ إلى السماء على شاكلة المسيح عليه السلام مع أنه ﷺ أفضل وأعلى منه - حين تلا الآية: ﴿قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ لدحض رأي عمر رضي الله عنه إلا أن يُثبت وفاة عيسى الذي يشار إليه؟ وكيف كان ممكنا دحض فكرة عمر رضي الله عنه سواه؟

أما قولك بأنه لم يُجمع على ذلك فهو كذب صريح يبعث على البكاء عفويا حين يرى المرء ما آلت إليه حالتكم.

فيا صاحبي، لقد وردت في صحيح البخاري في هذا المقام كلمة: "كُلُّهُمْ" التي يتبين منها أن كافة الصحابة كانوا موجودين آنذاك، وتوقف جيش أسامة أيضا - الذي كان قوامه عشرين ألف جندي - بسبب هذا المصاب الجلل؛ أي حادث وفاة النبي ﷺ. هل كان هناك شقي وتعيس الحظ سمع خبر وفاة النبي ﷺ ولم يحضر لتوّه؟ سم لي شخصا واحدا إن استطعت. ولو افترضنا جدلا أن بعض الصحابة لم يحضروا آنذاك فلا بد من أن يكونوا قد حضروا حتما بعد شهر أو شهرين أو ستة أشهر. فقدّم لنا إن عارضوا في هذا الموضوع أو استنتجوا من الآية: ﴿قَدْ حَلَّتْ﴾ معنى آخر. وإن لم تستطع، فمما يخالف الإيمان والأمانة أن تعتنق اعتقادا يخالف مثل هذا الإجماع الشامل. إنه لإجماع عظيم على موت المسيح عليه السلام، لو رفضه ملحد فهذا شأنه، ولكن لن يرفضه سعيد وتقي أبدا. لقد أُجْمِعَ على موت المسيح، فقل الآن أين يثبت الإجماع على حياته؟ (التحفة الغزنوية، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥٧٧-٥٨٧)

العبارة التي تلي في الآية، أي: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾، توحى بجلاء أن "خلا" يحدث عند الله بأسلوبين فقط، إما حتف الأنف أو بالقتل. ولم يقل الله تعالى في هذه الآية أنه يحدث بأسلوب آخر أيضا كأن يصعد الإنسان إلى السماء حيًّا بجسده المادي. فلما شرح الله تعالى بنفسه كلمة "خلا" بعبارة: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ وحصر المعنى في ذلك، فإن إنكاره بعد ذلك ليس عمل مؤمن صالح. (التحفة الغزنوية، الخزان الروحانية، المجلد ١٥، ص ٥٨٠، الحاشية)

يبدو من قول عمر رضي الله عنه: "من قال إن محمداً قد مات قتلت بسيفي هذا"، أن عمر رضي الله عنه كان مسوقاً بغلوٍ نتيجة فكرة من أفكاره عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يرى فكرة موت النبي كفرا وارتدادا. جزى الله تعالى سيدنا أبا بكر خير الجزاء ألف مرة على أنه أخذ هذه الفتنة سريعا وبَيَّن بتقديم نص صريح أن الأنبياء السابقين قد ماتوا جميعا. وكما أنه قتل مسيلمة الكذاب والأسود العنسي وغيرهما، كذلك قتل في الحقيقة بهذا التصريح بواسطة إجماع الصحابة كلهم، كثيرا من الكذابين من زمن "فَيْحٍ أعوج"، وكأنه لم يقتل أربعة كذابين بل خمسة. اللهم أنزل على روحه عشرات ملايين الرحمات، آمين.

لو استنبط من ﴿حَلَّتْ﴾ في هذا المقام معنى أن بعض الأنبياء موجودون في السماء أحياء، لكان عمر رضي الله عنه صادقا في كلامه ولا تضر هذه الآية موقفه بل تؤيده. ولكن الجملة التالية في الآية التي جاءت كشرح وهي: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ التي وقع عليها نظر أبي بكر رضي الله عنه توحى بجلاء أن الاستنتاج من هذه الآية أن جميع الأنبياء خلوا سواء بالموت أو خلوا وهم أحياء، إنما هو دجلٌ وتحريف وافتراء عظيم على عكس مشيئة الله تعالى. والمفترون بمثل هذا الافتراء عمدا الذين لا يخافون يوم عدل الله ويخترعون معانٍ على عكس شرح الله تعالى، فهم تحت لعنة أبدية بلا أدنى شك. أما عمر رضي الله عنه فما كان مطلعا على هذه الآية إلى ذلك الحين وكذلك كان



بعض الصحابة الآخرين أيضا يعتقدون الفكرة الخاطئة نفسها وكانوا عرضة للسهو والنسيان بمقتضى البشرية. وكان في بالهم أن بعض الأنبياء ما زالوا أحياء وسيعودون إلى الدنيا، فلماذا لا يكون النبي ﷺ مثلهم إدا؟ ولكن أبا بكر رضي الله عنه قرأ الآية كلها: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ ورسخ في القلوب أن معنى ﴿خَلَّتْ﴾ تنحصر في قسمين فقط. (١) الموت حتف الأنف، أي الموت الطبيعي (٢) القتل. عندها أقر المعارضون خطأهم وأجمع الصحابة كلهم على كلمة أن الأنبياء السابقين كلهم قد ماتوا. وتركت العبارة: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ تأثيرا كبيرا وتراجع الجميع عن أفكارهم المعارضة. فالحمد لله على ذلك. (التحفة الغزنوية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٥، ص ٥٨١-٥٨٢، الحاشية)

يعلم الجميع أن الصحابة كلهم قد أجمعوا في عهد أبي بكر رضي الله عنه على وفاة الأنبياء جميعا. كذلك استنبط في زمن الصحابة رضي الله عنهم من الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، أن جميع الرسل قد ماتوا. أفلم يكن عيسى عليه السلام رسول الله حتى استثنى من الموت؟! إن أتباع زمن "فيج أعوج" مع وجود هذا الإجماع بعيد عن الأمانة. كان الإمام مالك أيضا يعتقد مذهبا أن عيسى عليه السلام قد مات. فما دام هذا هو مذهب أئمة السلف فلا بد أن يكون غيرهم أيضا يعتقدون المذهب نفسه. أما الصلحاء الذين أخطأوا في فهم هذه الحقيقة فخطوهم جدير بالعفو عند الله تعالى.

(البراهين الأحمدية، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، الجزء الخامس، ص ٥٥-٥٦)

لقد عُقد أول إجماع في الإسلام على أن جميع الأنبياء قد ماتوا، إذ حين توفي رسول الله ﷺ كان بعض الصحابة أيضا يزعمون بأنه لم يمت وسيعود إلى الدنيا ليجدع أنوف المنافقين وآذاهم. عندها جمع سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه الصحابة كلهم في مسجد النبي وتلا عليهم آية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ ففهم الصحابة كلهم الذين كانوا موجودين هنالك أن النبي ﷺ توفي في

الحقيقة، وأيقنوا أنه ليس هناك نبي حيٍّ، ولم يعترض أحد بأن عيسى خارج عن مضمون هذه الآية ولا يزال حيا. ثم هل كان ممكنا أن يرضى عشاق رسول الله ﷺ أن يُتَوَقَّعَ نبيُّهم عن عمر قصير مع أن عيسى ما زال حيا منذ ست مائة سنة وسيحيا إلى يوم القيامة؟ بل كان الصحابة رضي الله عنهم سيموتون وهم أحياء لمجرد هذا التصوُّر. لذلك طمأنهم أبو بكر رضي الله عنه بتلاوته على مسامعهم آية: ﴿مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾. وقد أثرت هذه الآية في قلوب الصحابة بحيث غدوا يتلوها في أزقة المدينة وكأنها نزلت في ذلك اليوم. فكان أول إجماع في الإسلام على أن كافة الأنبياء قد توفُّوا... يبدو أن بعض الصحابة البسطاء الذين لم يكن لهم نصيب من الدراية كانوا- قبل هذا الإجماع- يجهلون عقيدة وفاة جميع الأنبياء، لذا اضطر الصديق رضي الله عنه إلى تلاوة هذه الآية. ولكن بعد سماع الآية أيقن كلهم أن جميع الناس السابقين قد ماتوا ودخلوا القبور. (البراهين الأحمدية، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، الجزء الخامس، ص ٢٨٤-٢٨٥)

إن منّة أبي بكر الصديق رضي الله عنه على الأمة عظيمة لدرجة لا يمكن أداء حق شكرها. فلو لم يجمع الصحابة كلهم في مسجد النبي ﷺ ولم يتلَّ عليهم هذه الآية التي تجزم بوفاة جميع الأنبياء السابقين لهلكت الأمة، لأن في هذه الحالة كان العلماء المفسدون في هذا العصر سيقولون بأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يعتقدون أن عيسى عليه السلام حيٌّ. أما الآن، فقد أجمع الصحابة كلهم- نتيجة تقديم الصديق الأكبر هذه الآية- على أن الأنبياء السابقين قد ماتوا جميعا، بل نُظمت القصائد أيضا حول هذا الإجماع. أمطر الله روحَ أبي بكر ألف ألف رحمة لإنقاذه الأرواح كلها من الهلاك، وقد اشترك الصحابة كلهم في هذا الإجماع، ولم يبق أحد منهم خارجه. وكان هذا هو الإجماع الأول للصحابة وعملٌ جدير بكل تقدير. هناك مماثلة بين أبي بكر رضي الله عنه وبين المسيح الموعود، ألا وهي أن الله قد وعد في القرآن الكريم بظهور كليهما حين تطرأ على

الإسلام حالة الخوف وتبدأ سلسلة الارتداد. فهذا ما حدث بالضبط في زمن أبي بكر رضي الله عنه وزمن المسيح الموعود أيضا. أي قد ارتد في زمن أبي بكر رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ مئات من جهال العرب، ولم يبق إلا مسجدان تقام فيهما الصلاة، فأقامهم أبو بكر رضي الله عنه على الإسلام مجددا. وفي زمن المسيح الموعود أيضا ارتد مئات آلاف الناس عن الإسلام وتنصّروا. وكلا هذين الأمرين مذكور في القرآن الكريم كنسوة. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ٢٨٥-٢٨٦، الحاشية)

لقد واجه الصحابة رضي الله عنهم بوفاة النبي ﷺ حزنا شديدا، وبناء على تلك الصدمة قال عمر رضي الله عنه لدى سماعه بعض الكلمات من المنافقين بأن النبي ﷺ سيعود إلى الدنيا ثانية ليجد أنوف المنافقين وآذانهم. ولما كانت هذه الفكرة خاطئة فجاء أبو بكر الصديق إلى بيت عائشة الصديقة رضي الله عنها أولا ورفع الثوب عن وجهه النبي ﷺ وقيل جبينه المبارك وقال: "أنت طيب حيّا وميتّا، لَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْمَوْتَيْنِ إِلَّا مَوْتَتَكَ الْأُولَى". كان المراد من هذا القول بأنه ﷺ لن يعود إلى الدنيا. ثم جمع الصحابة رضي الله عنهم كلهم في مسجد النبي ﷺ - ولحسن الحظ كان الصحابة الأحياء كلهم موجودين في المدينة حينذاك - واعتلى أبو بكر رضي الله عنه المنبر وتلا الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ (آل عمران: ١٤٥) هذا كان أول إجماع للصحابة رضي الله عنهم أثبت أن الأنبياء قد ماتوا جميعا بمن فيهم عيسى عليه السلام. أما القول بأن من معاني كلمة ﴿خَلَتْ﴾ الصعود إلى السماء أيضا، فليس إلا تعنتا محضا لأنه لا يثبت من قواميس اللغة العربية أن لفظ "خلت" يفيد معنى الصعود إلى السماء حيّا. وبالإضافة إلى ذلك فقد بين الله تعالى بنفسه معنى ﴿خَلَتْ﴾ في الجملة التالية فقال: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ فحصر معنى ﴿خَلَتْ﴾ في أمرين اثنين فقط، أي الموت الطبيعي أو القتل. وإلا كان المفترض أن

يكون شرحه كالتالي: أفإن مات أو قُتل أو رُفِع إلى السماء بجسمه العنصري. فمما يناقض أسلوب البلاغة أن يُذكر معنيان مما اشتملت عليه كلمة ﴿خَلَّتْ﴾ بحسب قول معارضينا، ولا يُذكر المعنى الثالث مطلقا. فكان أبو بكر رضي الله عنه يقصد من كلامه أن النبي صلى الله عليه وسلم لن يعود إلى الدنيا كما صرّح به عند تقبيله جبينه. فلا بد للمعارض من القبول أن عيسى عليه السلام لن يعود إلى الدنيا بحال من الأحوال، وإن كان حيّا بافتراض المحال. وإلا سيبطل المقصود من الاستدلال. وإن إجماع الصحابة هذا لا يمكن إنكاره. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ٣٧٥-٣٧٦، الحاشية)

لا يصح القول بأن كلمة ﴿خَلَّتْ﴾ لو استُخدمت بحق جميع الأنبياء الآخرين لكان معناها الإمامة، ولكنها في حالة عيسى عليه السلام تعني أن الله تعالى رفعه إلى السماء بجسده المادي. فهذا الادّعاء بلا دليل على الإطلاق ولم يقدّم عليه أيّ إثبات قط. بل حيثما وردت كلمة: ﴿خَلَّتْ﴾ في القرآن الكريم جاءت بمعنى الموت فقط. ولا يسع أحدا أن يأتي من القرآن الكريم بنظير يفيد أن شخصا رُفِع إلى السماء بجسده المادي.

إضافة إلى ذلك، كما بيّنت من قبل أن الله تعالى شرح بنفسه مفهوم ﴿خَلَّتْ﴾ في هذه الآيات، وحصره في الموت أو القتل فقط. بناء على هذه الآية الكريمة أجمع الصحابة رضي الله عنهم كلهم على وفاة جميع الأنبياء والرسل، وأنه لن يعود أحد منهم إلى الأرض. بل كانت الغاية المتوخاة من هذا الإجماع إثبات أن عودة أيّ شخص إلى الدنيا ليست ممكنة. وكان المقصود من هذا الإجماع إزالة ما خطر ببال عمر رضي الله عنه من أن النبي صلى الله عليه وسلم سيعود إلى الدنيا ليجدع أنوف المنافقين وآذانهم. من الواضح تماما أنه لو قُبلت في الإسلام فكرة عودة أيّ نبي إلى الدنيا لاستحالت إزالة ما خطر ببال عمر رضي الله عنه بتلاوة هذه الآية. وهذه الفكرة تحط من شأن النبي صلى الله عليه وسلم أيضا، بل

لكانت قراءة أبي بكر ﷺ هذه الآية عبثاً محضاً في هذه الحالة. باختصار، إنها آية عظيمة تعلن وفاة عيسى عليه السلام بأعلى صوته، فالحمد لله على ذلك. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزانة الروحانية المجلد ٢١، ص ٣٩١-٣٩٢)

أقول لكم صدقاً وحقاً إن المسلمين والدنيا ليسوا بحاجة إلى المسيح الناصري قط بقدر حاجتهم إلى النبي ﷺ. إنه الشخص المبارك الذي حين توفي أصبح الصحابة كالمجانين حزناً عليه، حتى سلّ عمر ﷺ سيفه من غمده وقال ما مفاده: من قال بوفاته ﷺ لقطع عُنقه. ففي هذه الحالة السائدة من الحماس الشديد وهب الله تعالى أبا بكر ﷺ نورا وفراصة خاصة فجمع الصحابة كلهم وخطب فيهم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾.

الآن، عليكم أن تفكروا وتقولوا بعد تفكير رصين لماذا قرأ أبو بكر الصديق ﷺ هذه الآية عند وفاة النبي ﷺ؟ وما الذي كان يهدف إليه من وراء ذلك، حين كان الصحابة ﷺ جُلهم موجودين؟ أستطيع أن أقول بكل ثقة ويقين لا تملكون إنكاره، إن الصحابة قد أصيبوا بصدمة كبيرة بوفاة النبي ﷺ وكانوا يحسبونها في غير وقتها وسابقة لأوانها، وما كانوا ليحتملوا سماع خبر وفاته ﷺ. ففي هذه الحالة حين كان الصحابي الجليل، سيدنا عمر ﷺ، في انفعالٍ شديد، ما كان ممكناً أن يزول عنه الغضب إلا بهذه الآية؛ إذ كان من شأنها أن تقنعه وتطمئنه. ولو كان الصحابة على علمٍ أو يقينٍ بأن عيسى عليه السلام لا يزال حياً يُرزق؛ لماتوا وهم أحياء. لقد كانوا عشاقاً للنبي ﷺ وما كانوا ليقبلوا حياة أي نبي سوى رسول الله ﷺ، فأنى كان لهم أن يروه ﷺ ميتاً بأم عينهم ويوقنوا بأن عيسى عليه السلام ما زال حياً يُرزق؟! أي حين خطب أبو بكر ﷺ زالت عنهم فورة الحماس، فكانوا يقرأون هذه الآية في أزقة المدينة ويشعرون كأنها نزلت في ذلك اليوم. عندها نظم حسان بن ثابت ﷺ قصيدة في رثاء النبي ﷺ قال فيها:

كنت السواد لناظري      فعمي عليك الناظرُ  
من شاء بعدك فليمت      فعليك كنت أحاذرُ

فلما كانت الآية قد بينت بوضوح تام أن جميع الأنبياء السابقين قد ماتوا، قال حسان عليه السلام أيضا بأنه لا يبالي الآن بموت أي شخص. فاعلموا يقينا أن بقاء أي شخص حيا مع كون النبي عليه السلام ميتا كان شاقا جدا على الصحابة عليهم السلام وما كانوا ليحتملوه. فكان ذلك أول إجماع عقد في العالم بعد وفاة النبي عليه السلام وحكم فيه بوفاة عيسى عليه السلام بكل وضوح.

إنني أؤكد على ذلك مرارا لأنها حجة قوية تثبت بها وفاة المسيح الناصري عليه السلام. إن وفاة النبي عليه السلام لم تكن أمرا هينا وبسيطا حتى لا يُصدم به الصحابة. فالمعلوم أنه لو مات عمدة القرية مثلا أو أحد الجيران في الحارة أو شخص كريم السجايا في أحد البيوت؛ لأصيب أهل البيت أو الحارة أو أهل القرية بصدمة، فما بالك بالنبي الذي جاء للعالم كله، وكان رحمة للعالمين كما يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٨). وقال في آية أخرى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ١٥٩). ثم هل يُعقل أن يموت النبي الذي أبدى نموذج الصدق والإخلاص، وأرى كمالات لا نظير لها، ولا يؤثر ذلك في أصحابه المخلصين الذين لم يقصروا في التضحية بأرواحهم من أجله، وهجروا أوطانهم وتركوا أهلهم وأقاربهم، وعدوا جميع أنواع المشاكل والمصائب في سبيله مدعاة لسعادتهم؟! يمكننا أن نفهم بأدنى تدبر أنه يستحيل علينا استيعاب مدى الحزن والصدمة التي أصيبوا بها لمجرد ورود هذه الفكرة أو تصورها، غير أن الآية التي تلاها أبو بكر عليه السلام كانت وحدها مدعاة لاطمئنانهم وسكونهم، فجزاه الله خيرا على أنه تدارك الصحابة في ذلك الوقت الحرج.

أقول متأسفاً إن بعض الجهلاء يقولون متسرعين: لا شك أن أبا بكر رضي الله عنه ذكر هذه الآية، ولكن عيسى خارجٌ عن نطاقها. لا أدري بمَ أُرِدَّ على هؤلاء الجاهلين، إذ يتفوّهون بمثل هذا الكلام السخيف مع تسمية أنفسهم مشايخ، ولا يقدمون أية كلمة تستثني عيسى عليه السلام من الآية. إن الله تعالى لم يترك أمراً يحتاج إلى النقاش بل فسّر بنفسه كلمة: ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ بقوله: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾. لو كان هناك شق آخر لبيّنه ﷻ حتماً وقال مثلاً: أو رُفِعَ بجسده العنصري إلى السماء. هل نسي الله تعالى ذلك لِيُذَكِّرَهُ المشايخ الآن؟ نعوذ بالله من ذلك. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ٣٢، عدد ١٧/٩/١٩٠٦م ص ٣)

إن القول بأن عودة عيسى عليه السلام إلى الدنيا عقيدة مُجمَعٌ عليها إنما هو افتراء محض. كان إجماع الصحابة رضي الله عنهم على الآية: ﴿مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فقط ثم تكوّنت من بعدهم فرق مختلفة. فالمعتزلة لا يزالون قائلين بموت عيسى عليه السلام، وكذلك بعض كبار الصوفية أيضاً يعترفون بموته. ولكن لو ظن أحد من الأمة - قبل بعثة المسيح الموعود - بعودة عيسى عليه السلام إلى الدنيا فلا ذنب له بل هو خطأ اجتهادي فحسب، وقد صدر هذا الخطأ من أنبياء بني إسرائيل أيضاً في فهم بعض النبوءات. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٣٢، الحاشية)

والتأكيد على الإجماع على عودة عيسى عليه السلام إلى الدنيا إنما هو افتراء غريب يفوق الفهم. وإذا كان المراد من الإجماع إجماع الصحابة فهذا اتّهام عليهم إذ لم يخطر على بالهم أبداً هذا المعتقد المستحدث والقائل بعودة عيسى عليه السلام إلى الدنيا. ولو كان هذا هو اعتقادهم لما أجمعوا باكين على مضمون الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾. أي كان النبي ﷺ بشراً رسولاً فقط، ولم يكن إلهاً، والأنبياء كلهم قد خلّوا قبله من الدنيا، فإذا لم يكن عيسى عليه السلام قد خلا من الدنيا لحين وفاة النبي ﷺ ولم يمسه ملك الموت إلى ذلك الحين، فكيف تراجع الصحابة بعد سماع هذه الآية

عن عقيدة عودة النبي ﷺ إلى الدنيا مرة ثانية. يعرف الجميع جيدا أن أبا بكر رضي الله عنه تلا هذه الآية على الصحابة كلهم في مسجد النبي يوم وفاته ﷺ، يوم الاثنين، وما كان النبي ﷺ قد دُفن إلى ذلك الحين، وكان جسده الطاهر ما زال موجودا في بيت عائشة رضي الله عنها. فنشأت في قلوب بعض الصحابة بسبب شدة ألم الفراق وسوسة أنه ﷺ لم يمّت حقيقة بل غاب فقط وسيعود إلى الدنيا. فرأى أبو بكر رضي الله عنه هذه الفتنة خطيرة، فجمع الصحابة رضي الله عنهم فورا، وكانوا لحسن الحظ موجودين جميعا في المدينة ذاك اليوم. فصعد أبو بكر المنبر وقال ما مفاده: سمعت أن بعضا من أصحابنا يرون كذا وكذا، والحق أن النبي ﷺ قد مات وهذا ليس حادثا مفاجئا لنا بل لم يسبقه نبي إلا وقد مات. ثم تلا أبو بكر رضي الله عنه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾<sup>١</sup>. أي لقد كان النبي ﷺ بشرا رسولا فحسب وما كان إلها، فكما مات الأنبياء السابقون كلهم كذلك مات هو ﷺ أيضا.

فبكى الصحابة كلهم بسماع الآية وقالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون. وأثرت الآية في قلوبهم كأنها لم تنزل إلا في ذلك اليوم. ثم نظم حسان بن ثابت في رثاء النبي ﷺ قصيدة جاء فيها:

كنت السواد لناظري      فعمي عليك الناظر  
من شاء بعدك فليمت      فعليك كنت أحاذر

ففي هذا البيت أشار حسان بن ثابت إلى وفاة الأنبياء كلهم، وكأنه يقول: لا يهمنا موت موسى أو عيسى بل إن مآمتنا هو على موت هذا النبي الحبيب الذي فارقنا اليوم

<sup>١</sup> والذي يُخرج عيسى عليه السلام من نطاق الآية: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ لا بد له من الاعتراف أن عيسى ليس إنسانا. ومعلوم أن استدلال أبي بكر رضي الله عنه من هذه الآية لا يصح في هذه الحالة لأن عيسى عليه السلام موجود في السماء حيا بجسده بينما قد مات النبي ﷺ. فكيف يمكن للصحابة أن يطمئنوا بهذه الآية؟ منه.



وغاب عن أعيننا. فيتبين من هنا أن بعض الصحابة أيضا كانوا يعتقدون خطأ أن عيسى سيعود إلى الدنيا ولكن أبا بكر رضي الله عنه أزال هذا الخطأ بتقديمه الآية: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فكان أول إجماع في الإسلام على أن جميع الأنبياء قد ماتوا.

فالحاصل أنه يتبين من قصيدة الرثاء المذكور أن بعض الصحابة من قليلي التدبر الذين لم تكن درايتهم جيدة - مثل أبي هريرة - كانوا يظنون لقصور فهمهم - نظرا إلى نبوءة محيي عيسى الموعود - أن عيسى عليه السلام سيعود بنفسه. كما كان أبو هريرة واقعا في هذا الخطأ منذ البداية، وكان يخطئ في أمور كثيرة بسبب بساطته وضعف درايته. فقد أخطأ أيضا في نبوءة دخول صحابي في النار...

فملخص القول إن إجماع الصحابة كان على موت عيسى عليه السلام، بل على موت جميع الأنبياء. وهو أول إجماع عُقد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم. وبسبب هذا الإجماع كان الصحابة كلهم يعتقدون بموت عيسى. وللسبب نفسه نظم حسان بن ثابت قصيدة الرثاء المذكورة وقال فيها ما معناه: كنت يا أيها النبي مقلة عيني وقد صرْتُ أعمى بوفاتك، فليمت بعدك من يشاء، سواء كان عيسى أو موسى إذ كنت أخاف موتك فقط.

الحق أن الصحابة كانوا عشاقا مخلصين للنبي صلى الله عليه وسلم وما كانوا ليحتملوا بحال من الأحوال أن يموت النبي صلى الله عليه وسلم ويبقى عيسى الذي جعل شخصه أساسا للشرك حيا. فلو علموا عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أن عيسى موجود في السماء حيا بجسده المادي، وأما نبиеهم المصطفى صلى الله عليه وسلم فقد مات لما تواترهم الآخرون حزنا وكمدا، لأنه ما كان لهم أن يحتملوا أن يدخل نبиеهم الحبيب القبر ويبقى نبي آخر حيا. اللهم صل على محمد وآله وأصحابه أجمعين. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية المجلد ٢٢، ص ٣٤-٣٧) والذي يُخرج عيسى عليه السلام من نطاق الآية: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ لا بد له من الاعتراف أن عيسى ليس إنسانا. ومعلوم أن استدلال أبي بكر رضي الله عنه من هذه

الآية لا يصح في هذه الحالة لأن عيسى ﷺ موجود في السماء حيا بجسده بينما قد مات النبي ﷺ. فكيف يمكن للصحابة أن يطمئنوا بهذه الآية؟ (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية المجلد ٢٢، ص ٣٥ الحاشية)

لا أدري لماذا ثارت ثورة الغضب في قلب عيسى فأعطى جراح دين العصا لقتلي، فإذا كان غاضبا على أنني أشعت في الدنيا عن موته فهذا خطأ منه، إذ لست أنا الذي أشعت ذلك بل فعله الذي خلق عيسى ﷺ كما خلقنا، وإذا كان في ذلك من شك فاقروا الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾.

والغريب في الأمر أن يهلك بالعصا من أعطاه عيسى ﷺ إياها لقتلي. ما أغرب هذه العصا! سمعت أن جراح دين الثاني أي عبد الحكيم خان أيضا تنبأ بموتي مثل جراح دين الأول، ولكن لا نعرف هل ورد فيها أيضا ذكر عصا أيضا أم لا. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٢٦، الحاشية)

"أبصرون على حياة عيسى، ويخفون إجماعاً اتفق عليه الصحابة كلهم أجمعون؟ ويتبعون غير سبيل قوم أدركوا صحبة رسول الله ﷺ، وكل واحدٍ منهم استفاض من النبي وتعلم، وانعقد إجماعهم على موت عيسى، وهو الإجماع الأول بعد رسول الله ويعلمه العالمون. أنسيتم قول الله: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ أو أنتم للكفر متعمدون؟ وقد مات على هذا الإجماع من كان من الصحابة، ثم صرتم شيعة، وهبت فيكم ريح التفرقة، وما أوتيتم سلطاناً على حياته، وإن أنتم إلا تطنون. وقد قال الله حكايةً عن عيسى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ (المائدة: ١١٨)، فلا تفكرون في قول الله ولا تتوجهون. ﴿أنتم أعلم أم الله﴾، أو تقولون ما لا تعلمون؟" (الاستفتاء، حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٤٦٤-٤٦٥)

عند وفاة النبي ﷺ خرج عمر رضي الله عنه ممتشقا حسامه وقال: من قال أن النبي ﷺ قد تُوِيَ فسوف أقتله. وفي هذا الموطن الحرج أبدى أبو بكر شجاعة وبسالة عظيمة،

حيث قام خطيباً بين الناس وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، أي أن محمداً ﷺ واحدٌ من رسل الله تعالى، وكل الرسل قبله قد توفوا. فخدمت بذلك تلك الفتنة. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١٧، عدد ١٧/٥/١٩٠٥م، ص ٢)

ثم إن الصحابة كلهم قد شهدوا عند وفاة النبي ﷺ على وفاة الأنبياء أجمعين. كان عمر رضي الله عنه يقول عند وفاة رسول الله ﷺ أنه لم يمت، وقام شاهراً سيفه، ولكن أبا بكر رضي الله عنه قام خطيباً وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾. في هذا الموقف الذي كان كموقف القيامة؛ حيث كان النبي ﷺ قد توفي، وكان الصحابة كلهم مجتمعين، كان جيش أسامة أيضاً لم يخرج بعد، قال عمر قولته هذه، فأعلن أبو بكر بصوت عال: إن محمداً قد مات، واستدلّ على موته ﷺ بقول الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ...﴾ فلو كان الصحابة يظنون أن عيسى عليه السلام حيٌّ لتكلموا حتماً، ولكنهم كلهم صمتوا، وبدأوا يقرأون في الشوارع والأسواق هذه الآية ويقولون: كأن هذه الآية قد نزلت اليوم. لم يكن الصحابة منافقين -والعياذ بالله- حتى يصمتوا مرتعبين من أبي بكر، ولا يفندوا قوله. كلا، إنما الواقع أن ما بينه أبو بكر كان هو الحق، ولذلك أخضع الجميع أعناقهم. هذا هو إجماع الصحابة. لقد كان عمر أيضاً يقول أن الرسول ﷺ سيعود مرة أخرى. لو لم يكن هذا الاستدلال كاملاً لنقضه عمر على الأقل، ولا يمكن أن يكون هذا الاستدلال كاملاً إلا إذا خلا من أي نوع من الاستثناء، إذ لو كان عيسى عليه السلام قد صعد إلى السماء حياً وكان سيرجع ثانية لما كان هذا استدلالاً، وإنما كان مهزلةً.

وحيث إنه لم يكن في هذه الآية أي استثناء -وهذه هي الحقيقة- فقبل الصحابة كلهم هذا الأمر بالإجماع.... والآن، اسألوا المشايخ، هل كان أبو بكر ذا فهم سليم أم لا. أليس أبو بكر هو الذي سُمي بالصدّيق؟ أليس هو الذي صار أول خلفاء الرسول ﷺ؟ أليس هو الذي قد أسدى للإسلام خدمة عظيمة إذ صدّ وباء الارتداد

الخطير؟ دَعُوا الأمور الأخرى جانبًا، أَخْبِرُونِي فقط، ما الذي دعا أبا بكر إلى الصعود إلى المنبر؟ ثم أَخْبِرُونِي بتقوى الله، هل كان يريد بقراءة قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ أن يقوم باستدلال تام أم باستدلال ناقص يمكن أن يقول بعده الطفل الصغير أيضا بأن مَنْ قال بكون عيسى من الأموات فهو كافر. من المؤسف أن هؤلاء المعارضين لم يهجروا القرآن فقط بسبب معارضي وعداوتي، بل بلغوا في عداوتهم لي أنهم قد أفتوا عمليا بكفر الصحابة كلهم، واستحَفُّوا باستدلال أبي بكر ﷺ. (الحكم مجلد ٥، رقم ١٤، عدد ١٧٤/٤/١٩٠١ م، ص ١-٢)

كان من السَّنة أيضا أنه ﷺ مات، فقد جاء في القرآن الكريم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، أي قد مات الرسل كلهم وسيموت هو أيضا، وقد تحقق كلام الله ومات ﷺ. (بدر مجلد ١، رقم ٣، عدد ١٤٤/١١/١٩٠٤ م، ص ١٨)

يتبين من البحوث أن جميع المسلمين حتى القرن الثالث كانوا يعتقدون أن جميع الأنبياء قد ماتوا، وهذا ما كان حصرا مذهب الصحابة أيضا عند وفاة النبي ﷺ وحصل إجماعهم. كان سيدنا عمر ﷺ ينكر وفاته ﷺ ويَعِدُه حيًّا، وأخيرا حين قرأ أبو بكر ﷺ الآية ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، أيقن عمر ﷺ وبقية الصحابة أنه ﷺ توفي، ولو كان الصحابة يعتقدون أن بحياة نبي، لاعتراض الصحابة على أبي بكر ﷺ قائلين إنا نعتقد بأن المسيح حي، فكيف تقول إن جميع الأنبياء قد ماتوا؟ ولأي سبب ليس نبينا حيا؟ فلو كانت العادة أن يموت البعض ويحيا البعض لما كان هناك أي أسف، لكن الحقيقة أن الفقير والغني كلهم يموتون، فكيف يعد المسيح وحده حيا؟ (بدر مجلد ٣، رقم ١٠، عدد ٨/٣/١٩٠٤ م ص ٦)

لا يثبت من كلمات القرآن الكريم الصريحة أن الله حَرَّمَ قتل نبي بل قد ورد عن النبي ﷺ: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾، ومن هنا يُستدلّ جواز قتل الأنبياء. (بدر مجلد ٢، رقم ٣٣، عدد ٩/٤/١٩٠٣ م، ص ٣٥٧)

لا تسيئوا إلى هذا الرسول، الذي هو أفضل الرسل بتفضيل المسيح ﷺ عليه. ألا تعلمون ماذا كانت حالة الصحابة عند وفاة النبي ﷺ؟ فقد صاروا كالمجانين! كانت حياته محببة إليهم لدرجة أن سلّ عمر رضي الله عنه سيفه وقال: من قال بموته ﷺ ضربت عنقه. فعند صدور هذه الضجة تقدّم أبو بكر رضي الله عنه وقبل جبينه ﷺ وقال: لا يجمع الله عليك موتتين، ثم تلا الآية: ﴿مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، وعندما سمع الصحابة هذه الآية شعروا كأنها نزلت يومئذ وعلموا أنه ليس هناك أحد حيّا مقابله ﷺ، ولكن ليس فيكم ذلك العشق والحب الذي كان الصحابة يكتنونه للنبي ﷺ، وإلا لما راق لكم أن تعتبروا المسيح حيّا مقابله ﷺ. أقول صدقا وحقا بأنه لو قال أحد في ذلك اليوم أمام الصحابة بأن عيسى عليه السلام ما زال حيّا لما بقي فيهم أحد على قيد الحياة، إذ كانوا فانيين في عشقه وحبّه ﷺ إلى هذه الدرجة.

لقد كتب سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه قصيدة رثاء بهذه المناسبة قال فيها:

كنتَ السواد لناظري      فعمي عليك الناظرُ  
من شاء بعدك فليمت      فعليك كنت أحاذرُ

يعني: يا نبيّ الحبيب؛ كنتَ مقلة عيني ونور بصري، فقد صرتُ أعمى بموتك. والآن لا يحزنني موت أحد سواء مات عيسى أو موسى أو غيرهما، فإني كنت أخاف على موتك أنت فقط. هذه كانت حالة الصحابة، ولكن الناس في العصر الراهن يقرون بلسانهم بأن أفضل الأنبياء ﷺ ميتٌ والمسيح ﷺ حيٌّ! من المؤسف حقا لإلّا آلت إليه حالة المسلمين. أعلم جيدا، ويتبين من هذا الحادث أن أول إجماع للصحابة كان على موت المسيح حصرا، فهل معارضتهم من الفطنة والتقوى في شيء؟ أعلم أن هذه الأخطاء نشأت نتيجة امتداد الدهر، فقد تلاشت التقوى وازداد الجهل وقلّ التوجه إلى الحق، وحُجب الصراطُ المستقيم، فهذه الأمور تدعو إلى ضرورة مجيئي. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٣١، عدد ١٧٥/٩/١٩٠٤، ص ٦)

كم هو مبارك هذا الإجماع! لولاه لوقعت فتنة كبيرة في الإسلام، إن أول إجماع في الإسلام كان على: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾. كان أبو بكر رضي الله عنه يهدف إلى دفع صدمة الحزن ولكن لم يكن دفعه ممكنا إلا بأسلوب كما قيل: مرگ یاراں جشنه دارد، أي: إن موت الأحبة أيضا مدعاة للاحتفال من وجه. لو استثنى المسيح عليه السلام في الاستدلال من هذه الآية لما كان هناك علاج لألم الصحابة، وهل كان النبي ﷺ أقل درجة من المسيح حتى لا يبقى حيا؟ لقد بينت الآية: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ معنى الجملة: ﴿قَدْ خَلَتْ﴾، هل ذُكر فيها الرفع بالجسد المادي؟ فكما لو قُضي على حاسة الشم لأحد لما قدر على شم الشذى، كذلك الذين يرفعون المسيح إلى السماء قد ماتت حاستهم لتحسس الإيمان. إذا كان هذا المعتقد صحيحا فالوضع خطير جدا، إذ قد عُدّ هذا الاعتقاد نفسه أول لبنة لألوهيته. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٢٩، عدد ١٧/٨/١٩٠٥، ص ٤)

يقولون بأن ﴿خَلَتْ﴾ لا تعني الموت، ولكن هذا خطأهم لأن الله تعالى بيّن معنى ﴿خَلَتْ﴾ بنفسه بقوله: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾. لو كان له معنى آخر كما يستنتجون لَوُرِدَ معه رفع الجسد العنصري أيضًا، ولكنه لم يُذكر في القرآن الكريم فكيف نقبله؟ وماذا نفعل بشهادة العصر الوسطي والحالة هذه؟ والغريب في الأمر أن أصحاب هذا المذهب كانوا موجودين في ذلك العصر أيضا والذين أقرّوا بوفاته عليه السلام. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٥، عدد ١٠/١٠/١٩٠٥ م، ص ١١)

عقد الصحابة أول إجماع بعد وفاة النبي ﷺ، على أن المسيح مات. وكما قلت مرارا بأن عمر رضي الله عنه سلّ سيفه عند وفاته ﷺ وقال: مَنْ قال بموته لقطعُ عنقه. عندها قام أبو بكر رضي الله عنه وألقى خطبة قرأ فيها آية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾. قولوا الآن بالله عليكم، أي خصوصية في ذلك للمسيح أو لغيره؟ هل استثنى أبو بكر رضي الله عنه أحدا؟ هل كان الصحابة ليقبلوا أحدا حيا ويميزوا أن النبي

ﷺ مات. إذن، إن إجماع الصحابة يختم على موت المسيح؟ (الحكم، مجلد ٩، رقم ٣٩، عدد ١٠/١١/١٩٠٥ م، ص ٤)

إن إجماع الصحابة الذي عُقد بعد وفاة النبي ﷺ أيضا دليل قاطع على وفاة عيسى ﷺ. وكان أساس الإجماع على آية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾. (بدر، مجلد ١، رقم ٣٣، عدد ٦/١١/١٩٠٥ م، ص ٤)

من عادة الإنسان أنه يحسب حدوث كل شيء كأنه حدث قبل الأوان، لذا كلما يفلت من يده شيء يحبه يصيبه الحزن، وهذا مقتضى الفطرة. من يستطيع أن يقدر حالة الصحابة عند وفاة النبي ﷺ فقد أصيبوا بنوع من الجنون بسبب الحزن الذي استولى عليهم بسبب فراقه ﷺ. ولقد ثار عمر رضي الله عنه حتى سلّ السيف وقال: مَنْ قال بأن ﷺ مات قطعْتُ عنقه. وكأنه ما كان جاهزا لسمع هذه الكلمة بأي حال. ثم ألقى أبو بكر رضي الله عنه كلمته وتلا الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فهدأت ثورة عمر رضي الله عنه. الحق أن هذه الآية كانت قد نزلت أثناء حرب حين نادى الشيطان باستشهاد النبي ﷺ. ولكن عندما قرأ أبو بكر رضي الله عنه الآية المذكورة بهذه المناسبة ظن الصحابة كأنها نزلت حينذاك. (الحكم مجلد ٩، رقم ٤٣، عدد ١٠/١٢/١٩٠٥ م، ص ٢)

نؤمن بعيسى عليه السلام ميتا مثل بقية الأنبياء. وإن حب مسلم لنبيه المتبوع ﷺ يقتضي ألا يؤمن بأحد حيا ما دام النبي ﷺ قد مات. كم كان الصحابة في حالة من الألم والحزن، ولكن عندما سمعوا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ هدأوا جميعا. (الحكم مجلد ١١، رقم ٢٨، عدد ١٠/٨/١٩٠٧ م، ص ٦)

كلمة ﴿خَلَتْ﴾ لم ترد في القرآن الكريم بحسب التعبير القرآني بحق الحي مطلقا، بل تطلق دوما على الذين ماتوا، وهذا المعنى حصرا بينه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أيضًا. فعند وفاة النبي ﷺ سلّ سيدنا عمر رضي الله عنه سيفا لحبه الجياش للنبي ﷺ

وألفته المفرطة له، وكان يتجول في الأزقة مستلاً سيفه، ويعلن أن من قال إن محمداً عليه السلام قد مات فسوف أقطع عنقه. فلما علم بذلك سيدنا أبو بكر الصديق عليه السلام جاء إلى المسجد وصعد المنبر وألقى خطاباً استهله بهذه الآية نفسها: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾، فعند سماع هذه الآية بكى الصحابة وشعروا كأنها نزلت في ذلك اليوم، كما أن عمر عليه السلام الذي كان ثائراً، ويتجول حاملاً السيف ظاناً أن النبي عليه السلام لم يمت هو الآخر ألقى السيف بعد سماع تلك الخطبة، ولم يتكلم بعدها قط حول ذلك.

فالجلي البين أنه إذا كان أحد الصحابة يعتقد أن عيسى عليه السلام حي في السماء بجسمه المادي، فلماذا لم يعترض ولم يقل: لأي سبب ما زال نبي أمة صغيرة حياً، ونبينا الذي بعثه الله للعالم كله وإلى يوم القيامة وإلى جميع الأمم بلا أي استثناء لم يعيش حتى ٧٠ سنة؟ فصمت الصحابة وعدم إثارتهم أي اعتراض من أي نوع دليلٌ بَيِّن على أن الصحابة كلهم كانوا يوقنون بأن عيسى عليه السلام قد مات كسائر الأنبياء. ولم يكن أيٌّ منهم يعتقد أنه جالس حياً على يمين الله بجسمه المادي، وهذا هو أول إجماع في الإسلام. (الحكم مجلد ١٢، رقم ٤٧، عدد ١٤/٨/١٩٠٨م، ص ٢)

الآية ١٦: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾

والحق أنه ليس لكائن حيٍّ أن يموت ما لم يُمِته الله وإن مُرِّق إرباً... ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٦٠٥، الحاشية) لقد ورد في القرآن الكريم: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، إن كلمة ﴿تَمُوتَ﴾ تتضمن الأمور الروحانية والمادية كليهما. كذلك الهداية



والضلال في يد الله تعالى. (الحكم مجلد ٦، رقم ٨، عدد ٢٨/٢/١٩٠٢م، ص ٣)

الآية ١٤٨: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

من المعلوم أنه لو لم يكن الله ليغفر الذنوب لما علم دعاء مثله قط. (ينبوع المعرفة الخزان الروحية المجلد ٢٣، ص ٢٥)

الآية ١٥٥: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

الآية التي قَدَّمها السيد آثم هنا أي: ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ يهدف منها إلى الدلالة على الإكراه، ولكن هذا سوء فهمه. والمراد من "الأمر" هنا هو الحكم والسلطة. وقد ظنَّ بعض الناس الذين قالوا بأنه لو كان لنا نصيب في السلطة لقمنا بإجراءات أنقذتنا من المعاناة التي واجهناها في معركة أُخذ. فقال الله ﷻ في الجواب: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلّهِ﴾، أي الأمر كله بيد الله، وعليكم أن تتبعوا رسولكم في كل الأحوال. هنا يجدر الانتباه إلى نوعية علاقة هذه الآية مع القدر. كان السؤال الذي أثاره بعض الناس هو أنه لو سُئِلنا وأُخذ رأينا لقلنا خلاف ذلك. فمنعهم الله من ذلك وقال بأن هذا الأمر ليس مبنيا على الاجتهاد بل هو أمرٌ من الله. (الحرب المقدسة، الخزان الروحية المجلد ٦ ص ٢٣١-٢٣٢)

الآية ١٦٠: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾

ذكر أحد الإخوة مشاكله العائلية، فقال عليه السلام: توكل على الله توكلًا كاملاً، واستيقن به وعلّق به آمالك وسيتم كل شيء، وأيضاً ذكرني دائماً بالمراسلة وسأدعو لك. (بدر مجلد ١، رقم ٥-٦، عدد ١١/٢٨-١٢/٥-١٩٠٢م، ص ٣٧)

صحيح أن الإنسان يقلق ويضطرب في المشاكل، لكن يجب عليه ألا يتخلى أبداً عن التوكل. كان النبي ﷺ أيضاً مضطرباً جداً في بدر، فقال: يا رب إن أهلك هذه العصاة فلن تُعبد في الأرض أبداً. ولكن اضطرابه كان بمقتضى البشرية فقط، لأنه ﷺ لم يتخل على التوكل قط، وكان نظره إلى السماء، وكان واثقاً من أن الله ﷻ لن يضيعه أبداً، فلم يدع اليأس يدنو منه. إن ورود مثل هذه الاضطرابات ضروري لتكميل أخلاق الإنسان ومدارجه. يجب على الإنسان أن لا يدع اليأس يقترب منه لأن ذلك من شيمة الكفار. (الحكم مجلد ٧، رقم ١٠، عدد ١٧/٣/١٩٠٣م، ص ٣)

التوكل هو أن تجمعوا الأسباب التي حددها الله ﷻ لتحقيق أمر معين قدر المستطاع، ثم انصرفوا إلى الدعاء ليظهر الله نتائج حسنة. هناك مئات الآفات وآلاف المصائب التي يمكن أن تُبطل تلك الأسباب والوسائل أيضاً، فادعوا الله أن يحميكم منها ويوصلكم إلى النجاح الصادق والغاية المتوخاة. (الحكم مجلد ٧، رقم ١١، عدد ٢٤/٣/١٩٠٣م، ص ١٠)

التوكل أن ينقطع الإنسان من طرف ويتصل بطرف آخر. (بدر، مجلد ٢، رقم ٩، عدد ٢٠/٣/١٩٠٣م، ص ٦٦)

حين يترك الإنسان التوكل على الله تنشأ فيه خصلة الإلحاد، فلا يؤمن بالله ولا يتوكل عليه إلا الذي يراه قادراً على كل شيء. (بدر مجلد ٢، رقم ١٢، عدد ١٠/٤/١٩٠٣م، ص ٩٢)

الذي يخدم الإسلام بالقناعة وكالدراويش يصبح معجزة وآية، والذي يفعل ذلك مع جمعية لا يستمتع كما يجب؛ إذ في هذه الحالة لا يستمتع المرء بالتوكل على الله جيداً. وعندما يعمل الإنسان متوكلاً على الله ينصره الله. هذه الأمور تتولد نتيجة الروحانية. عندما تتولد الروحانية في الإنسان تتغير حالته. انظروا كيف غير رسول الله ﷺ حالة الصحابة. لقد أنجز هذه المهمة الجذب الذي يملكه الصادق. من الباطل الظن أنه إذا توفرت مئات آلاف الروبيات عندها تسير الأمور، بل عندما يبدأ العمل بالتوكل على الله وكان الهدف الحقيقي هو خدمة دين الله يكون الله ناصراً بنفسه ويهيئ الأسباب كلها. (الحكم مجلد ٧، رقم ٢٣، عدد ٢٤/٦/١٩٠٣م، ص ٣)

إن الذين يتكلمون على قوتهم ويتركون الله تعالى عاقبتهم لا تكون محمودة. غير أن التوكل لا يعني أن يجلس الإنسان عاطلاً، كلا بل إن أخذَه بالأسباب التي خلقها الله تعالى واستعماله القوى التي وهبها لنا، ثم تركه النتيجة بيد الله تعالى، هو الصراط الحق، وهو قدره لله حق قدره. إن الذين لا يستعينون بالقوى الموهوبة من عند الله تعالى ويقولون بأفواههم إننا نتوكل على الله هم كاذبون ولا يقدر الله حق قدره، بل يختبرون الله تعالى، ويعدون ما وهبنا الله من قوى وقدرات عبثاً، وهكذا يرتكبون الجسارة والوقاحة بحق الله تعالى، ويذهبون بعيداً عن قول الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ولا يعملون به، ومع ذلك يريدون أن تظهر لهم نتائج ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. وهذا غير مناسب البتة، بل لا بد للمرء من أن يتخذ الأسباب بقدر وسعه وطاقته، ثم يفوض مآل الأمر إلى الله تعالى، ويسجد لله شاكراً على أنه قد وهبه تلك القوى والكفاءات. (الحكم مجلد ٩، رقم ١٣، عدد ١٧/٤/١٩٠٥م، ص ٥)

يجب على الإنسان ألا يتخلى عن التقوى، وليتوكل على الله، فعندها لن يتعرض لأي مشكلة، لكن التوكل على الله لا يعني أن يترك المرء التدبير، إنما يعني أن يكمل التدبير ثم يترك العاقبة على الله، وهذا هو التوكل. وإن لم يتخذ التدبير وتوكل فقط فإن توكله عقيم، أما إذا اعتمد على التدبير فقط ولم يتوكل على الله فتدبيره أيضا لن يجدي شيئا. لقد رأى النبي ﷺ رجلا راكبا على ناقة فنزل عنها تعظيما له ﷺ، وأراد أن يتوكل دون اتخاذ أي تدبير، فلم يعقلها. فلما عاد من زيارة النبي ﷺ لم يجدها، فعاد إلى النبي واشتكى أنه كان قد توكل وفقد الناقة. فقال له: لقد أخطأت، فلو عقلتها تم توكلت لأصبحت. (بدر مجلد ٣، رقم ٩، عدد ١٩٠٤/٣/١م، ص ٢)

كنت<sup>١</sup> ذات مرة جالسا مع المسيح الموعود عليه السلام في بيته وجرى الحديث عن التوكل على الله، فقال عليه السلام: إني أرى حالة قلبي عجيبة. عندما يشتد الحر ويبلغ ذروته ويصبح الجو كاتما جدا فإن الناس ينتظرون نزول المطر بكل وثوق، كذلك عندما أجد كيسي خاليا أوقن بفضل الله تعالى كامل اليقين بأن كيسي سيمتلئ الآن، وهكذا يحدث.

ثم قال عليه السلام حالًا بالله تعالى: عندما يخلو كيسي فإن السرور والمتعة التي أجدها بتوكلي على الله تعالى لا أستطيع وصفها، وتكون حالتي تلك أدعى إلى الراحة والطمأنينة مما أكون عليه عندما يكون كيسي مليئا.

ثم قال عليه السلام: في الأيام التي كان والدي وأخي المحترمان عرضةً للهموم والغموم بسبب القضايا المرفوعة في المحاكم من أجل الأمور المادية، كانا أحيانا يغبطاني برؤية حالي ويقولان: إن هذا الإنسان سعيد الحظ جدا، إذ لا يقترب منه هم ولا غم. (الحكم مجلد ٣، رقم ٢٩، عدد ١٧/٨/١٨٩٩م، ص ٤)

<sup>١</sup> القائل هو المولوي عبد الكريم السيالكوتي رحمته الله. (المترجم)

الآية ١٦٢: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلَّ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

يقول النصارى بأن الأنبياء أيضا يمكن أن يُذنبوا مثل بقية الناس، ولا فرق بينهم وبين الناس العاديين، ولكن القرآن الكريم يفند هذه الفكرة ويفرق بين الأنبياء وغيرهم من هذا المنطلق. عندما شك بعض الناس أن النبي ﷺ أخذ نصيبا أكبر من الغنائم ردّ الله على شبهاتهم وقال: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ أي بعيد من شأن النبي أن يخون في أموال الغنيمة. يُستنبط من الأسلوب الذي ردّ به الله تعالى أنه لا ينظر إلى الأنبياء وغيرهم بنظرة المساواة فيما يتعلق بالذنب. كان بالإمكان أن يرد الله تعالى على شبهاتهم بالقول بأن النبي ﷺ لم يغل في هذا الأمر ولكنه قال على عكس ذلك بأنه ليس ممكنا لنبي أن يغل. يتبين من ذلك أن الأنبياء وبقية الناس ليسوا سواسية عند الله من حيث الذنب كما يظن النصارى. لقد ذكر الله تعالى نوعا معينا من الذنب هنا لأن هذه التهمة قد ألصقت في هذه الحالة، وقد أراد الله أن يبرئ النبي ﷺ من هذه التهمة بالذات. (مجلة مقارنة الأديان، مجلد ٢، رقم ٦، ص ٢٤٢)

الآية ١٦٥: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

في زمن الصحابة رضي الله عنهم كانت ينابيع اليقين دافقة وكانوا يرون آيات الله بأعينهم، وبواسطة تلك الآيات نالوا اليقين بكلام الله فصارت حياتهم مطهّرة تماما. ثم ولّى هذا الزمن ومضى عليه مئات السنين، ولم يبق في أيدي المسلمين وسيلة لنوال اليقين. صحيح أن القرآن الكريم كان موجودا عندهم، وهو كسيف ذي حدّين، حدّ يقطع كدر المؤمنين الداخلي وحدّ آخر يقضي على الأعداء. ومع ذلك كان ذلك السيف بحاجة لأن يكون في يد بطل شجاع لقوله تعالى: ﴿يَتْلُو

عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَتُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴿٣﴾ (الجمعة: ٣) فلم يذكر الله تعالى التزكية الحاصلة بواسطة القرآن منفصلة بل ذكرها مقرونة بصفات النبي. لذا لم ينزل كلام الله من السماء وحده قط، بل جاء معه دائماً، لاستخدام هذا السيف، بطل يُحسن استخدامه. إذن، فكانت هناك دائماً حاجة إلى يد بطل لخلق اليقين الصادق والحي بالقرآن الكريم ولإظهار ميزاته وإتمام الحجة به، وكانت هذه الحاجة على أشدها في الزمن الأخير، لأن هذا الزمن زمن الدجال، وهناك حرب دائرة بين الأرض والسماء. فلما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ وجب على كل طالب حق أن يبحث عن نور عينيه في هذه الدنيا ويبحث عن دين توجد فيه أنوار الإله الحي بصورة بارزة. إنه لدين مَيِّتٌ ذلك الذي لا تستمر فيه سلسلة الوحي؛ لأنه يسد الطريق إلى اليقين في وجه الناس، ويتركهم يتيهون في متاهات القصص والحكايات، ويجعلهم يقنطون من الله، ويتركهم في الظلمات يعمهون. وأتَى لدين أن يهدي إلى الله، وكيف يمكنه أن يخلص من الذنوب ما لم يملك وسيلة اليقين؟ وكيف يمكن طلوع النهار ما لم تطلع الشمس؟ فالدين الحق في الدنيا هو ذلك الذي يستطيع أن يهدي أتباعه إلى صراط اليقين بالآيات الحية. أما الآخرون فهم واقعون في جهنم في هذه الدنيا. قولوا بالله عليكم، هل الظن شيء يستحق الاعتداد به؟ والظن بتعبير آخر هو ألا يكون صاحبه متأكداً من صحة شيء أو عدم صحته.

اعلموا يقيناً أن التخلص من الذنوب مستحيل دون اليقين، كما أن حياة كحياة الملائكة ليست ممكنة سوى باليقين. وإن التخلي عن مغريات الدنيا الزائفة لا يمكن دون اليقين أبداً. وإن إحداث التغيير الحسن في النفس والانجذاب إلى الله تعالى بجذب خارق للعادة مستحيل من دون اليقين. إن هجر الأرض والصعود إلى السماء لا يمكن إلا باليقين. وإن خشية الله الكاملة لا تتأتى بغير اليقين أبداً. كذلك السلوك

على سُبُل التقوى الدقيقة وتطهير الأعمال من شوائب الرياء مستحيل من دون اليقين. كذلك إن لعن ثروات الدنيا ومغرياتها، والاستغناء عن قرب الملوك، واعتبار الله هو الكنز الوحيد مستحيل من دون اليقين. (نزول المسيح، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٤٦٨-٤٧٠)

الآية ١٧٠-١٧١: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ \* فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

المؤمن يُدخِل الجنة بعد مماته دون أدنى تأخير، كما يتبين من الآيات التالية....  
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ \* فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٢٨١)  
اعلموا أن أولياء الله والخواص الذين يُستشهدون في سبيل الله يُحيون بعد بضعة أيام كما يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ﴾ (تذكرة الشهادتين، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٥٧)

يقول القرآن الكريم بوضوح تام بأن الكفار الذين يطلبون العذاب مرارا وتكرارا قد أخبرهم الله أن العذاب سيحل بهم بصورة القتال. وعندما بدأت سلسلة هذا العذاب في نهاية المطاف وبدأت حروب النبي ﷺ مع الكفار، فمن يمكن أن يقول بأن الصحابة لم يُستشهدوا فيها؟ مع أنه من المسلّم به أن ذلك العذاب كان للكفار ونزل لهم بوجه خاص، ولكن الصحابة أيضا أصيبوا بجروح، واستشهد بعضهم الذين قدّرت لهم الشهادة في علم الله وقال الله تعالى بحقهم: ﴿لَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾ (البقرة: ١٥٥) و﴿بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾، وقال في آية أخرى: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ﴾ إذن، كان القتال هو هو ولكنه كان عذابا للكفار وشهادة للصحابة. والحال نفسه سائد الآن أيضا ولكن يجب النظر إلى عاقبة الأمور،

أي مَنْ هو المستفيد من الطاعون؟ نحن أم معارضونا؟ عندها سينكشف مَنْ زاد عددهم وَمَنْ نقصوا. (الحكم، مجلد ٨، رقم ١٨، عدد ٣١٥/٥/١٩٠٤م، ص ٣)

الآية ١٧٤: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾

وإذا خَوْفهم أحد بأن القوم قد اتفقوا على معاقبتكم فلا تزيدهم هذه التهديدات إلا إيماناً فيقولون: ربنا يكفينا وهو نعم الوكيل. والمعنى أن شجاعتهم لا تكون كشجاعة الكلاب والوحوش التي يكون وراءها هياج طبيعي فقط، والتي يكون اندفاعها إلى جهة واحدة، بل إن شجاعتهم تكون ذات حدين: فأحياناً يقاومون بشجاعتهم الذاتية شهواتهم النفسانية ويغلبونها، وأحياناً أخرى إذا رأوا مقاومة العدو أقرب للمصلحة حاربوه، لا بسبب حماس نفسي فقط، بل دفاعاً عن الحق. ويتحلون بالشجاعة لا متكلين على نفوسهم وإنما متوكلين على الله وحده....

لقد بين الله تعالى لنا في هذه الآيات أن أصل الشجاعة الحقيقية إنما هو الصبر والثبات، وأن البسالة الحقيقية تتمثل في أن يبقى الإنسان ثابتاً على أقدامه ولا يهرب كالجبان عند هجوم من أهواء النفس أو من قبل الأعداء. لذلك فالفرق عظيم جداً بين شجاعة الحيوان وشجاعة الإنسان. إن الحيوان ينقاد لغضبه الذي يدفعه باتجاه معين، وأما الإنسان المتصف بالشجاعة الحقيقية فهو يختار المقاومة أو عدمها بحسب ما يناسب مقتضى الحال. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية المجلد ١٠، ص ٣٥٩-٣٦٠)

الآية ١٨٠: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ



يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٠﴾

الحق والحق أقول لكم بأن الإيمان الحقيقي بالله تعالى لا يتأتى إلا حين يُطْلِعُ الله جَلَّ شَأْنُهُ عَلَى وجوده بنفسه.

أما العلامة الثانية لحب الله تعالى هي أنه لا يُطْلِعُ الأحباب من عباده على وجوده فقط، بل يُظْهِرُ عليهم آثار رحمته وفضله أيضا بوجه خاص، وذلك باستجابته لأدعيتهم بطريقة تفوق العادة وبإطلاعهم على ذلك بإلهاماته وكلامه. عندها تطمئن قلوبهم إلى أن إلههم إله قادرٌ على سماع دعائهم وإطلاعهم وتنجيتهم من المصاعب؛ فيستوعب المرء مسألة النجاة ويطلع على وجود الله أيضا. مع أن الآخرين يمكنهم أن يروا صادقة بين فينة وأخرى لإيقاظهم وتنبيههم، لكن طريقته ومرتبته وصبغتها مختلفة تمامًا، ذلك أنَّ مكالمة الله تعالى تكون مع المقربين الخواص فقط. وحين يدعو الإنسان المقربُ الله تعالى فيتجلى عليه بجلال ألوهيته، وينزل عليه من روحه، ويبشّره باستجابة أدعيته بكلماتٍ زاخرة بحبه؛ فالذي يحظى بهذه المكالمات بكثرةٍ يسمّى نبيًّا أو محدّثًا. وإن علامة الدين الحق هي قدرته نتيجة تعاليمه على خلق الصادقين الذين سيصلون لاحقًا إلى مرتبة المحدثين فيحدّثهم الله وجهًا لوجه. وإن أولى علامة على صدق الإسلام وحقيته هي أنه يوجد فيه دومًا الصالحون الذين يحظون بمكالمة الله تعالى: ﴿تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ (حم السجدة: ٣١). فهذا هو معيار الدين الصادق الحي والمقبول عند الله. حيث إننا نعلم جيدًا أن هذا النور يوجد في الإسلام فقط، وأن الديانة المسيحية محرومة منه. (حجة الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٤٢-٤٣)

الآية ١٨٧: ﴿تُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾

....إنكم سوف تُختبرون في أموالكم وأنفسكم. سوف يسلبكم الناس أموالكم ويقتلونكم، وسوف تتحملون أذىً شديداً بأيدي اليهود والنصارى والمشركين، وسوف يأتون بأقوال تؤذيكم. فإن صبرتم عليها وتجنبتم ما لا يليق فذلك عمل يدل على الهمة والشجاعة منكم. وخلاصة هذه الآيات أن العلم المبارك هو ما يتجلى أثره من خلال العمل، وأن العلم المشؤوم هو ما ينحصر في النظرية ولا يُجاوزها إلى العمل أبداً.

واعلموا أنه كما يربو المال ويثمر بالتجارة.. كذلك يبلغ العلم كماله الروحاني بالمزاولة العملية. فالتطبيق العملي وسيلة عظيمة لبلوغ العلم إلى الكمال.. لأنه يُكسب العلم نوراً.

كيف يرتقي العلم إلى درجة حق اليقين؟ إنما سبيله أن يُختبر العلم من كل الوجوه اختباراً عملياً. وهذا ما حدث بالضبط في الإسلام. فإن كل ما علمه الله للناس بالقرآن المجيد من تعليم، قد أتاح لهم فرصاً لكي يصقلوه بالممارسة العملية، ويمتلئوا من نوره. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤٤٦)

كيف نأسف على مثل هؤلاء الناس؟ بل علينا أن نصبر إن آذوا قلوبنا بكلامهم القاسي ما لم يحكم الله بيننا وبينهم. هذا الصبر يعلمناه الله تعالى في القرآن الكريم بقوله: ﴿تُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (ينبوع

وَلْتَسْمَعَنَّ مِنَ الْيَهُودِ وَالْمَسِيحِيِّينَ وَمِنَ الْمُشْرِكِينَ الْآخِرِينَ مَا يُؤْذِي الْقُلُوبَ وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَمْتَنَعُوا مِنْ كُلِّ نَوْعِ الْجَزَعِ وَالْاضْطِرَابِ فَلَنْ يَفْلَحُوا فِي إِلْحَاقِ الضَّرَرِ بِكُمْ أَبَدًا. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٥٩ الحاشية رقم ١١)

وَلْتَسْمَعَنَّ مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ وَعِبَادِ الْخَلْقِ الْآخِرِينَ مَا يُؤْذِي كَثِيرًا فَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَمْتَنَعُوا مِنْ كُلِّ نَوْعِ الظُّلْمِ فَتَكُونُوا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَوْلَى الْعِزِّ. (البلاغ، الخزائن الروحانية، المجلد ١٣، ص ٣٩٠-٣٩١)

لقد تنبأ القرآن الكريم أيضا أن القساوسة والمشركون سيطلقون اللسان البذيء والفاحش - في الزمن الأخير - على الإسلام وعلى النبي ﷺ كما قال ﷺ: ﴿وَلْتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ (آل عمران: ١٨٧)، فالكلام المؤذي الذي سُمع في هذا الزمن لم يسبق له نظير في ثلاثة عشر قرنا مضى، فهذا هو زمن تحقق هذه النبوة. (أيام الصلح الخزائن الروحانية، المجلد ١٤، ص ٣١٢، الحاشية)

إن أهل العلم من المسلمين يعرفون جيدا أن في القرآن الكريم نبوءة عن الزمن الأخير ومعها أمرٌ كوصية ربانية لا يجدر بالمسلم الصادق أن يهمله وهو: ﴿لَتَبْلُغَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلْتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾، أي إذا جنتم أنفسكم من كل تصرف غير لائق فستعدون من أولي العزم عند الله. هذه السورة مدنية، وهذه الوصية لمسلمي الزمن الذي تسود فيه الحرية الدينية بحيث كل من يريد الإساءة سيتمكن منها، كما هو ملاحظ في هذا الزمن، فما من شك في أن النبوءة تخص زمننا وتحقق فيه. من ذا الذي يستطيع أن يثبت أن عبارة ﴿أَذًى كَثِيرًا﴾ الواردة في هذه الآية، التي تتطلب الإساءة الشديدة باللسان، قد واجهها المسلمون في أي

قرن مضى؟ فقبل هذا القرن لم يكن من دأب المسيحيين أن يشنوا الهجمات القذرة والخبثية على الإسلام، بل كانت معظم عباراتهم ومؤلفاتهم تتوقف على بيان دينهم، فمنذ القرن الثالث عشر الهجري تقريباً قد فُتح باب الإساءة إلى الإسلام، وكان أول من بدأ هذه الإساءة في بلدنا هو القس فندل. على كل حال كان المسلمون قد أمروا في هذه النبوءة بأن يصبروا على سماع الكلمات المسيئة باستمرار وتلقي الشتائم، ففي ذلك خير لهم. فكان من المحتّم بحسب النبوءة القرآنية أن يأتي هذا الزمن ليسبّ فيه النصارى -الذين يدعون التحضر- الرسول المقدس الذي ملأ أتباعه جزءاً كبيراً من العالم، ويُسمّوا ذلك النبي الجليل والعياذ بالله زانياً وقاطع الطرق ولصاً ويصفوه أسوأ من كل خبيث في العالم. ولا شك أن هذا يسبب أذى كبيراً للذين يقدّرون هذا النبي المقدس. ويمكن أن يُقدّر المسيحي العاقل كم من الجروح المؤلمة تلقّاها عامة المسلمين حين أُلِف كتاب مثل "أمهات المؤمنين" الذي سُمّي فيه نبينا ﷺ بالزاني -والعياذ بالله- واستُخدمت بحق ذلك العظيم أسوأ كلمات التحقير، ثم وعن عمدٍ وُزعت ألف نسخة منها على المسلمين العوام والخواص لجرح قلوبهم فقط؟ وكيف تكون حالتهم القلبية؟ صحيح أن هذه العبارة ليست الأولى في الإساءة والبذاءة بل قد بلغ عدد هذه العبارات من هذا النوع مئات الملايين، لكن هذا الأسلوب للإيذاء وجرح القلوب جديدٌ من نوعه، حيث أُوصلت هذه الكتب دون مبرر إلى بيوت الغافلين وغير المطلّعين، ولذلك أثّرت ضجة كبيرة على صدور هذا الكتاب، ومع أن كتب القس عماد الدين والقس تهاكرداس وعبارات جريدة "نور أفشان" التي لا تزال تصدر باستمرار منذ ٢٥ عاماً لا تقلُّ عنه بذاءة وإساءة. لقد حدث كل هذا وذاك لكننا أُمِرنا بالتأكيد في الآية الكريمة المذكورة آنفاً أن نصبر عند سماع هذه الكلمات المسيئة المؤذية الجارحة للقلوب. (كتاب البراءة، الخزائن

الآية ١٩١-١٩٢: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ \* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

أي أنهم يتأملون في وجود خالق العالم وقدرته ... ويتفكرون في خلق السماوات والأرض والمخلوقات الأخرى، ويصدر من قلوبهم ويجري على لسانهم نداء ما خلقت - يا ربنا- أي شيء عبثاً وباطلاً، بل كل شيء من مخلوقاتك مليء بعجائب القدرة والحكمة ويدل على وجودك المبارك. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٣٠٥-٣٠٦، الحاشية رقم ١١)

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ أي أن الحكماء وأصحاب العقول حين يفكرون في تكوين الأرض والأجرام السماوية، ومُعنون النظر في بواعث الظواهر الكونية.. كاختلاف الليل والنهار في القصر والطول، فإنهم يهتدون -بالنظر إلى هذا النظام- إلى دليل على وجود الله سبحانه وتعالى، فيطلبون من الله العون لمزيد من العلم والاكتشاف.. فيذكرونه قائمين وقاعدين ومستلقين على جنوبهم، فتزداد عقولهم صفاءً وجلاءً. وعندما يتدبرون بعقولهم الصنعة البديعة في الأجرام الفلكية والأرضية.. لا يملكون إلا أن يقولوا: إن هذا النظام الهائل المحكم كل الإحكام ليس عبثاً وبلا طائل، وإنما هو مرآة تُري وجه الخالق. فيقرون بألوهية صانع هذا العالم، ويناجونه قائلين: ربنا، سبحانه وحاشاك أن ينكر أحد ذاتك، فيصفها بما لا يليق بشأنك؛ فاحمنا من نار الجحيم.. أي أن الجحود بك هو الجحيم عينها، وأن الراحة والطمأنينة كلها فيك وفي معرفتك. ومن حُرْم من معرفتك الحقيقية فإنما هو في النار وهو في هذه الدنيا. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٤٣٤)

إن أهل الإسلام قوم رُغِبُوا في عدة مواضع من القرآن الكريم في أن يمارسوا التفكير والتأمل ويسعوا للاطلاع على جميع عجائب الصنعة التي تنخر بها السماوات والأرض. فقد قال الله ﷻ في القرآن الكريم في وصف المؤمنين: ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا...﴾ فالمؤمنون يتفكرون في عجائب خلق السماوات والأرض، .. وعندما تنكشف عليهم لطائف الصنع الإلهي يقولون ... أي أن المؤمنين المتميزين لا يقصدون من معرفة الصنع وتلقي علم الهيئة كعبدة الدنيا أن يكتفوا مثلاً بمعرفة هيئة الأرض وقطرها وكيفية جاذبيتها وعلاقاتها بالشمس والقمر والنجوم. كلا! بل يتنبهون إلى الصانع ويقوون إيمانهم. (الكحل لعيون الآرية، الخزان الروحانية، المجلد ٢، ص ١٩١-١٩٢)

"فما لنا أن لا نفر بتأثيرات أشياء قد ذكرها الله تعالى في القرآن العظيم، بل فضّلها على أكثر النعماء وحث عباده على أن يُفَكِّرُوا في خلق السماوات والأرض وآياتها وقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ والحق أن تأثيرات الشمس والقمر والنجوم شيء يراه الخلق في كل وقت وحين." (حماسة البشرية، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٨٧)

أي أن ظاهرة خلق السماوات والأرض وتناوب الليل والنهار تُرشد أصحاب العقول بوضوح إلى ذلك الإله الذي يدعو إليه دين الإسلام. فترون كيف تحث هذه الآية بمنتهى الصراحة أهل العقل على إعمال عقولهم.

واعلموا أن إله الإسلام ليس لغزاً محيّرًا يُجبر الإنسان على الإيمان به ضارباً بعقله عرض الحائط، ولا يوجد في صحيفة الفطرة أي دليل على وجوده! كلا، بل يوجد في النواميس الطبيعية الواسعة آيات كثيرة جداً تدلّ على وجوده دلالة واضحة. فكل شيء في الكون يرشد إلى الله تعالى كعلامة أو لافتة توضع على رأس كل طريق

وشارع لإرشاد الناس إلى اسم ذلك الطريق أو الحارة أو المدينة، ولا يُخبر بوجود الباري تعالى فحسب، بل يقدم على وجوده دليلاً يشفي القلوب. إن شهادات السماوات والأرض لا تدلّ على وجود إله مصطنع مزيف أبداً، بل تُري وجه ذلك الإله الحي القيوم الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، والذي يقدمه الإسلام. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م ص ٧٠-٧١)

كلما تقدمت البحوث العلمية الطبيعية فلسوف تؤكد التوحيد وحده. لقد أخبر الله تعالى في قوله ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... آيَةً﴾ أن السماوات والأرض زاخرة بالبراهين الدالة على وجود الإله الذي يقدمه القرآن الكريم. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ٧١)

لقد سمى الله في القرآن مَنْ يعملون عقولهم ﴿أُولِي الْأَلْبَابِ﴾، ثم قال في وصفهم: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾. لقد بين الله تعالى في هذه الآية الثانية الجانب الثاني من الأمر، وهو أن أولي الألباب وأصحاب العقول السليمة إنما هم أولئك الذين يذكرون الله جلّ شأنه قِيَامًا وقُعُودًا.

لا تظنّوا أن العقل والفتنة شيء يناله المرء عَرَضًا. كلا، بل لا تيسر الفراسة الحقة والحكمة الحقيقية بدون الرجوع إلى الله تعالى، ومن أجل ذلك قيل: "اتّقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله". وكما قلت آنفاً، لن ينال المرء الفراسة السليمة والمعرفة الحقة إلا إذا تحلّى بالتقوى. فإن كنتم تريدون أن تكونوا من الفائزين، فأعْمِلُوا عقولكم وتفكروا وتدبروا. لقد أوصى القرآن الكريم مراراً بالتدبر والتفكير. فتدبروا الكتاب المكنون.. القرآن الكريم، وكونوا متقين. إذا تطهرت قلوبكم وأعّلمتم العقل السليم وسلكتهم دروب التقوى، فاجتماع هذه الأمور سيولد فيكم حالة ينبعث بها من قلوبكم دعاء: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، فتدركون أن هذه المخلوقات ليست عبثاً، بل إنها تدل على حقانية الخالق الحقيقي

ووجوده، لكي تنكشف أنواع العلوم والمعارف التي تدعم الدين. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ٧٢-٧٣)

الآية ١٩٤: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾

أي يا ربنا سمعنا مناديا ينادي أن أصلحوا إيمانكم وقوّوه. (نزول المسيح الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٥٠٢)

الآية ٢٠١: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

أي اصبروا على إيذاء الأعداء ومع ذلك كونوا أقوياء مقابلهم وثابروا على العمل واتقوا الله دائما لتنالوا النجاة. ففي هذه الآية أيضا يأمرنا الله تعالى أن نعرض عن إساءة الجاهلين وتحقيرهم وبذاءة لسانهم وشتائمهم وألا نضيع أوقاتنا في التخطيط لتعريضهم للمعاقبة. إن إرادة السوء مقابل السوء أمر عام ليس من الكمال في شيء. إن كمال الإنسانية هو أن نتحلى بعادة الإعراض عن الشتائم والصفح عنها قدر الإمكان. (البلاغ الخزان الروحانية، المجلد ١٣، ص ٣٩١-٣٩٢)

رابطوا بخيولكم على الحدود، لأن أعداء الله وأعداءكم سيذهبون من استعداداتكم هذه. فعليكم أيها المؤمنون الصبر والمصابرة والمرابطة.

والرباط هي الخيول التي تُرَبِّط على حدود العدو. فالله تعالى يأمر هنا الصحابة بأن يكونوا على أهبة الاستعداد لمواجهة العدو دائما، وتبتهم باستخدام لفظ الرباط إلى الاستعداد التام والحقيقي. قد عُهدت إليهم مهمتان: محاربة العدو الظاهري، ومحاربة العدو الروحاني. والرباط يُطْلَق في اللغة على نفس الإنسان وقلبه، ومن لطائف الأمور أنه لا يعمل من الخيل إلا ما يكون مروّضا ومعلّما. في هذه الأيام



يتم ترويض الخيل وتعليمها على هذا النحو، فثُرِّي وتُعلِّم كما يعلم الأطفال ويُربَّون بحِطة وعناية كبيرتين، لأنها إذا لم تُروَّض وتُدَرَّب فلا تصلح لشيء على الإطلاق، وتكون مجلبة للخطر والضرر بدلاً من النفع والفائدة.

وفي ذلك إشارة إلى أن النفوس البشرية، وهي الرباط، يجب أن تكون هي الأخرى مروضة مدربة بحيث تعمل قواها وكفاءاتها ضمن حدود الله تعالى، إذ لولا ذلك فإن نفس الإنسان لا تجديه نفعا في القتال الدائر في الخفاء كل حين بينه وبين عدوه اللدود أعني الشيطان. وكما أنه لا مناص من المعرفة بفنون القتال والتدريب في القتال المادي، علاوة على القوة البدنية، كذلك لا بد للنفوس البشرية في القتال والجهاد الباطني من ترويض وتدريب إلى حد مناسب، وإلا فإن الشيطان سيتغلب عليها، فتلقى الذلة والإهانة جدا. إذا كان أحد يمتلك المدافع والبنادق وغيرها من الأسلحة، ولكنه يجهل كيفية استعمالها تماما، فلن يفلح في مواجهة العدو أبدا. ولو كان أحد يمتلك المدافع والبنادق وغيرها من أسلحة الحرب، ويتقن استعمالها، ولكن لا يملك السواعد القوية، فهو أيضا لن ينجح في الحرب. فثبت من هنا أن تعلم استعمال السلاح أيضا لا يجدي شيئا ما لم يقو المرء عضده بكثرة الرياضة، فإن الذي يعلم استعمال السيف، ولكن لا يمارس الرياضة ولا يتدرب، فإنه إذا خاض الحرب فسوف يضرب بالسيف بعض الوقت، ثم تشل يداه وتخور قواه، فيسقط على الأرض مرهقا متعبا، ويصبح فريسة للعدو....

وكما بينت آنفا فإن النجاح في ساحة القتال يتطلب الخبرة والمهارة في استعمال السلاح من جهة، ومن جهة أخرى يتطلب إلى حد كبير الرياضة البدنية ومعرفة المحل الأنسب لاستعمال سلاح معين. كما لا بد للحرب والضرب من الخيل المدربة، أي تلك التي لا يخيفها دوي المدافع وأزيز البنادق، ولا يجعلها الغبار الثائر خلال القتال تتشتت أو تتخلف، بل تمضي قدما. وبالمثل فإن النفوس البشرية أيضا لا

تتغلب في معركة القتال على أعداء الله بدون رياضة كاملة وتدريب كامل وتعليم حقيقي.

اللغة العربية عجيبة، فلفظ الرباط في هذه الآية الكريمة يبين فلسفة الحرب وفنون القتال من جهة، ومن جهة أخرى يميّط اللثام عن حقيقة الحرب الروحانية ومجاهدة النفس. وهذه ميزة عجيبة للعربية....خذوا مثلاً كلمة "الرباط" هذه، فهي تُطلق على الخيول المربوطة على الحدود لحمايتها من الأعداء، كما تُطلق على النفوس المدربة استعداداً للحرب الدائرة في باطن الإنسان بينه وبين الشيطان كل حين. والحق أن الإسلام قد أُعطي قوتين للحرب؛ والقوة الأولى هي التي استُخدمت في صدر الإسلام دفاعاً وانتقاماً، أي عندما آذى مشركو العرب جماعة المسلمين وعدّبوهم، تصدى ألف مسلم فقط لمئة ألف كافر، وأبلوا بلاء حسناً، وفي كل امتحان أثبتوا تلك القوة والشوكة الظاهرة. ثم ولى ذلك الزمن كاشفاً ما تتضمنه كلمة "الرباط" من فلسفة لقوة الحرب المادية وفنونها.

أما هذا العصر الذي نعيشه اليوم، فلا ضرورة ولا داعي فيه للحرب المادية أبداً، بل تقتضي هذه الأيام الأخيرة تقديم نماذج الحرب الباطنية والمقاومة الروحانية، إذ قد اخترعت في هذا العصر وسائل هائلة وأسلحة عظيمة لنشر الارتداد الباطني والإلحاد، فكان لزاماً مقاومتها بالأسلحة نفسها. إن هذا العصر عصر الأمن والسلام، وننعم فيه بكل نوع من الراحة والأمن، وكل إنسان يستطيع أن ينشر دينه ويبلغ دعوته ويعمل بأحكامه بحرية، فكيف يمكن للإسلام، والحال هذه، أن يرضى بتقديم نموذج القوة الأول في زمن الأمن والحرية هذا، مع أن الإسلام هو الداعم الحقيقي للأمن والسلام، بل هو الدين الذي نشر الأمن والسلم والوثام بصورة حقيقية. فالمطلوب في هذه الأيام هو النموذج الثاني أي المجاهدة الروحانية. (تقرير

كما أنه لا بد من رباط الخيل على الحدود صدًا للعدو من دخولها، كذلك كونوا مستعدين دائماً مخافة أن يدخل العدو الحدود فيضرّ بالإسلام... إن كنتم تريدون حماية الإسلام وخدمته فتحلّوا أولاً بالتقوى والطهارة لكي تدخلوا في حصن الله الحصين، فتكونوا أهلاً لنيل شرف هذه الخدمة. ترون كم ضعفت قوة المسلمين الخارجية، إذ تنظر إليهم الأمم بكرهية وازدراء. أما إذا خارت وضعفت قوتكم القلبية والروحانية أيضاً، فلا مصير لكم إلا الهلاك. فطهروا أنفسكم حتى تتسرب إليها القوة القدسية، فتصبح قوية وحامية كالخيول المرابطة على الحدود. إن فضل الله يحالف المتقين والصادقين فقط دوماً، فلا تكونوا سيئي الأخلاق والتصرفات فتصيبوا الإسلام بوصمة عار. إن المسلمين الفاسقين الذين لا يعملون بتعاليم الإسلام يصمون الإسلام بوصمة عار. يشرب بعضهم الخمر، فيتقياً هنا وهناك وتكون عمامته ملتفة في رقبته، ويقع في المجاري والحفر الوسخة، وتضربه الشرطة بالنعال، ويضحك عليه الهندوس والنصارى. والحق أن تصرفه هذا المنافي للشرع لا يجعله هو وحده عرضة للسخرية، بل يسيء إلى الإسلام نفسه (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ٨٠-٨١)

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾ ويكون الصبر كنقطة في أول أمره، ثم يتسع كالدائرة ويحيط بالجميع، حتى إنه يؤثر على الصعاليك أيضاً. فعلى المرء أن لا يتخلى عن التقوى أبداً ويسير على سبل التقوى بقوة، لأن المتقي لا بد أن يؤثر على غيره، حتى يربح تقواه قلوب المعارضين كذلك. (تقرير الجلسة السنوية، عام ١٨٩٧م، ص ٨٢-٨٣)



بسم الله الرحمن الرحيم      نحمده ونصلي على رسوله الكريم

## تفسير

### سورة النساء



﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الآية ٢: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ (الكهف: ١٠٠)، مما يتبين أن اختلافاً عظيماً سيحدث، وأن جميع الأديان ستخرج إلى حلبة المصارعة. وكلمة ﴿تَرَكْنَا﴾ تشير إلى أنه سيكون عصر الحرية، وهذه الحرية ستكون قد بلغت أوجها، وعندها سوف يقرر الله جمعهم بواسطة مبعوثه. فانظروا أنه عليه السلام قد قال أولاً: ﴿جَمَعْنَاهُمْ﴾، وقال عن بدء العالم: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (النساء: ٢). فكلمتنا "بَثَّ"

و"جمع" متناقضتان تمامًا، فكأن الدائرة تكتمل ويعود الزمن نفسه. ففي الماضي كانت وحدة ذاتية، والآن تكون وحدة نوعية في الأخير. (بدر، مجلد ٧، رقم ٣، عدد ٢٣/١/١٩٠٨ م ص ٣)

﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أي خلق زوج آدم أي حواء من وجوده لتكون علاقة آدم مع حواء وأولادها طبيعية وليست مصطنعة. وفعل ذلك لتدوم العلاقة والمواساة بين بني آدم لأن العلاقات الطبيعية لا تنفك. ولكن العلاقات غير الطبيعية لا تدوم لأنه لا يوجد فيها جذب متبادل كما في العلاقة الطبيعية. باختصار، هكذا خلق الله تعالى بصورة طبيعية كلتا العلاقتين اللتين كانتا ضروريتين لآدم أي مع الناس ومع الله تعالى. (مجلة مقارنة الأديان مجلد ١، رقم ٥، ص ١٧٩)

الآية ٣: ﴿وَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾

أي لا تعطوا الرديء مكان الجيد، بمعنى أنه كما لا يحل لكم أن تغتصبوا أموال الناس بغير الحق، كذلك لا يحل لكم أن تبيعوهم المعشوش من الأشياء، أو تعطوهم الرديء بدل الجيد. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٧٤-٣٧٥)

الآية ٤: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾

أي لا بأس من أن تتزوجوا من فتيات يتيمات هن في كفالتكم. ولكن إذا خفتم عدم العدل في حقهن -لأنهن لا أولياء لهن- فتزوجوا من نساء ذوات آباء وأقارب يُتوقع أن يحترمنكم وتحشونهم. يمكن أن تتزوجوا واحدة أو اثنتين أو ثلاثا أو أربعاً، ولكن بشرط العدل في حقهن، فإذا خفتم ألا تستطيعوا العدل فاكثفوا بواحدة رغم

حاجتكم إلى أكثر. وقد حددنا عدد الزوجات بالأربع منعاً لكم من عاداتكم القديمة في الإفراط الزائد في أمر الزواج حيث كنتم تتزوجون المئات، أو إنفاذاً لكم من السقوط في هوة الزنا. (فلسفة تعاليم الإسلام الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٣٧) إن عدد الزوجات في معظم الأقوام قبل الإسلام كان قد بلغ المئات بل الآلاف، وأن الإسلام قلل من ظاهرة التعدد ولم يزدّها. بل الحق أن فضل رفض ظاهرة الانحلال وعدم إطلاق العنان للتعدد يعود إلى القرآن وحده. فهل هؤلاء الأنبياء المقدسون من قوم بني إسرائيل الذين وصل عدد زوجاتهم إلى المائة، وبعضهم إلى سبع مئة زوجة، ظلوا يرتكبون الحرام إلى آخر حياتهم؟ وهل كان أولادهم الذين كان بعضهم صالحين بل أنبياء أيضاً يُعتبرون أولاد حرام؟ (حجة الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٤٧)

فالعرب كانوا يتزوجون حتى مئات النساء ولم يكونوا يرون العدل بينهن ضرورياً، فكانت النساء في مصيبة، كما قد كتب عن ذلك "جان ديفون بورت" وغيره من الإنجليز الآخرين الكثير. فقلل القرآن الكريم عدد مئات القرانات إلى الأربعة وقال أيضاً: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ فمن نظر إلى عصر نزول القرآن الكريم يلاحظ أيّ حدٍّ كان الإفراط قد بلغ في تعدد الأزواج في العالم، وبأي ظلم كانوا يعاملون النساء، فلن يجد بُدّاً من الإقرار بأن القرآن الكريم قد منّ على العالم إذ قد أوقف كل هذا الجور والظلم، لكن لما كان قانون الطبيعة قد قرر أن الإنسان يتمنى أن تكون له ذرية، وبسبب كون الزوجة عقيماً أو بسبب إصابتها بمرض دائم أو لإصابتها بمرض يكون فيه الجماع متعذراً، بل هناك بعض الحالات لهبوط الرحم تكاد المرأة تزهق بالملامسة، ومثل هذه الأمراض أحياناً تطول عشر سنين، وأحياناً تصبح المرأة عجوزاً باكراً أو لكونها تصبح حاملاً على فترات متقاربة، فيكون المرء بحاجة إلى زوجة ثانية بالطبع، ونظراً إلى كل هذه الأسباب أُذن بتعدد الزواج بشرط

أن يعدل بينهم، فكان ذلك من الرحمة بالمرء لئلا يكون محروما من تدارك الحكمة الإلهية عند ظهور الحاجات الفطرية. وإن الذين لا يعرفون كم كان سكان الجزيرة العربية قبل نزول القرآن الكريم مسرفين في الإكثار من الزوجات فأولئك الأغبياء حتما سيعترضون على إجازة الإسلام في أكثر من زوجة، إلا أن المطلعين على التاريخ يعترفون بأن القرآن الكريم قد قلل هذه التقاليد ولم يكثرها. فالذي قلل عدد الزوجات جدا وحصرها جوازا في العدد الذي يحتاج إليه الإنسان بين حين وآخر بمقتضى الحاجات الاجتماعية، فهل يمكن أن يقال بحقه إنه علّم إشباع الشهوات؟ (الديانة الآرية، الخزانة الروحانية، المجلد ٢، ص ٤٤-٤٥)

كم من الإجحاف أن الذين كان أنبياءهم متزوجين من مئات النساء في وقت واحد يرون الجمع بين زوجتين أو ثلاث زوجات ذنبا كبيرا بل يعدونه زنى وفعل الحرام. لا يمكن أن تبقى سلسلة كل عائلة جارية دائما بزوجة واحدة لكل واحد منهم، بل يحدث في بعض الأحيان أن تكون إحداهن عقيما لا تقدر على الإنجاب. يتبين من هذا التحقيق أن نسل بني آدم ظل جاريا وقائما نتيجة تعدد الزوجات. ولو كان هذا التعدد ممنوعا لأوشك النسل البشري على الانقراض إلى الآن. سوف يتبين من البحوث كيف حمى الإنسان هذا الطريق المبارك، وكيف عمّر من جديد بيوتا كادت تخرب! وكم هو مفيد هذا الطريق للمحافظة على تقوى الإنسان. إن في طبيعة النساء نقصا فيما يتعلق بحاجة الرجال إليهن كما في أيام الحمل والحيض والنفاس. وهذا الطريق المبارك يسد هذا الخلل، ويعطي الرجل حقه الذي يمكن أن يطالب به من حيث طبيعته. وبالإضافة إلى ذلك يضطر الرجل للتعدد لأكثر من سبب؛ فمثلا إذا أصبحت المرأة دميمة بتقدمها في السن أو نتيجة مرض، لتعطلت قوة الرجل المتعلقة بالعلاقة الزوجية. ولكن إذا صار الرجل دميم الشكل فلا ضير من ذلك على المرأة، لأن الرجل أُعطي أداة العلاقات الزوجية، وإن إشباع المرأة بيد



الرجل. أما إذا كان في رجوليته نقص أو عجز، فيمكن للمرأة أن تطلب منه الطلاق بحسب حكم القرآن الكريم. ولكن إذا كان قادرا على إشباعها بشكل كامل فلا يحق لها الاعتراض على زواجه الثاني، لأن المرأة لا تستطيع أن تسد حاجاته اليومية، وبذلك يبقى حق الرجل في التعدد قائما. إن هذا الطريق ليس جائزا فقط، بل هو واجب على الأقوياء الأتقياء الورعين بطبعهم.

إن بعض معاندي الإسلام يفعلون كل ما يحلو لهم اتّباعا للنفس الأمارة، ولكن يكرهون هذا الطريق الطاهر أيما كراهية، لأنهم لا يبالون ولا يهتمّون بهذا الطريق الطيب بسبب التحرر المنتشر فيهم. وهذا مقام تأسف على المسيحيين أكثر من غيرهم، لأنهم يصبّون جام غضبهم على المسلمين بغير وجه حق غاضين الطرف عن وقائع أنبيائهم المعترف بنبوتهم. فمن المخجل أن الذين يقرون أن جسم المسيح وطينة وجوده وأصله من جهة الأم هو نتيجة التعدد - إذ لم يكتفِ داود ﷺ (جدّ المسيح) بزوجة واحدة أو اثنتين أو ثلاث، بل تزوج مئة زوجة - يرون التعدد مثل الزنى ولا يتورعون عما يقع على السيدة مريم من نتيجة مهولة لهذه الكلمة الخبيثة، ومع كل هذه الإساءة يدعون حب المسيح أيضا. فليكن معلوما أن التعدد لا يثبت من التوراة كلاما فقط، بل قد ختم معظم أنبياء بني إسرائيل بمن فيهم جدّ المسيح ﷺ بعملهم أيضا على أنه ليس جائزا فقط بل مستحبّ. فيا أيها المسيحيون الذين لا تحشون الله؛ إذا كان ضروريا للملهم أن تكون له زوجة واحدة فقط، فهل ستؤمنون بنبي صادق مثل داود نبيا لله؟ أو هل تُخرجون مقبولا عند الله مثل سليمان من دائرة الملهمين؟ ألا يُعَدّ العمل الذي داوم عليه الأنبياء - الذين كان خط الإلهام الإلهي موصولا بقلوبهم دائما وكانت الأحكام المتعلقة برضا الله أو عدم رضاه تنزل عليهم كل حين وآن - ولم يمتنعوا عنه إلى آخر لحظة من حياتهم ولم يبالوا بأوامر الله شيئا؛ ذنبا مستديما بحسب زعمكم؟ هل يليق بالإله الغيور وغيرته - الذي أهلك عادا

وثمود لمعصيتهم وأمطر قوم لوط بالحجارة، وأغرق فرعون مع جماعته الشريرة كلها في طوفان مهول - أن لا ينزل العذاب على إبراهيم ويعقوب وموسى وداود وسليمان وغيرهم من الأنبياء الكثيرين بعد أن وجدهم عصاةً على مدى حياتهم بسبب اقتنائهم زوجات كثيرة ومرتدين جدا، بل يحبهم ويصادقهم أكثر من ذي قبل؟ ألم يجد إلهكم شخصا آخر لينزل الإلهام عليه أم قد أعجبه أصحاب الزوجات الكثيرات فقط؟

وليكن معلوما أيضا أن الأنبياء والأصفياء أجمعين، مع زواجهم من أكثر من امرأة، قد سبقوا الجميع في القوى الروحانية والقبول عند الله، وبذلك أثبتوا للعالم كله أن السبيل لنوال حب الله لا يتمثل في عيش المرء في الدنيا كالمخنث أو العنّين، بل إن القوي في الإيمان هو ذلك الذي يحمل عبء الأهل والأولاد أكثر من غيره، ومع كل هذه الصلات يعيش كأنه لا علاقة له بهم. (مرآة كمالات الإسلام الخزانة الروحانية، المجلد ٥، ص ٢٨١-٢٨٤)

مع أن أتباع آريا سماج يكرهون التعدد، ولكنهم مع ذلك يعترفون بضرورته التي كثيرا ما يضطر بسببها الإنسان إلى التعدد، وهي أنه من الضروري للإنسان الذي هو أشرف المخلوقات أن يختار طريقا أحسن لإبقاء نسله ويُقذ نفسه من كونه أبترا. من الواضح أن زوجة لا تقدر على الإنجاب أو التي إذا أنجبت يموت الأولاد بسبب مرض أو تنجب الإناث فقط؛ ففي مثل هذه الحالات يحتاج الرجل إلى زوجة ثانية، وخاصة الرجال الذين يكون انقطاع نسلهم مؤسفا ويضر ملكيتهم وولايتهم بشدة ويلحق بها خسارة كبيرة. كذلك هناك أسباب كثيرة أخرى تقتضي التعدد ولكننا نكتفي ببيان سبب واحد ونقارن تعليم القرآن الكريم الذي يوضح ضرورة التعدد مع تعليم الفيدا الذي قدمه لسد حاجة مذكورة آنفا.

فاسمعوا، كما بينت من قبل، أن القرآن الكريم أجاز التعدد لسد حاجات البشر. ومن جملتها أن يكون التعدد سببا لإبقاء النسل في بعض الحالات، وكما أن القطرات

تكوّن بجرا كذلك بالنسل تتكوّن الأقوام. ومما لا شك فيه أن الطريق الأحسن للإكثار من النسل هو التعدد. إذًا، فالتعدد هو الطريق الأمثل للبركة التي تسمّى كثرة النسل بتعبير آخر. فهذا هو الطريق لإكثار النسل الذي بيّنه القرآن الكريم. أما الطريق الذي بيّنه الفيدا على النقيض من ذلك ويراها ضروريا جدا هو "النيوك" أي إن لم تنجب زوجة أحد الأولي فهناك طريقان اثنان للحصول على الأولاد:

(١) أن يجعل الرجل زوجته تسوّد وجهها مع شخص آخر، ليس يوما أو يومين بل يمكنها أن تبقى على علاقة غير شرعية مع شخص غير زوجها إلى ما يقارب ١٤ عاما. والأولاد الذين يولدون من هذا الشخص يُقسمون على السواء مثل أفراخ الدجاجة؛ أي نصفهم يذهبون إلى زوج تلك "السيدة الطاهرة"، ونصفهم يذهبون إلى الرجل الذي أنشأت معه العلاقة غير الشرعية للحصول على الأولاد. ومع أن الآريين لا ينفرون من هذا العمل، لكنني أعرف أنه سيكون هناك عشرات ملايين الهندوس في الهند الآن أيضا الذين لا يقبل ضميرهم قط هذا التعليم للفيدا، ويتزوجون ثانية عند الحاجة مثل المسلمين. يتبين من ذلك أن ضمير الهندوس النبلاء أيضا يحب الزواج الثاني عند الضرورة. لو بحثتم في البنجاب وحده لوجدتم آلاف الأثرياء والأغنياء من الهندوس الذين لديهم زوجتان أو ثلاث زوجات. ومن ناحية ثانية لن يقبل هندوسي شريف ومحترم ما عدا هذه الفئة القليلة من الآريين أن يجعل زوجته الشابة والجميلة تضاجع شخصا آخر ليلا. إن لم يكن هذا فقدان الغيرة فما معنى الوقاحة وفقدان الغيرة إذًا؟ أما عادة التعدد فظلت جارية في الهندوس أيضا على غرار المسلمين منذ القدم. والراجات الهندوس المعاصرون أيضا متمسكون بهذه العادة. أقول بكل تحدّ بأن عادة التعدد لم تنشأ في الهندوس في هذا الزمن فقط، بل ثابت أيضا عن صلحاء الهندوس الذين يسمون أنبياء أو أولياء أنهم كانوا يعدّدون إلى درجة يقال بأنه كان لدى "كرشنا" آلاف الزوجات. وإن حسبنا هذا البيان

مبالغة القول أيضا فلا بد أنه كانت عنده عشرة أو عشرين زوجة حتما. كذلك كان لوالد الراجا "رام شندر" زوجتان. ولم يأت المنع من التعدد في أي مكان في الفيدا بحسب علمنا وإلا لما فعل هؤلاء الصلحاء ما كان يعارض تعليم الفيدا. كذلك كان لدى باوا نانك أيضا الذي يُعدّ رجلا مقدسا بين القوم الهندوس، زوجتان.

في هذا المقام يعترض المعاندون عادة أن في التعدد ظلما وأنه يؤدي إلى فقدان الاعتدال، والاعتدال هو أن تكون لرجل واحد زوجة واحدة. ولكني أستغرب لماذا يُقحمون أنفسهم في قضايا الآخرين دون مبرر. ما دام رائجا ومتعارفا عليه في الإسلام أنه يجوز أن يتزوج الإنسان إلى أربع زوجات ولكن لا يُكره أحد على ذلك، وكل رجل وامرأة يعرف هذه المسألة جيدا، ومن حق النساء أن يضعن شرطا عند النكاح مع مسلم ألا يتزوج زوجها ثانية في أي حال. ولو كُتب شرط مثله قبل النكاح ثم تزوج الرجل ثانية سيقترف نقض العهد. ولكن لو لم تُمل المرأة هذا الشرط ورضيت بحكم الشريعة، لكان تدخّل الآخرين في هذه الحالة غير مبرر، وسينطبق في هذه الحالة مثل أردي يقول: إذا كان الزوجان راضيين فما دخل القاضي في ذلك؟ كل عاقل يستطيع أن يفهم أن الله لم يجعل التعدد فرضا واجبا بل هو جائز فقط بحسب أمر الله تعالى. فإذا أراد رجل أن يستفيد لحاجة ما من هذا الجواز الذي يطابق قانون الله الساري ولم ترض به زوجته الأولى، فالطريق مفتوح لها أن تطلب الطلاق منه وتتخلّص من هذا الغم. كذلك إن لم ترض المرأة الثانية التي يريد بها الزواج الثاني، فالطريق الأسهل هو أن ترفض طلبا مثله؛ إذ لا يمكن إكراه أحد. ولكن إذا رضيت كليهما بهذا الزواج فأَيّ حق لآرَيّ أن يتدخل ويعترض دونما سبب؟ هل الرجل سيتزوج من هؤلاء السيدات أم من هذا الآري؟ ما دام الله تعالى قد أجاز التعدد عند ضرورة يضطر إليها الإنسان وترضى الزوجة بأن يتزوج زوجها زواجا ثانيا، وكانت المرأة الثانية أيضا راضية بهذا الزواج، فلا يحق لأحد أن يلغي قرارهم الذي اتّخذوه بالتراضي.

والاعتراض في هذا المقام أن التعدد ظلم بحق الزوجة الأولى ويخالف طريق الاعتدال إنما هو عمل الذين فقدوا صوابهم نتيجة العناد. معلوم أن القضية تتعلق بحقوق العباد، والذي يتزوج بامرأتين فهذا لا يُخرج الله شيئا، وإذا كان أيّ إخراج في ذلك فهو على الزوجة الأولى أو الثانية. فإذا رأت الزوجة الأولى في هذا الزواج إتلافا لحقوقها فيمكنها أن تتخلص من القضية عن طريق الطلاق. وإن لم يطلقها زوجها فلها أن تطلب الخلع بواسطة القاضي. وكذلك إذا شعرت الزوجة الثانية بالإخراج فهي أدرى بضرّها ونفعها أكثر من غيرها. فالاعتراض أن التعدد يؤدي إلى فقدان الاعتدال تدخّل دون مبرر. ومع كل ذلك فقد أوصى الله تعالى الرجال أنه إذا كانت لهم أكثر من زوجة أن يعدلوا بينهن، وإلا فليكتفوا بواحدة.

والقول بأن منشأ التعدد هو إشباع الغُلّة، فهذه الفكرة أيضا نابعة عن جهل تام وعناد بحت. لقد رأيت بأمر عيني أن الذين تغلبهم الشهوة عندما يلتزمون بالتعدد المبارك، يكفّون عن الفسق والفجور والزنا والفحشاء، وهذا الطريق يجعلهم متقين وورعين، وإلا فيوصلهم طوفان الشهوات النفسانية العارم إلى باب المومسات، وفي نهاية المطاف يشترّون لأنفسهم مرض السيلان والسفلس أو يصابون بمرض خطير آخر. وتصدر منهم أعمال الفسق والفجور سرّا وعلانية بما لا نظير لها قط في الذين يتزوجون زوجتين أو ثلاث زوجات يحبوهن. هؤلاء المذكورون سابقا يتمالكون أنفسهم إلى مدة وجيزة ولكن تثور شهوتهم غير الشرعية دفعة واحدة كما ينهار السد على النهر ويدمر القرى المجاورة كلها ليلا أو نهارا. الحق أن الأعمال بالنيات، والذين يشعرون في أنفسهم أن الزواج الثاني سيلزمهم التقوى وسيجتنبون الفسق والفجور أو يتركون وراءهم ذرية صالحة بهذا الطريق يجب عليهم أن يختاروا هذا الطريق المبارك. الفحشاء وسوء النظر ذنوب قدرة عند الله تحو الحسنات كلها، وتنزل على صاحبها العذابات أخيرا في هذه الدنيا. فلو تزوج أحد بأكثر من امرأة

بنية التحصن في حصن التقوى الحصين، فهذا ليس جائزا له فحسب، بل سيثاب عليه. والذي يلتزم بالتعدد منعا لنفسه من الزنا فكأنه يريد أن يجعل نفسه كالملائكة. أعلم جيدا أن هذه الدنيا العمياء أسيرة المنطق الكاذب والمباهاة الزائفة، والذين لا يتحرون التقوى ولا يسعون جاهدين للحصول عليها ولا يدعون، مثل حالتهم كمثّل دمل يلمع من الخارج بشدة ولكن ليس بداخله إلا الصديد. أما الخاضعون لله الذين لا يخشون لومة لائم فيتحرون سبل التقوى كما يبحث المتسوّل عن كسرة خبز. والذين يدخلون أتون المصائب لوجه الله، وقلوبهم حزينة دائما وتُذِيب أرواحهم في سبيل الله الأهداف العظيمة والقاسية وقاصمة الظهر، يجيز الله تعالى لهم بنفسه أن يقضوا بضع دقائق أثناء الليل أو النهار مع زوجاتهم اللواتي يستأنسون إليهن ويرحوا نفوسهم المكتئبة والمكسورة ليعكفوا بعد ذلك على أمور الدين بكل حماس. ولكن لا يفهم هذه الأمور إلا الذين لديهم ذوق في هذا المجال. لقد قرأت في كتب الهندوس أنفسهم حكاية جاء فيها أن شخصا كان ذاهبا إلى مكان ما لعمل مهم، وفي طريقه تهرّ متدفق، ولم تتوفر السفينة، وكان الذهاب ضرورة ملحة. عندما وصل إلى شاطئ النهر رأى ناسكا له مئة زوجة. فالتمس منه أن يدعو له حتى يتمكن من اجتياز النهر بطريقة ما. قال الناسك: اذهب إلى شاطئ النهر وقل له: أناشدك بذلك الناسك العازب الجالس على شاطئك الذي لم يمسه في حياته أية امرأة؛ إن كان ذلك صحيحا فاجعل لي طريقا. عندما بلغ الرجل هذه الرسالة إلى النهر جعل له طريقا فور سماعه هذا الكلام فاجتازه. ثم واجه المشكلة نفسها عند العودة فوجد على الشاطئ الآخر ناسكا آخر كان يأكل طنجرة كبيرة من الأرز مع اللحم كل يوم. فذهب الرجل إليه وسرد له مشكلته. فقال الناسك: قل للنهر باسمي: أناشدك بذلك الناسك الجالس على شاطئك الذي لم يأكل حبة واحدة من الغلال، فإذا كان ذلك حقا فاجعل لي طريقا. فجعل النهر له طريقا فورا.

تو مردان آل راہ چوں بگری  
کہ از کینہ و بغض کور و کری  
چہ دانی کہ ایشان چساں می زیند  
زدنیا نہاں در نہاں می زیند  
فدا گشت در راہ آل جاں پناہ  
ز کف دل ز سر او فتادہ کلاہ  
ولے ریش رفتہ بکوئے دگر  
ز تحسین و لعن جہاں بے خبر  
چوبیت المقدس دروں پر ز تاب  
رہا کردہ دیوار بیروں خراب

أي: أتى لك أن ترى رجال هذا السبيل؟ فقد صرت أعمى وأصم بسبب الضغينة والعداوة.

ما أدراك كيف يعيش هؤلاء القوم؟ إنهم يعيشون عيشا خفيا ومستورا عن أهل الدنيا.

إنهم فداء سبيل الله الذي هو ملاذ كل روح، إن قلبهم يفلت من يدهم وتزول العمامة من رأسهم.

إنهم لا يبالون بمدح الدنيا وكرهيتها لأن قلبهم الجريح معلق بزقاق آخر تماما. باطنهم منور مثل البيت المقدس، وإن كان الجدار الخارجي مكسورا". (ينبوع المعرفة الخزانة الروحانية، المجلد ۲۳، ص ۲۴۴-۲۴۹)

التعدد مدعاة لكثرة الأولاد وهي بركة في حد ذاتها. إذا كان لامرأة واحدة مئة زوج فقد لا تستطيع أن تنجب مئة ابن، ولكن إذا كانت لرجل واحد مئة زوجة، فلا تُستبعد ولادة مئة ابن. فلماذا الاستياء من الطريق الذي يؤدي إلى كثرة نسل الإنسان وزيادة عدد عباد الله؟

إذا قلت إن ذلك يخالف الاعتدال، فهذا القول باطل لأنه عندما خلق الله تعالى رجلا وأودع فيه قوة الإنجاب أكثر وأعطاها قوى أعظم بكثير مقارنة مع المرأة، فكأن الله في هذا الحال نقض الاعتدال بيده. والذين لم يجعلهم الله سواسية كيف يتساوون؟ إن عدّهم متساوين غباوة صريحة.

إضافة إلى ذلك كتبْتُ من قبل أيضا أن التعدد ليس ظلما على امرأة، فمثلا إذا كانت لدى أحد زوجة، ثم تزوجت منه امرأة أخرى فلماذا تتزوج أصلا من الذي لديه زوجة سلفا؟ من الواضح أنها ستتزوج حين تكون راضية بالتعدد. فإن رضي الزوجان فلا حق لأحد في الاعتراض. إذا تنازل صاحب الحق عن حقه فليس اعتراض الآخرين إلا محض سخف. كذلك الزوجة الأولى تعرف جيدا أن الإسلام يسمح للرجل بالزواج الثاني، فلماذا لا تشتترط عند النكاح ألا يتزوج زوجها ثانية. ففي هذه الحالة هي الأخرى أيضا تتنازل عن حقها بصمتها.

وليكن معلوما أيضا أن التعدد لا يحول دون العلاقة بالله قط. فإذا كان لدى أحد عشرة آلاف زوجة وكانت علاقته بالله تعالى طيبة وممتينة فإن وجود عشرة آلاف زوجة لا يضره شيئا، بل يثبت كماله على أنه يتعامل مع كل تلك العلاقات وكأنه لا علاقة له بأحد. فمثلا إذا كان الفرس لا يقدر على المشي حين يُحمَل عليه ولكنه يمشي مشية جميلة حين لا يكون على ظهره حمل فما الفائدة من هذا الفرس؟ كذلك الشجعان هم أولئك الذين يبقون كذلك مع وجود العلاقات أيضا كأنه ليست لديهم أية علاقات. لا يجوز قياس شهوات الأطهار على شهوات الخبثاء لأن الخبثاء يكونون أسرى شهواتهم، أما الأطهار فيخلق الله تعالى فيهم الشهوة بنفسه حكمةً منه وليس بينهم إلا الاشتراك في الظاهر فقط. فمثلا يسكن الأسرى في السجن، والمشرف على السجن أيضا يمكث في المكان نفسه، ولكن هناك بُعد شاسع بين وضع الاثنين. والحق أنه لا يثبت كمال علاقة الإنسان مع الله تعالى إلا إذا كان الإنسان مرتبطا في الظاهر بعلاقات كثيرة، إذ تكون عنده زوجات وأولاد وتجارة وزراعة ويكون مثقلا بعدة أثقال ومع ذلك تكون تصرفاته وكأنه ليست له علاقة مع أحد سوى الله تعالى. هذه هي علامات الكمال. فإذا كان أحد جالسا في فلاة، ليست لديه زوجة ولا أولاد ولا أصدقاء وليس عليه عبء أية علاقة فأتى



لنا أن نقول بأنه آثر الله تعالى على الأهل والأولاد والأموال كلها؟ وأتى لنا أن نعتقد به دون الاختبار؟

لو لم تكن عند سيدنا ومولانا النبي ﷺ زوجات، فكيف كان بإمكاننا أن نفهم أنه تصرف عند تقديم التضحية بنفسه في سبيل الله وكأنه ليست لديه ولا زوجة واحدة؟ ولكنه ﷺ أثبت - مع زواجه من أكثر من سيدة - وبمناسبة مناسبات الاختبارات أنه لا علاقة له مع الملذات الجسدية بل يعيش عيش العزلة ولا يمكن لشيء أن يحول بينه وبين الله. يعلم المؤرخون جيدا أنه ﷺ رزق أحد عشر ابنا وماتوا جميعا فكان النبي ﷺ يقول كل مرة عند وفاة أحد أبنائه ما مفاده: لا علاقة لي به بل أنا لله وسأرجع إليه ﷻ. من المعلوم أن الأولاد فلذة كبد الإنسان ولكن النبي ﷺ يقول عند وفاة أي من أولاده كل مرة: اللهم إني أوثرك على كل شيء، فلا علاقة لي بالأولاد. أفلا يثبت من ذلك أنه كان بعيدا كل البعد عن رغبات الدنيا وشهواتها، وكان جاهزا لتقديم التضحية بنفسه في كل حين وآن. ذات مرة أصاب السيف إصبعه في الحرب فدميت. فقال ﷺ مخاطبا الإصبع: هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتِ في سبيل الله.

ذات مرة دخل عمرُ ﷺ على النبي ورأى أنه لا يوجد في بيته شيء وهو ﷺ مستلق على حصير وقد أثر الحصير في ظهره فبكى عمر ﷺ لذلك. فقال ﷺ: ما يُيكيك يا عمر؟ قال: لقد أبكاني معاناتك. إن قيصر وكسرى، وهم كفار، يعيشون عيش الراحة والرفاهية وأنت في هذه المصاعب؟ فقال: مَا لِي وَلِلدُّنْيَا.. مَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا إِلَّا كَرَائِبٍ سَارَ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ فَاسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا. والمعلوم أن جميع زوجاته إلا عائشة رضي الله عنها كنَّ متقدمات في السن، وبعضهن كنَّ قد بلغن ستين عاما من العمر. فيتبين من ذلك أن هدفه الأهم والأسمى من التعدد كان نشر مقاصد الدين بين النساء وتعليمهن

الدينَ بإبقائهن في صحبته ليهدين سيدات أخريات بأسوتهن وبما تعلّمنَ. وإنها لسنّته الجارية في المسلمين إلى يومنا هذا إذ يقولون عند وفاة قريب لهم وعزيز عليهم: ﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة: ١٥٧). لقد تفوّه النبي ﷺ بكلمات الصدق والوفاء هذه قبل غيره ثم أمر الآخرون بالتأسي بهذه الأسوة. لو لم يتزوج النبي ﷺ من أكثر من زوجة ولم يولد له أولاد فأتّى لنا أن نعلم أنه فداء في سبيل الله تعالى إلى درجة لا يُعَدُّ الأولاد شيئاً مقابل الله؟ (ينبوع المعرفة ص الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٩٧-٣٠٠)

لقد وردت كلمات "مثنى وثلاث ورباع" صراحةً في القرآن الكريم عن تعدد الزوجات، ولكن في نفس هذه الآية جاء الأمر بالاعتدال أيضاً. فإن لم يكن لدى المرء القدرة على الاعتدال ومالَ إلى إحداهن حبّاً لها، أو كان دخله قليلاً، أو كانت قوّة الرجولية ضعيفة، فعليه ألا يتجاوز واحدة. والأفضل عندي ألا يلقي المرء نفسه في الابتلاء، لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (المائدة: ٨٨).

فلا تركزوا على الأمر الحلال بحيث تصبحوا عبدةً للنفوس. باختصار، إذا صار المرء مولعاً بالنساء بحجة أنه أمرٌ حلال، فهو مخطئ. ليس بوسع كل إنسان معرفة المشيئة الإلهية. إن الله لا يريد أن يحب المرء النساء حبّاً يجعله عابداً نفسه، كما أنه تعالى لا يريد أن تترهبوا، بل يريد أن تكونوا معتدلين، ولا تتصرفوا تصرفات غير لائقة.

وإذا كان الله تعالى يجعل للأنبياء خصوصية ما، فيعترض قليلو البصيرة على ذلك جهلاً وخطأً منهم. فمثلاً وردت في التوراة خصوصيات لفئة الكهنة، كما توجد خصوصيات لبراهمة الهندوس. فمن الجهل الطعن في خصوصيات الأنبياء. إن أكبر خصوصياتهم أنهم أنبياء، وهي خصوصية لا توجد عند غيرهم. (الحكم مجلد ٢، رقم ٢، عدد ٦٤٣/٣/١٨٩٨ م ص ٢)

يعترضون على قضية تعدد الزوجات ويقولون أن الإسلام قد أجاز الزواج بنساء كثيرة. ونحن نقول: هل بين هؤلاء المعارضين رجل شجاع يخرج إلى المضمار ويؤرنا أين ورد في القرآن أنه لا بدّ أن يتزوج المرء أكثر من امرأة واحدة؟ بيد أنه من الحقّ ومن الفطرة أنّ الإنسان في كثير من الحالات يحتاج إلى الزواج من أكثر من واحدة، فمثلاً أن تصاب زوجته بالعمى أو بأي مرض خطير آخر بحيث لا تقدر على القيام بإدارة أمور البيت، ولا يريد زوجها -شفقةً عليها- أن يفصلها عنه، أو أن تصاب المرأة بأمراض خطيرة في رحمها فتصبح غير قادرة على قضاء حاجات زوجها الفطرية، فإذا لم يكن هناك سماح للزواج الآخر، أفلا يكون هذا سبباً لانتشار الفحشاء ورذائل الأخلاق؟ إذا كانت هناك ديانة وشريعة تمنع من التعدد فلا شك أنها تؤيد الفحشاء وسوء الأخلاق. ولكن دين الإسلام الذي يريد القضاء على الفحشاء وسوء الخلق في الدنيا يسمح للمرأة بالزواج من أكثر من واحدة عند هذه الضرورات. كذلك إذا لم يكن للمرأة أولاد تقع بعد وفاته خصومات كثيرة في العائلة حتى تسفر عن القتل وإراقة الدماء، لذا يتحتم على مثل هذا أن يتزوج بأكثر من واحدة لإنجاب الأولاد. بل الحق أن الزوجات الصالحات المحترمات يسمحن من تلقائهنّ لأزواجهنّ بالزواج من أخرى. كلما تدبرتم في هذه القضية صارت أكثر وضوحاً وجلاءً.

أما النصارى فلا يحقّ لهم الاعتراض على قضية التعدد، لأنّ الأنبياء والملمّمين المعترف بهم عندهم، بل إن أسلاف المسيح عليه السلام، قد تزوجوا من ٧٠٠ و ٣٠٠ امرأة. ولو قالوا أنهم كانوا فسّاقاً فجّاراً، فعليهم أن يخبرونا كيف يمكن أن يكون وحيهم وحيّاً من عند الله تعالى؟ يوجد في النصارى فرق لا تحيز مثل هذه الإساءات إلى أنبيائهم.

ثم إن الإنجيل لم يبين هذه المسألة صراحةً. الواقع أنّ قوة نساء لندن هي السبب وراء عدم السماح بالتعدد، ولكن بوسعكم أن تروا نتيجة ذلك بالنظر إلى مستوى قيمة العفة والتقوى في لندن وباريس! (الحكم، مجلد ٣، رقم ١، عدد ١٠/١٨٩٩م ص ٨)

المسيحيون يتخذون المسيح إلهًا، ومع ذلك كيف عاملوه بظلم؟ لقد فطنت إلى أمر جديد، وهو أن التاريخ يبين لنا أن يوسف الذي زُوِّجت منه مريم كان متزوجا من امرأة أخرى سلفًا. والجدير بالتأمل هنا أن فئة من اليهود اعتبروا ولادة المسيح ﷺ ولادة غير شرعية نتيجة تجاسرهم ووقاحتهم الشديدين، بينما ارتكبت فئة أخرى منهم ظلمًا على ظلم، إذ زوّجوا يوسف من بنت كانت راهبة ومنذورة في سبيل الله تعالى، وليس هذا فحسب بل زوّجوها وهي حامل، وكل ذلك خلافاً لشريعتهم، وهكذا هتكوا حرمة الشريعة الموسوية. كما طعنوا في ولادة المسيح ﷺ الطاهرة طعنًا لا نطق سماعة.

أما المسيحيون، فلا شك أنهم اعتبروا ولادة المسيح نتيجة روح القدس من حيث الاعتقاد، بل قالوا بأن الإله نفسه خرج من بطن مريم، ولكنهم باعتراضهم على تعدد الزوجات قد أثاروا على أولاد مريم اعتراض اليهود نفسه بشكل آخر، وبالتالي طعنوا في المسيح نفسه وإخوانه. الحق أن المسيحيين قد بحثوا عن حتفهم بظلفهم بالاعتراض على تعدد الزوجات. أما نحن فنعظم المسيح ﷺ جدا، ونؤمن بأنه نبي الله الصادق المختار، وأن ولادته بغير أب كانت تجليا لقدرة الله، وأن أمه مريم كانت صديقة. وإنها لمنتهى القرآن الكريم على مريم والمسيح عليهما السلام أنه قام بتطهيرهما، وكذلك إنها لمنتهى الإمام الموعود لهذا العصر أنه طهرهما من جديد. (الحكم، مجلده، رقم ٤١، عدد ١٠/١١/١٩٠١ م ص ٣)

مع أن المرأة لا ترضى بأن تكون لها ضرة، إلا أن أساس سماح الإسلام بالتعدد هو التقوى. فأحيانا لا يُرزق الإنسان الأولاد، مع أن فكرة بقاء النسل ظاهرة فطرية، لذا فلا عيب في الزواج الثاني. وفي بعض الأحيان تصاب الزوجة الأولى بمرض خطير وتكون أسباب كثيرة أخرى من هذا القبيل، فلو عُلِّمت النساء أحكام الله تعالى تعليما جيدا فإن المرأة بنفسها تسعى للزواج الثاني لزوجها عند الحاجة. (الحكم،

مجلده، رقم ٤٤، عدد ٣٠/١١/١٩٠١ م ص ٢)

هناك عادة سيئة في السيدات أيضا أنه إذا أراد زوجهن أن يتزوج ثانية لحكمة ما تسخط الزوجة الأولى وأقاربها بشدة ويشتمونه ويثيرون ضجة ويؤذون ذلك المسكين دون مبرر. فالسيدات مثلها وأقاربها هؤلاء أشرار وسيئون لأن الله تعالى لحكمته الكاملة المحتوية على مئات المصالح قد أذن للرجال أن يتزوجوا إلى أربع زوجات. فلماذا يُساء إذاً لمن ينكح بحسب أمر الله تعالى ورسوله؟ إن هؤلاء السيدات وأقاربهن أصحاب هذه العادة يقاومون أوامر الله ورسوله وهم مردودون وأخوات الشيطان وإخوانه لأنهم يُعرضون عما قاله الله والرسول ويريدون أن يحاربوا ربهم. وإذا كان في بيت مسلم طيب القلب امرأة مثلها فعليه أن يتزوج ثانية بالضرورة عقاباً لها. (مجموعة الإعلانات المجلد ١ ص ٨٦)

كذلك إن ردنا العادي على الاعتراض على التعدد هو أن عدد الزوجات في معظم الأقوام قبل الإسلام كان قد بلغ إلى المئات بل إلى الآلاف، والإسلام قلل من ظاهرة التعدد هذه ولم يزددها. بل الحق أن فضل رفض ظاهرة التحرر وإطلاق العنان في التعدد يعود إلى القرآن وحده. هل هؤلاء الأنبياء المقدسون من قوم بني إسرائيل الذين أوصلوا عدد الزوجات إلى مئة زوجة، وبعضهم إلى سبع مئة زوجة ظلوا يرتكبون الحرام إلى آخر عمرهم؟ وهل كان أولادهم الذين كان بعضهم صالحون بل أنبياء أيضاً يُعتبرون أولاد حرام؟ (مجموعة الإعلانات المجلد ١ ص ٣٣٥)

إن كون "واحدا لا شريك له" هي صفة الله تعالى ولكن السيدات أيضا لا يتحملن شريكتهن قط. يقول أحد الصلحاء بأنه كان في جواره شخص يعامل زوجته بالقسوة وذات مرة أراد أن يتزوج ثانية فتألمت الزوجة كثيرا وقالت لزوجها: لقد تحملت منك إيذاء كثيرا ولكن لا أستطيع أن أحتمل أن تشاركني بك زوجة أخرى. يقول الرجل الصالح بأن كلامها هذا أثر في نفسي كثيرا وودتُ أن أجد كلمة مماثلة في القرآن الكريم فوجدت آية: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ...﴾

(النساء: ١١٧). إنها قضية حساسة جدا في الظاهر. من الملحوظ أنه كما لا تتحمل غيرة الرجل أن تكون زوجته مشتركة بينه وبين غيره كذلك لا تريد غيرة المرأة أيضا أن يكون زوجها موزعا بينها وبين غيرها. ولكني أعرف جيدا أنه لا عيب في تعليم الله ولا يعارض خواص الفطرة. البحث الكامل في ذلك هو أن غيرة الرجل غيرة حقيقية وكاملة ولا علاج لانفكاكها فعلا، ولكن غيرة المرأة ليست كاملة بل هي مشتببه فيها وقابلة للزوال. والنكته التي بينها النبي ﷺ لأم سلمة رضي الله عنها بهذا الشأن ذات معرفة عظيمة لأنه عندما اعتذرت أم سلمة على طلب النبي ﷺ نكاحها قائلة بأن لديك أكثر من زوجة سلفا وقد تتزوج أخرى في المستقبل أيضا بينما أنا امرأة غيرة لا أستطيع احتمال ضرة، قال النبي ﷺ بأني سأدعو الله لك ليزيل غيرتك ويرزقك الصبر... إن المعاملة الحسنة مع الزوجة الحديثة ضرورة جدا لأنها مثل الضيف. لذا يجب أن تعاملها بحسن الأخلاق من الدرجة الأولى وتخالطها دون أدنى تكلف وتحبها وتدعو الله تعالى أن يخلق في قلبك بفضله ورحمته حبا وعشقا صافيا لأن كل هذه الأمور في يد الله. (مكتوبات أحمد المجلد ٢، ص ٨٢-٨٣، مكتوب إلى الخليفة الأول ﷺ)

لم يأمر الإسلام بالتعدد بل أذن حتى أربعة. وهذا لا يستلزم أن يتزوج المرء أربعة حتما، بل أراد القرآن الكريم أنه لما كانت احتياجات المرء مختلفة لذا قد سمح بالزواج من واحدة إلى أربعة. الذين يعترضون من عند أنفسهم ثم يدعون أنهم مسلمون أيضا لا أعرف كيف يستقيم إيمانهم؟ يعترضون على الإسلام ولا ينظرون كم من أمور يحتاج واضع القانون أن يضعها في الاعتبار عند سن القوانين. فإذا كانت زوجة أحد أصيبت بجذام أو الزهري أو عميت أو لم تعد قادرة على الإنجاب وغير ذلك من العوارض فما الذي يجب على مثل هذا الزوج فعله؟ هل يقتنع بها حصرا؟ وما هي التدابير عندهم في مثل هذه الظروف؟ وإذا

تورطت في الفواحش مثل الزنا وغيره فهل سوف تقبل غيرته أن يُبقيها زوجةً له، الله أعلم لماذا يتعمّون عند إثارة الاعتراض على الإسلام. لا أفهم ما قيمة دين لا يسد حاجات الإنسان؟ وما تقترح المسيحية في الظروف المذكورة آنفاً؟ إن عظمة القرآن الكريم تتحقق من أنه ما من حاجة بشرية إلا وقّدم لها قانوناً سلفاً. والآن بدأ التعدد والطلاق في إنجلترا أيضاً. فقد ورد الخبر عن أحد اللوردات أنه تزوج زوجاً ثانياً فعوقب، لكنه هاجر إلى أميركا.

تدبروا، هل تطراً على المرء حاجات تفرض عليه التعدد أم لا؟ فما دامت الحاجات موجودة ولا يوجد لها علاج فهذا عيب أرسل الله لإزالته الكتاب الأتم والأكمل؛ القرآن الكريم. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٨، عدد ٢٨٨/٢/١٩٠٣ م ص ١٥)

أما أنا فأحب أن يعدد أبناء جماعتي الزوجات ويكثروا عدد أفراد الجماعة بالتوالد لكن بشرط أن يحسنوا المعاملة مع الزوجة الأولى، لئلا تتألم وتتضايق، فالزوجة الأولى تكره الزوجة الثانية لأنها تظن أنه يحدث الفتور في الاهتمام والاعتناء بها وتأثر حقوقها، لكنه ينبغي أن لا يفعل ذلك أبناء جماعتي، صحيح أن النساء ينزعجن من هذا الأمر إلا أنني أصر على هذا التعليم بشرط أن يهتموا ويعتنوا بتأدية حقوق الزوجة الأولى أكثر من الثانية، وأن يسعوا لإرضائها أكثر من الثانية لئلا يتعرضوا للعذاب بدلا من الثواب. وقد مسّت المسيحيين هذه الحاجة إذ قد أثبت البعض حاجة التعدد بحيث قتل الزوجة الأولى بالسم ليتزوج أخرى، فالتعدد نهج غريب للتقوى، بشرط أن يكون هناك إنصاف، وأن لا يتهاون الزوج في الاعتناء بالأولى. (بدر مجلد ٣، رقم ٧، عدد ١٦٤/٢/١٩٠٤ م ص ١١)

قد نصحننا أبناء جماعتنا أن يعددوا الزيجات أيضا اجتنابا لسوء النظر والفواحش. إذا أرادوا التعدد اتقاءً ليلفعلوا، ولا يرتكبوا معصية الله، فالذي يدعي الإيمان بعد ارتكاب المعاصي فهو كاذب. (بدر مجلد ٣، رقم ٢، عدد ٨/١/١٩٠٤ م ص ١٤)

سأل أحد الإخوة الأحمديين حضرته عليه السلام: هل المراد من العدل عند التعدد أن يعامل الرجل - كحاكم عادل بحكم الآية: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ - المرأة كما تستحق بحسب رأيه أو له معنى آخر؟

فقال حضرته عليه السلام: يجب المساواة بين جميع الزوجات عمليا بغض النظر عن مقتضى الحب؛ أي يجب أن يعدل المرء في كل شيء مثل اللباس والطعام والعشرة حتى في الجماع. لو علم الإنسان كيفية أداء هذه الحقوق كما يجب لفضّل العيش عازبا دائما. والذي يعيش تحت تهديد الله تعالى هو الذي يمكن أن يدّعي أداء هذه الحقوق. إن حياة المراءة أفضل آلاف المرات من الملذات التي بسببها يبقى على الدوام سوط لله مسلّطاً على رأس الإنسان. إذا كنت أتحدث بحق التعدد فليس سببه إلا أن يجتنب الإنسان الوقوع في المعصية. والحق أن الشريعة قد أجازت ذلك كعلاج فقط بأنه إذا رأى الإنسان ميل نفسه إلى الشهوات وتسوء نظراته مرة بعد أخرى فليتزوج ثانية لاجتناب الزنا، ولكن يجب ألا يئلف حقوق الزوجة الأولى. ولقد ثبت من التوراة أيضا أن على المرء أن يواسي الزوجة الأولى أكثر، لأنها تكون قد قضت معظم فترة شبابها معه وتكون علاقتها وطيدة مع زوجها. يجب مراعاة الزوجة الأولى والإحسان إليها لدرجة أنه إذا شعر المرء بالحاجة إلى الزواج الثاني ولكنه يرى أن ذلك سيجلب للزوجة الأولى صدمة عنيفة ويكسر قلبها بشدة، فإن استطاع الصبر في هذه الحالة دون الوقوع في معصية ولا يؤدي ذلك إلى قتل ضرورة شرعية، ولو ضحى بحاجاته جبرا لخاطر زوجته الأولى واكتفى بواحدة، فلا حرج في ذلك، بل من المناسب له ألا يتزوج ثانية.

حين وصل الحديث إلى هذه النقطة قام أحد الحضور وقال: يبدو مما نُشر في جريدتي: "بدر" و"الحكم" عن التعدد كأنكم فرضتم علينا النكاح الثاني....

فقال عليه السلام: ما أعلمه من الله تعالى أذكره دون نقص أو زيادة. إن هدف القرآن الكريم من السماح بالتعدد هو أن تنالوا الأجر بضبط أنفسكم بالتقوى وتحقيق



أهداف أخرى كإنجاب الأولاد الصالحين وتفقد أحوال الأقارب وأداء حقوقهم. فمن منطلق أهدافكم الشخصية خُيّرتم بالزواج مثنى وثلاث ورباع، ولكن إن لم تعدلوا فهذا فسوق منكم، وستكسبون العذاب على ذلك بدلا من الثواب إذ فررت من إثم ووقعتم في إثم آخر. إن جرح القلوب إثم كبير، والعلاقة بالبنات تكون حساسة جدًا. يمكن أن تقدروا آمال الوالدين التي يعقدونها في قلوبهم حين يفصلون عنهم بناتهم ويسلموهم إلى الآخرين، ولا يستطيع المرء تقدير تلك الأمانى إلا بالتدبر في قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾. لو كانت معاشرة الرجل زوجته حسنة ثم احتاج إلى زوجة أخرى لضرورة مشروعة، فلن تسخط على زيجاته الأخرى. لقد رأيت في بيتي مرارا أن زوجتي تدعو باكية ليحقق الله نبوءتي عن زواجي الثاني. الحق أن السبب الأكبر لغضب الزوجة على الزواج الثاني للرجل هو اتباعه أهواء النفس، ولكنها لو علمت أن زوجها يريد زواجا آخر لأهداف سليمة ومن أجل التقوى فلن تغضب أبدا. إن منبع الفساد هو مخالفة التقوى.

لا يجوز استغلال قانون الله تعالى على عكس مشيئته، وألا يستغله حتى يصبح جنة للأهواء النفسانية فقط، اعلّموا أن هذا التصرف معصية، يقول الله تعالى مرارا وتكرارا ألا تغلبنكم الشهوات بل يجب أن تكون التقوى هي هدفكم في كل شيء. فلو عدّد أحدهم إشباعا للشهوات باتخاذ الشريعة جنة فماذا عسى أن تكون النتيجة إلا أن تعترض الأمم الأخرى وتقول بأن ليس للمسلمين شغل إلا الزواج. ليس الزنا وحده هو الذنب بل وقوع الشهوات في القلب بصورة بينة أيضا ذنب. يجب أن يكون نصيب التمتع الدنيوي ضئيلا جدا في حياة الإنسان لتكونوا مصداق: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ (التوبة: ٨٢). أما الذي يتمتع بالدنيا كثيرا وتشغله بالزواج ليل نهار متى ستكون الرقة والبكاء في نصيبه. إن غالبية الناس يفعلون كل شيء في متابعة فكرة معينة وبذلك يتعدون عن مشيئة الله

الحقيقية. لا شك أن الله تعالى قد أجاز بعض الأشياء ولكن ذلك لا يعني أن يقضي المرء حياته كلها عاكفا عليها. يقول الله تعالى في نعت عباده: ﴿يَتَّبِعُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ (الفرقان: ٦٥). فالجدير بالانتباه أن الذي تشغله الزوجات ليل نهار أنى له أن يقضي الليلة في العبادة كما يريد الله. إنه يتزوج النساء ليجعلهن شركاء مع الله. كان عند النبي ﷺ تسع زوجات ومع ذلك كان يقضي ليله كله في العبادة. ذات ليلة كان دوره ﷺ عند عائشة رضي الله عنها فاستيقظت بعد هزيع من الليل ولم تجد النبي ﷺ وظنت أنه ذهب إلى زوجة أخرى. فبحثت عنه في كل بيت ولم تجده حتى وجدته في المقبرة وهو ساجد يتضرع إلى الله تعالى. انظروا الآن كيف ترك ﷺ زوجته الحبيبة الحية وذهب إلى المقابر مكان الأموات وظل يبكي ويبتهل أمام الله تعالى. فهل يمكن أن تكون زيجاته إشباعا للغلظة أو اتباعا للشهوات؟

باختصار، يجب أن تتذكروا جيدا أن الله تعالى يريد ألا تغلبكم الشهوات، بل إذا واجهتم ضرورة حقيقية لإكمال التقوى، فعندها يمكن أن تتزوجوا ثانية. فيما يتعلق بتمتع النبي ﷺ من الدنيا فيمكن الاطلاع عليه من رواية جاء فيها أن عمر ﷺ ذهب ذات مرة لزيارته وأرسل طفلا يستأذنه للدخول. كان النبي ﷺ مستلقيا على حصير من سعف النخيل فلما دخل عليه عمر نهض وجلس. فحين رأى عمر ﷺ البيت خاليا من كل شيء؛ ولم ير فيه من أسباب الزينة غير سيفٍ معلقٍ على جدار وحصيرٍ كان ﷺ مستلقيا عليه وارتسمت آثاره على ظهره المبارك، بكى لهذا المشهد فلما سأله النبي ﷺ: ما يبكيك يا عمر؟ قال: إن قيصر وكسرى يملكان أسباب الرفاهية والتنعم كلها وأنت في هذه الحالة مع أنك رسول الله ومليك العالمين! فقال ﷺ: ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب يركب جملة ويسافر إلى غايته في الصحراء في الحر الشديد، ويستظل تحت شجرة لشدة الحر وعندما يحف عرقه قليلا يتابع سفره. إن جميع الأنبياء والرسل الذين خلوا كلهم آثروا الآخرة دائما.

فليكن معلوماً أن الذي يتزوج أكثر من زوجة لإشباع الشهوات فهو بعيد عن مغزى الإسلام. كل يوم يطلع عليه وكل ليلة تحل به إن لم يقضهما في المرات، ويكي قليلاً أو لا يكي أصلاً ويضحك كثيراً فاعلموا أنه عرضة للهلاك. إذا استوفى المرء لذاته بالحلال فلا ضير في ذلك، ومثله كمثل الذي يركب بغلة ويعلفها في الطريق لتبقى قوية وتوصله إلى غايته المتوخاة. وكما جعل الله تعالى حقوقاً للجميع كذلك جعل للنفس أيضاً حقاً حتى تتمكن من عبادة الله.

الناس يحصرون الذنب في السرقة والزنا وغيرهما فقط ولا يدرون أن الانشغال في استيفاء الملذات أيضاً ذنب. إذا كان أحدهم يقضي معظم أوقاته في الترف والرفاهية وأحياناً ينقر بضع نقرات أيضاً (أي يصلي) فهو يعيش حياة النمرد. لقد قال الله تعالى بالنظر إلى مجاهدات النبي ﷺ وتحمله المشقة: إن هذه المجاهدات ستقضي عليك، مع أننا أحللنا لك الزوجات أيضاً. لقد قال الله له ذلك على غرار أمّ محمد طفلها مستغرقاً في الدراسة أو في عمل آخر فتسمح له باللعب حفاظاً على صحته. كان خطاب الله تعالى من هذا المنطلق لكي يستعيد النبي ﷺ نشاطه من جديد ويعود إلى خدمة الدين، وليس المراد من ذلك قط أن يميل إلى الشهوات. المعترضون الجاهلاء ينظرون إلى جانب واحد ويغضون الطرف عن الجانب الآخر. لم يتدبر القساوسة قط في أي شيء كان النبي ﷺ يرغب في الحقيقة وأية أفكار كانت تشغل باله ليل نهار؟ إن كثيراً من المشايخ وعامة الناس يجهلون هذه الأمور الدقيقة. وإذا قيل لهم إنكم تتبعون الشهوات قالوا: هل نرتكب حراماً؟ إنما نفعل بعد أن سمحت لنا الشريعة به. ولكنهم لا يدرون أن استخدام الحلال أيضاً في غير محله يجعله حراماً. يتبين من: ﴿مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أن الإنسان خُلق للعبادة فقط. فإذا أخذ نصيباً أكبر من المفروض لإحقاق هدفه فيصبح حراماً عليه لكونه عبثاً وإن كان حلالاً في الأصل. فالذي ينغمس في الملذات النفسانية ليل نهار أتى له أن

يؤدي حق العبادة؟ من الضروري للمؤمن أن يعيش عيشًا مُرًّا. ولو قضى حياته في الملذات والرفاهية لما حاز عشر معشار تلك الحياة. أقصد من كلامي هذا أنه يجب على الإنسان أن يُراعي كلا الجانبين دون التركيز على جانب الملذات ضاربا بالتقوى غرض الحائط. الأمور والأعمال التي أباحها الإسلام ليس الهدف منها قط أن يستغرق المرء فيها ليل نهار، بل المراد منها أن يستفيد منها بقدر الضرورة بحسب مقتضى الحال.

في هذا المقام قال الشخص نفسه: يُستنبط من ذلك أن التعدد هو كدواء وليس كغذاء.

فقال عليه السلام: نعم. قال ذلك الشخص: لقد نشر أصحاب هاتين الجريدتين أن على الأحمديين أن يتزوجوا أكثر من واحدة ليزدادوا عددًا. فقال عليه السلام: لقد جاء في الحديث: أكثروا الأولاد بالتعدد لكي تكبر الأمة. الأصل في الموضوع: "إنما الأعمال بالنيات"، أي أن بناء كل عمل للإنسان على نيته. لا نستطيع أن نشق قلب أحد لنطلع على ما فيه. فإذا كان أحد لا ينوي بالتعدد أن يستغرق في ملذات النساء بل يودّ أن يُتجب خدام الدين فما الضير في ذلك؟ لكن ذلك أيضا مشروط بالشروط المذكورة آنفا. فمثلا إذا كان لأحد أربع زوجات وأنجب من كل واحدة ولدا كل عام فسينجب ١٦ ولدا في غضون أربع سنوات. ولكن المشكلة أن الناس يهملون الجانب الثاني ويريدون التركيز على جانب واحد مع أن هذا لا يليق بنا قط. لقد ذُكرت التقوى في شتى آيات القرآن الكريم ولكن كلما ذكرت الزوجات ذُكرت التقوى أيضا حتما. إن أداء الحقوق ضروري جدا لذلك أوصي بالعدل. إذا كان أحد يظن أنه لا يستطيع أداء الحقوق أو يرى أن قوة الفحولة عنده ضعيفة أو يخشى الإصابة بمرض، فعليه ألا يلقي نفسه في العذاب متعمدا. إذا كانت التقوى، أي الحاجة الشرعية في محلها، فالزوجة الأولى تقترح بنفسها أن يتزوج زوجها امرأة أخرى.

إن نصيحتي الأخيرة هي ألا تجعلوا الإسلام ذريعة لإشباع أهوائكم النفسانية، يجب ألا يكون تصرف المرء إذا رأى امرأة جميلة اليوم تزوجها ثم رأى غدا امرأة جميلة أخرى تزوجها أيضا؛ لأن هذا يعني أنه يُحِلُّ النساء محلَّ الله ونسي الله تماما. الدين يريد أن يبقى قلب المرء مجروحاً نوعاً ما حتى يذكر الله دائماً وإلا هناك خطر لسلب الإيمان. لو كان الصحابة مزواجين ومستغرقين في النساء لما تقدّموا لقطع أعناقهم في الحروب. مع أن حالتهم كانت لدرجة أن بُترت إصبع أحدهم فقال وهو يخاطبها ما مفاده: إن أنت إلا إصبع، وإذا بُترت فلا بأس. أما الذي يبقى مستغرقاً في الملذات ليل نهار أنى له أن يكون له قلبٌ شجاع مثله؟ كان النبي ﷺ يبكي في الصلاة ويطيل القيام فيها حتى تتورم قدماه. قال الصحابة: لماذا تتحمل هذه المشقة والبكاء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: "أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟" (بدر مجلد ٣، رقم ٢٦، عدد ٨/٧/١٩٠٤ م ص ٢-٣)

كان الحديث عن تعدد الزيجات، فقال حضرته عليه السلام: لقد أجازته الشريعة الحقة للضرورة، فإذا كانت زوجة إنسان نبيل لا تستطيع الإنجاب، فلماذا يبقى دون أولاد ويجعل نفسه عقيماً، فمعلوم أن المرء يحافظ على نسل الحصان الأصيل أيضاً، فلماذا يضاع نسل إنسان؟ إن القساوسة يصفون الزواج الثاني بالزنا، فماذا يقولون بحق الأنبياء السابقين؟ حيث يقال إن سليمان عليه السلام تزوج مئآت النساء، وكذلك داود عليه السلام. إذا كانت النية صحيحة، وكان الزواج من أجل التقوى فليس من المعصية الزواج حتى من عشرين امرأة، فإذا كان الزواج بأكثر من واحدة زناً بحسب رأي النصراني والعياذ بالله، فقد وُلد إلههم من نسل داود عليه السلام، إذن فهذه الوصفة رائعة ومباركة جداً! (بدر مجلد ٨، رقم ٧-٩، عدد ٢٤-٣١/١٢/١٩٠٨ م ص ٣)

﴿أوما ملكت أيمانكم﴾ أما مضاجعة نساء الكفار وجواربهم اللواتي أُسرن في الحرب، فهو أمر لو اطلع أحد على حقيقته لما جعلها محل اعتراض قط.

والحق أن الأشرار وذوي الطباع الخبيثة في صدر الإسلام كانوا يؤذون المسلمين أصناف الإيذاء دون مبرر نتيجة معاداتهم الإسلام. فمثلا إذا قتلوا مسلما مثلوا بجهته في أغلب الأحيان، وكانوا يقتلون الأولاد الصغار دون هوادة. وإذا وقعت في أيديهم امرأة مسكين مظلوم أسروها، وأدخلوها في نطاق نسائهم (ولكن كأمة)، ولم يدخروا جهدا في الظلم. ظل المسلمون يتلقون إلى مدة طويلة أمرا من الله تعالى أن يصبروا على إيذائهم. ولكن عندما تجاوز الظلم كل الحدود، أذن الله للمسلمين بقتالهم وأن يعتدوا عليهم بمثل ما اعتدوا عليهم لا أكثر من ذلك. ومع ذلك منع من المثلة، وقال بالألا تجددوا أذن المقتول ولا أنفه ولا أطرافه وهلم جرا، غير أنه يسمح لكم بالانتقام على الإهانة التي كانوا يجيزونها على المسلمين. فبناء على ذلك راجت بين المسلمين عادة اقتناء نساء الكفار كالإماء في البيوت ومعاملتهن كزوجات، لأنه كان بعيدا عن العدل أن يأسر الكفار سيدة مسلمة ويعاملوها كأمة وزوجة وعندما يأسر المسلمون نساءهم أو فتياتهم أن يعاملوهن كأخواتهم أو أمهاتهم. إن الله حلیم دون أدنى شك ولكنه أكثر غيرة أيضا من الجميع. إن غيـرته هي التي تسببت في الطوفان في زمن نوح، وغيـرته هي التي أغرقت في النهر فرعون وجيشه كله في نهاية المطاف. وإن غيـرته هي التي قلبت الأرض على قوم لوط. وإن غيـرته هي التي تُحدث الآن أيضا زلازل مهيبه هنا وهناك وتُهلك مئات آلاف الناس بالطاعون. وغيـرته هي التي خلقت في نهاية المطاف سكيـنا غيبية من الحديد مثل سكين لسان ليكهـرام الذي لم يرتدع عن بذاءة اللسان بأي حال وقتله ﷺ في عزّ شبابه وانتزعه من قومه بألم شديد ولم يقدر أحد على إنقاذه وحقق وَعْدُك فيه نبوءته. فكَذلك حين لم يتوقف خبثاء الطوية من العرب عن الإيذاء وشرعوا في مهاجمة النساء أيضا بكل وقاحة وتحاسر كالفساق سنّ الله تعالى لتنبههم قانونا بأن تُعامل نساؤهم

أيضا المعاملة نفسها إذا أُسرن في الحروب. فهذا ليس محل اعتراض كما يقول المثل الفارسي: لا مجال للشكوى في مكافأة العمل. كذلك هناك مثل آخر: كما تدين تُدان. أما الأمر الثاني فهو ظلم كبير وديوثية ووقاحة كبيرة أن يُكره المرء زوجته على الزنا لتُنجب الابن فقط. إنه سبيل نجاسة ومثال سيئ لن تجدوا نظيره ولو بحثتم عنه في العالم كله. وإضافة إلى ذلك لا يقول الإسلام أن يُجعل الكفار عبيدا وإماءً، بل جاء في القرآن الكريم على تحرير العبيد تأكيد شديد لا يمكن أن يُتصور المزيد عليه. باختصار، الكفار هم الذين بدأوا باتخاذ العبيد والإماء، ثم صدر هذا الأمر في الإسلام عقوبةً لهم، ومع ذلك يحث على تحريرهم (ينبوع المعرفة الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٥٢-٢٥٣)

ليكن معلوما أن حقيقة النكاح هي الحصول على موافقة المرأة ووليها وموافقة الرجل أيضا. ولكن لما فقدت المرأة حقوق حريتها ولم تعد حرة بل هي من المحاربين الظالمين الذين ظلموا المسلمين رجالا ونساء بغير حق، فإذا أُسرت امرأة مثلها وجُعِلت أمة مغبة لجرائم أقاربها سُلِبَت منها حقوق حريتها كلها. فهي الآن أمة مملوكٍ منتصر ولا حاجة إلى موافقتها لإدخالها في حظيرة الحریم. بل القبض عليها بعد الانتصار على أقاربها المحاربين إنما هو موافقتها. والحكم نفسه موجود في التوراة أيضا غير أنه قد ورد في القرآن الكريم: ﴿فَكُ رَقَبَةً﴾ (البلد: ١٤) أي أن تحرير أمة وعبدٍ عمل ثواب عظيم. فقد رَغِبَ عامة المسلمين في أنهم لو حرّروا هؤلاء الإماء والعبيد لأَجَرُوا أجرا عظيما عند الله. مع أن لملك مسلم حقا ليجعل مثل هؤلاء الناس الأشرار والخبثاء عبيدا وإماء بعد الانتصار عليهم، ولكن مع ذلك أحبَّ الله تعالى البرَّ مقابل السيئة. من دواعي السعادة الكبيرة أن الذين يُدْعَوْنَ كفارا مقابل المسلمين في العصر الراهن تركوا هذا الطريق للظلم والتعدي، فلا يجوز الآن للمسلمين أن يجعلوا أسراهم أيضا عبيدا أو إماء لأن الله ﷻ يقول في القرآن الكريم بأن عليكم

ألا تعتدوا على المحاربين إلا بمثل ما اعتدوا عليكم وسبقوكم فيه. أما الآن حين لم يعد الأمر على هذا المنوال ولا يعتدي الكفار على المسلمين في الحروب ولا يجعلون رجالهم ونساءهم إماءً وعبداً بل يُعَدُّون أسرى المَلِك فلا يجوز للمسلمين أيضاً أن يفعلوا ذلك، بل هو حرام عليهم. (ينبوع المعرفة الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٥٣، الحاشية)

الآية ٥- ٧: ﴿وَاتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا \* وَلَا تُوْثُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا \* وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَغْفِرْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾

أي أنه إذا كان بينكم صاحب مال ضعيف العقل، كأَنْ يكون يتيماً لم يبلغ سن الرشد، وخشيتُمْ أَنْ يضيع ماله بسفاهته.. فعليكم - كأمناء على أموالهم - ألا تضعوا في أيدي مثل هؤلاء الحمقى كل رأس المال الذي هو قوام المعيشة ومدار التجارة، وأعطوهم منه بقدر ما يحتاجون إليه للطعام والكسوة، وقولوا لهم قولاً معروفاً مما يُنمي عقولهم وشعورهم ويربيهم بما يلائم أحوالهم حتى لا يبقوا جاهلين عديمي الخبرة. فمن كان منهم ابن تاجر مثلاً فعلموه طرق التجارة، ومن كان أهله أصحاب صناعة فدربوه على ما يناسب هذه الصناعة، ولا تدعوهم هكذا بل قوموا باختبارهم وامتحانهم بما علمتموهم من حين لآخر. حتى إذا ما أدركوا سن البلوغ - وهو العام الثامن عشر من عمرهم تقريباً - وشعرتم أنهم أصبحوا أهلاً لتدبير أموالهم - بالعقل والحزم فادفعوا إليهم أموالهم. ولا تنفقوا أموالهم بالإسراف، ولا تضيعوها



خوفا من أنهم يكبرون فيستردوها. ومن كان غنيا فلا ينبغي له أن يأخذ أجراً على كفالته. أما إذا كان الكفيل فقيراً فليأخذ من أموالهم بحسب المعروف. كان من عادة العرب يومئذ أن الكفلاء إن ابتغوا شيئاً من أموال الأيتام حاولوا قدر الإمكان أن يأخذوا لأنفسهم قسطاً مما ربحته تجارة تلك الأموال، وألا يستهلكوا رأس المال بتاتا. ويشير الله هنا إلى نفس هذه العادة ويأمر باتباعها. ثم قال: فإذا دفعتم إليهم أموالهم فافعلوا ذلك بمحضر من الشهود. (فلسفة تعاليم الإسلام الخزانة الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٤٦-٣٤٧)

الآية ٨- ١٠: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا \* وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا \* وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾

.... وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ... أي إن جاء هؤلاء المذكورون الذين ليس لهم نصيب في التركة فاعطوهم أيضاً شيئاً من المال وعاملوهم بالرفق واللطف ولا تردوا عليهم بالقسوة. وليخش الورثة أنهم لو ماتوا تاركين وراءهم أولاداً صغاراً كم كانوا سيترحمون على حالهم! وكم كانوا سيُملأون خوفاً نظراً إلى حالة ضعفهم! لذا عليهم أن يتقوا الله في القسوة مع الأولاد الضعفاء، وليقولوا لهم قولاً سديداً، أي لا يظلموهم ولا يُتلفوا حقوقهم. (ينبوع المعرفة الخزانة الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢١٢)

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ ومن حضره الموت وكان له أولاد ضعاف غير بالغين فلا يحق له أن يوصي بما يحجب بحقوقهم. (فلسفة تعاليم الإسلام الخزانة الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٤٧)

الآية ١١: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ  
نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾

فانظروا كم من آداب الأمانة بينها الله تعالى ههنا! فالأمانة الحقيقية هي تلك  
التي تستوفي جميع هذه الشروط.. وإلا فإن الأمانة التي لا تُراعى فيها جميع هذه  
الشروط بحذر تام، لا بُد من أن تتسرب إليها أنواع الخيانات الخفية. (فلسفة تعاليم  
الإسلام الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٤٧)

الآية ١٢-١٣: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ<sup>١</sup>  
فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا  
النَّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ  
لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ  
السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ  
أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا \*  
وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَرْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ  
فَلَكُمْ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ  
مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا  
تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كَلَالَةً  
أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ  
ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ  
وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾

<sup>١</sup> وذلك لأن البنت تنال نصيبا عند أصهارها أيضا، فتنال نصيبا من بيت الوالدين وتنال نصيبا  
في بيت الأصهار وبذلك يصبح نصيبها مثل الذكر تماما. منه.

....وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَلِيمٌ: أي أن الله تعالى يأمركم بذلك لأنه عليم ولا يخرج شيء عن علمه. وهو حليم لذا لا يُسرع في معاقبة العاصي على علمه، فهو بطيء في العقاب. فلو لم يلق أحد عقابا على ظلمه وخيانتة فلا يزعمَنَّ أن الله لا يعرف جريرته بل عليه أن يفهم بأن سبب هذا التأخير هو أمر الله وهو يعاقب الشرير حتما أخيرا بعقاب يستحقه.

ہاں مشومغرو بر علم خدا دیر گیر دستگیر دمر تُرا

أي: لا تتجاسر نظرا إلى حلم الله فإنه بطيء في البطش ولكن بطشه شديد. يتبين من كل هذه الآيات (من ٨ إلى ١٢) بوضوح تام كيف أكد القرآن الكريم على حقوق الوالدين، وكذلك ذكر حقوق الأولاد بل حقوق جميع الأقارب، ولم ينس حقوق المساكين والأيتام، بل جعل في أموال الناس حقوقا حتى للحيوانات التي هي تحت تصرفهم. (ينبوع المعرفة، الخزانة الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢١٢-٢١٤) طُرح سؤال: لماذا يُحرم الحفيد من الإرث في حال وجود أبناء المتوفى؟

فقال حضرته ﷺ في الجواب: لجد خيار في أن يعطي حفيده ما يشاء عند الوصية، وقد جُعل الأبناء ورثة بعد أبيهم لكي يبقى الترتيب قائما. ولو لم يكن الأمر كذلك لما سلم الترتيب قط وللزم أن يرث ابنُ الحفيد أيضا وإذا كان له أولاد فيرثوا أيضا! وما ذنب الجد في هذه الحالة؟ هذا قانون الله تعالى ولا ضير فيه قط. وإلا نحن كلنا أولاد آدم والسلطين كلهم أيضا أولاد آدم، فعلينا أن نطلب نصيبنا من سلطنتهم جميعا. ولأن الضعف نوعا ما يتطرق إلى العلاقات بعد الابن حين يصل الأمر إلى الحفيد ثم تبقى العلاقات رمزية فقط بعد وصولها إلى جيل معين، وكان في علم الله سلفا أن نوعا من الضعف يتطرق إلى الأجيال والعلاقات؛ لذا وضع هذا القانون. ولكن الله تعالى سنّ قانونا آخر لهذا النوع من الرحمة والمعاملة الحسنة كما يقول في القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ

وَالْمَسَاكِينَ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ فالحفيد الذي مات أبوه أحق بهذه الرحمة لكونه يتيما. صحيح أن هناك آخرين أيضا يدخلون في تعريف اليتيم، ولم يحدد لهم نصيب خاص، ولم يضيّع الله تعالى حق أحد، ولكن كلما تضعف علاقة القرابة يقلّ الحق. (بدر مجلد ١، رقم ١٠، عدد ١٩٠٣/١/٢ م ص ٧٦)

الآية ١٥: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾

لاحظوا الآن، أي وعيد أكبر - نتيجة لقطع العلاقة مع الرسول - من قول الله أَنَّ مَنْ عَصَى الرَسُولَ فَلَهُ جَهَنَّمُ الْأَبَدِيَّةُ. أمّا "ميان عبد الحكيم" فيقول بأن الذي يكذب النبي الكريم ويعصيه فسيدخل الجنة دون شك، إذا كان ثابتا على التوحيد. لا أدري أي نوع لديه من التوحيد الذي يستطيع أن يوصل صاحبه إلى الجنة مع معارضته وعصيانه النبي ﷺ الذي هو منبع التوحيد. (حقيقة الوحي الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٢٩-١٣٠)

الآية ٢٠: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

الحقيقة أن النكاح معاهدة بين الرجل والمرأة، فاسعوا لئلا تكونوا في معاهدتكم من المخادعين. قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، وورد في الحديث: "خيركم خيركم لأهله"، أي أن أفضلكم من هو أفضلكم في معاشرته زوجته. فاصنعوا إلى زوجاتكم المعروف روحانياً ومادياً، وادعوا لهن دائماً، واجتنبوا الطلاق، لأنه شقي جداً عند الله مَنْ يتسرع في الطلاق. إن ما وصله الله، فلا تستعجلوا في كسره كما يكسر الإناء النجس. (ملحق التحفة الغورية، الخزان الروحانية،

المجلد ١٧، ص ٧٥، الحاشية) (الأربعين رقم ٣، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٣٨، الحاشية)

وورد في القرآن الكريم أنه لو أعطى الرجل امرأته جبلا من الذهب إحسانا ولطفا فلا يأخذه عند الطلاق. فيتبين من ذلك مدى التقدير الذي تحظى به المرأة في الإسلام. فقد جعل الرجل كخادم للمرأة. وعلى أية حال، فقد أمر الرجال في القرآن الكريم: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾. أي يجب أن تعاملوا زوجاتكم معاملة حسنة حتى يُدرك كل عاقل أنكم تعاملوهن باللطف والإحسان. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٨٨)

ينبغي أن تتحملوا من النساء كل نوع من سوء الخلق والإساءة ما عدا الفحشاء. وقال أيضا: أرى أنه لما يتنافى مع المروءة تماما أن نتقاتل مع النساء مع أننا رجال. لقد جعلنا الله تعالى رجالا، وهذا إتمام النعمة علينا في الواقع، والسبيل للشكر عليه أن نعاشر النساء بلطف ورفق... وذات مرة جرى الحديث عن أخ بأنه فظٌّ وبذيءُ اللسان، ويعامل زوجته بقسوة. فاستاء المسيح الموعود عليه السلام من ذلك جدا، وقال: يجب ألا يكون أحبابنا هكذا. ثم ظل عليه السلام يتحدث عن حسن معاشرة النساء وقتا طويلا، وقال في النهاية: أما أنا فرفعتُ مرة صوتي على زوجتي، وكنتُ أحسُّ أن صوتي المرتفع هذا مشوب بمرارة القلب، مع أنه ما كان في كلامي أي كلمة قاسية وجارحة. فلم أبرح أستغفر الله لمدة طويلة، وصليت النوافل بمنتهى الخشوع والخضوع، وأخرجت الصدقة؛ إيمانا مني بأن هذه القسوة مع الزوجة نتيجة لمعصية خفيفة لي. (الحكم، المجلد ٤، رقم ٢، عدد ١٧/١/١٩٠٠م ص ٣-٤)

قال هادينا الكامل رسول الله ﷺ: "خيركم خيركم لأهله" أي أن أفضلكم من يحسن معاملة زوجته. فكيف يمكن أن يُعدَّ صالحا من لا يحسن معاملة زوجته ومعاشرتها. إنما يمكن أن يحسن المرء إلى الآخرين إذا كان يحسن معاملة زوجته

وعشرتها، وليس أن يضربها لأتفه الأمور. نسمع أحيانا عن حالات بأن شخصا تآثر الغضب سخط على امرأته لسبب تافه جدا وضربها، فأصابت الضربة في جزء حساس من جسدها، فماتت. ومن أجل ذلك قال الله تعالى في حقهن: ﴿عَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ غير أنها إن ارتكبت عملاً غير لائق فلا بد من تنبيهها. من واجب المرء أن يرسخ في قلب المرأة أنه لن يرضى بأي عمل منافٍ للدين والشرعية أبداً، كما أنه ليس قاسياً جبّاراً بحيث لا يستطيع التغاضي عن أي خطأ. (الحكم، مجلد ٤، رقم ٤٦، عدد ٢٤٢/١٢/١٩٠٠م، ص ٢)

لقد أخطأ الناس كثيرا في معاملة الزوجات والأولاد وانحرفوا عن الجادة المستقيمة. قد ورد في القرآن الكريم: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء: ٢٠)، ولكن الناس في الزمن الحالي يعملون عكس ذلك. والناس بهذا الشأن قسمان: قسم تركوا النساء خليعات الرسن تماما، فلا يوجد فيهن أي أثر للدين، ويتصرفن علناً تصرفات منافية للإسلام ولا أحد يبالي بذلك. وقسم آخر ممن لم يتركوا النساء خليعات الرسن، ولكنهم يعاملوهن بقسوة، ويفرضون عليهن قيودا لا يمكن معها التفريق بينهن وبين الدواب، بل يعاملوهن أسوأ مما يعامل به الإمام والبهائم أيضا. يضربوهن بدون هوادة وبلا رحمة ولا يتذكرون أن المرأة نفس منفوسة. باختصار يعاملوهن معاملة قاسية وسيئة جدا، حتى يشبهون المرأة بالنعل عندنا في البنجاب حيث يلبسه المرء ما شاء أن يلبسه، ويخلعه ويلبس غيره متى شاء. إنه تصرف خطير جدا ومنافٍ لشعائر الإسلام. كان النبي ﷺ أسوة كاملة لنا في كافة مجالات الحياة، فانظروا إلى حياته لتعرفوا كيف كان يعاشر زوجاته. الذي يهبّ لخصام المرأة جبان وشقي عندي. ادرسوا حياة النبي ﷺ لتعلموا كم كان دمث الأخلاق. كان ذا هيبة عظيمة، ومع ذلك لو أوقفته امرأة ضعيفة توقّف إلى أن تسمح له بالانصراف....

مرة تسابق النبي ﷺ مع عائشة رضي الله عنها وسبقها، وفي المرة التالية هذاً من سرعته لكي تسبقه عائشة، فسبقته.

وورد أنه جاء النبي ﷺ ذات مرة بعض الأحباش الذين كانوا يقومون ببعض الألعاب، فجعل النبي ﷺ عائشة تتفرج على ألعابهم، حتى جاء عمر رضي الله عنه، فلما رآه الأحباش انصرفوا. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٣، عدد ١٠٤/٤/١٩٠٣ م ص ٢)

الشريعة تأمر: ﴿عَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ يجب الدعاء في الصلاة لإصلاح النساء وتقواهن. ينبغي ألا يتعامل المرء معهن كالجزار لأنه لا يحدث شيء ما لم يشأ الله. بعض الناس يعترضون علي أيضاً بأني أخرج للنزهة مع زوجتي. والحقيقة أن زوجتي مصابة بمرض علاجه المشي والنزهة وحين تسوء حالتها أكثر أقول لها تعالي أخرج معك في جولة، وذلك لئلا أرتكب معصية، وترافقها النساء الأخريات أيضاً. (بدر، المجلد ٢، رقم ٨، عدد ١٣/٣/١٩٠٣ م ص ٥٧)

لا ينهى الله ﷻ الإنسان عن العمل في الدنيا، لكن يجب أن لا يكون ذلك من أجل الدنيا، بل ينبغي أن يعمل من أجل الدين فهو مدعاة للبركة. فمثلاً يقول الله نفسه أن أحسنوا إلى الزوجات، كما ورد ﴿عَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ لكنه إذا كان الإنسان يحسن إليهن بناء على أهدافه وغاياته الشخصية، فهو عبث. أما إذا كانت معاشرته نفسه عملاً بأوامر الله ﷻ فيكسب البركات. ... إن غاية المؤمن من كل رفاهية وراحة وقول وفعل وحركة وسكون هي العبادة في الحقيقة، حتى لو وقع الاعتراض عليه في الظاهر. فالأمور الكثيرة يحسبها الجاهل محل اعتراض، لكنها تعد في نظر الله من العبادة، أما إذا لم تكن وراءها نية الإخلاص فتصبح لعنة حتى لو كانت صلاة.... وكذلك يترتب الثواب على العمل بأمر الله ﷻ ﴿عَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٨، عدد ١٠٤/٣/١٩٠٣ م ص ٩)

إن لم يعمل المرء بـ ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بحق زوجته فتكون كأسير لا يهتم به أحد. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٨، عدد ١٠٣/١٠٤ م ١٩٠٤ ص ٦)

كتب سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في رسالة إلى السيد سيد خصلت علي شاه رحمته الله: إنه لما يؤذيني أني سمعت من بعض أصدقائك الذين هم على علاقة الحب والإخلاص معك ويحسنون الظن بك بأنك تمارس بعض الشدة والقسوة في أمور العشرة مع الزوجات والأهل أي لا تراعي الاعتدال في الغيظ والغضب أحيانا. ولقد تعجبتُ لهذه الشكوى أيما تعجب لأن أصحابها معترفون أولا بكافة صفاتك الحميدة ويحبونك من الأعماق. وثانيا أن القسامة الأزلي عليه السلام قد أعطى الرجال سلطة نوعا ما على النساء فهم يريدون أن يمارسوا سلطتهم في أبسط الأمور بُغية التأديب أو بمقتضى غيرتهم. ولكن ما دام الله قد أوصى ورسوله عليه السلام بحسن المعاشرة والحلم والجُلْد الكثير مع الزوجة لذا رأيت من الضروري أن أطلع شخصا رشيدا وسعيدا مثلك على ذلك التأكيد. يقول الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، أي ينبغي أن تحسنوا إلى زوجاتكم وتعاشروهن معاشرة لا تشوبها شائبة تنافي الأخلاق المعروفة، ولا تكون فيها حالة من التوحش، بل اعتبروهن رفيقات القلب في هذه الدار الفانية وعاشروهن بالإحسان. يقول النبي عليه السلام "خيركم خيركم لأهله". ولقد جاء التأكيد على حسن العشرة بشدة بحيث لا أستطيع بيانه في الرسالة.

فيا عزيزي، إن زوجة المرء ضعيفة ومسكينة، إذ يسلّمها الله تعالى إليه ويرى كيف يعاملها كل إنسان. يجب أن يمارس الإنسان الليونة ويضع في الحسبان دائما أن زوجته ضيفة عزيزة سلّمها الله تعالى إليه وهو يرى كيف يؤدّي المرء شروط الضيافة. وليفكر أيضا بأني عبد من عباد الله وكذلك هي فما وجه الأفضلية لي عليها. يجب ألا يكون المرء سفاكا بل ينبغي أن يرحم زوجته ويعلمها الدين. إنني أعتقد أن زوجة المرء تهيئ أول فرصة لامتحان أخلاقه. كلما صدرت مني شدة تجاه زوجتي مهما



كانت بسيطة يرتعب جسدي خوفا من أن الله تعالى سلّم إلي شخصا من مسافة مئات الفراسخ ولعل من المعصية صدور هذا التصرف مني. عندها ألتمس منها أن تدعو لي في الصلاة أن يعفو الله عني إذا كان هذا الأمر ينافي مرضاته ﷻ. وأخشى كثيرا وأدعو كثيرا ألا يصدر مني سلوك ينم عن الظلم. فأمل أنك أيضا ستصرف على المنوال نفسه. كم كان سيدنا ومولانا ﷺ يمارس الحلم مع زوجاته! ماذا أقول أكثر من ذلك! (الحكم، مجلد ٩، رقم ١٣، عدد ١٧٥/٤/١٩٠٥ م ص ٦)

الآية ٢٣: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾

"ما قد سلف": ما قد سلف: أي أن الخطأ الذي صدر في زمن الجاهلية فهو معفو عنه. ثم يقول تعالى: إن نكاح امرأة نكحها والدكم فاحشة كبيرة ومقتا وساء سبيلًا. (ينبوع المعرفة، الخزانة الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٥٠)

الآية ٢٤: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

كان العرب يومئذ قد تدنوا إلى أحط درجات الهمجية. لم يُعَدّ لديهم أي نظام يعلمهم القيم الإنسانية. وكانت المعاصي مفاخر عندهم يتباهون بها. كان الواحد منهم يحتفظ بمئات الزوجات. وكان أكل الحرام عندهم سائغا كصيد يصطادونه، وكانوا يستبيحون نكاح الأمهات، ولأجل ذلك جاء تحريمهن في القرآن بقوله:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٢٨-٣٢٩)

ليكن معلوما الآن أن الله ﷻ كان قد أمر في القرآن الكريم سلفاً أنه قد حرمت عليكم زوجات آبائكم الذين من أصلابكم كما ورد في الآية: ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾. فلما كان هذا القانون نفسه قد صدر في تعليم القرآن الكريم سلفاً وظهرت قصة زينب هذه بعد مدة، فيمكن أن يفهم كل واحد أن القرآن الكريم قد اتخذ هذا القرار في ضوء القانون الذي تقرر في السابق. فافتح القرآن ولاحظ أن قصة زينب مذكورة في أواخر القرآن الكريم، أما القانون بأن زوجة المتبنى ليست محرمة فوارد في أوائل القرآن. وقد صدر هذا القانون في وقت لم تكن زينب قد تزوجت زيدا بعد. فافتح القرآن الكريم وقرأ بنفسك كلتا الآيتين واخجل قليلاً. (الديانة الآرية، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٥٧)

الآية ٢٥: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

المراد من الإحصان هو العفاف الذي يخص الشهوة الجنسية بين الذكر والأنثى. فالمحسن أو المحصنة هو من يجتنب الفجور أو حتى مقدماته، وهكذا يمنع نفسه عن الفحشاء التي لا تكسبه سوى الذلة واللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة، بالإضافة إلى الخسارة العظيمة لأقربائه، علاوة على الفضيحة العائلية. فلا يخفى أن من ارتكب الزنى مع امرأة رجل آخر، أو على الأقل بدت من الاثنين مقدمات الزنى ومبادئه، فإن زوجها المظلوم الغيور سيضطر إلى تطليقها، لأنها فعلت الفاحشة أو رضيت بها. ثم لو وضعت مولوداً منه لحدثت فتنة كبيرة. فبسبب هذا اللثيم يتكبد رب البيت هذه الخسارة كلها.

واعلموا أن صفة الإحصان أو العفاف هذه لا تُعدُّ خلقاً إلا متى استعصم صاحبُها مع قدرته على سوء النظر أو ارتكاب الفاحشة؛ أي أنه يتعفف عن هذه الفعلِة الشنيعة مع امتلاكه من القوى الطَّبعية ما يستطيع به اقترافُها. أما إذا كان الإنسان فاقدا القوى الجنسية لحدائثة سنه أو لكونه عَنِينًا، أو لأنه مخنث، أو عجوز فإن، فلا يصح عندئذٍ أن نصِفَه بخلق الإحصان أو العفاف. صحيح أن عنده حالة طَّبعية من العفة، ولكن مثل هذه الحالات الطَّبعية - كما قلنا مراراً - لا تسمى أخلاقاً إلا إذا صَدَرَت، أو تهيأت لأن تصدُر، في محلها بتوجيه العقل. لذلك فالأطفال، وأولذين بهم عُنَّة، أو الذين عطلوا قواهم الجنسية بطريق أو بآخر، لن يوصفوا بهذا الخلق وإن عاشوا في الظاهر حياة عفافٍ وإحصان، بل لا تكون عصمتهم هذه في جميع الأحوال المذكورة إلا حالةً طَّبعية لا غير. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٤٠-٣٤١)

فليتضح أن كلمة الإحصان مشتقة من الحصن، والحصن القلعة، وقد سمي النكاح الإحصان، لأن الإنسان بواسطته يدخل قلعة العفاف ويجتنب السيئة وسوء النظر، كما تُحفظ العائلة أيضاً من التلف والضياع نتيجة الأولاد، كما أن الجسم أيضاً يسلم من عدم الاعتدال، فالنكاح من كل ناحية بمنزلة الحصن. (الديانة الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٢، الحاشية)

القرآن الكريم علَّمنا أن ننكح للإحصان وكسب العفة، وندعو للحصول على أولاد صالحين كما يقول في كلامه الطيب: ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ أي يجب أن يكون نكاحكم بِنِيَّةِ الدخول في حصن التقوى والورع وحذار أن يكون هدفكم إخراج النطفة على شاكلة الحيوانات. ويُستنتج من كلمة محصنين أن الذي لا يتزوج فهو لا يتعرض للآفات الروحانية فحسب، بل تصيبه الآفات الجسدية أيضاً، فقد ثبت من القرآن الكريم أن الزواج يستهدف ثلاثة أمور أحدها العفة والتقوى، والثاني

صيانة الصحة، والثالث الحصول على الأولاد. (الديانة الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٢، الحاشية)

... ويجوز لكم نكاح ما ملكت أيماكم بصورة شرعية كأسيرات نتيجة اشتراكهن في الحرب لصالح العدو الظالم ضدكم.

هذه هي قائمة السيدات اللواتي حرّمهن قانون الله على المسلمين. والمعلوم أنه من حق الله وحده أن يحرم ما يشاء ويحلّ ما يشاء، وهو أدرى بحكمه. إن إقحام الآريين أنفسهم في قانون الله دون مبرر وبغير حجة بينة ليس إلا تجاسرا ودناءة. إنني أستغرب من أن يعترض على الإسلام أناسٌ يشربون بول الدواب ويأكلون روثها أيضا، وقد آلت حالة الحرام والحلال عندهم إلى أن يجعلوا زوجاتهم يضاجعن الآخرين باسم "النيوك" ثم يقولون: لماذا أُجيز نكاح الأقارب الأقربين؟ وجوابه أنهم ليسوا أقارب عند الله على النحو الذي تزعمونهم من الأقارب. والذين اعتبرهم الله أقارب فقد ذكرهم في كتابه وحرّم نكاحهم كما ذكرنا آنفا. ولكن ما جوابكم على أن إله الفيدا قام بظلم عظيم - يبدو بناء عليه أن الآريين كثيرا ما يتزوجون من أمهاتهم وأخواتهم أيضا - وهو طريق التناسخ المخادع لأنه ما دام الإله لا يُخرج من البطن قائمة مع الروح التي تعود مرة أخرى يُعلم منها أن المرأة المولودة حديثا هي أم فلان أو جدّته أو ابنته أو أخته؛ فأَيّ شك في هذه الحالة أن ينكح الآريون في كثير من الأحيان أمّهم أو ابنتهم أو أختهم أو جدّهم؟ وإن قلتم إن هذا خطأ الإله وليس خطأنا، فجوابه: لماذا إذاً تؤمنون بإله يورّطكم في نجاسة مثلها قصدا وعمدا؟ أما إذا كان يحسب هذه العلاقات مسموحا بها لكم فلماذا تعصون إلهكم ولماذا لا تحلّون لأنفسكم أمهاتكم وأخواتكم مثل أتباع "شاكت مت" التي هي فرقة من الهندوس؟ إن قلة العلم والفهم هذه من نوع غريب، إذ إنكم تحرّمون ما أحله لكم إلهكم. (ينبوع المعرفة الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٥٠-٢٥٢)

لقد أُطلق كلمة "المحصنات" في القرآن الكريم على النساء المنكوحات كما يقول:  
﴿والمحصنات من النساء﴾. (الحكم المجلد ٦، رقم ٣٦، عدد ١٠/١٠/١٩٠٢ م ص ١٠)

الآية ٢٦: ﴿.....وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ.....﴾

(كم يجب أن يكون مبلغ المهر...) كم يجب أن يكون المهر؟ فقال ﷺ:

ما حُدد بتراضي الفريقين فلا اعتراض عليه، فليس المراد من المهر الشرعي أنه قد حدد في الآثار أو الأحاديث بل المراد منه المهر المروج للناس في زمن معين. في بلادنا فساداً أن الناس يحددون المهر حتى مائة ألف روبية بدافع الرياء خلافاً للنية، فإنما يُكتب في استمارة النكاح تخويفاً وبقصد فرض السيطرة على الزوج، لكن ذلك يؤدي إلى مساوئ أخرى، فلا أهل المرأة ينوون الاستلام ولا الزوج ينوي الدفع.

مذهبي أنه إذا طرأت مثل هذه الحالة وحصل نزاع فما لم تثبت النية أن الزوج كان راضياً بتراضي الطرفين على دفع مبلغ قد كتب، فلا يجوز الضغط على الزوج على دفعه. ينبغي أن يحدّد المهر نظراً لوضع الزوج الاقتصادي والعادة السائدة وغير ذلك من الأمور، لأن الشريعة لا تتبع النية الفاسدة ولا القانون. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٦، عدد ١٩٠٣/٥/٨ ص ١٢٣)

الآية ٢٩: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾

إن القدرة كلها لله تعالى، أما الإنسان الضعيف البنية فما هو إلا كائن ضعيف، وليست حقيقته إلا كما قيل: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧ م ص ١٥٨)

﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ وإن لم تحالفه قوة الله وقدرته يكون ذلك الضعف سببا

لأنواع الذنوب. (مجلة مقارنة الأديان مجلد ١، رقم ٥، ص ١٩١)

اعلموا يقينا أن الإنسان ضعفٌ كُلُّهُ، ولذلك قال الله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ

ضَعِيفًا﴾. وإنّ ما عند الإنسان ليس ملْكَاً له، وأعضاؤه بدءاً من الرأس إلى القدمين

ليست بعدد الأمراض التي يصاب بها. وما دام هو ضعيفاً لهذه الدرجة فليس السبيل لسلامته وعافيته إلا أن تكون معاملته مع الله تعالى نزيهة تماماً، وأن يصبح عبداً لله صادقاً. وهذا يحتّم عليه التمسك بالصدق. إن النظام المادي أيضاً منوط بالصدق نفسه. إن الذين لا يصدقون بل يخونون ويعدون الكذب جنةً تحميمهم من طائلة جرائمهم فإنهم مخطئون جداً. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١٤، عدد ٢٤/٤/١٩٠٥ م ص ٢) إن شدة المرض تذكر بالموت، وبذكر الموت يُذكّر الله، فالواقع أنه ﴿حُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾، فالإنسان يعيش أياماً معدودات، فمالك كل ذرة هو الحي القيوم، فحين يأتي الأجل المسمى يودّع كل شيء، وتُفارق الإنسان الأعضاء كلها وتنفصل عنه، وينتقل الإنسان إلى حيث كان قد أتى. (الحكم، المجلد ٧، رقم ١٥، عدد ٢٤/٤/١٩٠٣ م ص ١١)

﴿حُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾، أي ليس فيه أي قوة أو قدرة بحد ذاته، ما لم يرزقه الله. إذا كانت لكم عيون تبصرون بها أو آذان تسمعون بها أو لسان تنطقون به، فمن فضل الله فقط أن هذه الأعضاء تعمل، وإلا كثيرون هم عُمي أو صم أو بكم من الولادة، والبعض يفقدون هذه النعم إثر حوادث بعد الولادة، لكن عيونكم أيضاً لا تقدر على الرؤية ما لم يكن هناك ضوء، ولا آذانكم تقدر على السمع ما لم يتوفر الهواء، فمن هنا يجب أن يفهم أنكم عاطلون تماماً ما لم يقتزن بما أُعطيتم تأييداً سماوي. فمهما آمنتكم بأمرٍ ما بصدق القلب لا تستطيعون الثبات عليه ما لم يحالفكم فضلٌ من الله. (بدر، المجلد ٣، رقم ١٥، عدد ١٦/٤/١٩٠٤ م ص ٣)

الإنسان ضعيف لا يستطيع أن يجتاز هذه المرحلة الصعبة ما لم يجد القوة والتأييد بالدعاء. لقد قال الله بنفسه عن ضعف الإنسان: ﴿حُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾. إن ادعاء المرء - مع هذا الضعف والهوان - الحصول على هذه الدرجة العليا والمقام

الرفيع بقوته فقط لفكرة باطلة ولاغية تماما، بل هناك حاجة ماسة إلى الدعاء لنيل هذا المرام. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٣٢، عدد ٩/٢٤/١٩٠٤ م ص ٤)

إلام سيحيا الرضيع دون أن يجد حليبا؟ بل سيموت أخيرا متنهدا. كذلك إذا انقطعت النصره من الله مات الإنسان روحانيا لأنه ضعيف أصلا، كما يقول الله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾. فسيموت روحانيا في نهاية المطاف. ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١٦، عدد ١٠/٥/١٩٠٥ م ص ٨)

الإنسان ضعيف ومليء بالأخطاء، وتحيطه المصائب من جميع الجوانب، لذا عليه أن يدعو ليوافقه الله للحسنة ويجعله وارث فيض التأييد وفضله من الغيب. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣١، عدد ٦/٥/١٩٠٨ م ص ٣)

الآية ٣٠: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾

"لا تقتلوا أنفسكم" أي لا تنتحروا. (فلسفة تعاليم الإسلام الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٣٦)

الآية ٣٥: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَحَافُونَ نَشُوزُهُنَّ فِعْظُهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاصْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾

إن أفكار الملوك تترك تأثيرا كبيرا على الرعية فيما يتعلق بدينهم ولباسهم وأخلاقهم وما إلى ذلك. فكما يكون للذكور تأثير على الإناث وفق قول الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾، كذلك يكون للملوك تأثير حتمي على

الرعية: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾. (الحكم، مجلده٥، رقم ١٥، عدد ٢٤/٤/١٩٠١م ص ٢)

من عادة سيئة في النساء أنهن يعصين أزواجهن على أتفه الأمور وينفقن من مالهن دون إذهم وفي حال سخطهن يستخدمن كلمات غير مناسبة كثيرة في حقهم. إن نساءً مثلهن ملعونات عند الله ورسوله. لا تُقبل منهن صلاة ولا صيام ولا أي عمل آخر. يقول الله تعالى بوضوح بأنه لا يمكن أن تُعد المرأة صالحة ما لم تُطع زوجها طاعة كاملة وما لم تعظمه بحب القلب وما لم تكن ناصحة له بالغيب. لقد قال رسول الله ﷺ: يجب على النساء أن يطعن أزواجهن وإلا لن يُقبل منهن أي عمل. وقال أيضا بأنه لوجاز السجود لغير الله لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها. إذا كانت المرأة تستخدم لسانا بذيئا بحق زوجها أو تحقره ولا ترتدع بعد الاطلاع على هذا الأمر الرباني أيضا فهي ملعونة. والله تعالى غاضب عليها ورسوله . على النساء ألا يسرقن مال أزواجهن ويُجَبِّن أنفسهن من المحارم. لا بد من التذكر أن التحجب واجب من جميع الرجال سوى الزوج والذين لا يجوز النكاح معهم. النساء اللواتي لا يحتجن عن غير المحارم يرافقهن الشيطان. ومن الواجب على النساء أيضا ألا يسمحن للنساء الفاحشات وذوات السلوك السيء أن يدخلن بيوتهن ولا يسمحن لهن بخدمتهن لأن من الذنب الكبير أن تكون المرأة الفاحشة في صحبة الصالحة. (مجموعة الإعلانات، المجلد ١، ص ٨٥-٨٦)

لقد وعد الله تعالى النساء أنهن لو أطعن أزواجهن لأزال الله عنهن كل بلاء ولنال أولادهن عمرا طويلا ويكونون سعداء الحظ. (مكتوبات أحمد المجلد ٥، مكتوب رقم ٥، ص ٢٠٧، إلى زوجتي السيد عبد الله السنوري ﷺ)

ما دام الرجل مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ لذا فإذا اكتسب الرجل لنفسه اللعنة أحالها إلى الأهل والأولاد أيضا، كذلك إذا نال



البركة أعطاها الجيران وأهل المدينة أيضا. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٩، عدد ١٩٠٢/٥/٢٤ م ص ٧)

لقد قال الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ لأنهن يتأثرن بأزواجهن. فبقدر ما يتقدم الرجل على دروب الصلاح والتقوى ستأخذ زوجته أيضًا نصيبا من ذلك. كذلك إذا كان زوجها سيئ السلوك وفاسقا ستأخذ خطأ من الرذائل أيضًا. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٠، عدد ١٩٠٣/٣/٢٧ م ص ٧٥)

النساء يتبعن الرجال عادة. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٤، عدد ١٩٠٣/٤/١٧ م ص ١٠)

الرجل يكون ربان سفينة البيت، فإذا غرق هو فستغرق السفينة أيضا معه، لذلك قال الله تعالى ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾. إن نجاة أهله وعياله مرتبطة بنجاته هو. (بدر، مجلد ٣، رقم ٢٧، عدد ١٩٠٤/٧/١٦ م ص ٤)

إن في النساء عرق الوثنية لأن طبيعتهم تميل إلى حب الزينة، لذا فقد بدأت الوثنية منهن. ويكثر فيهن الجبن أيضا، فإذا واجهن شدة، مهما كانت بسيطة خضعن أمام مخلوق ضعيف مثلهن. لذا فالذين يتبعون زوجاتهم أكثر من اللازم تتسرب إليهم هذه العادات أيضا رويدا رويدا. لذا من الضروري جدا أن تتنبهوا إلى إصلاح النساء. يقول الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ لذلك أعطي الرجال قوى أكثر من النساء. أستغرب من عقول الناس المعاصرين ذوي الثقافة الحديثة الذين يؤكدون على المساواة ويقولون إن حقوق الرجل والمرأة سواسية. فليكونوا جيشا من النساء ويرسلوهن إلى جبهة القتال بدلا من الرجال ثم لينظروا هل تكون النتيجة نفسها أو مختلفة. فمثلا إذا كانت المرأة حاملا وبدأت الحرب فماذا عسى أن تفعل؟ باختصار، إن قوى النساء أضعف وأقل مقارنة بالرجال لذلك وجب على الرجال أن يخضعوا للنساء.

كذلك يشدد هؤلاء الناس على السفور على شاكلة أهل أوروبا، ولكن هذا ليس مناسباً قط. إن تحرر النساء على هذا النحو أساس الفسق والفجور. فانظروا إلى الحالة الأخلاقية السائدة في البلاد التي أجازت هذا النوع من التحرر. فإذا كان مستوى عفتهم وطهارتهم قد ارتفع بسبب هذا التحرر والسفور فسنقبل أننا مخطئون، ولكن من الواضح تماماً أنه إذا كان الرجل والمرأة شائين وكان هناك تحرر وسفور أيضاً فكم ستكون علاقتهما خطيرة. من صفات الإنسان أنه كثيراً ما يسيء النظر ويكون عادة مغلوباً من أهواء النفس. فما دام الناس لا يراعون مقتضيات الحجاب ويرتكبون الفسق والفجور فماذا يمكن ألا يحدث في حالة التحرر؟ انظروا إلى حالة الرجال كيف صاروا مثل حصان خليع الرسن إذ لم تعد هناك خشية الله ولا يقين بالآخرة بل اتخذوا الملذات الدنيوية معبوداً لهم. فمن الضروري أولاً وقبل كل شيء أن تصلحوا أخلاق الرجال قبل هذه الحرية والسفور. وإن صلحت وأحرز الرجال على الأقل قدرة على كبح أهواء النفس فعندها يمكن أن تحوضوا في نقاش هل الحجاب ضروري أم لا. وإلا فإن التركيز على التحرر وعدم الحجاب في الظروف الراهنة بمنزلة طرح الشياه أمام الذئب. ما الذي حدث هؤلاء القوم الذين لا يفكرون في عاقبة الأمور، عليهم أن يستخدموا ضميرهم على الأقل ويفكروا هل حالة الرجال صالحة لأن تُترك النساء دون حجاب أمامهم؟ (بدر، مجلد ٣، رقم ٣٤، عدد ٨/٩/١٩٠٤م ص ٦)

﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً...﴾ ﴿اضربوهن (أي بمقتضى الظروف والحكمة)..﴾ إِنَّ أَطْعَمَكُمْ (فلا تفكروا في الطلاق ولا تتكبروا لأن الكبرياء يليق بالله وحده.. أي لا تقولوا في أنفسكم أنا لست بحاجة إليها فأنا أستطيع أن أتزوج غيرها، بل ينبغي أن تتعاملوا بتواضع فإن الله يجب التواضع. (الديانة الآرية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٥١)

الآية ٣٧ : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فُخُورًا﴾

... إن قوله تعالى: "وبذي القربى" يشمل الأولاد والإخوة والأقارب القريبين والبعيدين كلهم... والجار الجنب والصاحب بالجنب... أي بالجيران الذين هم في عداد الأجانب وكذلك الزملاء في العمل والرفقاء في السفر أو الصلاة أو في مجال تعلم الدين والمسافرين والأنعام التي تملكونها... والله لا يحب المتكبرين المختالين الذين لا يرحمون الآخرين. ولكن من المؤسف حقا أن الآريين لا يستطيعون أن يرحموا أحدا دون مقابل، لأن هذه الصفة ليست موجودة في إلههم فهو قادر على المجازاة مقابل الأعمال فقط وليس إلا، ولهذا السبب فالنجاة محدودة وليست دائمة. (ينبوع المعرفة الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٢٠٨-٢٠٩)

أي اصنعوا المعروف بالوالدين، وافعلوا الخير للأقارب والأيتام والمساكين والجار القريب والجار الأجنبي والمسافر والخادم والعبد والحصان والغنم والبقر والحيوانات الأخرى التي هي تحت تصرفكم، ذلك لأن الله الذي هو إلهكم يحب هذه الخصال؛ ولا يحب من لا يهتم بغيره ولا يفكر إلا لنفسه. (فلسفة تعاليم الإسلام الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٥٨)

الآية ٣٨ : ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾

إن الله تعالى لا يحب من كان بخيلا ويأمر الآخرين بالبخل، ويخفي ماله.. أي يقول للمحتاج: ليس عندي شيء. (فلسفة تعاليم الإسلام الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٥٨)

الآية ٤٢: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾

عندما بدأت العلاقات المتبادلة بالنشوء في تلك الأمم بعد مرور مدة طويلة وفتح طريق التعارف بين أهل بلد على بلد آخر وطريق السفر إلى بعضهم بعضا إلى حد ما، ووصلت عبادة المخلوق وكل نوع من المعصية أيضا منتهاها، بعث الله تعالى سيدنا ونبينا محمدا المصطفى ﷺ إلى العالم ليجعل الأمم المتفرقة في العالم كله - بواسطة تعليم القرآن الكريم الذي يشكل قاسما مشتركا بين طبائع العالم كله - أمة واحدة ويخلق فيهم الوحدة كما هو ﷻ واحد لا شريك له، ولكي يذكروا ربهم مجتمعين كجسد واحد ويشهدوا على وحدانيته. ولتشكّل كلنا الوجدتين - أي الوحدة القومية الأولى التي نشأت في بدء الخليقة، والوحدة الأخيرة التي وُضع أساسها في الزمن الأخير، وأراد الله تعالى تحقيقها عند بعثة النبي ﷺ - شهادة مضاعفة على وجود الله الواحد الذي لا شريك له، ولأنه ﷻ واحد لذا يجب الوحدة بين نظامه المادي والروحاني. (ينبوع المعرفة الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٩٠)

كذلك جعل الله جلّ شأنه نبينا الأكرم ﷺ شاهدا على جميع أفراد الأمة المسلمة فقال .... ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾. (شهادة القرآن، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٦٣)

جاء شخص إلى النبي ﷺ وقال شيئا فقال له النبي ﷺ كفى! فقد أصبحت أهلا للشهادة على أمتي، وأخشى أن تعاقب أمتي بسببها. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٩، عدد ١٠/٣/١٩٠٣ م ص ١١)

الآية ٤٤: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا غَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى

سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَا مَسْتُمْ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿١١٥﴾

الذين لا يتمتعون طول الحياة بـ ﴿تَعْلَمُوا﴾ فما هي صلاتهم. يُذكر أن امرأة كانت تداوم على الصلاة، ذات يوم سألت زوجها ما معنى "صلِّ على محمد" في الصلاة؟ فقال لها، هي الصلاة على رسولنا محمد ﷺ، فقالت فورًا بمنتهى التعجب، ويل لي إذ قد ظللت أذكر اسم رجل أجنبي في الصلاة. (بدر مجلد ٢، رقم ١٥، عدد ١٩٠٣/٥/١١٤ ص ١١٤-١١٥)

في البداية كان بعض الصحابة يصلّون بعد أن يشربوا ولم يمنع النبي ﷺ أحدهم ما لم تنزل الآية الكريمة: ﴿لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾. (بدر مجلد ٢، رقم ٣٠، عدد ١٩٠٣/٨/١١٤ ص ٢٣٤)

لا شك أن هناك حيلا كثيرة لاختراع الأعذار غير المبررة. فبعض الأشرار يستنتجون من الآية: ﴿لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ﴾ جواز عدم الصلاة. (بدر مجلد ١، رقم ٢٦، عدد ١٩٠٥/٩/١٩٩ ص ٤)

الآية ٤٧: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

كان اليهود أيضا يقومون بمثل هذه الأعمال إذ كانوا يقدّمون بعض الكلمات ويؤخرون الأخرى عند تفسيرهم بعض الآيات برأيهم، وقد جاءت في حقهم في القرآن الكريم آية: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾. لم يكن تحريفهم لفظيا دائما بل كان من حيث المعنى أيضا، فعلى كل مؤمن أن يحذر هذه الأنواع من التحريف. (الحق، مناظرة دلهي، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ٢١٥)

أما الدجال فقد ورد في الأحاديث أنه سيستخدم الدجل وينشر الفتنة الدينية في الدنيا. وهذه الصفة المذكورة في القرآن الكريم كصفة القساوسة المسيحيين كما يقول تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾. (ينبوع المعرفة، الخزان الروحانية، المجلد ٢٣، ص ٨٦-٨٧، حاشية)

ومعنى الدجل هو أن يكون الشيء جيدا في ظاهره مع كونه رديئا في الحقيقة، ومثاله النحاس المذهب. والدجل موجود منذ بدء الخليقة، ولم يخلُ عصر من المكر والزيف، فمثلا ماذا يعمل الصوّاغون سوى الدجل. وكما يمارس الدجل في الأمور المادية، كذلك يمارس في الأمور الروحانية أيضا. وقول الله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ أيضا كناية عن الدجل. (الحكم، مجلده، رقم ١٥، عدد ٢٤/٤/١٩٠١م ص ٢)

لقد ورد في القرآن الكريم عن هذين الكتابين (التوراة والإنجيل): ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾، كان هؤلاء الناس يضيفون إليهما شيئا كتفسير من عندهم. (الحكم، المجلد ١١، رقم ٣٩ عدد: ٣١/١٠/١٩٠٧م، ص ٥)

الآية ٤٩: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾

وعد الله في القرآن الكريم: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ...﴾ أي كل ذنب سيغفر إلا الشرك فلن يغفره الله؛ فلا تقرّبوا الشرك ولتعدّوه الشجرة المحرمة. (التحفة الغلورية الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٣٢٣-٣٢٤، الحاشية)

ليس المراد من الشرك أن يعبد المرء الحجارة وما شابهها فقط، بل عبادة الأسباب أيضا شركًا. وإن التركيز على معبودين دنيويين أيضا شرك. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٢٤، عدد ٣٠/٦/١٩٠٣م ص ١١)

الآية ٥٢: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾

ألم تر إلى النصارى واليهود الذين قرأوا الإنجيل بصورة ناقصة، وهم يؤمنون بالآلهة الزائفة والأوثان ويقولون للمشركين بأن دينهم أي الوثنية دين أفضل ودين التوحيد الذي يدينه المسلمون لا حقيقة له. (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥٨٧)

الآية ٥٥: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾

إن موسى أنجز بعد بعثته ثلاث مهمات بارزة تجلت للعالم، والنبى الذي أنجز ثلاث مهمات جليلة مثلها ظهرت للعالم بداهة هو مثل موسى، وتلك المهمات هي: (١) أولاً إن موسى أهلك العدو الذي كان يريد القضاء عليه وعلى شريعته. (٢) ثانياً إن موسى قد أعطى قوماً غيباً يحل الله وكتبه - وكانوا يعيشون كالوحوش منذ أربع مائة عام - الكتاب والشريعة الإلهية، أي وهب لهم التوراة وأقام فيهم الشريعة. (٣) ثالثاً بعد أن كانوا يعيشون حياة الذلة قد أعطاهم الحكم والملك وجعل منهم الملوك. وكل هذه الإنعامات الثلاثة مذكورة في القرآن الكريم كما يلي: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوُّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٣٠) ثم قال في موضع آخر: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٥٥). لاحظوا الآن بالتأمل أن عيسى عليه السلام ليس له أدنى مماثلة بموسى عليه السلام

في هذه المهمات الثلاث، إذ لم يتمكن بعد ولادته من القضاء على أعداء اليهود، ولم يأتمهم بشريعة جديدة، ولم يؤت بني إسرائيل أو إخوتهم ملكاً. ... تحققت هذه النبوءة بحق سيدنا محمد المصطفى ﷺ، ولو عُرضت هذه الأحداث التاريخية لكليهما على هندوسي ذي عقل سليم؛ أي قد نجى موسى قومه من فرعون ثم أعطاهم ملكاً ثم

وهب الشريعة للوحوش الذين كانوا يعيشون عبيداً، كذلك نجى سيدنا محمد المصطفى ﷺ أولئك الفقراء والضعفاء الذين آمنوا به من السباع العرب الهمجيين السفاكين وأعطاهم سلطنة، ثم بعد تلك الحالة الوحشية أعطاهم الشريعة - فلا شك أن ذلك الهندوسي سبرى كلا الحدثين من نوع واحد ويشهد على مماثلتهما. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٢٩٩-٣٠٢)

الآية: ٥٧: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُفَّيْنَا نَصَبَتْ جُلُودَهُمْ بَدَلَتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ سيحدث في الجنة أيضاً تجدد كل يوم، كذلك قيل عن أهل الجحيم: ﴿بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ أما ما يجذبه الله فلا حدود له ولن ينقطع أبداً، فلا نهاية لأفعال الله، فيقول الله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ أي سيكون هناك ازدياد مستمر. (بدر مجلد ١، رقم ١٢، عدد ١٦٦/١/١٩٠٣ م ص ٩١)

الآية ٥٩: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ المراد من الأمانة جميع القوى والعقل والعلم والقلب والروح والحواس والخوف والحب والعزة والجاه وجميع النعم الروحانية والمادية التي يهبها الله تعالى للإنسان الكامل ثم يعيد الإنسان الكامل تلك الأمانة كلها إلى الله تعالى بحسب الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾؛ بمعنى أنه يفنى فيه وَجَّكَ وينذر نفسه في سبيله. وإن هذه الميزة وجدت بوجه أعلى وأكمل وأتم في سيدنا ومولانا وهادينا النبي الأُمِّي الصادق والمصدق محمد المصطفى ﷺ. (مرآة كمالات الإسلام الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ١٦١-١٦٢)

أدوا الأمانات إلى أهلها فإن الله لا يحب الخائنين. (فلسفة تعاليم الإسلام الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٤٧)



لا نُعَدُّ عباداً إلا إذا أعدنا إلى الله المنعم الحقيقي ما أعطانا، أُنكون جاهزين لإعادته. إن حياتنا أمانة منه عليه السلام وهو يقول: ﴿تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾. (مكتوبات أحمد، المجلد ١، ص ٨٠، الحاشية، مكتوب إلى الدكتور جغن ناتھ سنغ من جامون)

الآية ٦٠: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾

لقد جاء في القرآن الكريم: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ - ففي ذلك أمر واضح لطاعة أولى الأمر. وإن قال أحد بأن الحكومة لا تدخل في ﴿منكم﴾ فهذا خطأ واضح منه. كل ما تقوم به الحكومة في ضوء الشريعة فهو يدخل في ﴿منكم﴾. والذي لا يخالفنا فهو منا. يثبت من القرآن كإشارة النص أنه يجب أن يطيع المرء الحكومة ويجب عليه الإصغاء لها. (الإنذار، ص ٦٩)

إذا كان الحاكم ظالماً، فلا تتحدثوا عنه بسوء هنا وهناك، بل اهتموا بإصلاح أنفسكم، فسوف يأتي الله مكانه بغيره، أو يصلحه. إنما تحل المصيبة بسيئات الإنسان نفسها، وإلا فإن الله تعالى يستر المؤمن بحظ سعيد ويهيئ له الأسباب من عنده. فإنما نصيحتي لكم أن تقدّموا للناس قدوة الصلاح من كل النواحي. لا تهضموا حقوق الله ولا حقوق العباد. (الحكم، مجلد ٥، رقم ١٩، عدد ٢٤/٥/١٩٠١ م ص ٩)

﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ أي أطيعوا الله ورسوله وملوككم. (شهادة القرآن الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٣٢)

المراد من أولى الأمر من الناحية المادية هو الملك، ومن الناحية الروحانية هو إمام الزمان. فمن ليس بمعارضٍ لأهدافنا من الناحية المادية ونستطيع أن نستفيد منه في ديننا فهو منا. (ضرورة الإمام، الخزان الروحانية، المجلد ١٣، ص ٤٩٣)

﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، أي لا تحتكموا فيه إلا الله

ورسوله. (الحق مناظرة دلهي، الخزانة الروحانية المجلد ٤، ص ١٨٤)

أي أطيعوا الله ورسوله والملوك. والطاعة شيء إذا اختاره الإنسان بصدق القلب نشأ في قلبه نورٌ وفي روحه لذة وضوء. ليست هناك حاجة إلى المجاهدات بقدر الحاجة إلى الطاعة، ولكن بشرط أن تكون الطاعة صادقة، وهذا هو الأمر الصعب. لا بد من ذبح أهواء النفس في سبيل الطاعة، وإلا فلا تكون هناك طاعة. إن هوى النفس شيء يمكن أن يصبح وثناً في قلوب كبار الموحدين أيضاً. كم كان فضل الله عظيماً على الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين- وكم كانوا فانيين في طاعة رسول الله ﷺ! الحق والحق أقول إن من المحال أن يسمى قوم قوماً ولا أن تُنفخ فيهم روح الملة والوحدة، ما لم يعتصموا بمبدأ الطاعة. إذا بقي فيهم الخلاف والفرقة، فاعلموا أنها بؤادر الانحطاط والإدبار. فمن جملة أسباب ضعف المسلمين وانحطاطهم الخلافات والنزاعات الداخلية، ولو تركوا الخلافات في الرأي وأطاعوا شخصاً واحداً قد أمر الله بطاعته لثم لهم ما أرادوا إتمامه.

ويد الله مع الجماعة، والسر في ذلك أن الله تعالى يحب الوحدة. والوحدة لا تتحقق من دون الطاعة. كان صحابة رسول الله ﷺ على الدرجة العالية في سداد الرأي، وقد خلقهم الله على هذا النحو. كانت عندهم خبرة عالية بمبادئ السياسة، فإن أبا بكر وعمر وغيرهما من الصحابة الكرام لما صاروا خلفاء ونالوا الحكم اضطلعوا عبء الحكم الثقيل هذا بحسن الإدارة والنظام، وهو خير دليل على مدى ما وهبهم الله من سداد الرأي. ومع ذلك كان حالهم أمام رسول الله ﷺ أنه كلما قال شيئاً استخفوا بآراءهم وأثمموا عقولهم إزاء أمره، وعدّوا قوله ﷺ واجبا للعمل به. لقد تفانوا في طاعة النبي ﷺ بحيث إنهم كانوا يتبركون بفضل وضوئه وعدّوا شفّيته مباركتين.

ولولا طاعتهم وإذعائهم، ولو قدّم كل منهم رأيه على رأي الآخر، لوقعت فيهم الفرقة، ولما نالوا هذه المراتب العليا.

وعندي أنه يكفي لرفع النزاعات من بين أهل الشيعة والسنة دليل واحد ألا وهو أن الصحابة الكرام لم يكن فيهم شيء من الفرقة والعداوة الداخلية قط. إن تقدّمهم ونجاحهم لدليل بيّن على أنهم كانوا متحدّين ولم تكن بينهم أدنى عداوة.

يقول المعارضون الأغبياء بأن الإسلام انتشر بحدّ السيف، ولكني أقول إنه قول باطل. إنما الواقع أن قنوات قلوب الصحابة فاضت بماء الطاعة وجرت. وكان من ثمار هذه الطاعة والوحدة أنهم سحّروا قلوب الناس. وإن مذهبي أنهم إنما اضطُروا لحمل السيف دفاعاً عن أنفسهم فقط، وإلا فإنهم كانوا قادرين تماماً على غزو العالم باللسان وحده دون رفع أي سيف.

سخن كز دل بروں آید نشیند لاجرم بردل

أي: القول النابع من القلب يؤثر في القلب حتماً.

لقد آمنوا بالحق والصدق، وصدقوه من صميم القلب دونما تكلف أو رياء، فكان صدقهم سبباً لنجاحاتهم. الحق والحق أقول إن الصادق لا يستخدم إلا سيف صدقه. كان في وجه نبينا الكريم -الذي كان يعلوه نور التوكل على الله، والذي كان مزدانا بصبغة الجمال والجلال- من الجذب والقوة ما استمال إليه القلوب عفويا. كما أن جماعته ﷺ ضربت أروع الأمثلة على طاعته، وتحلّوا بالاستقامة التي هي فوق الكرامة، فكان كل من كان يراهم ينجذب إليهم تلقائياً.

ملخص القول، اليوم أيضا هناك حاجة ماسّة إلى سيرة كسيرة الصحابة ووحدة كوحدهم، لأن هذه الجماعة التي يتمّ إعدادها على يد المسيح الموعود قد ألحقها الله تعالى بالجماعة التي أعدها رسول الله ﷺ. ولأن ازدهار هذه الجماعة سيكون نتيجة أسوة أناس كهؤلاء، فمن واجبكم -أنتم الذين تُسمّون

جماعة المسيح الموعود وتتمنون اللحاق بجماعة الصحابة - أن تتصبغوا بصبغة الصحابة عليهم السلام. يجب أن تكونوا كالصحابة طاعةً وحبًا وتأخيًّا. باختصار يجب أن تتخلقوا بأخلاق الصحابة في كل مجال. (الحكم، مجلده، رقم ٥، عدد ١٠/٢/١٩٠١ م ص ١-٢)

الآية ٦٣: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّ أَرْدَنَّا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾

.... لاحظوا هنا أن ما يثبت من كل هذه الآيات هو أن الإنسان محيّر أيضا في أعماله. (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ٢٣١)

الآية ٦٥: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾

أي أن الله تعالى يرسل الرسول ليكون مطاعا وإماما، وليس ليكون مطيعا وتابعا لغيره، أما المحدث - وهو من المرسلين أيضا - فيكون فردا من أمة نبيه المتبوع، ونبيا أيضا نبوة ناقصة. فيكون فردا من الأمة لكونه تابعا كاملا لشريعة رسول الله، ونائلا البركات من مشكاة الرسول. ومن ناحية ثانية هو نبي أيضا، لأن الله تعالى يعامله معاملة الأنبياء. بل الحق أن الله تعالى قد خلق المحدث كالبرزخ بين الأنبياء والأمم. فمع أنه من الأمة بوجه كامل، ولكنه نبي أيضا من وجه آخر. فمن الضروري للمحدث أن يكون مثيلا لنبي، وينال عند الله اسم ذلك النبي. (إزالة الأوهام الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٠٧)

.... من البديهي أنه ما دامت طاعة النبي واجبة بحسب مدلول هذه الآية فكيف ينال النجاة من كان خارجا عن طاعته عليه السلام؟ (حقيقة الوحي الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٣٠)

الآية ٦٦: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

أي أنهم سيُحرَمون من الإيمان ما لم يجعلوك حَكَمًا، وليس ذلك فحسب بل ما لم يقبلوا حُكْمك بطاعة كاملة وصدر منشرح. (ترياق القلوب، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٣٢٠)

الآية ٧٠: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾

ندعو في الصلاة بدعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، ويعني ذلك أننا نسأل الله تعالى من أجل رقي إيماننا ولخير البشرية كلها أربع آيات بصورة أربعة كمالات وهي: كمال الأنبياء، وكمال الصديقين، وكمال الشهداء، وكمال الصالحين. أما الكمال الخاص بالنبي فهو أن يتلقى من الله تعالى علم الغيب الذي يكون آية للآخرين.

أما الكمال الخاص بالصدِّيق فهو أن يكون المؤمن متمكنًا من خزان الصدق بصورة كاملة، أي أن يعرف أنواع الصدق الكامنة في كلام الله تعالى معرفةً تكون آيةً لكونها خارقة للعادة وتشهد على صدق الصديق. وكمال الشهيد هو أن يُظهر، في وقت المصائب والمعاناة والابتلاءات، قوة الإيمان والأخلاق الفاضلة والصمود والثبات التي تكون آية لكونها خارقة للعادة.

وكمال الصالح أن يكون بعيدا عن كل نوع من الفساد ويصير صلاحا متجسدا حتى يُعَدَّ صلاحه الكامل آيةً لكونه خارقا للعادة. فهذه الكمالات الأربعة حين نسألها في الصلوات الخمس، فإننا بتعبير آخر نطلب من الله تعالى آية سماوية. ولا إيمان لمن لا يوجد فيه هذا الطلب. إن حقيقة صلاتنا هي أننا نسأل الله تعالى أربع آياتٍ بأربعة أساليب في صلواتنا الخمس، وكذلك نقدِّس الله تعالى في الأرض لكيلا

تتحول حياتنا إلى حياة الإنكار والشك والغفلة فتنجس الأرض. ولا يسع أحدا أن يقدر الله ما لم يسأله هذه الآيات الأربع باستمرار. وهذا ما علمه المسيح ﷺ أيضا بكلمات وجيزة. انظروا إنجيل متى ٦: ٩ حيث جاء فيه: "فَصَلُّوا أَنْتُمْ هَكَذَا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسَ اسْمُكَ". (مجموعة الإعلانات مجلد ٢، ص ٣٢٧-٣٢٨) إن كلمة النبي مشتقة من نبأ، والنبأ يعني الإخبار. والنبي هو ناقل الخبر، أي أن الذي يتلقى من الله كلاما مقدسا يحتوي على النبوءات الغيبية القوية ويبلغها المخلوق، فهو في المصطلح الإسلامي نبي. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣١، عدد ٥/٦/١٩٠٨ م ص ٥)

النبيون قوم قد بلغوا في تبثُّلهم إلى الله بحيث يكلِّمون الله ويتلقَّون وحيه. (الحكم مجلد ٦، رقم ٢٦، عدد ٢٤/٧/١٩٠٢ م ص ٦)

إن الإنسان عندما يتخلى عن الحياة السفلية وينسلخ عن هذه الحياة كليةً انسلاخ الحية عن جلدها، فإنه يتغير كليةً. ومثل هذا الإنسان يكون على هذه الأرض في الظاهر، ويمشي ويأكل ويشرب على هذه الأرض، وتؤثّر عليه النواميس الطبيعية كما تؤثر على الآخرين، ومع ذلك يكون هذا منقطعاً عن هذه الدنيا، ولا يفتأ يرتقي ويرتقي حتى يبلغ مقاما يسمى مقام النبوة، حيث يكلم الله تعالى. وفي هذه المكاملة الإلهية يتخلى عن النفس وعلائقها كلية، فلا تبقى له علاقة إلا بالله تعالى، ولا يكلم إلا الله تعالى. (الحكم مجلد ٩، رقم ١١، عدد ٣١/٣/١٩٠٥ م ص ٦)

ما هي النبوة؟ إنها جوهر يوهب من عند الله تعالى. لو أمكن كسبه لصار الجميع أنبياء. الأنبياء مجبولون على فطرة نقية بحيث يستحيل أن يقعوا في مثل هذا الكلام الباطل. إنهم لا يكلمون أنفسهم أبدا. أما غيرهم فهم يخوضون في سلسلة مثل هذا الكلام بحيث لا يتركون شيئا لله تعالى. وعلى النقيض ينفصل النبي عن هذين النوعين من الكلام الباطل ويتفانى في الله تعالى ويستغرق في مخاطبته ومكاملته، بحيث

لا يبقى في قلبه ولا في عقله مكانٌ وسعةٌ لمثل هذا الكلام الباطل، بل لا يبقى في قلبه وعقله إلا سلسلة كلام الله وحده. وحيث إنه لا يبقى عندهم إلا هذا الجزء فقط فإن الله تعالى يكلمهم وهم يخاطبونه أيضاً. لو رأى أحدُ النبيِّ في حالة الانفراد والفراغ التي تراود فيها الناس مثل هذه الأفكار الباطلة فرمى ظنَّ خطأً وجهلاً أنه لا يكلم الله تعالى الآن، ولكن الواقع ليس هكذا، بل يكلم النبي الله وحده كل حين. ولا يزال النبي يدعو الله كل حين: إلهي، إني أحبك وأسألك رضاك، فتفضل علي من فضلك بما يوصلني ذلك المقام الذي هو مقام رضاك، ووفَّقني لأعمال ترضاها، وافتحْ عيون أهل الدنيا لكي يعرفوك ويحزُّوا على اعتبارك. هذه أفكار النبي وهذه أمانيه التي يكون مستغرقاً ومتفانياً فيها بحيث لا يستطيع الآخرون أن يعرفوه. ولا يبرح النبي يطيل سلسلة هذا التفكير والدعاء بشوق وتوق حتى يصل مقاماً يذوب فيه قلبه وتجري روحه كالماء وتحزُّ على عتبة الله بكل قوة وشدة وهي تنادي: أنت ربي، أنت ربي. فيفور فضل الله ورحمته، فيخاطبه ويحييه بكلامه. وهذه السلسلة لذيدة ممتعة بحيث لا يستطيع كل إنسان إدراكها، وفيها لذة وصفها بالكلمات محال. إن النبي يطرق باب الربوبية كالمستسقي مرة بعد أخرى، ومن هنالك يجد راحته وسعادته. إنه يكون في الدنيا، ولكنه يكون بمعزل عنها. إنه لا يرغب في أي شيء في الدنيا، ولكن الدنيا تصبح خادمة له، ويأتي بها الله ويلقيها عند قدمي النبي.

هذه هي حقيقة مقام النبوة بإيجاز. هنا يحترق كلام النفس بنوعيه، ويبدأ قسم ثالث من الكلام الذي الله مبدؤه ومنتهاه. عندها يتبتل إلى الله تعالى تبتيلاً، ولا يوجد فيه ما يوجد في أصحاب كلام النفس من دخان وأضغاث أحلام، بل إنه يكون منقطعاً عن الدنيا كل الانقطاع. فكما أنَّ العاشق الذي يصبح أسيراً لأهواء نفسه يتصل بحبيبته ويستغرق في تصورها ويعُدُّ ذلك ذروة لذات النفس ولا يريد لقاء غيرها البتة، كذلك فإن النبي يقوِّي صلته بالله تعالى حيث لا يحبّ تدخُّل أحد في

نجواه وخلوته مع الله تعالى، ويكلم حبيبَه ويجد فيه لذته وراحته، ولا يريد ترك هذه الخلوة لحظةً واحدةً، ولكن الله تعالى يُخرجه من خلوته ويأتي به أمام العالم، ليقوم بإصلاح الدنيا ويكون مرآةً تُري وجهَ الله تعالى. يجد النبيُّ لذةً ومتعةً بطبعه، وفي الله يريدُها. إني عاجز عن بيان هذه الكيفية والحقيقة أكثر من ذلك، وإن كان قلبي مليئاً بهذه اللذة، وإطالة هذا الذكر أشدُّ متعةً ولذةً، ولكن من أين أجد الكلمات التي تعبّر عنها؟ (الحكم، مجلد ٩، رقم ١٢، عدد ١٠/٤/١٩٠٥ م ص ٥)

إن كمال الأنبياء العظيم هو أنهم ينالون الأخبار من الله تعالى. (الحكم مجلد ٥، رقم ١٠، عدد ١٧/٣/١٩٠١ م ص ٣)

الصديق هو ذلك الذي يكون مطلعاً على الحقائق كاملاً ثم يثبت أيضاً عليها كلياً بشكل طبيعي. فمثلاً يجب أن يكون مطلعاً على حقائق تلك المعارف حتى يعلم ما معنى وحدانية الله، وما معنى طاعته وَتَحْكِي، وما معنى حب الله عزَّ اسمه، وفي أية مرتبة من الإخلاص يتخلص الإنسان من الشرك، وما حقيقة العبودية والإخلاص والتوبة، والصبر والتوكل والرضا والفناء في الله والصدق والوفاء والتواضع والسخاء والابتهاال والدعاء والعفو والحياء والأمانة والإخلاص والتقوى وغيرها من الأخلاق الفاضلة. ثم يجب أن يكون ثابتاً أيضاً على تلك الصفات الحسنة. (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٤٢٠)

كمال الصديق هو أن يتمكن من كنز الصدق كاملاً، أي أن يطلع على حقائق كتاب الله بوجه أكمل حتى تكون آية لكونها خارقة للعادة، وتشهد على صدق هذا الصديق. (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥١٦)

الصديق صيغة المبالغة.. أي المتفاني في الصدق، والملتزم بالصدق والعاشق الصادق إلى درجة الكمال. إذا بلغ المرء هذا المقام سمي صديقاً، وأصبح جامعاً لكل أنواع الحقائق والصدق وجاذباً لها. وكما أن العدسة المحدبة تجذب أشعة



الشمس فترتكز فيها، كذلك الصديق يجتذب فيه كمالات الصدق اجتذابا. قال الشاعر: زرزركشدرجهان گنج. أي. المال يجذب المال، والكنز يجذب الكنز في هذه الدنيا.

عندما يكثر الشيء ويكبر تتولد فيه قوة لجذب الأشياء المماثلة له.

فلسفة إحراز كمال الصديقية هي أن المرء حين يرى ضعفه وقلة حيلته ويدعو بقدر وسعه وطاقته: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ويتحلى بالصدق، ويترك الكذب، ويفرّ من كل أنواع الرجس والنجاسة ذات الصلة بالكذب، ويعاهد الله على أنه لن يكذب أبدا، ولن يشهد شهادة الزور أبدا، ولن يتفوه بكلام كاذب مدفوعا بأهواء النفس، لا لغوًا، ولا كسبًا للخير، ولا دفعًا للشر، أي أنه لن يلجأ إلى الكذب بتاتا في أي حال، أقول عندما يعاهد الله لهذا الحد فكأنما يعمل بقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بوجه خاص، ويُعدّ عمله هذا عبادةً من الطراز الأول.

ثم بعد ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يأتي دعاء ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. وسواء تفوّق المرء بهذا الدعاء أم لا، فإن الله الذي هو مبدأ الفيوض ومنبع الصدق والحق يعينه حتمًا، ويكشف عليه أسمى مبادئ الصدق والحقائق. فمن المسلّم به مثلاً أن التاجر الملتزم بالمبادئ والمتمسك بالصدق والأمانة دائماً، لو بدأ التجارة بقرش واحد لأعطاه الله تعالى مئات الآلاف من الروبيات.

كذلك عندما يحب المرء الصدق والسداد عموماً، ويتخذ من الصدق شعاراً، فإن صدقه هذا يجذب إليه ذلك الصدق العظيم الذي يُريه ربّه، وذلك الصدق المتجسّد هو القرآن الكريم ورسولُ الله ﷺ، كذلك فإن مأموري الله ومرسله كلهم يكونون حقاً وصدقاً متجسّداً. وعندما يصل المرء إلى هذا الصدق تنفتح عيناه، ويحظى ببصيرة خاصة تكشف له معارف القرآن الكريم. لن أصدّق أبداً أن الذي لا يحب الصدق ولا يجعل السداد شعاراً له يمكن أن يطّلع على معارف

القرآن، إذ ليس لقلبه أدنى انسجام مع القرآن الكريم. إن القرآن منبع الصدق، ولن يستقي منه إلا من يحبّ الصدق والسداد. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١٣، عدد ١٧ / ٤ / ١٩٠٥ م ص ٥)

الصّديقون قوم يحبون الصدق، والصدق الأكبر درجة هو "لا إله إلا الله"، والصدق التالي درجة هو "محمد رسول الله". وإنهم يحبون سبل الصدق كافة، ولا يريدون إلا الصدق فقط.... أما الصديق فيحبّ الصدق بعمله ويتجنب الكذب. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٦، عدد ٢٤ / ٧ / ١٩٠٢ م ص ٦)

لإحراز كمالات الصديقين لا بد للمرء من اجتناب سوء الظن كثيرا، ولو أساء بأحد الظن فليستغفر بكثرة ويدعو الله تعالى لكي ينجو من هذه المعصية والعواقب الوخيمة المترتبة على سوء الظن. لا تستهينوا بسوء الظن أبداً، فإنه مرض فتاك يهلك به الإنسان بسرعة فائقة. (الحكم مجلد ٩، رقم ١٤، عدد ٢٤ / ٤ / ١٩٠٥ م ص ٢)

ما دام النبي ﷺ قد أطلق على أبي بكر رضي الله عنه لقب "الصديق"، فالله هو الأعلم بكمالات أبي بكر ومزاياه. لقد قال النبي ﷺ أيضاً إن أبا بكر رضي الله عنه يفضل على غيره بما في قلبه. والحق أننا مهما أجلنا النظر فإن من الصعب أن نجد نظيراً للصدق الذي تحلى به أبو بكر رضي الله عنه. بل الحق أنه لا بد لكل إنسان يريد نيل الكمالات الصديقية في أي عصر من أن يسعى جاهداً للتخلي بخصال أبي بكر وفطرته، ثم عليه بالمجاهدة والدعاء بكل ما أوتي من قوة. وما لم يجعل المرء فطرته كفطرة أبي بكر وما لم يصطبغ بصبغته، فلن يحظى بكمالات الصديق أبداً. (الحكم مجلد ٩، رقم ١٦، عدد ١٠ / ٥ / ١٩٠٥ م ص ٢)

الصدق الكامل لا يتيسر للمرء حتى يجذبه بالتوبة النصوح. والقرآن الكريم جامع للحقائق كلها، وهو الصدق التام، فما لم يصبح المرء صادقا فأنتى له أن يطّلع على كمال الصدق ومراتبه؟ عندما يبلغ الإنسان درجة الصديق تيسر له معرفة القرآن

ومحبته ويُطَلَّع على حقائق القرآن ودقائق معارفه. ولأن الكذب يجذب الكذب، فلا يطَّلَع الكاذب على معارف القرآن وحقائقه أبدًا، ولذلك قال الله تعالى ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة: ٨٠). (الحكم، مجلد ٥، رقم ١١، عدد ١٩٠١/٣/٢٤ م ص ١) المراد من مرتبة الشهادة أنه حين يحرز الإنسان يقينا بالله تعالى وبيوم الجزاء نتيجة قوته الإيمانية، كأنه يرى الله تعالى بأم عينيه؛ عندها تزول مرارة الأعمال الصالحة وصعوبتها ببركة هذا اليقين، وينزل قضاء الله تعالى وقدره على قلبه مثل العسل نتيجة الموافقة الحاصلة، ويملأ صدره بالحلاوة، فيرى الإنسان كل إيلاء إنعامًا.

فالشهيد هو الذي يشاهد الله تعالى نتيجة قوة إيمانه، ويتلذذ من مرارة قضاء الله وقدره وكأنها العسل الحلو، فمن منطلق هذا المعنى يُسمَّى شهيدا. وهذه المرتبة آية للمؤمن الكامل. (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٤٢٠-٤٢١) كمال الشهيد هو أن يُظْهِر، في وقت المصائب والمعاناة والابتلاءات، قوة الإيمان والأخلاق الفاضلة والصمود لتكون آية لكونها خارقة للعادة. (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٥١٦)

كلما ازداد المرء إيمانا نال القوة للأعمال، حتى إذا نمت في المؤمن قوة الإيمان نماءً كاملاً صار في مقام الشهيد، إذ لا يعيق طريقه شيء، حتى إنه لا يتردد في تقديم حياته الغالية. (الحكم، مجلد ٩، رقم ٩، عدد ١٩٠٥/٣/١٧ م ص ٦)

يظن عامة الناس أن الشهيد من قُتل بالسهم أو البندوقية أو مات بموت مفاجي آخر... أن الصِّدِّيق قريب من النبي، ويحتلّ الدرجة الثانية بعد النبي، أما الشهيد فيكون جازاً للصِّدِّيق. النبي يحوز الكمالات كلها؛ أعني أنه يكون صِدِّيقاً وشهيداً وصالحاً في آن واحد، أما الصِّدِّيق والشهيد فدرجتان منفصلتان، ولا داعي للخوض فيما إذا كان الصِّدِّيق شهيدا أم لا. يختلف الصديق عن الشهيد درجةً من حيث إحراز مقام الكمال الذي يصبح فيه كل أمر بالنسبة للشهيد خرقاً للعادة ومعجزةً،

لذا فإن الله تعالى يهبُ للشهيد قوة يصدر بها منه أروع الأعمال والأخلاق على أكمل وجه وفي صورتها الحقيقية، وبلا أي تكلف. هذه الصالحات تصدر منه بلا خوف ولا رجاء، وتصبح جزءًا لا يتجزأ من طبعه وفطرته، فلا يبقى في طبعه أدنى تكلف. وأضرب لبيان ذلك مثالا: عندما يأتي السائل يضطر المرء لإعطائه شيئاً رغم ضيق يده، خجلاً من الناس إن لم يكن خوفاً من الله تعالى، لكن الشهيد يكون منزهاً عن مثل هذا التكلف، وتظل قوته وقدرته هذه في اضطراد مستمر، وكلما ازدادت حَقَّتْ معاناته ولم يُعْدِ يشعُر بأيّ مشقّة، فمتى يعاني الفيل لو وُضعت على رأسه نملة؟ (الحكم، مجلد ٩، رقم ١٨، عدد ٢٤٤/٥/١٩٠٥ م ص ٨)

يظن عامة الناس أن الشهيد إنما هو من مات في قتال، أو مات غرقاً في نهر، أو مات بوباء وما شابه ذلك، لكنني أقول إن الاكتفاء بهذا المعنى وحصر الاستشهاد في ذلك فحسب بعيدٌ عن شأن المؤمن. إنما الشهيد مَنْ ينال من الله قوّة الاستقامة والسكينة، فلا ترعزعه زلزلة أو حادثة، بل يبقى صامداً أمام المصائب والمحن حتى لو تطلب الأمر أن يجود بحياته لوجه الله خالصة، فإنه يعطى صموداً خارقاً للعادة، ويقدم رأسه بدون أي نوع من الحزن أو الحسرة، ويتمنى أن يُحيا مرة بعد أخرى ويُستشهد في سبيل الله مرة تلو مرة، وتحظى روحه من اللذة والسرور بحيث إن كل سيف يقع على جسده وكل ضربة تصيب جسمه لكي تسحقه وتمزقه، تمنحه حياةً جديدة ومسرة جديدة ونضارة جديدة. هذا هو معنى الشهيد.

ثم إن هذه الكلمة مشتقة من لفظة "الشَّهْد" أيضاً، لأن الذين يشقُّون على أنفسهم بالعبادة ويستعدُّون للصبر على كل أنواع المرارة والعناء في سبيل الله، يجدون في ذلك حلاوة كحلاوة الشَّهد، وكما أن الشَّهد مصداق لقول الله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ (النحل: ٧٠)، فإن هؤلاء أيضاً يكونون بمنزلة الترياق، والذين يحضرون صحبتهم ينجون من أمراض كثيرة. ثم إن الشهيد اسم للدرجة والمكانة التي

إذا بلغها الإنسان فإنه يشاهد ويرى الله سبحانه وتعالى عند كل عمل وفعل، أو على الأقل يوقن بأن الله يراه، وهذا هو ما يُسمى الإحسان أيضاً. (الحكم، مجلد ٥، رقم ١١، عدد ٢٤/٣/١٩٠١ م ص ١)

أما الصالحون فهم قوم يصبحون مبرئين من كل فساد. وكما أن المرء إذا كان بصحة جيدة كان طعم لسانه أيضاً سليماً، ويسمى إنساناً سليماً الصحة وفي اعتدال تام، ويكون بريئاً من أي فساد، كذلك فإن الصالحين لا يبقى فيهم أي مرض روحاني ولا فساد روحاني. فكمال الصالح يكمن في نفي الفساد من نفسه، وكمال الشهيد والصديق والنبي يكمن في إثبات الخير في أنفسهم. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٢٦، عدد ٢٤/٧/١٩٠٢ م ص ٦)

الواقع أنه لا مناص للإنسان في حالة الصلاح من أن يكون منزهاً عن كل أنواع الفساد، سواء في العقائد أو الأعمال. وكما أن جسد الإنسان لا يكون في حالة الصلاحية إلا إذا كانت جميع أخلاطه في حد الاعتدال، دون نقص أو زيادة، إذ لو تجاوز شيء منها حد الاعتدال مرضَ الجسد، كذلك فإن صلاح روح الإنسان أيضاً متوقف على الاعتدال، وهو الصراط المستقيم في مصطلح القرآن الكريم. في حالة الصلاح يصبح الإنسان لله فقط، مثل سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ثم يتطور الإنسان الصالح رويداً رويداً ويبلغ مقام النفس مطمئنة، وهنالك يتييسر له انشراح الصدر. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٣٠، عدد ١٧/٨/١٩٠١ م ص ٢)

والصلاح الكامل هو ألا يبقى في المرء أي نوع من الفساد. إن البدن الصالح يخلو من أي نوع من الفساد والمواد السامة، وإنما يسمى بدنًا صالحاً حين يتمتع بالمادة النقية الصحيّة، وإذا لم تكن فيه المادّة الصالحة لا تكون لوازمها صالحة أيضاً، حتى إنّ الجسم غير الصالح يجد الحلّ مؤرّاً. كذلك الإنسان إذا لم يصبح صالحاً، ومجتنباً لكل نوع من السيئات، ومتنزهاً عن كل مادة فاسدة، وجدّ العبادة مؤرّاً. إنه

يصلّي، ولكن بدون أن يجد في صلاته لذة وسروراً. ينقر نقراتٍ ويسلم بوجهٍ يعلوه السأم والملل ويذهب لسبيله. إنما يتمتع الإنسان بالعبادة إذا تنزّه عن المادة الفاسدة، فيجد في عبادته الأُنس والشوق والمتعة والسرور. ومن هذه الدرجة يبدأ إصلاح الإنسان. (الحكم، مجلد ٩، رقم ١٨، عدد ٢٤٥/٥/١٩٠٥ م ص ٨)

الدرجة الرابعة هي درجة الصالحين الذين قد طهّروا من المواد الرديئة وصارت قلوبهم صالحة صافية نقية. من المسلم به أن الإنسان إذا لم يُطهّر من المواد الرديئة وظلّ فاسد المزاج فسُدّ طعمُ لسانه أيضاً حتى إنه يجد الحلو مُرّاً، ولكن عندما يكون بدنه متمتعاً بالصلاحية فيجد طعم كل شيء على حقيقته، ويجد في طبعه لذة وسروراً ونشاطاً وذكاءً. وبالمثل إذا ابتلي الإنسان بنجاسة الإثم فسُدّ قوام روحه وبدأت قواه الروحانية في الضعف والاضمحلال حتى إنه لا يجد المتعة والحلاوة في العبادات، بل يعافها طبعه ويشعر بالقلق والضيق منها، ولكنه عندما يتطهر بالتوبة النصوح ويتخلص من مواد الإثم الرديئة التي تتولد نتيجة عيشته الآثمة، يخفّ هذا الاضطراب والقلق في روحه حتى ينال السكينة والطمأنينة الكاملة في نهاية المطاف، فإذا كان من قبل يجد المتعة في ارتكاب الإثم والسرور في الركون إلى هوى النفس، فإنه يشعر بالألم والحزن في الميل إلى الإثم، وتصاب روحه بهزّة إذا خطرت بباله العيشة المظلمة السابقة، ويجد في العبادات حلاوة وذوقاً وحماساً وتوقاً، وتأخذ قواه الروحانية -التي كانت قد ماتت من قبل نتيجة عيشته الآثمة- في النمو والازدهار، وتأخذ قواه الأخلاقية في الظهور. (الحكم، مجلد ٥، رقم ١١، عدد ٢٤٥/٣/١٩٠١ م ص ١-٢)

المنعم عليهم أربعة؛ النبي والصديق والشهيد والصالح. والأنبياء يجمعون في أنفسهم هذه المراتب الأربع كلها، لأنّ النبوة هي ذروة الكمال. وعليه فمن واجب كل إنسان أن يسعى لنيل هذه الكمالات بمجاهدة صحيحة كالتّي قدّمها لنا النبي ﷺ

بأسوته... يجب أن يهتم بها أبناء جماعتنا خاصة، لأن الله تعالى إنما أراد بإقامة هذه الجماعة إعداداً لجماعة كالتى أعدها الرسول ﷺ، لكي تكون هذه الجماعة في هذا الزمن الأخير شاهدة على صدق القرآن الكريم والنبي ﷺ وعظمتهم. (الحكم مجلد ٩، رقم ١١، عدد ٣١/٣/١٩٠٥ م ص ٦)

من الشروط الضرورية للإلهام الصادق أن يشرح بنفسه مواضعه المجلية. كما في القرآن الكريم آية في سورة الفاتحة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ \* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. فإن عبارة: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ مجملية وتحتاج إلى الشرح، فشرحها الله تعالى في آية أخرى: فقال: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾. (الحرب المقدسة، الخزان الروحانية، المجلد ٦، ص ١١٥)

"فَقَالَ اللَّهُ ذَكَرَ الصِّدِّيقِينَ بَعْدَ النَّبِيِّينَ، وَقَالَ: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ وفي ذلك إشارات إلى الصديق وتفضيله على الآخرين، فإن النبي ﷺ ما سمى أحداً من الصحابة صديقاً إلا إياه، ليظهر مقامه وريّاه، فانظر كالمُتدربين. وفي الآية إشارة عظيمة إلى مراتب الكمال وأهلها لقوم سالكين. وإنا إذا تدبرنا هذه الآية، وبلغنا الفكر إلى النهاية، فانكشف أن هذه الآية أكبر شواهد كمالات الصديق، وفيها سرٌّ عميق ينكشف على كل من يتمايل على التحقيق. فإن أبا بكر سُمّي صديقاً على لسان الرسول المقبول، والفرقان أُلْحِقَ الصِّدِّيقِينَ بِالْأَنْبِيَاءِ كما لا يخفى على ذوي العقول، ولا نجد إطلاق هذا اللقب والخطاب على أحد من الأصحاب، فثبت فضيلة الصديق الأمين، فإن اسمه ذُكِرَ بَعْدَ النَّبِيِّينَ. فانظر بالإجابة وفارق غشاوة الاسترابة". (سر الخلافة، الخزان الروحانية، المجلد ٨، ص ٣٥٧)

الآية ٧٩: ﴿أَيُّمًا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصَبِّهُمُ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصَبِّهُمُ سَيِّئَةٌ

يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٤٣٦﴾

هذه الآية أيضا تبرهن أن الموت ومستلزماته تصيب كل جسد مادي، فهذه هي سنة الله. وفي هذا المقام أيضا لا توجد عبارة أو كلمة تفيد الاستثناء أو تترك المسيح خارج هذه السنة. فإن إشارة النص هذه أيضا تدل على موت المسيح ابن مريم. إن إدراك الموت الإنسان يعني تأثير الدهر فيه بما فيه الضعف والتقدم في السن والأمراض والآفات التي تجره إلى الموت ولا تخلو منها نفس منقوسة. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٣٦)

الآية ٨٢: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾

أي أن الله نفسه وكيل أفعاله ولا يُصدر أوامره بمشورة أحد. (القول الحق، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٢٢٨)

الآية ٨٣: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾

"فأشار في هذه الآية أن الاختلاف لا يوجد في القرآن، وهو كتاب الله وشأنه أرفع من هذا، وإذا ثبت أن كتاب الله منزّه عن الاختلافات فوجب علينا ألا نختار في تفسيره طريقا يوجب التعارض والتناقض." (حماسة البشرى، الخزائن الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٥٦ الحاشية)

... والمعلوم أن الزمن الذي قال الله تعالى فيه عن القرآن بأنه لا يوجد فيه اختلاف كان من حق الناس أن يُظهروا اختلافا إذا وجدوه، ولكن سكت الجميع ولم ينبسوا ببنت شفة. وكيف يمكن الاختلاف فيه ما دامت جميع الأحكام تدور



حول مركز واحد، أي غاية القرآن الكريم وهي الإقامة على وحدانية الله بأسلوب علمي وعملي وبالشدة واللين، والجذب إلى وحدانية الله بترك الأهواء والأطماع؟ (ينبوع المعرفة، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٣، ص ١٩٨)

فلو ورد في وحي النبوة شيء مرة وشيء آخر مرة أخرى لارتفع الأمان. (أيام الصلح، الخزائن الروحانية المجلد ١٤، ص ٤٠٩)

إن الذين لا يستطيعون التمييز بين القصص وبين التعاليم والأحكام يواجهون صعوبات جمّة، ويتسببون في وجود اختلاف في القرآن الكريم، وبالتالي يهجون القرآن الكريم عملياً. ذلك أن الله تعالى يقول في وصف القرآن الكريم: ﴿لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ حيث استدلل هنا بعدم وجود اختلاف في القرآن على كونه من عند الله تعالى، ولكن قليلي البصيرة هؤلاء يُحدثون في القرآن الاختلاف جرّاء فشلهم في التمييز بين القصص والأحكام، ويعدّونه من عند غير الله. (الحكم، مجلد ٤، رقم ٢٦، عدد ١٦٠٧/١٩٠٠م، ص ٢)

الآية ٨٦: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾

... أي أن الله تعالى رقيب على كل شيء. (رسالة الصلح، الخزائن الروحانية،

المجلد ٢٣، ص ٤٧٤)

الآية ٨٧: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾

فليرد على سلام أحد بوجه أحسن. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزائن

الروحانية، المجلد ١، ص ٦٦٦، الحاشية على الحاشية رقم ٤)

إذا سلم أحد عليكم فسلموا عليه فأفضل واحصن منه. (فلسفة تعاليم الإسلام،

الخبزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٣٦)

الآية ٩٤: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾

أي الذي يقتل مؤمنا بغير عذر كاف ومعقول جزاؤه جهنم... ليس ذلك فحسب بل يقول الله تعالى إن عذابي سيحل بشخص مثله. فأَيُّ شيء أخطر من غضب الله تعالى. (بدر، مجلد ٦، رقم ٩، عدد ١٩٠٧/٢/٢٨، ص ١٠)

الآية ٩٥: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمَ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾

لقد منع القرآن الكريم من النقد والطعن أيضا: ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣٠، عدد ١٩٠٤/٤/٢٦، ص ٢)

الآية ٩٦: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

لا يستوي القاعدون- أي الكسالى من أصحاب الأعمال البسيطة- وباذلو المساعي والمجاهدات في سبيل الله. فهذا ما جربناه ونلاحظه من سنين طويلة. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٢٤، عدد ١٩٠٨/٤/٢، ص ٢)

الآية ١٠١: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يُخْرِجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

لقد قال المسيح عليه السلام إن النبي لا يهان إلا في بلده، لكنني أقول إن الصالح لا يواجه الذلة في أي مكان غير وطنه، وليس النبي فقط. يقول الله تعالى: ... الذي يترك وطنه طاعة لله فسوف يجد في أرض الله أماكن راحة يتمكن فيها من أداء الخدمات الدينية بلا حرج. فيا أيها المواطنون، لعلنا نودّعكم عن قريب. (شحنة الحق، الخزائن الروحانية، المجلد ٢، ٣٢٦)

أما الأسباب فلا قيمة لها. يقول الله تعالى إذا خرجتم في سبيلي فستجدون ﴿مُرَاغَمًا كَثِيرًا﴾. فالذي يخطو خطوة بصحة النية يرافقه الله، بل يزول مرض الإنسان إذا كان مريضاً. (بدر، مجلد ٢، رقم ٥، عدد ٢٠/٢/١٩٠٣م، ص ٣٥)

الآية ١٠٢: ﴿وَإِذَا صَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾

قال حضرته عليه السلام: الذي يأتي إلى هنا لثلاثة أيام يجوز له القصر، في رأيي إذا خرج الإنسان بنية السفر، يجوز له القصر حتى لو كان السفر لبضعة أميال. أما نزھتنا هذه فليست سفراً، كذلك إذا كان الإمام مقيماً فلا بد من الاقتداء به في الصلاة الكاملة. جولة الحكام أيضاً لا تعدّ سفراً، ومثله كمثل من يتنزه في حديقته، فلا مبرر للقصر دونما سبب. وإذا قصر الإنسان بسبب الجولات فسوف يقصر دوماً، وهو ليس ثابتاً عندنا. فأني للحكام أن يُعَدّوا مسافرين، فقد قال سعدي أيضاً ما تعريبه:

حيثما يتوجه الثري في الجبال أو الغابات أو الصحارى لا يكون غريباً، إذ حيثما يكون ينصب خيمته ويقيم مجلسه. (الحكم، مجلد ٧، رقم ١٥، عدد ٢٤/٤/١٩٠٣م، ص ١٠)

لذي يسافر ليل نهار وهو موظف في هذا العمل لا يُعَدّ مسافراً، وعليه أن يصلي الصلاة كاملةً. (بدر، مجلد ٦، رقم ٦، عدد ٧/٢/١٩٠٧م، ص ٤)

المسافر هو الذي يضطر للسفر لضرورة بين حين وآخر، وليس الذي يتنقل هنا وهناك للتجارة. فمما يخالف التقوى أن يُعَدَّ هذا الشخص نفسه من المسافرين ويقصر الصلاة على مدى حياته. (بدر، مجلد ٦، رقم ١٣، عدد ٢٨/٣/١٩٠٧ م، ص ٤) لا يجوز قصر الصلاة في حالة المرض، ولكن إذا كان غير قادر على الصلاة قياماً فيصلّيها قعوداً. (مكتوبات أحمد المجلد ٥، رقم ٥، ص ٥٤، المكتوب إلى منشي حبيب الرحمن رحمته الله)

الآية ١٠٤: ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾

ما هي الصلوات الخمس؟ إن هي إلا صورة لأحوالكم المختلفة؛ إذ تلازم حياتكم تغيراتٌ خمس تعتريك وقت البلاء، ولا بد لفطرتكم منها.

١- الأول حين تتلقّى خبراً بأنّ بلاءً قادم إليك؛ كأن تصدر ضدك من المحكمة مذكرةٌ بضرورة مثولك فيها. هذا هو التغير الأول الذي يكدر عليك صفو حياتك ويخلّ براحتك، وتُشَبِّه هذه الحالة بساعة الزوال إذ بدأ بها زوال سعادتك، ومقابل هذه الحالة قد فُرضت صلاة الظهر التي يبتدئ وقتها مع زوال الشمس.

٢- والتغير الثاني ينتابك حين تُدْنَى من مكان البلاء؛ كأن تمثّل أمام الحاكم معتقلاً بموجب المذكرة، وهو وقت يكاد يتجمد فيه دمك خوفاً ويذهب عنك نور الطمأنينة، وتُشابه حالتك هذه وقتاً يتضاءل فيه ضوء الشمس ويمكن النظر إليها، ويبدو بوضوح أن غروبها وشيك؛ ومقابل هذه الحالة الروحانية قد فُرضت صلاة العصر.

٣- والحالة الثالثة تعتريك حين ينقطع رجاؤك في نجاتك من تلك البليّة كليلّة، كأن تجري مجريات المحكمة ضدك ويدلي الشهود بشهادتهم لدمارك، وهو الوقت الذي ينخلع فيه قلبك وتعدّ نفسك أسيراً. وتشبه حالتك هذه غروب

الشمس حين ينقطع الأمل من ضياء النهار، ومقابل هذه الحالة الروحانية قد فُرضت صلاة المغرب.

٤- والتغير الرابع يطرأ عليك حين يحقق بك البلاء فعلاً، ويحيط بك ظلامه المذهم، كأن يصدر الحكم عليك بالعقاب، وتُسَلَّم إلى الشرطة للسجن، بعد استعراض الشهادات وإدانتك. وتشبه حالتك هذه حين يخيم الليل ويسود ظلامه الدامس؛ وإزاء هذه الحالة الروحانية قد فُرضت صلاة العشاء.

٥- ثم بعد مكوثك في ظلمة هذه المحنة برهة من الزمان، تهيج لك رحمة الله في النهاية وتنجيك من تلك الظلمة، تماماً كما ينجلي الفجر أخيراً بعد ظلمة الليل، ويشرق ضوء النهار بلمعانه ثانية؛ ومقابل هذه الحالة الروحانية قد فُرضت صلاة الفجر.

فقد كتب الله عليكم الصلوات الخمس نظراً إلى هذه الأحوال الخمس في تغيراتكم الفطرية. ويمكن أن تدركوا من ذلك أن هذه الصلوات إنما هي لفائدتكم. فإن كنتم تريدون أن تكونوا في مأمن من هذه البلايا، فلا تتركوا الصلوات الخمس، فإنها أظلالٌ لتطوراتكم الباطنة الروحانية. إن في الصلاة علاجاً للمحن الآتية. إنكم لا تدرون ما يجلب لكم اليوم الجديد من قضاء وقدر، فتضرعوا أمام مولاكم قبل طلوع النهار أن يكون طلوعه خيراً وبركة لكم. (سفينة نوح، الخزان الروحانية، المجلد ١٩، ص ٦٩-٧٠)

لقد قسم الله المصائب في قانونه الجاري في الطبيعة إلى خمسة أقسام: أي بؤادر المصيبة المخيفة، ثم الدخول في المصيبة، ثم الحالة التي مآلها... اليأس ثم زمن المصيبة الحالكة. ثم انبلاج صبح رحمة الله. فهذه هي الأوقات الخمسة التي توازيها الصلوات الخمس. (رسالة الصلح، الخزان الروحانية المجلد ٢٣، ص ٤٨٠، والخزان الروحانية، المجلد ٢١، المذكرات ص ٤٢٢)

٦- واعلموا أيضاً أن هذه المواقيت الخمسة المحددة للصلاة ليست من قبيل الجبر أو الإكراه، بل لو تدبرتم فيها لوجدتم أنها في الواقع صورةٌ تعكس حالات الإنسان الروحانية. لقد قال الله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ (الإسراء: ٧٩). وترون هنا أن الله تعالى قد ربط إقامة الصلاة بدلوك الشمس. ومع أن هناك اختلافاً في معنى الدلوك، إلا أن الدلوك هو وقت زوال الشمس. فما السر والحكمة في أن الله تعالى فرض خمس صلوات بدءاً من الدلوك؟

اعلموا أن القانون الطبيعي يكشف لنا أن مراحل التذلل والتواضع الروحاني أيضاً تبدأ من الدلوك نفسه، وأنها خمس حالات. فأول ميقات الصلاة أيضاً يبدأ في وقت تأخذ فيه بوادٍ الهم والغم والحزن في الظهور. فكَمَّ يتواضع المرء ويتذلل عند حلول آفة أو مصيبة! ويمكنكم تقدير الرقة والتواضع اللذين يستوليان على المرء حين يهزه الزلزال مثلاً. كذلك عندما يستلم المرء إخطاراً أو استدعاءً من المحكمة يعلم أن قضية رُفعت ضده بحسب القانون الجنائي أو المدني، وبعد قراءة هذا الإخطار تستولي عليه حالة كحالة زوال الشمس بعد نصف النهار، إذ لم يكن يعرف عن القضية المرفوعة ضده شيئاً قبل اطلاعه على الإخطار، ولكن بعد ذلك تحيط به الأفكار والهموم بأن الخصم ربما قد استعان بمحامٍ ولا يدري ماذا يحدث الآن؟ ولا جرم أن الزوال الذي يصيبه عند هجوم هذه الأفكار والهموم عليه يماثل الدلوك تماماً، وأن حالته الأولى هذه تشبه صلاة الظهر وتنعكس فيها. ثم تطرأ عليه حالة أخرى حين يكون ماثلاً في غرفة المحكمة ويواجه شتى الأسئلة والتهم من قبل الخصم والمحكمة أيضاً، فتكون حالة غريبة حقاً، وهذه الحالة أو هذا الوقت يماثل صلاة العصر، لأن معنى العصر دقُّ الشيء واعتصاره. ثم عندما يزداد وضع المرء سوءاً وخطورةً ويُدان، فيزداد يأساً وقنوطاً، حيث يفكر أنه سيُحكَّم عليه بالعقاب الآن. وهذا الوقت يعكس صلاة المغرب. وحينما يصدر الحكم عليه ويُسلَّم إلى الشرطة أو مفتش المحكمة،

فحالته تلك تعكس صلاة العشاء من الناحية الروحانية. إلى أن ينبلج الفجر ويأتي وقتٌ يتحقق له فيه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الشرح: ٧)، وتشابه حالته تلك من حيث الروحانية وقت صلاة الفجر، وتكون صلاة الفجر انعكاسًا لوقت ذلك الفرج. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص ١٦٦-١٦٧)

الصلوات تبدأ من صلاة الظهر؛ فالمصلّي يبدأ بها من وقت الزوال وعند الغروب يدخل في الظلام كلياً ويظل يدعو في الليل، حتى يأخذ نصيبه من الصباح. يتبين من تقسيم مواقيت الصلاة أن الله تعالى جعل في هذا التقسيم بحيث إحدى الصلوات تأخذ نصيبها من الصباح، أما الأربع الأخرى فمن الزوال والظلام، وإلا كان ممكناً أن تكون الصلوات كلها في فترة الإقبال والعروج. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٦، عدد ١٠/١٠/١٩٠٢م، ص ١٤)

أنا بطبيعتي وفطرتي أحب أداء الصلاة في وقتها، وأحب الصلاة الموقوتة بشدة، بل أحب في المطر الشديد أيضاً أن تُصَلَّى الصلاة في وقتها. مع أن الشيعة والمقلدين خاضوا بمناظرات كثيرة حول هذا الموضوع، ولكنها لا تهمّنا. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٢، عدد ٢٤/١١/١٩٠٢م، ص ١)

سأل شخص لماذا تُرفع السبابة في التشهد أثناء الصلاة؟ فقال ﷺ: كان الناس في الجاهلية يرفعونها للسب، لذلك تسمى السبابة. فأصلح الله العرب وأزال تلك العادة وأمرهم بأن يرفعوها للإعلان أن الله واحد لا شريك له، لكي تزول منها تلك المثلبة. كذلك كان العرب يشربون الخمر خمس مرات فكُتبت مقابل ذلك خمس صلوات. (بدر، مجلد ٢، رقم ٩، عدد ٢٠/٣/١٩٠٣م، ص ٦٦)

إن أركان الصلاة إنما هي القيام والقعود الروحانيان. على الإنسان القيام أمام الله تعالى، وهو من آداب الخدم. أما الركوع، أي الجزء الثاني من الصلاة، فهو يوحى بمدى استعداد المرء لإخضاع عنقه للعمل بالأمر الإلهي. وأما السجود

فيدل على منتهى الأدب والتذلل والفناء الذي هو هدف العبادة. فهذه آداب وطرق وضعها الله تعالى في الصلاة ليذكّر الإنسان بمهدفه وليعطيه نصيباً من السلوك الروحاني. وإضافة إلى ذلك فقد جعل الله تعالى هذه الطريقة الظاهرية إثباتاً للطريقة الباطنية الروحانية. ولو قام المرء بالطريقة الظاهرية -وهي انعكاس للطريقة الباطنية الروحانية- مقلدا الآخرين تقليدًا فارغًا، ومحاولاً التخلص من الصلاة كأنها عبء ثقيل، فأية متعة أو لذة يمكن أن يجدها فيها، وكيف تيسر له حقيقة الصلاة بدون نيل الحلاوة والمتعة فيها؟ إنما يتأتى له هذا حين تحرّ روحه أيضاً على عتبة الله تعالى بكامل الفناء وكامل التذلل، وتردّد روحه ما يردّده لسانه. عندها يحظى بسرور ونور وسكينة. (الحكم، مجلد ٣، رقم ١٣، عدد ١٢/٤/١٨٩٩م، ص ٥)

قال عليه السلام عن ركعات الصلاة: لقد أودع الله في ذلك أسراراً أخرى، والذي يصلي الصلاة لا بد أن يتوقف عند حدٍ على أية حال. كذلك في الذكر أيضاً حدٌّ، ولكن ذلك الحد هو تلك الكيفية والمتعة والشوق الذي ذكرته آنفاً. عندما تتحقق تلك المتعة يتوقف المرء عنه.

ثانياً: هذا الأمر يتعلق بالحال لا بالقول، والذي يقوم بذلك هو الذي يدرك حقيقته دون غيره. الأصل في ذكر الله هو ألا ينسى الله تعالى أبداً وأن يجعله قدّامه دائماً، وبذلك سوف يجتنب الذنوب. (الحكم، مجلد ٨، رقم ٢١، عدد ٢٤/٦/١٩٠٤م، ص ١)

الآية ١٠٥: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُونَ كَمَا تَأْمُونُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾  
﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾، أي عليكم ألا تبرحوا منهمكين في مواسة القوم بدون كلل أو ملل. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٦٣)



الآية ١٠٨: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾

أي لا تخصم ولا تجادل دفاعا عن الخونة الذين لا يترددون عن الخيانة، فالله تعالى لا يوالي أهل الخيانة أبدا. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٦٣)

الآية ١١١: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

إن هذه الآية الحكيمة والدقيقة المعاني تعني: أنه كما أن صدور العثار والذنب من لوازم النفوس الناقصة، فإن المغفرة والرحم صفة الله الأزلية والأبدية، لأنه هو الغفور والرحيم، أي أن مغفرته ليست سطحية أو آنية، بل هي الصفة الأزلية لذاته الأزلية التي يحبها، ويجب إفاضتها على كل إنسان ذي صفات متميزة. أي أنه كلما رجع الإنسان إلى الله تعالى عند الزلة وصدور الذنب نادما تائبا، كان جديرا عند الله بأن يرجع عليه بالرحمة والمغفرة. وإن رجوع الله إلى العبد النادم والتائب لا يقتصر على مرة أو مرتين بل هذه صفة الله الدائمة. فكلما رجع المذنب إليه ﷻ بالتوبة، تجلت له صفته هذه دائما وحتمًا. فليس من سنة الله تعالى ألا تتعثر الطبائع القابلة للعثار أو أن تتغير جذريا فطرة الذين تغلب عليهم القوى البهيمية والغضبية، بل إن من سنته الثابتة والجارية أن الناقصين الذين يرتكبون الذنب من جراء النقص فيهم فإنه تعالى يغفر لهم نتيجة توبتهم واستغفارهم. أما من كان ضعيفا بطبيعته من حيث بعض قواه، فلا يمكن أن يتقوى؛ لأن ذلك يستلزم التغيير في الخلق وهو محال بدهاء. والملاحظ والمحسوس بشكل عام أن الذي يملك طبيعة سريعة الغضب لا يمكن أن يتحول إلى بطيء الغضب قط، بل يلاحظ دائما أن شخصا مثله يُظهر في مواضع الغضب أماراته

عفويا على الرغم منه، ويفقد السيطرة على نفسه أو يقول ما لا يجوز قوله. ولو صبر بالكاد لاحترق قلبه كمدا على أية حال.

فمن الغباوة الظن أن شعوذة ما أو اختياره دينا معينا سيؤدي إلى التغيير في طبعه. لذا قال النبي المعصوم عليه السلام الذي كانت الحكمة جارية على شفتيه: "خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام" .. أي أن الذين يملكون طبائع سليمة في الجاهلية هم الذين يكونون سلمي الفطرة بعد دخولهم الإسلام أيضا. إذن، فالطبائع الإنسانية مختلفة الأقسام والأنواع كالجواهر في المناجم؛ فمن الطبائع ما هو لامع ونزيه مثل الفضة، وبعضها كرهه الرائحة وسريع الاحتدام مثل الكبريت، بعضها مضطرب غير مستقر مثل الزئبق وبعضها صلب وكثيف كالحديد. وكما أن الاختلاف في الطبائع بديهي الثبوت، كذلك فإنه ينسجم مع سنة الله تعالى أيضا، وليس بالأمر العشوائي، وليس بالذي يخالف قوانين نظام العالم، بل عليه تعتمد عمارة العالم وتقدمه.

والمعلوم أنه لو كانت الطبائع كلها على مستوى واحد من حيث الكفاءات، لبطل اختلاف الأمور التي تقتضي كفاءات مختلفة وتعتمد عليها عمارة الدنيا، لأن الطبائع الشديدة تتناسب مع الأعمال الشديدة، والطبائع اللطيفة تنسجم مع الأعمال اللطيفة. لقد أبدى الحكماء اليونانيون أيضا رأيهم بأنه كما يكون بعض الناس أقرب إلى الدواب، كذلك يقتضي العقل أن يملك بعضهم نفوسا تبلغ كمال الصفوة واللطافة، فكما تلاحظ سلسلة الطبائع الإنسانية متردية إلى الأسفل لدرجة تتصل بالدواب كذلك يجب أن ترتقي إلى الأعلى بحيث تتصل بالعالم الأعلى.

(البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ١٨٧-١٨٨)

الآية ١١٣: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾

أي مَنْ ارتكب خطيئة أو إثماً ثم اتهم به شخصاً لم يثبت عليه ارتكابه؛ فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً. فهنا قد أشار الله ﷻ بكلمة "بريء" إلى شخص لم تثبت عليه جريمة أو ذنب. ولو عارض أحد قولنا وقال بأنه ليس هذا المعنى المراد من البريء هنا؛ بل المراد منه أن يتَّهم شخصٌ غيره ثم يُثبت الأخيرُ في المحكمة بالشهادات أنه بريء من الجريمة، كما يثبت براءته بواسطة الشهود؛ لكان استنباطه هذا باطلاً تماماً ومخالفاً ومنافياً للقرآن الكريم بكل صراحةٍ، لأنه لو استنبط من الآية معنى كهذا لأُطلت مشكلة كبيرة برأسها؛ وهي أن اتهام الشخص البريء الذي لم يثبت ارتكابه جريمةً، لا يُعتبر ذنباً عند الله، وإنما الذنب هو إلصاق التهمة بالذي قدّم في المحكمة شهوداً وأثبت براءته، وهذا المعنى باطل باتفاق جميع فرق المسلمين. لذا يرى جميع العلماء المسلمين أن الذين يرمون الغافلات من النساء بالزنا، هم تحت طائلة المؤاخذه بحسب هذه الآية. ولقد اعتبرت الآية هؤلاء السيداتِ بريئاتٍ، وإن كانت أعمالهن مخفية عن الأعين، لأنه لا تثبت عليهن جريمة بحسب الشريعة. فثبت من النص القرآني أن الذي لا دليلَ شرعياً على ارتكابه جريمة ما؛ فهو بريء. وثبت أيضاً أن اللغة العربية تسمّيه بريئاً لأنه لا وسيلة أفضل من القرآن الكريم للاطلاع على محاورات العرب. وهناك آية أخرى وردت في سورة النور تؤيد المعنى نفسه وهي: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور: ٥). المعنى المراد من المحصنات في هذه الآية هو المعنى نفسه الذي أريد من كلمة "بريء" في الآية المذكورة قبلها.

فإذا لم يكن مصداق كلمة البريء إلا الذي يُدان بالجريمة أولاً، ثم تُبرأ ساحته بشهادات الشهود وسقوط أدلة المدّعي نتيجة أدلة الدفاع، كما يرى المولوي محمد

حسين رئيس تحرير المجلة "إشاعة السنة"، فإنَّ اتِّهام المرأة بالزنا في هذه الحالة، أي إذا كان هذا هو المراد من كلمة "بريئا" الواردة في آية ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾، لن يُعدَّ جريمةً إلا إذا أُثبت في المحكمة بواسطة الشهود الثقة أنها ليست بزانية. وهذا يستلزم أيضا أن لا تسلم من شر المتهمين آلاف السيدات العفيفات اللواتي لا دليل على سوء تصرفاتهن بمن فيهن نساء الأنبياء والصحابه ونساء أهل البيت، ولن يكون من حقهن أن يُعتبرن بريئاتٍ ما لم يثبتن عفتهم بحضورهن المحاكم، مع أن الله تعالى قد جعل المتهمين مسؤولين عن إثبات التهمة إذا اتهموا اللواتي لا دليل على سوء تصرفهن، وسماهن بريئات ومحصنات، كما يُفهم من الآية: ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾. أما إذا كان معاندونا لا يبالون بسبب معارضتهم لنا حتى بشرف نساء الأنبياء وأصحابهم ونساء الناس المحترمين جميعا، فعليهم أن يعدلوا بحق نساءهم على الأقل بشيء من الحياء بأنه إذا طعن أحدٌ في عفتهم واتَّهمهن بما لا أصل له، أفتُعتبر هؤلاء النساء بريئات بحسب الآية: ﴿يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾ ويكون المتهم جديرا بالعقاب؛ أم تُعتبرن سيئاتٍ؟ وهل يُسمح لكل من هب ودب أن يطعن في عفتهم ويعتبرهن غير بريئات ما لم يأتين بالشهداء في المحكمة، وما لم يُثبتن براءتهن وعفتهم في المحكمة بالشهادات؟ أي هل الآية: ﴿يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾ تعني أن عدم إثبات الجريمة لا يكفي، بل لا بد من إثبات العفة والبراءة أيضا بشهادات قوية؟ ...

أما النوع الثاني من البريء حيث يقدم المتهم دليلا على براءته فقد سماه القرآن "مبرا" كما يقول: ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّوُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾. (ترياق القلوب، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٣١٧-٣٢٠)

كل الناس الموجودين في العالم، رجالا ونساء، يستحقون أن يسموا أبرياء بحسب لغة العرب ونصوص القرآن الكريم الصريحة ما لم يثبت ارتكابهم جريمة. إذًا، فإن معنى "البريء" واسع جدا حسب القرآن الكريم، وكل شخص يُعدُّ بريئا

ما لم تثبت عليه جريمة، لأن البراءة هو الوضع الطبيعي، أما الجرم فهو علّة تصيبه فيما بعد، لذا لا بد من وجود الدليل عليه. (ترياق القلوب، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٣٢٢، الحاشية)

الترجمة الصحيحة لكلمة: "discharge" هي البريء، وترجمة: "acquit" المبرأ. فهناك تعبيران بالعربية؛ أي: أنا بريء من ذلك، وأنا مبرأ من ذلك. التعبير الأول يعني أنه لم تثبت عليّ أية تهمة. والتعبير الثاني يعني أنه قد ثبتت براءتي. وكلا هذين التعبيرين مستخدم في القرآن الكريم، إذ قد استخدمت كلمة "بريء" في القرآن الكريم بمعنى "discharge" تماما. فيقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (النساء: ١١٣) كذلك ورد في القرآن الكريم مثالا على "المبرأ": ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ (النور: ٢٧). هذه الآية تتحدث عن مناسبة كانت فيها البراءة وخلو المتهم من الجريمة مشكوكا فيه إلى فترة، ثم هيا الله الدفاع عنه وبرأ ساحته. فالواضح من كلمات: ﴿يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾ بالبداهة أن الله تعالى قد أطلق كلمة "بريئا" على الذي لم تثبت عليه أية جريمة، وهذا هو مفهوم كلمة "discharge". ولو قال قائل مكابرة إن المراد من البريء هو من يثبت براءته بواسطة شهود الدفاع بعد ثبوت ارتكابه الجريمة، فإن هذا القول باطلٌ بداهةً، لأنه لو كان هذا هو المراد من "البريء" عند الله، لأطلت المشكلة برأسها وكان الآية تفتي أن توجيه الاتهام إلى الذي لم يثبت ذنبه؛ ليست جريمة عند الله، وإن كان يعيش كالعفيفين الخاملين، ولكنه لم يثبت إلى الآن براءته بحضوره المحكمة. والحق أن هذا الفهم باطل تماما، وينقلب بسببه تعليم القرآن الكريم رأسا على عقب، لأنه لو كان الأمر كذلك لكان الذين يرمون المحصنات - اللواتي لم يُثبتن براءتهن وعدم ارتكابهن فاحشةً طيلة حياتهن بالحضور إلى المحاكم - لا يرتكبون ذنبا، ولكان جائزا لهم أن يوجّهوا إلى المحصنات الغافلات مثل هذه التهم. ولكن هذه الفكرة محرمة ومعصية

بكل صراحة بحسب قوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ (النور: ٥).

لاحظوا الآن، لقد أطلق الله تعالى كلمة "المحصنات" أي "البريات" على اللواتي لم تثبت عليهن تهمة الزنا. وهذا الشرح لكلمة: "بريء" ينسجم تماما مع مفهوم "discharge" لأنه إذا كانت كلمة "بريء" التي استخدمها القرآن الكريم في الآية: ﴿يَزْمُ بِهِ بَرِيئًا﴾ لا تُطْلَقُ إلا إذا ثبت إجرام أحد وأدين أيضا، ثم أثبت براءته بشهادة الشهود، وأبطلت أدلة الدفاع أدلة المدعي؛ لكان الأشرار أحرارا في أن يقذفوا جميع النساء اللواتي لم يُثْبِتْنَ في المحكمة بواسطة الشهود العُدول أنهن لسن زانيات، سواء أكنَّ نساء الرسل والأنبياء أو الصحابة أو أولياء الله أو نساء أهل البيت.

والمعلوم أن هذا الاستنتاج من كلمة: "بريء" في آية: ﴿يَزْمُ بِهِ بَرِيئًا﴾ ليس إلا الحادا وينافي تماما مشيئة الله تعالى. بل يتبين بدهة أن المراد من "البريء" في هذه الآية عند الله هو أن المحصنات والمحصنين الذين لم يثبت عليهم ذنب؛ يستحقون أن يُطْلَقَ عليهم "بريء"، وأن اتهامهم دون إثبات فسوق قد منع الله منه في الآية قيد البحث. أما هذا المعارض فإن كان لا يهّمه الأنبياء أو الرسل ولا يريد أن يتراجع عن تعنته، فعليه أن يستحي من نسائه هو على الأقل ويعدل في أمرهن؛ وليفكر أنه إذا اتهمهن أحد دون دليل بما يمس عفتهم، فهل سيُعتَبَرْنَ بريئات بحسب آية: ﴿يَزْمُ بِهِ بَرِيئًا﴾ ليكون المتهم جديرا بالعقوبة، أم أنهن لن يُعتَبَرْنَ بريئات إلا إذا أثبتن براءتهن بشهادات الشهود في المحكمة؟ أم يُسَمَّحُ لكل من هبَّ ودبَّ أن يطعن في عفتهم ما لم يُثْبِتْنَهَا بواسطة الشهادات ويُعلن أنهن بريئات؟

معلوم أن الله تعالى قد جعل المتهم مسؤولا عن إثبات التهمة، وعدَّ الرجال والنساء أبرياء ما لم يُثْبِتْ المتهم التهمة. فبحسب القرآن الكريم ولغة العرب تحتوي كلمة "بريء" على معان واسعة وهي أن كل شخص سيُعدَّ بريئا ما لم تثبت جرمته،

لأن الحالة الطبيعية هي أن يكون الإنسان بريئا، والذنب علة تلاحقه لاحقا. (ترياق القلوب، الخزائن الروحانية، المجلد ١٥، ص ٤٤١-٤٤٤)

الآية ١١٤: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾

أنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك... "أي علمك حقية الكتاب وحقية الرسالة. (أسئلة ثلاثة لمسيحي والرد عليها الخزائن الروحانية، المجلد ٤، ٤٢٦)

﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ أي لا يمكن أن يبلغ أي نبي مرتبتك، إذ إن فضل الله عليك أكبر مما كان على الأنبياء جميعا. ولقد ورد في الزبور المدح نفسه نبوءة بحق النبي ﷺ حيث جاء: "مَسَحَكَ اللَّهُ إِهْكَ بِذَهْنِ الْإِبْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ رُفَقَائِكَ". (الْمَزَامِيرُ: ٤٥). (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٦٠٦ الحاشية في الحاشية رقم ٣)

أي علمك الله علوما ما كنت قادرا على تحصيلها بنفسك، وإن فيوض الله نزلت عليك بفضله تعالى أكثر من غيرك؛ بمعنى أنك سبقت الجميع من حيث المعارف الإلهية والأسرار والعلوم الربانية، وأن الله تعالى قد مسحك بعطر معرفته أكثر من غيرك.

إذا، فقد جعل الله تعالى العلم والمعرفة وسيلة لإدراك حقيقة الإسلام، مع أن هناك وسائل أخرى أيضا لإدراكها؛ مثل الصوم والصلاة والدعاء والعمل بكافة أوامر الله التي تربو على ستمئة أمر، ولكن العلم بعظمة الباري عز اسمه وبوحدانية ذاته، والمعرفة بشؤونه وصفاته الجلالية والجمالية، هي أعظم الوسائل التي تتوقف عليها الوسائل الأخرى كلها؛ إذ كيف لغافل القلب والمحروم تماما من معرفة الله أن يوفق للصوم والصلاة والدعاء، أو يكسب الخيرات الأخرى؟ إذ الدافع وراء كل هذه الأعمال الصالحة هو المعرفة، وهي منشأ الوسائل الأخرى كلها، وهي تتولد منها.

وإن بداية هذه المعرفة هي بسبب صفة الرحمانية وليست نتيجة أي عمل أو دعاء، بل هي فقط هبة من الفيض الذي لا علة فيه، يهدي من يشاء ويضل من يشاء. ولكن هذه المعرفة تزداد نتيجة الأعمال الصالحة وحسن الإيمان حتى تنزل في نهاية المطاف بصورة الإلهام وكلام الله وتنور الصدر كله بالنور الذي يسمى الإسلام. وعند الوصول إلى هذه الدرجة من المعرفة التامة لا يبقى الإسلام مقتصرًا على الألفاظ، بل تتسنى جُلّ حقيقته التي تناولت ذكرها قبل قليل، وتضع روح الإنسان رأسها على عتبات الله بكل تواضع وانكسار. عندها يصدر من كلا الجانبين صوت يقول: كل ما هو لي فهو لك؛ أي تنطق روح العبد وتقرّ بأن كلّ ما هو لي فهو لك يا ربي، ويتكلم الله تعالى أيضا ويبشر عبده قائلاً: يا عبدي، كلّ ما هو معي من السماوات والأرض وغيرهما فهو معك كلّهُ. (مرآة كمالات الإسلام، الخزانة الروحانية، المجلد ٥، ص ١٨٧-١٨٩)

كان فضل الله على النبي ﷺ عظيماً كما يقول تعالى: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾. والحق أن الإنسان يُعصم نتيجة الفضل فقط. فمن كان فضل الله عليه عظيماً وُبُعث إلى العالم كله وجاء رحمة للعالمين يمكن تقدير عصمته من ذلك فقط. من كان واقفاً على ارتفاع عظيم أتى للواقف في الأسفل أن يبارزه؟ إن عزيمته المسيحية ودعوته مقتصرة على خراف بني إسرائيل الضالة، لذا لا بد أن تكون درجة عصمته أيضاً مقتصرة على هذا الحد. أما الذي جاء لنجاة العالم كله وتحريرهم، يمكن لكل عاقل أن يفكر كم سيكون تعليمه محتويًا على الحقائق العالمية وكم سيكون معصوماً من حيث تعليمه وتبليغ دعوته. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣١، عدد ١٩٠٢/٨/٣١، ص ٥)

الحقيقة أن النبي ﷺ حائز على أفضلية لا يشاركه فيها أي نبي آخر، وإن مذهبي هو أن الذي لا يبين حياة النبي ﷺ فهو كافر عندي. (الحكم، المجلد ٧، رقم ٢٩، عدد: ١٩٠٣/٨/١٠، ص ٢)



أستطيع أن أثبت من القرآن الكريم بل من جميع الكتب أن كافة الأخلاق والمزايا التي وُجدت في الأنبياء جميعاً قد اجتمعت في النبي ﷺ. وإلى ذلك تشير الآية: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾. (بدر، مجلد ٣، رقم ٣٥، عدد ١٦/٩/١٩٠٤م، ص ٢)

الآية ١٢٣: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾

قولوا الآن عدلا وإنصافا، هل تعدل الأفكار المحضة التي تتولد في القلوب هذا الوعد الصريح؟ أو هل تستوي حالة شخص صادق القول بإعطائه أحدا شيئا من المال مع شخص لا يعد غيره بشيء قط؟ هل يستوي المبشر وغير المبشر؟ كلا. والآن فكروا في أنفسكم أيّ الأمرين أوضح وأكثر اطمئنانا، الذي وعد الله فيه بإعطاء أجر حسن، أم الذي سكت الله عنه سكوتا تاما ثم يخطط له المرء من عند نفسه؟ هل من عاقل لا يعدّ الأمر الموعود أفضل من غير الموعود به؟ أيّ قلب لا يضطرب رغبة في الوعد؟ إذا كان الله ﷻ صامتا واجما دائما فعلى أيّ أساس يجتهد المرء في سبيله، وعلى من يتوكل؟ هل له أن يعدّ أفكاره الشخصية وعودا من الله تعالى؟ كلا. والذي لا يُعرف عنه شيء؛ أيّ جزاء سيجزي به، وكيف يجزي ومتى يجزي، فمن الذي يعلّق به آمالا قوية؟ وكيف يمكن أن يلقي بالا للمساعي والمجاهدات في حالة اليأس؟ إن وعود الله تعالى هي التي تدفع المرء إلى السعي وتخلق في قلبه حماسا كاملا. فبالنظر إلى تلك الوعود يتخلى العاقل عن حب الدنيا ويهجر آلاف العلاقات والروابط والعلائق والقيود من أجل الله تعالى. إنما الوعود التي تجذب المتلطفين بالأهواء والأطماع إلى الله دفعة واحدة. حين ينكشف على المرء أن كلام الله حق وأن كل وعد من وعوده ﷻ متحقق لا محالة يوما من الأيام، فيفتر حبه للدنيا فورا، ويتحول إلى شخص آخر تماما في لمح البصر ويصل إلى مقام يختلف

كلياً. فملخص الكلام أن الباب المفتوح - سواء من حيث الإيمان أو العمل أو الأمل في الجزاء والعقاب - إنما هو باب إلهام الله الصادق وكلام الله المقدس وحده. كلام پاک آن بیچون دہد صد جام عرفاں را کسے کو بیخبر زان می چہ داند ذوقِ ایمان را نہ چشم است آنکہ در کوری ہمہ عمرے بسر کردست نہ گوش است آنکہ نہ شنیدست گاہے قولِ جانان را "إن كلام الله الذي لا شريك له يسقي من العرفان مئآت الكؤوس، فأنتى للمحروم من هذه الخمر أن يتذوق الإيمان؟

العين التي قضت الحياة كلها في العمى ليست عينا بالمرّة، وكذلك الأذن التي لم تسمع كلام الحبيب قط ليست أذناً". (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٢٢٢-٢٢٣، حاشية رقم ١١)

الآية ١٢٧: ﴿وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَكَانَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾

يقول: ﴿وَكَانَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ أنه عدّ الله جسماً ومادياً وأدخله في زمرة العالمين؟ كلا. أما الاعتراضات التي ترد على الفيدا فلا أعرف بم يمكن أن يردّ عليها الآريون. (شحنة الحق، الخزائن الروحانية، المجلد ٢، ص ٣٩٩)

الآية ١٢٩: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾

قد ورد في القرآن الكريم: "والصلح خير" لذا إذا وقع بينكم الشجار والخصام يجب أن تتصالحوا ففيه الخير والبركة. لا أقصد من ذلك أن تكون الحال نفسها مع أهل الأديان الأخرى أيضاً بل يجب أن تكون هناك عداوة دينية قاسية تجاههم، إذ لا يصلح دين المرء ما لم تكن هناك غيرة دينية. هل يمكننا أن نتصالح مع هؤلاء

الهندوس والنصارى الذين يسبون نبينا الأكرم ﷺ؟ بل إن الجلوس في مجالسهم وعقد الصداقة معهم وزيارتهم في بيوتهم معصية. غير أنه إذا كان الناس من فرقة واحدة فإن معظم خصوماتهم تكون مبنية على سوء الظن. (بدر، مجلد ٢، رقم ٢٣، عدد ٦/٦/١٩٠٦ م، ص ٥)

الآية ١٣٦: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلُوتُوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ أي عليكم أن تثبتوا على الحق والإنصاف، وأن تكون كل شهادة منكم لله فقط. لا تكذبوا وإن أضر قول الصدق بكم أو بأبائكم أو بأقاربكم كالأبن وغيره. (فلسفة تعاليم الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٦١)

من اعتراضات (المسيحيين) أن النبي ﷺ قد أجاز الكذب في ثلاثة مواقف، وأمر المرء في القرآن الكريم كان صريحا بكتمان إيمانه، بينما الإنجيل لم يسمح بكتمان الإيمان.

أما الجواب: فليتضح أني لا أعتقد أن الإنجيل يضم عشر معشار التأكيد الوارد في القرآن الكريم على التمسك بالصدق. لقد نشرْتُ في هذا الموضوع إعلانا قبل عشرين عاما مع كتابة الآيات القرآنية، وكنتُ وعدتُ النصارى وغيرهم بمنح مبلغ كبير جائزة، وأنه إن استخرج لنا من الإنجيل أيُّ مسيحي تأكيداً مماثلاً لما تضمنته هذه الآيات من حثٍّ على التحلي بالصدق؛ فسوف ينال هذا المبلغ جائزة. لكن السادة القساوسة حتى الآن لمزمو الصمت وكأن أرواحهم فارقت أجسادهم. والآن بعد مدة طويلة تكلم فتح المسيح من الكفن وربما نسي إعلاننا ذلك بما مرَّ عليه من زمن طويل. أيها القس، إنك تحب أن تحوّل الأعشاب والقش ذهباً، وتقيم متخبطا هنا وهناك مُعرضاً عن منجم الذهب، إذا لم يكن ذلك شقاوةً فبِمَ نسّميه؟

لقد جعل القرآن الكريم قول الزور مساويا لعبادة الأوثان كما يقول: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾، وقال في آية أخرى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ افتح الإنجيل يا مَنْ لا تخاف الله! وأخبرنا أين ورد مثل هذا التأكيد البالغ على التمسك بالصدق فيه؟ (نور القرآن رقم ٢، الخزان الروحانية، المجلد ٩، ص ٤٠٢-٤٠٣)

الآية ١٣٧: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾

... ضل ضلال بعيدا... أي بُعد من الحق جدا، يعني حُرْم من النجاة. (حقيقة

الوحي الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٢٩)

الآية ١٤٢: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾

انظروا؛ لقد بشر الله تعالى المؤمنين في القرآن الكريم بالفتح عند المقابلة، والظاهر الجلي أن الله تعالى يكون حاميا وناصرًا للمؤمن، ولا يكون كذلك للمفترى. (الحكم السماوي، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ٣٤٤، ص ٣٣٤)

لقد وعد الله بغلبة المؤمن في كل الأحوال حيث يقول تعالى: ﴿لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (مرآة كمالات الإسلام، الخزان الروحانية، المجلد ٥، ص ٢٩٦) لا يخزي الله تعالى عباده الأطهار أبدا. ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ هذا وعده الحق. (الحكم، مجلد ٥، رقم ١٢، عدد ٣١/٣/١٩٠١م، ص ٣)

الآية ١٤٦: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾  
ليس المراد من الدلة أن يضرب أحد بالأحذية على رأسه في السوق. بل الحق أنه لا دلة أكبر من أن يثبت النفاق في سيرة شخص يدعي كونه شيخا وتقياً؟ وما من أحد أذل من المنافق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾.  
(إعجاز أحمدي، الخزان الروحانية، المجلد ١٩، ص ١١٩)

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾... كذلك ورد في الحديث الشريف:  
"لا يزي الزاني حين يزي وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق هو مؤمن". أي أن الزاني لا يبقى مؤمناً في حالة الزنا، والسارق لا يبقى مؤمناً في حالة السرقة. وما دام الأمر هكذا فكيف يظل المنافق مؤمناً في حالة النفاق. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٦٩)

لو لم يُعط المؤمن تفرداً خاصاً فكيف تتحقق الوعود التي وُعد بها المؤمنون؟ ولكن لا يمكن للإنسان أن يستفيد شيئاً ما دام ذا وجهين ومنافقاً: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾. (بدر، مجلد ١، رقم ٣٤، عدد ٨/١١/١٩٠٥م، ص ٤)  
أنا لا أحب المنافقين. يقول الله تعالى عنهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ اعلّموا أن المنافق أسوأ من الكافر لأن الكافر يملك الشجاعة والقوة لأخذ القرار على الأقل ويؤدي رأيه المخالف بشجاعة، ولكن المنافق لا يملك الشجاعة ولا القوة لأخذ القرار فيخفي ما في سريره. (الحكم، مجلد ١٠، رقم ١، عدد ١٠/١١/١٩٠٦م، ص ٣)

لكن الله ﷻ لا يريد أن يجعل هذه الأمة منافقين، بل قد حذر الله من النفاق، وعدّ هذه الخصلة أسوأ حالات الإنسان، فقد قال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾. فمتى تتحمل غيرة أي مسلم قويّ الإيمان وحيثه أن يسمع ضد معتقداته ومسلّماته الدينية المحبة إليه، أو يشاهد الإساءة إليها، أو يكنّ حبا صادقا ووفقا

مع أولئك الذين يسيئون إلى الصالحاء الذين يراهم مقتديه الدينيين ويسبونهم؟ فالذي يجب أحدا بهذه الخصال هو في رأينا منافق، ومن كلاب الدنيا، لأن غيرة أي مسلم صادق لا تتحمل بأي حال أن ينافق. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٣١، عدد ١٩٠٨/٥/٦ م، ص ١)

الآية ١٤٨: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾

...لقد بين في هذه النبوة أن العذاب المقبل سيُصرف بالشكر والإيمان. (أيام الصلح، الخزان الروحانية، المجلد ١٤، ص ٢٣٣، الحاشية)

إنه لمن فضل الله تعالى أنه يوقظ الرقود بسوطه، وإلا ما حاجته ليعذب أحدا كما يقول: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾. فإذا اخترتم سبيلي أنا لماذا يحل بكم عذاب. (بدر، مجلد ٢، رقم ١٢، عدد ١٩٠٣/٤/١٠ م، ص ٩٢)

إن أعمالكم السيئة هي التي توقعكم في العذاب. (بدر، مجلد ٦، رقم ١٢، عدد ١٩٠٧/٤/٢١ م، ص ٤)

ماذا يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وخشيتهم عظمتهم ويوم عقابه. (مجموعة الإعلانات المجلد ٢)

الآيات ١٥١-١٥٣: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا \* أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا \* وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

أي الذين يقولون يكفينا الإيمان بالله أو ببعض رسله، وليس ضروريا أن نؤمن

بالرسول إلى جانب الإيمان بالله، أو ليس ضروريا أن نؤمن بجميع الأنبياء، هم الكافرون حقا. ثم يقول تعالى بأن الذين لا يفرقون بين الله ورسله بمعنى أنهم لا يكتفون بالإيمان بالله دون الإيمان برسله، ولا يختارون طريق التفرقة.. بمعنى أنهم يؤمنون ببعض الرسل ويتخلون عن بعض، أولئك سيؤتيهم الله أجورهم.

أين الآن "ميان عبد الحكيم" المرتد الذي تخلى عني بسبب قولي هذا؟ فلينظر بعيون باصرة كيف ربط الله تعالى الإيمان به بالإيمان بالرسول. والسر في ذلك أن القوة المودعة في الإنسان لقبول التوحيد إنما هي مثل النار الكامنة في الحجر. وإن وجود الرسول هو كالزئذ الذي يضرب على الحجر ضربة التركيز والاهتمام فيخرج منه النار. فلا يمكن بحال من الأحوال أن تنشأ في قلب نار التوحيد دون زند الرسول. الرسول هو الذي يأتي بالتوحيد إلى الأرض، ولا يمكن نيله إلا بواسطته. إن الله تعالى خفي ويُرى وجهه بواسطة النبي. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٣٠-١٣١)

الآية ١٥٦-١٥٩: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا \* وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا \* وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا \* بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾

ففي هذه الآيات جواب على كلا الاعتراضين، ويتلخصان بأن ولادة عيسى ليست غير شرعية، ولم يمت أيضا على الصليب بل ظن خطأ أنه مات. لذا فإنه مقبول في حضرة الله وقد رُفع إلى الله مثل الأنبياء الآخرين. أين الآن المشايخ الذين يرفعون جسده إلى السماء؟ فكانت القضية كلها تتعلق بروحه

ولا علاقة لها بالجسد مطلقاً. (إعجاز أحمدى، الخزائن الروحانية، المجلد ١٩، ص ١٢١)

ليس المراد من: وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ هُمْ، قط أن المسيح لم يموت. أليس هناك طريق آخر لموت الإنسان إلا أن يُقتل أو يُصلب؟ بل المراد من النفي الوارد هنا أمر آخر؛ فقد ورد في التثنية ٢١: ٢٣ أن "المعلق ملعون من الله"، واليهود الذين قتلوا المسيح على الصليب على حد زعمهم، كانوا يظنون لتمسكهم بهذه الآية أن المسيح ابن مريم لم يكن نبياً ولا مقبولاً عند الله، لأنه مات على الصليب، بحسب مضمون التوراة التي تقول أن الذي يموت على الصليب ملعون، فأراد الله تعالى أن يُظهر الحقيقة للعيان ويدحض زعمهم هذا، فقال: ما صُلب المسيح ابن مريم في الحقيقة، وما قُتل، بل مات ميتة طبيعية. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٢٧٧)

أي أن سبب حرمان اليهود من رحمة الله والإيمان كان نتيجة أعمالهم السيئة التي ارتكبوها. ومن جملتها قولهم: انظروا، قد قتلنا المسيح ابن مريم الذي كان يدّعي أنه رسول الله. إن قولهم هذا لا يعني أنهم كانوا يؤمنون بالمسيح رسولاً، وإلا لما علّقوه على الصليب. بل إن قولهم إننا قتلنا الرسول كان استهزاءً وسخريةً، لأنه قد ورد في التوراة أن المعلق ملعون من الله، أي بعيدٌ من رحمة الله وقربه. كان اليهود يقصدون من وراء قولهم هذا أنه إذا كان عيسى بن مريم رسولا صادقا لما قدرنا على صلبه؛ لأن التوراة تعلن بأعلى صوتها أن المصلوب ملعون. ثم يقول القرآن بعد ذلك إن اليهود ما قتلوا المسيح ابن مريم وما صلبوه، بل هذا الأمر مشبوه فيه في قلوبهم وليس يقينياً، وقد جعل الله الأمر مشتبهاً عليهم ليظهر عليهم غباءهم وقدرته. ثم يقول تعالى بأن الذين يشكّون في كون المسيح قد صُلب فعلاً، ليس لديهم دليل قطعي ويقيني على أنه مات على الصليب، بل الأمر اليقيني هو أنه مات ميتة طبيعية، ثم



رفعه الله تعالى إليه كما يرفع عباده الصالحين. إن الله عزيز ويزق العزة للذين يصبحون له، وهو حكيم فيفيد بحكمه أولئك الذين يتوكلون عليه. ثم قال تعالى: ما من أهل الكتاب إلا ويؤمن ببياننا الذي ذكرناه آنفا عن أفكار أهل الكتاب أنفسهم، قبل أن يؤمن بحقيقة أن المسيح قد مات موتا طبيعيا.

أي بيّنا من قبل أنه لا أحد من أهل الكتاب يؤمن من أعماقه بأن المسيح قد مات على الصليب في الحقيقة، بل إن اعتقاد اليهود والنصارى كلهم بموته على الصليب مبني على الظن والشك فقط، وإن بياننا هذا صحيح تماما ولا يسع أحدا إنكاره. غير أنهم لا يعرفون عن موعد موته، فها نحن نخبرهم بذلك بأنه قد مات، وأن روحه قد رُفعت إلينا بإكرام.

ليكن معلوما هنا أن قول الله تعالى بأنه ما من أهل الكتاب إلا ويؤمن ببياننا عن أفكارهم إنما هو بيان إعجازي ومطابق تماما لما قاله الله تعالى لليهود: ﴿فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ٩٥). فالمراد من هذا القول هو أن اليهود يقولون بأنهم قتلوا المسيح على الصليب، ويستنتجون من ذلك أنه ملعون وليس نبيا صادقا - والعياذ بالله - وكذلك يقول النصارى إن المسيح قد مات على الصليب، ويستنتجون من ذلك أنه صار كفارة عن ذنوبهم، ولكن الحق أن كلا الفريقين مخطئ في أفكاره، ولا أحد من كلا الفريقين يؤمن في قرارة قلبه بهذه الأفكار. بل اعتقادهم القلبي هو أن المسيح ما مات على الصليب يقينا. لقد أراد الله تعالى من هذا الكلام أن يدرك المنصفون على وجه القطعية من سكوت اليهود والنصارى أنه ليس في أيديهم بهذا الصدد شيء إلا الشك. ولما لزم اليهود والنصارى الصمت بعد الاطلاع على هذه الآية ولم يبرزوا في الميدان للإنكار، اتّضح أن السبب في ذلك أنهم كانوا يعرفون جيدا أنهم لو برزوا للمواجهة وادّعوا بما ليس في قلوبهم، لواجهوا ذلة وخزيا، ولسوف تظهر من الله آية تُثبت كذبهم، لذا لم ينبسوا ببنت شفة، بل

لزموا الصمت. مع أنهم كانوا يعرفون جيدا أن سكوتهم سيثبت إقرارهم بالأمر، وهذا سيؤدي من ناحية إلى استئصال عقيدة هؤلاء الكافرين، ومن ناحية أخرى يُبطل اعتقاد اليهود أن المسيح ليس رسولا صادقا من الله وليس من الذين يُرفعون إلى الله ﷻ بالإكرام. ولكن السيف اللامع لصدق محمد رسول الله ﷺ كان يبهر أبصارهم. فكما قيل لهم في القرآن الكريم: ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ولكن لم يفعل ذلك أحد لخوفهم، كذلك لا يسع أحدا الإنكار هنا أيضا لشدة خوفه، أي لم يستطيعوا القول بأننا نوقن بموت المسيح على الصليب، فلماذا نُعد من غير الموقنين؟ فإن سكوتهم في زمن النبي صار حجة إلى الأبد، وأثرت أعمالهم وتصرفاتهم على ذرياتهم المقبلة أيضا، لأن السلف يكونون بمنزلة الشهود للخلف، ولا بد للأجيال القادمة من أن تقبل شهاداتهم.

والآن يمكن للقراء أن يدركوا أن البحث الذي بدأه الله تعالى - وهو أن المسيح لم يمت على الصليب بل مات موتا طبيعيا - كان الهدف من ورائه أن الفتنتين المختلفتين (أي اليهود والنصارى) كانوا يستنتجون من موته على الصليب نتيجتين مختلفتين لدعم موقفهما: قال اليهود إنه مات على الصليب، والمصلوب ملعون حسب التوراة، أي يُحرم من قرب الله ومن شرفِ الرفع إلى الله، وإن شأن النبوة أرفع وأعلى من أن يصيبها هذا النوع من الذلة، أما المسيحيون فقد ابتدعوا - خشية طعن اليهود - أن موت المسيح على الصليب لا يضره بشيء، بل قبل لنفسه هذه اللعنة برغبته ليخلص منها المذنبين. فقد أراد الله أن يثبت بطلان موقف كلتا الفتنتين، وبين أنه لا أحد منهم يوقن بموت المسيح على الصليب، وإذا كان منهم من يوقن بذلك فليخرج للعيان. فلاذوا بالفرار ولم ينبسوا ببنت شفة. وإنها لمعجزة عظيمة للنبي ﷺ وللقرآن الكريم، ولكنها خافية عن أعين المشايخ المعاصرين قليلي الفهم.

وأقسم بالذي نفسي بيده أن هذه الحقيقة قد كُشفت عليّ في هذه اللحظة بالذات، بالكشف، وكلّ ما كتبته آنفاً فقد كتبته بتعليم ذلك المعلّم الحقيقي، فالحمد لله على ذلك.

ولو اختبر الموضوع على محك العقل لشهد كل عقل سليم على صدق هذا البيان، لأن كلام الله نزيهٌ من اللغو. ولكل عاقل أن يفهم أنه لو لم يشمل هذا البحث تلك المقاصد العظيمة، لكان البيان كله لغوا لا حقيقة فيه، لأنه لو كان الأمر كذلك لصار النقاش - هل مات نبي من الأنبياء على الصليب أو موتا طبيعيا - عقيما لا يسفر عن نتيجة مُرضية.

لذا يجب التأمل جيدا؛ ما هو الهدف السامي الذي يريد الله تحقيقه ببيانه بهذه القوة والشدة بأنه ما من يهودي أو مسيحي يعتقد يقينا بموت المسيح على الصليب؟ أو ما هو الهدف العظيم الذي لإثباته، أسكت الله كلا الفريقين من اليهود والنصارى وأفحهما؟ إنه الهدف نفسه الذي أظهره الله بواسطة كشفه الخاص على هذا العبد الضعيف الذي هو كافر وملحد في نظر المشايخ.

اے خدا جانم براسرار تہ فدا امیاں رامے دی فہم و ذکا

در جہانت ہجو من امی کجاست در جہالت ہا مرا نشو نماست

کر کے بودم مرا کردی بشر من عجب تراز مسیح بے پدر

أي: يا رب، نفسي فداء أسرارك، فقد رزقت الأُميين فهمًا وذكاء.

أين أُمِّي مثلي في كونك كله؟ فقد نشأت وترعرعت في بيئة يسودها الجهل.

كنت دودةً صغيرة، فجعلتني بشرا، إن شأني أغرب من مسيح كان بلا أب.

إذا طُرح سؤال: هل يمكن الاستدلال من الإنجيل على عدم موت المسيح على الصليب أم لا؟ أي هل يثبت أن عملية الصلب لم تكتمل وإن كان قد غُلّق على الصليب في الظاهر، بمعنى: هل لم يمّت المسيح على الصليب؟

فجوابه أن الأناجيل الأربعة تشهد بكل جلاء على بيان القرآن الكريم: ﴿مَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ لأن القرآن لا يقصد قط من: ﴿مَا صَلَبُوهُ﴾ أنه ما عُلق على الصليب، بل المراد منه أن الله ﷻ نجاه من الهدف من الصلب، أي أنقذه من الموت عليه. وقد أقدم اليهود على هذه الفعلة - أي تعمّدوا قتله - ولكن قدرة الله وحكمته حالت دون تكميلها. وكما ورد في الأناجيل أنه قد حدث أن اليهود طلبوا من "بيلاطس" أن يسلمهم المسيح - الذي كان في السجن - ليصلبوه، فبذل بيلاطس قصارى جهده ليطلق سراحه لأنه لم يجد فيه علة، ولكن اليهود أصروا وألحوا عليه كثيرا أن يصلبه. وقال الكهنة والفريسيون كلهم أجمعون إنه كافر، ويصرف الناس عن أوامر التوراة. بينما كان بيلاطس يعرف جيدا من الأعماق أن قتل إنسان صادق بناء على الاختلافات الفرعية ذنب كبير بلا أدنى شك، لذلك كان يبحث عن أعذار لإطلاق سراحه. ولكن الكهنة ما كانوا ليرتدعوا عن موقفهم، فاختلقوا أمرا آخر وقالوا بأن هذا الشخص يدّعي أنه ملك اليهود، وهو متمرّد على حكومة "قيصر" سرّا، وإذا أطلقت سراحه فاعلم أنك قد حميت متمرّدا. فخاف بيلاطس لأنه كان خاضعا لأمر قيصر. ولكن يبدو أنه مع ذلك ظل خائفا من سفك الدم بغير حق. ولقد رأت امرأته في الحلم أن المسيح صادق، ولو قتله بيلاطس لكان ذلك مجلبة دمارٍ له، فخاف بيلاطس أكثر بسماع الحلم. فكل قارئ لبيب أن يفهم من التأمل في هذه الرؤيا المسجلة في الإنجيل أن إنقاذ المسيح من القتل كان من مشيئة الله. فأول إشارة إلى مشيئة الله هذه تُستدلّ من الرؤيا نفسها، فتدبروها جيدا.

ثم حدث أن عقد بيلاطس اجتماعا لاتخاذ القرار النهائي، وحاول قدر المستطاع أن يُقنع الكهنة والكتبة الأشرقياء أن يرتدعوا عن طلب قتل المسيح، ولكنهم لم يتراجعوا عن موقفهم بل ازدادوا صراخا قائلين "ليُصلب، ليُصلب" لأنه منحرف عن الدين. عندها طلب بيلاطس ماءً وغسل يديه أمام الجميع قائلا: إني بريء من

دمه. فقال اليهود والشيوخ والكتبة: "دَمُّهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلَادِنَا". عندها سُئِلَ المسيح إليهم فجلَّد، وتعرَّض لكل ما كان في نصيبه من السباب والضرب واللطم والاستهزاء والسخرية بإيعاز من الشيوخ والكهنة حتى استعدوا لصلبه. كان الوقت عصرا يوم الجمعة وكان عيد الفصح أيضا عند اليهود، فالوقت كان ضيقا، إذ كان يوم السبت - الذي يبدأ بغروب الشمس - على وشك الحلول، لأن اليهود - مثل المسلمين - يُعَدُّون الليل الذي قبل النهار، جزءا من اليوم التالي. وكان هناك أمرٌ شرعيٌّ مؤكد ألا تبقى جثة معلقة على الصليب يوم السبت. فأسرع اليهود في تعليق المسيح - مع لصَّين - على الصليب، وذلك كي يتم إنزال الجثث قبل حلول المساء. ثم اتفق أن هبت عاصفة شديدة في الحال وعمَّ ظلام حالكٌ. فقلق اليهود على أنه لو حلَّ المساء في تلك العاصفة لارتكبوا الجريمة المذكورة. فأنزلوا المصلوبين الثلاثة عن الصُّلبان بناء على ذلك الخوف.

وليكن معلوما أنه من المتفق عليه أن الصليب في تلك الأيام ما كان مثل المشنقة المعروفة في العصر الراهن حيث يُقَضَّى على المزمع قتله خلال ساعة واحدة بشدِّ الحبل على عنقه. ففي تلك الأيام ما كان يُوضع في العنق حبل، بل كانوا يدقُّون المسامير في بعض الأعضاء. وكان المصلوبون يُتركون على الصليب إلى ثلاثة أيام جياعا وعطاشى، ثم تُكسر عظامهم للتأكد من موتهم. ولكن شاءت مشيئة الله ألا يحدث كل هذا مع المسيح. فقد اجتمعت الأسباب كلها في آن معا؛ مثل عيد الفصح، وضيق الوقت، أي وقت العصر، وخوفهم من حلول السبت، وهبوب العاصفة. وقد أدَّت هذه الأمور كلها إلى إنزال المسيح واللصين عن الصُّلبان في وقت قصير.

ثم حين جاء الأمر بكسر العظام أظهر الله تعالى نموذج قدرته الكاملة؛ إذ أن بعضا من جنود بيلاطس الذين كانوا قد أفهموا سراً هَوَلَ عاقبة الرؤيا، كانوا

موجودين آنذاك، وكانوا يرغبون في أن يزول هذا البلاء عن المسيح حتى لا تتحقق بقتله الرؤيا التي رآها زوجة بيلاطس، فيحلّ بيلاطس بلاء، فكسروا عظام اللصين أولاً. ولما كانت العاصفة شديدة وعمّ الظلام، قلق الناس للعودة فعادوا إلى بيوتهم مسرعين. فوجد الجنود فرصة مواتية، وحين فرغوا من كسر عظام اللصين وجاء دور المسيح، قال أحدهم بعدما لمسه باليد: إنه قد مات، فلا حاجة لكسر عظامه. وقال آخر: أنا سأتولّى دفن جثته. وكانت العاصفة من الشدة والقوة بحيث دفعت اليهود لمغادرة ذلك المكان. وهكذا أنقذت حياة المسيح، ثم قابل الحواريين وأكل معهم السمك. وحين وصل اليهود إلى بيوتهم وتوقّفت العاصفة، ارتابوا في عدم اكتمال خطتهم، وانتابهم الشك في تصرفات الجنود أيضاً.

إذن، فلا يزال اليهود والنصارى على الحال نفسها، إذ لا يستطيع أحد منهم أن يقول حالفاً بالله أو مؤكداً البلاء أو العذاب لنفسه بأنه واثق ومتيقّن أن المسيح قد قُتل في الحقيقة. والحق أن هذه الشكوك قد أطلّت برأسها في ذلك الوقت نفسه. ولقد حاول "بولس" بحذلقته أن يزيل تلك الشكوك، ولكنها ظلت تزداد وتتفاقم. فمن الواضح تماماً من بعض رسائل بولس أنه لما أنزل المسيح عن الصليب، ظهرت حجة قوية أخرى للعيان على كونه حياً، وهي أنه عندما طُعن بحربة في جنبه، تدفق منه على الفور دم. فلا يزال اليهود في شك بسبب عجلتهم، وأما النصارى فيشاركون في هذا الشك بناء على بيان الإنجيل. الحق أنه لا يسع مسيحياً يتدبر الإنجيل أن يعتقد على وجه اليقين أن المسيح مات على الصليب في الحقيقة، بل لا تزال قلوبهم في شك من أمره إلى يومنا هذا. والكفارة التي يشيعونها مبنية على تلة رملية قد دَرَّتها بيانات الإنجيل نفسه.... باختصار، قد ذُكر موت المسيح في ثلاث آيات من القرآن الكريم، ولكن من المؤسف حقاً أن المشايخ لا يقرؤون هذه الآيات. يقول بعضهم بمنتهى الحذلقه: حسناً، قبلنا أن القرآن الكريم يقول بموت المسيح، ولكن أليس الله

جلّ شأنه قادرا على أن يُحييه مرة أخرى ويعيده إلى الدنيا؟ الحق أن عقول هؤلاء المشايخ وأفهامهم تدعو للرتاء والبكاء فعلا.

أيها السادة، نحن نؤمن بأن الله قادر على كل شيء، وقادر على أن يحيي الأنبياء جميعا إذا شاء ذلك. ولكن السؤال المطروح أمامكم هو أن القرآن الكريم قد حكى قصة المسيح ﷺ إلى موته ثم سكت، فإذا كنتم تعرفون آية قال الله تعالى فيها بأنه قد أحيا المسيح بعد موته فأخرجوها لنا، وإلا فإنكم تتصدّون للقرآن الكريم كالأعداء حيث أعلن موته، وأنتم تدّعون - على عكس ذلك - أنه لم يمّت، بل لا يزال حيا. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٢٩٠-٢٩٩)

**الدليل الثالث** الذي قدمته هو آية من سورة النساء: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا \* بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٥٨ - ١٥٩). وقد اعترفت أنها أيضا ليست قطعية الدلالة، ومع ذلك ترى أن المراد من الرفع هو الرفع مع الجسد، لأن مرجع الضمير في ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ هو الروح مع الجسد. ولكن هذا خطأ كبير منك، لأن ما يقصده الله جلّ شأنه من نفي القتل والصلب هو أن الله جلّ شأنه أنقذ المسيح من الموت على الصليب. والآية: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ تشير إلى إيفاء العهد الذي جاء في آية أخرى. ولفهم معنى هذه الآية بصورة صحيحة تماما يجب قراءة الآية التي وُعد فيها الرفع وهي: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْفَعْكَ نَحْنُ رَافِعُونَ﴾ (آل عمران: ٥٦). فيا صاحبي، إن الوعد في "رافعك إليّ" هنا هو الوعد نفسه الذي أنجز في الآية: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾. والآن، اقرأ الآية التي ورد فيها الوعد، وانظر ما هي الكلمات التي وردت قبله سوف تجد على الفور أن الكلمات التي سبقتها هي ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾. وبقراءة هاتين الآيتين اللتين تحتوي إحداهما على الوعد والأخرى على إيفاء الوعد سوف ينكشف عليك بجلاء تام أن الأسلوب الذي جاء الوعد به كان من المفروض أن يتحقق أيضا بالأسلوب نفسه. كان الوعد: ﴿يَا

عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ ويتبين من ذلك تماماً أن روحه هي التي رُفعت لأن ما يُرفع بالمت هو الروح فقط وليس الجسد. لم يقل الله تعالى في الآية إني رافعك إلى السماء بل قال: ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾. إن الذين يُرفعون إلى الله تعالى بعد الموت تُستخدم في حقهم مثل هذه الكلمات، أي رُفعوا إلى الله أو رجعوا إليه. (الحق مناظرة دلهي، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ١٦٧-١٦٨)

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ أي لم يكن عيسى مصلوباً ولا مقتولاً - لا ينافي إصابة المسيح ﷺ بجروح على الصليب، لأن النتيجة المتوخاة من الصلب هي القتل. وما من شك في أن الله ﷻ أنقذه من هذه الغاية المنشودة للعدو. ومثل ذلك كمثلهما قال الله ﷻ لنبينا ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة: ٦٨) لكن الناس أصابوه بأنواع الأذى وأخرجوه من الوطن وكسروا سنّه وجرحوا إصبعة وأصابوا جبينه بعدة جروح بالسيف، لكن مع ذلك كله لا يصح الاعتراض على هذه النبوءة لأن الكفار لم يستهدفوا من هجومهم في الحقيقة أن يجرحوا النبي ﷺ أو يكسروا سنّه. وإنما كانت غايتهم المنشودة قتله ﷺ، فقد عصمه الله ﷻ من سوء الإرادة الحقيقية للكفار. كذلك فإن الذين علقوا المسيح ﷺ على الصليب لم تكن غايتهم المنشودة من ذلك أن يجرحوا المسيح ﷺ، بل كانوا يستهدفون في الحقيقة قتل عيسى ﷺ بالصلب. فعصمه الله ﷻ من إرادتهم السيئة تلك، ولا شك في أنه لم يُصلب، فصدق فيه القول ﴿وَمَا صَلَبُوهُ﴾. (القول الحق، الخزان الروحانية، المجلد ١٠، ص ٣٠١، الحاشية)

فقد أراد اليهود بحق عيسى ﷺ قبلي أيضاً أن يثبتوا أنه مجرم بغير حق فيُصلب، لكن لاحظوا قدرة الله ﷻ كيف أنقذ مقبوله هذا، إذ ألقى في قلب بيلاطس أن هذا الإنسان بريء وجعل الملاك يَخْوَف زوجته في الرؤيا بمشهد مخيف بأن صلب هذا الإنسان سيجلب عليها الدمار، فخافت ودفعت زوجها لينقذ المسيح من



مؤامرة اليهود بحيلة ما. فصحيح أنه في الظاهر قد عُقِّق على الصليب مراعاة لليهود، إلا أنه لم يُبَقَّ على الصليب ثلاثة أيام خلافاً للعادة السائدة منذ القدم، وهو ما كان ضرورياً للقضاء على المجرمين، ولم تُكسر عظامه، بل قد أُنْقَذَ بالقول "أما هذا فقد زهقت نفسه"، وكان ذلك ضرورياً لئلا يموت نبي الله المقبول والصادق ميتة المجرمين، أي لا يأخذ نصيباً من اللعنة، بعد لفظ أنفاسه الأخيرة على الصليب، التي قُدِّرَتْ منذ الأزل للأشرار الذين لا تبقى لهم أي علاقة بالله ﷻ والذين يصيرون في الحقيقة أعداء الله ويكون الله ﷻ عدواً لهم كما هو مدلول اللعنة. فكيف لهذه اللعنة التي لها هذا المعنى النجس أن تحلَّ بإنسان صالح؟! لذا أُنْقَذَ عيسى ﷺ من الموت الصليبي. وكما يتبيّن من البحث والتمحيص أنه قد جاء إلى كشمير وتوفي هناك، وقبره ما زال معروفاً بقبر النبي الأمير. ويزوره الناس بمنتهى الإجلال، ومشهور بين الناس هناك أن صاحب القبر كان نبياً أميراً، قد جاء إلى كشمير من ناحية البلاد الإسلامية قبل الإسلام، وإن اسم هذا الأمير اشتهر خطأ في كشمير بدلاً من يسوع بـ "يوز آسف" التي تعني "يسوع الحزين"، وحين رأت زوجة بيلاطس ملكاً ينذرها بأنه إذا قُتِلَ يسوع فسوف يحل الدمار عليهم، كان ذلك إشارة من الله إلى إنقاذه ﷺ. فلم يحدث في العالم قط أن يظهر ملك لحماية أي صادق على هذا النحو، ثم لا تتحقق الغاية التي من أجلها كان قد ظهر هذا الملك في الرؤيا، ويهلك الذي من أجل إنقاذه كان قد ظهر.

الخلاصة أن خيبة اليهود في تحقيق هدفهم في ذلك الزمن سارة جداً. وإن الحجرة التي وُضِعَ فيها عيسى ﷺ اشتهرت باسم القبر، لكنها كانت في الحقيقة غرفة واسعة قد خرج منها في اليوم الثالث سالماً معافى، وقابل التلامذة، وهنأهم على أنه ما زال حياً بفضل الله تعالى بحياة مادية، ثم تناول منهم الخبز والكباب وأكل، وأراهم جروحه التي ظلت تُعالج مدة أربعين يوماً بمرهم، سُمِّيَ في الأقرباذينات بمرهم عيسى، أو مرهم

الرسول، أو مرهم الحواريين. هذا المرهم مفيد جداً للجروح الناجمة عن الرضوض، وهو مذكور في ألف كتاب من كتب الطب تقريباً، وأنه قد أُعدَّ لعلاج جروح عيسى عليه السلام، فكتب الطب القديمة للنصارى التي ألفت قبل أربعة عشر قرناً باللغة الرومانية، قد ورد فيها ذكر هذا المرهم. ووصفة مرهم عيسى هذه مذكورة في كتب الطب عند اليهود والمجوس، ويبدو أن هذا المرهم إلهامي، فعندما أصيب المسيح عليه السلام ببعض الجروح على الصليب، قد علّمه الله هذه الأدوية إلهاماً في تلك الأيام.

هذا المرهم يكشف السر المختوم باليقين ويؤكد قطعاً أن عيسى عليه السلام كان قد أنقذ من الموت على الصليب في الحقيقة، لأن هذا المرهم لم يُذكر في كتب المسلمين فقط، بل قد ظل يذكره منذ القدم النصارى واليهود والمجوس والأطباء المسلمون في كتبهم على الدوام. كما كتبوا بانتظام أن هذا المرهم كان قد أُعدَّ لعلاج جروح عيسى عليه السلام. ومن المصادفة الحسنة أن كل هذه الكتب موجودة ومعظمها قد نُشر، فإذا كان أحد يريد الاطلاع بصدقٍ وبتقصّي الحق، فيجب عليه أن يقرأ هذه الكتب حتماً، فقد ينزل على قلبه النور السماوي وينكشف عليه الحق فينجو من البلاء العظيم. إن الملمّين بالطب أدنى إلمام يعرفونه أيضاً، وقد ذُكرت في أقرباذين القادري- وهو باللغة الفارسية- وصفة هذا المرهم في باب ذكر جميع أنواع المراهم، وكتب معه أنه قد أُعدَّ لعلاج جروح عيسى عليه السلام. فأبي إثبات أكبر من هذا أنه قد ثبت باتفاق جميع أطباء العالم- وهم نخبة متميزة بالرغبة في البحث والتحقيق، وهم أرفع من كل تعصب ديني- أن الحواريين أعدّوا هذا المرهم لجروح عيسى عليه السلام؟

ومن فوائد هذا المرهم الغريبة أنه أمانٌ اللثام عن حقيقة صعود عيسى عليه السلام إلى السماء، وثبت أن كل هذه الأقوال عديمة الأصل وأفكار سخيفة، كما ثبت أن الرفع المذكور في القرآن الكريم كان قد حصل في الحقيقة بعد الوفاة، ورفع المسيح هذا قد حكم الله في النزاع الدائر بين اليهود والنصارى منذ مئات السنين، أي أن

عيسى ﷺ لم يكن من المردودين والملعونين، ولم يكن من الكفار الذين لا يُرفعون، بل هو نبي صادق وتم رفعه روحانيًا في الحقيقة كسائر الأنبياء. فهذا هو النزاع الذي كان دائرًا بينهم. أما الرفع الجسماني فلم يكن بخصوصه أي نزاع، بل كان ذلك الأمر غير ذي صلة بالموضوع مطلقًا ولم يكن يتوقف عليه الكذب أو الصدق. فالواقع أن اليهود كانوا يريدون أن يُثبتوا أن عيسى ﷺ كان ملعونًا لأنه قد صُلب، أي كان من الذين لا يُرفعون إلى الله روحانيًا بعد الموت، ويكونون محرومين من النجاة المترتبة على القرب الإلهي. وقد حكم الله في هذا النزاع؛ فشهد على أن الموت الصليبي الذي يمنع الرفع الروحاني لم يُصِب المسيح قط، بل رُفِع إلى الله بعد الوفاة، ونال النجاة الكاملة بعد نياله القرب الإلهي، لأن النجاة تُدعى الرفع بتعبير آخر، وإلى ذلك أُشير في آيَةِ ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ و﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾. (كتاب البراءة، الخزان الروحانية، المجلد ١٣، ص ٢٠-٢٣)

هناك وسوسة كبيرة قد أصابت هؤلاء المشايخ قليلي الفهم أنهم حين يقرأون في القرآن الكريم آية ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ... بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾، يعتقدون بسفهمهم المتناهي أن كلمة الرفع بعد نفي القتل والصلب تدلُّ على أن عيسى ﷺ نجا من أيدي اليهود وصعد إلى السماء بجسمه المادي. فكأن الله ﷻ لم يجد مكانًا على الأرض لإخفائه فاختر السماء. قد كفى غائرٌ موحش عامر بالثعابين لحماية نبينا ﷺ من أيدي الكفار، بينما لم يكن أعداء المسيح ليتروكه سالمًا على الأرض مهما دبرَّ الله حمايته عليها! فعجز أخيرًا وقرر رفعه إلى السماء مضطرًا لحمايته من مكائد اليهود! مع أنه لم يرد في القرآن ذكر الرفع إلى السماء، بل قد ذكر الرفع إلى الله فحسب، الذي يتمتع به كل مؤمن.

لا يفكر هؤلاء أنه لو كانت القصة التي يذكرونها صحيحةً فما الذي قصده الله من ذكرها في القرآن الكريم؟ وما سبب نزول هذه الآيات؟ وأي قضية ونزاع كان

بين اليهود والنصارى عن صعود المسيح إلى السماء بالجسم المادي، التي أراد القرآن الكريم أن يسويها في هذه الآيات؟ فالجلي أن هدفًا عظيمًا من أهداف القرآن الكريم هو أن يسوي الخلاف بين اليهود والنصارى بالحق والسداد، فلا يغيبن عن البال أن الاختلاف الدائر بين اليهود والنصارى الذي ما زال قائمًا هو في الرفع الروحاني لعيسى ﷺ. فكان اليهود استنتجوا من صلب المسيح أنه لم يُرفع روحانيًا، وهو ملعون والعياذ بالله، لأن كل مؤمن في دينهم يرفع إلى الله بعد الموت، أما الذي يُقتل صلبًا فلا يتم رفعه إلى الله، أي يكون ملعونًا. فكانت حجة اليهود تلتخص في أنه لما كان المسيح قد صُلب، فلم يتم رفعه روحانيًا، ومن ثم هو ملعون، أما النصارى الأشقياء فهم أيضًا عدّوا عيسى ﷺ محرومًا من الرفع وملعونًا لثلاثة أيام. الآن يقصد القرآن الكريم من ذكر ذلك أن يشهد على رفع عيسى ﷺ روحانيًا؛ فقد نفى الله ﷻ صلبه بقوله ﴿مَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ ثم بيّن نتيجة ذلك في قوله ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ وبذلك حكم في القضية.

فانظروا الآن إنصافًا ما علاقة الرفع الجسماني هنا؟ فمئات الآلاف من اليهود ما زالوا أحياء إلى الآن فاسألوا علماءهم وفضلاءهم هل يستنتجون من صلب عيسى ﷺ أنه لم يُرفع روحانيًا أم أنه لم يرفع ماديًا! وكذلك يقول اليهود بأن المسيح الصادق لن يأتي ما لم ينزل النبي إيليا مرة أخرى إلى العالم بحسب نبوءة النبي ملاخي، ثم إذا كان الله ﷻ بكمال حكمته التي لا تنكشف على الناس قد ألقى اليهود في هذا الامتحان إذ لم ينزل من السماء النبي إيليا الذي كانوا ينتظرونه وأعلن ابن مريم ﷺ أنه المسيح، فقد وجد اليهود هذه الدعوى خلافًا للنصوص الصريحة، وقالوا إذا كان هذا الرجل صادقًا فالتوراة باطلة والعياذ بالله، ويستحيل بطلان الكتب الإلهية، فكان هذا هو السبب الرئيس للإنكار. ولهذا السبب أصبح اليهود ألد أعداء المسيح ﷺ وسموه كافرًا ومرتدًا ودجالًا وملحدًا وأفتى جميع العلماء بكفره، وكان فيهم الزهاد

والرهبان والربانيون أيضاً، فاتفقوا كلُّهم على كفره لأنهم زعموا أن هذا الرجل يترك ظاهر النصوص. وكان سبب هذه الفتنة كلها أن المسيح أَوَّلَ عودة إيليا من جديد "أن يأتي شخص على طبعه وسيرته، وهو يوحنا.. أي يحيى بن زكريا"، لكن هذا التأويل لم يُعجب اليهود، فسَمَّوه ملحدًا، كما كتبت آنفًا، لأنه يصرف النصوص عن ظاهرها. لكن لما كان عيسى عليه السلام نبيًا صادقًا من الله في الحقيقة وكان تأويله أيضًا صحيحًا عند الله رغم كونه بعيدًا عن القياس في الظاهر، لذا قد خطر ببال بعض الناس أن هذا الرجل إذا كان كاذبًا، فلماذا تتجلى فيه أنوار الصدق ولماذا تصدر منه الخوارق مثل الرسل الصادقين؟ فكان مشايخ اليهود لدفع هذه الفكرة منصرفين كل حين وأن إلى أن يجعلوا العامة واثقين بأي طريقة ممكنة أن هذا الرجل والعياذ بالله كاذب وملعون، فخطر ببالهم أخيرًا أنهم لو صلبوه لثبت على كل واحد بجلاء أن هذا الرجل لعينٌ، والعياذ بالله، ومحروم من الرفع، الذي يتمتع به الصالحون، وسوف يثبت به كذبه، لأنه كان قد ورد في التوراة أن الذي عُلق على خشبة فهو ملعون، أي لا يُرفع إلى الله، فقد نفَّذوا هذه الفكرة في الحقيقة على زعمهم، أي صلبوه. وقد اشتبه هذا الأمر على النصاري أيضًا حيث زعموا هم أيضًا أن المسيح عليه السلام في الحقيقة قد صُلب، فاضطُّروا بموجبها لاتخاذ عقيدة أخرى، أي أنه صار ملعونًا أيضًا، إلا أنهم لإخفاء اللعنة وإزالة وصمتها اقترحوا أن يتخذوه ابنَ إله، ابنًا تحمَّل لعنات مذنب العالم كلهم، وصار ملعونًا بدلًا من أن يكون الآخرون ملعونين، ومات ميتة الملعونين، أي مات على الصليب. لأنه كانت في بني إسرائيل عادة منذ القدم أنهم كانوا يعدمون المجرمين والقاتلين بالصليب حصراً، ولهذا السبب كان الميِّت على الصليب يُعدَّ ملعونًا، إلا أن النصاري انخدعوا جدًّا، حيث وصفوا مقتداهم ومرشدهم ونبيهم بالملعون، فسوف يواجهون أشدَّ الخجل عندما يتدبَّرون أن مفهوم اللعنة لغَةٌ يقتضي أن يكون الشخصُ الملعون مرتدًّا عن الله في الحقيقة؛ لأن اللعن فعلٌ إلهي، ويظهر بعد ظهور

فعل الإنسان بحيث يقطع الإنسان جميع العلاقات بالله عن عمد إلحادًا، ويتبرأ من الله ويكون الله بريئًا منه، فحين تبرأ الله ﷻ أيضًا من هذا الرجل وطرده من عتباته وعاداه، ففي هذه الحالة يُسمى ذلك المردود ملعونًا. ويكون من الضروري أن يكون الملعون عدو الله وبريئًا منه ويكون الله أيضًا بريئًا منه، وأن يكون الملعون محرومًا تمامًا من معرفة الله تعالى ويكون أعمى وضالًا، ولا تبقى في قلبه ذرة من الحب الإلهي، ولهذا أُطلق اسم اللعين في اللغة على الشيطان.

فالبديهي أن عيسى ﷺ منزّه عن هذا الاتهام تمامًا بأن يوصف ملعونًا ومحرومًا من الرفع إلى الله والعياذ بالله، لكن النصارى بحمقهم واليهود بشرهم وصفوه بالملعون. وإن اللعنة كما كتبنا سابقًا نقيضة الرفع، مما يستلزم أنه لم يذهب إلى الله بعد الموت، والعياذ بالله، بل ذهب إلى جهنم، لأن الملعون أي الذي لا يُرفع إلى الله يتوجّه إلى جهنم. فهذه العقيدة قد اتفق عليها اليهود والمسلمون، ولهذا اضطر النصارى لاعتناق عقيدة بقاء عيسى ﷺ في جهنم ثلاثة أيام بعد الموت. باختصار، قد أساءت كلتا الأمتين إساءة بالغة إلى نبي صادق، لذا قد أراد الله ﷻ أن يبرئ عيسى ﷺ من الاتهام. فأولاً قال الله ﷻ في القرآن الكريم إن المسيح ابن مريم كان نبيًا صادقًا في الحقيقة وكان وجهيًا ومن المقربين إلى الله، ثم فنّد شبهة اليهود والنصارى بأنه صار ملعونًا بسبب الصلب، وقال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ كما قال: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ أيضًا، وبذلك رفع عنه تهمة اللعنة وعدم الرفع الموجهة إليه منذ ٦٠٠ عام من قبل اليهود والنصارى. فإنا سبب نزول هذه الآيات أن اليهود والنصارى في ذلك الزمن كانوا يعدّون المسيح ملعونًا، وكان من الضروري جدًا أن يُفصح أولئك الأشرار والحمقى في خطئهم ويبرأ المسيح من اتهامهم. ولهذه الضرورة حكم القرآن الكريم أن المسيح لم يُصلب. وحين ثبت عدم صلبه، بطل الاعتراض أصلاً أنه لم يُرفع إلى الله بل كان ملعونًا والعياذ بالله. كلا بل شرّفه الله

بخلعة الرفع كالصلحاء الآخرين، وفي هذا الحكم كَذَّبَ الله ﷻ اليهود والنصارى في اعتقادهم بكون عيسى ﷺ ملعوناً وغير مرفوع إلى الله.

الآن يتبين من هذا البحث كله أن تبرئة عيسى ﷺ وصدقه وعدم كذبه لم يكن يتوقف على رفعه المادي، ولم يكن عدم رفعه مادياً يستلزم كذبه ولعنته. لأنه إذا كان صدق المرء وقربه إلى الله يتطلب الرفع المادي فتقتضي عقيدة هؤلاء المشايخ السذج أن يكون عيسى ﷺ وحده مقرباً إلى الله، ويكون سائر الأنبياء الذين لم يرفعوا إلى الله بأجسامهم المادية محرومين من القرب الإلهي والعياذ بالله! فلما لم يكن الرفع المادي ذا قيمة، ولم يكن صدق النبي وقربه إلى الله يتطلب منه الذهاب إلى السماء مادياً، فمتى كان ممكناً أن تُبدأ في كلام الله الحكيم هذه القضية السخيفة والباطلة التي لا علاقة لها بالموضوع، مع أن اليهود لم يكونوا يهدفون إلى إثارة النقاشات في الرفع المادي للمسيح، وكانت هذه النقاشات عقيمة عندهم وغير مجدية، وإنما كان هدفهم المتوخى الذي من أجله ظهر في قومهم حماسٌ مُعادٍ وما زال يوجد فيهم هذا الحماس، أن يستنتجوا من صلبه أنه لم يُرفع روحانياً، ولهذا السبب قد صلبوه على حد زعمهم. وقد ورد في التوراة صراحة أن الذي عُلق على الخشبة، أي صُلب، يكون ملعوناً؛ أي لا يتمتع بالقرب الإلهي أو لا يتمتع بتعبير آخر بالرفع إلى الله، بل يُلقى به في أسفل سافلين. فكلمة الصليب هذه، ونتيجتها اللعنة، تصرخ بشدة أن الغاية المتوخاة لليهود يومذاك كانت إثبات لعن المسيح ﷺ نتيجة الصلب، وإثبات عدم رفعه إلى الله بسبب اللعنة، فكان الله يُطِل الاتهام الكاذب الذي أُلصق به. إلا أنه لو دُكر في التوراة أن المصلوب لا يرفع مادياً، لكان من المحتمل أن يوصل الله المسيح إلى السماء مادياً ولا يترك أي شبهة. أما الآن فلا علاقة لهذه الفكرة بأصل القضية، ولا ترتبط بالحكم فيها، وإن الله ﷻ منزه من أن يخوض في نقاش سخيف وباطل وعديم العلاقة. إن تعاليم الله ﷻ تهدي إلى سبل النجاة والقرب

الإلهي وتذبّ وترفع عن الأنبياء التُّهم التي تشكّك في كونهم مقربين وناجين، لكن الصعود إلى السماء بهذا الجسم المادي لا علاقة له بالنجاة والقرب الإلهي، وإلا نُضطر للقول بأن سائر الأنبياء غير المسيح عليه السلام كانوا محرومين من النجاة والقرب الإلهي والعياذ بالله. وهذه الفكرة كفرٌ بواح.

إن المشايخ المعاصرين الأغبياء لا يفكرون أن قضية الرفع وعدمه بأسرها بدأت من قضية الصلب، أي قد وصفت التوراة الميّتين على الصليب بالمحرومين من الرفع الروحاني، وإذا فسرنا التوراة بأن الميّت على الصليب يبقى محروماً من الرفع المادي فما الحرج إذا حُرم من هذا الرفع الأنبياء وجميع المؤمنين أيضاً، غير أنه إذا افترضنا أن الرفع المادي شرط للنجاة فلا بد من التسليم بأن جميع الأنبياء غير المسيح محرومون من النجاة، أما إذا لم تكن أي علاقة للرفع المادي بالنجاة والإيمان والسعادة ومراتب القرب كما هو الحق، فكم من الضلال والغواية أن يصرف المرء كلمة الرفع الواردة في القرآن الكريم عن هدفها ومرادها متجاهلاً غاية نزولها، ويعتقد من تلقاء نفسه بأن المراد منها الرفع المادي. فقد ورد في القرآن الكريم أيضاً أن الله أراد أن يرفع بلعام، إلا أنه أخلد إلى الأرض؛ فهل ستقولون هنا أيضاً أن الله تعالى كان يريد أن يرفع بلعام أيضاً مادياً إلى السماء؟! فليتنكّر كل واحد، وينبغي أن لا يختار طريق الإلحاد أنّ المراد من الرفع في كل مكان من القرآن الرفع الروحاني فحسب. (كتاب البراءة، الخزائن الروحانية، المجلد ١٣، ص ٢٢٧-٢٣٧، الحاشية)

فمن كان يدري أنه سيتم العثور على وصفة مرهم عيسى في مئات الكتب الطبية؟ ومن كان يعلم بأن سينكشف من خلال كتب الديانة البوذية أن عيسى عليه السلام بعد يأسسه من يهود بلاد الشام قد وفد نحو بلاد الهند وكشمير والتبت، ومن كان يعرف أن قبر عيسى عليه السلام موجود في كشمير. هل كان ذلك في قدرة الإنسان أن يوجد كل هذه الأمور بقوته؟ أما الآن فإن هذه الأمور والأحداث تقضي على الديانة المسيحية



كما يتم القضاء على الليل عند بزوغ الفجر. تتعرض الديانة المسيحية بشبوت هذه الواقعة لصدمة قاضية كصدمة تصيب سقفا قائماً على عموده الداعم الوحيد فينكسر وينهار السقف، وهكذا فيإثبات هذا الحادث تنهار الديانة المسيحية. يفعل الله ما يشاء، ويُعرف دوماً من مثل هذه القدرات. انظروا ما أروع ما ثبت من معاني الآية التالية: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ هُمْ﴾ (النساء ١٥٨) أي أن قتل المسيح وإماتته عن طريق الصلب حكاية باطلة. والحقيقة أنهم انخدعوا، أما المسيح فقد نجا وفق وعد الله تعالى له. ولو أمعنا النظر في الإنجيل فإنه أيضاً يشهد بالمثل. هل كان بالإمكان أن يرّد دعاء المسيح الذي دعاه طوال الليل بكل حرقة والتبايع؟ هل يمكن أن يعني قول المسيح "سأكون مثل يونس في قلب الأرض ثلاثة أيام" أنه بقي في القبر ميتاً؟ وهل بقي يونس في بطن الحوت ميتاً لثلاثة أيام؟ ألا تتضح من رؤيا زوجة بيلاطس مشيئة الله تعالى لإنقاذ المسيح من الصلب؟ ألا يصرخ بأعلى صوت: تعليق المسيح على الصليب في آخر ساعة من يوم الجمعة، وإنزاله منه قبل حلول المساء، وعدم إبقائه على الصليب لثلاثة أيام وفق تقليد قديم، وعدم كسر عظامه، وخروج الدم من جسمه، أن كل هذه الأسباب قد خلقت من أجل نجاة المسيح؟ ولا بد أن أسباب الرحمة هذه قد ظهرت بسبب الدعاء. إذ كيف يرّد الله دعاء المقبول الذي دعا به طوال الليل متضرعاً وباكيًا؟ ثم لقاء المسيح حواريه بعد حادثة الصلب، وإراءته لهم جروحه هو دليل قوي على أنه لم يميت على الصليب. فإن لم يكن هذا الأمر صحيحاً فنادوا المسيح الآن ليلتقي بكم كما لقي حواريه. باختصار، يثبت من جميع النواحي والجوانب أن الله قد نجّى المسيح ﷺ من الصلب، وأنه جاء إلى بلاد الهند لأن عشر قبائل من بني إسرائيل كانت قد استوطنت هذه البلاد، ثم اعتنقت الإسلام في نهاية المطاف، وبعد إسلامهم صار العديد منهم ملوكاً بحسب الوعد المذكور في التوراة. وهذا دليل على صدق نبوة النبي ﷺ أيضاً لتضمّن التوراة وعداً بوراثة بني

إسرائيل الحكم والملك باتباعهم النبي الموعود. باختصار، إن الاعتقاد بموت المسيح بن مريم على الصليب هو العمود الذي قامت عليه جميع أصول الديانة المسيحية كالكفارة والثالوث وغيرهما، وهو ما ترسخ في قلوب أربعمائة مليون مسيحي، وبعد ثبوت بطلانها لا تبقى للديانة المسيحية من باقية. فإن كانت هناك فرقة من الفرق المسيحية تتحمس من أجل البحث في الأمور الدينية، فمن الممكن أن تودّع الديانة المسيحية فور اطلاعها على هذه الإثباتات. ولكن لو اشتعلت نار هذا البحث في قلوب أهالي أوروبا كلهم فيحتمل أن ينقلب بيد غيب الله تعالى هذا الحزب -المكوّن من أربعمائة مليون نسمة المتشكّل خلال ١٩٠٠ عامًا- فيسلم خلال ١٩ شهراً، وذلك لأنه لو ثبت بعد الاعتقاد بالمعتقد الصليبي أن المسيح ﷺ لم يمت على الصليب، بل أخذ يسبح في البلاد الأخرى، فإنه لأمر ينتزع المعتقدات المسيحية من القلوب مرة واحدة، ويحدث انقلاباً عظيماً في العالم المسيحي. (سر الحقيقة، الخزائن الروحانية، المجلد ١٣، ص ١٦٤-١٦٦، الحاشية)

لقد توفرت لدينا في الفترة الراهنة بعض المؤلفات القديمة للمسلمين أيضاً ورد فيها بصراحة أن "يوز آسف" كان نبياً وأميراً قديم من بلد آخر، وتوفي في كشمير. وذكر أن هذا النبي كان قبل نبينا ﷺ بـ ٦٠٠٠ عام. (سر الحقيقة، الخزائن الروحانية، المجلد ١٣، ص ١٦٤، الحاشية)

قد حضرتُ لعلاج الطاعون مرهناً أيضاً هو وصفة قديمة تُتداول منذ زمن المسيح واسمها "مرهم عيسى" .... ويُسمى بمرهم الحواريين أيضاً. ومن أسمائه "مرهم الرسل" أيضاً لأن النصارى كانوا يُسمون الحواريين "رسل المسيح" لأنهم كانوا يتوجهون كالرسل إلى حيث يؤمرون. ومن الغريب جداً أنه كما ثبت أن هذه الوصفة أقدم الوصفات الطبية، فقد ثبت أيضاً أن أطباء أغلبية الأمم سجلوا هذه الوصفة في كتبهم، فكما ظل الأطباء النصارى يُسجلون هذه الوصفة في كتبهم كذلك توجد

هذه الوصفة في كتب الطب الرومية القديمة أيضا، والأغرب من ذلك أن الأطباء اليهود أيضا نسخوا هذه الوصفة في كتبهم وأنهم أيضا صاروا يعتقدون أن هذه الوصفة كانت قد حُضِرَت من أجل علاج جروح عيسى ﷺ، وقد سلّم الأطباء النصراني والمجوس والمسلمون وسائر الأطباء الذين خلوا في شتى الشعوب في كتبهم بالإجماع بأن هذه الوصفة كانت قد حُضِرَت من أجل عيسى ﷺ. فقد وجدت ألف كتاب من بين كتب هذه الفرق المختلفة سُجلت فيها هذه الوصفة مع سبب التسمية، ومعظم تلك الكتب ما زالت موجودة بفضل الله ﷻ في مكتبتنا. فقد كتب الشيخ الرئيس "أبو علي ابن سينا" أيضا هذه الوصفة في كتابه "القانون". ففي مكتبتني نسخة مخطوطة من "القانون" للشيخ أبي علي ابن سينا، التي خطت قبل سنة ٥٠٠ هـ فهي الأخرى تضم هذه الوصفة مع ذكر سبب التسمية. ويتبين بملاحظة كل هذه الكتب أن "مرهم عيسى" هذا كان قد أُعِدَّ عندما كان اليهود الأشقياء قد علّقوا المسيح ﷺ على الصليب قصّد القضاء عليه، وكانوا قد دقّوا في قدميه ويديه مسامير من حديد، إلا أن الله ﷻ كان قد قرّر أن ينقذه من الموت على الصليب، ولهذا جمع ﷻ بفضلله وكرمه الأسباب التي أدت إلى إنقاذه. وكان من جملة تلك الأسباب أن علّق حضرته على الصليب يوم الجمعة قُرابة العصر، وكانت زوجة بيلاطس الذي كان حاكم البلد قد رأت رؤيا مخيفة قبل الصلب في الليلة نفسها، خلاصتها أنه لو قُتل هذا الرجل الذي يُسمى يسوع فسوف يحل عليهم الدمار، فقصّت هذه الرؤيا على زوجها بيلاطس، ولما كان أهل الدنيا عادة متوسوسين وجبناء، فقد فزع زوجها بيلاطس كثيرا إثر سماع الرؤيا، وبدأ في الخفاء يخطط لإنقاذه من القتل في كل حال، وأول حيلة قام بها لتحقيق هذه الخطة السرية مع اليهود أنه دبر صلب المسيح يوم الجمعة وقت العصر، وكان يعرف أن اليهود يُريدون الصلب حصراً، ولن يرضوا بقتله بأي أسلوب آخر. ذلك لأن الذي يُقتل

بالصليب فإن لعنة الله تحل عليه بحسب دين اليهود ولا يُرفع إلى الله، وبعد ذلك لا يبقى ممكن أن يحبه الله أو يُعَدَّ عند الله من المؤمنين والصالحين، لذا كان اليهود يتمنون أن يصلبوا المسيح ثم يعلنوا بحسب التوراة أنه لو كان نبيا صادقا لما صُلب حتما، ويشتتوا بذلك جماعة المسيح أو يُفسدوا من كانوا يحسنون به الظن في الخفاء، فلو قتل عيسى ﷺ على الصليب لا سمح الله لو صمَّ بالعار، وما كانت لتثبت صحة نبوته قط، ولم يكن ليعدَّ من الصادقين. لهذا قد جمع التأييد الإلهي جميع الأسباب التي أدت إلى إنقاذه من الصلب، وكان أول تلك الأسباب هو أن زوجة بيلاطس أريث رؤيا، فدبر بيلاطس خوفا منها أن يُصلب المسيح يوم الجمعة وقت العصر، ولعله بهذه الخطة فكر أن المسيح سينجو خلال هذه المدة القصيرة التي تُقدر بساعتين. لأنه كان من المستحيل أن يبقى المسيح على الصليب بعد نهاية يوم الجمعة، ذلك لأنه كان حراما في شريعة اليهود أن يبقى أحد على الصليب يوم السبت أو ليلته، وكانت طريقة الصلب أن المجرم كان يثبت على الصليب، فتدق المسامير في قدميه ويديه، وكان يبقى ثلاثة أيام في هذه الحالة في الشمس، وكان المجرم يموت أخيرا باجتماع أسباب كثيرة؛ أي بالألم والشمس والجوع والعطش لثلاثة أيام. لكن الذي كان يُعلّق على الصليب يوم الجمعة كان يُنزل كما بينت آنفا في اليوم نفسه، لأن إبقاءه يوم السبت على الصليب كان ذنبا كبيرا ويتسبب في العُرم والعقاب. فقد انطلت مكيدة بيلاطس هذه عليهم؛ إذ قد علّق المسيح على الصليب في الساعات الأخيرة من يوم الجمعة، وليس ذلك فحسب بل قد هيا الله بفضله أسبابا أخرى أيضا لم تكن في قدرة بيلاطس، وهي أن اليهود علّقوا المسيح في وقت العصر الضيق، فهبت عاصفة شديدة فورًا جعلت النهار شبه ليل، فخاف اليهود أن يكون الليل قد حل، لأنهم كانوا قد مُنعوا منعًا باتًا من إبقاء أحد على الصليب يوم السبت أو ليلته. ومعلوم أن ليلة اليوم التي تسبق نهاره تُعدّ في دين اليهود جزءًا

من ذلك اليوم، لهذا فإن الليلة التي تلت نهار الجمعة عُدت من السبت، فقلق اليهود جداً من هبوب العاصفة وخافوا أن يبقى هذا الرجل على الصليب ليلة السبت، فأسرعوا إلى إنزاله ثم كُسرت عظام اللصين اللذين صُلبا معه، أما عظام المسيح فلم تُكسر، لأن جنود بيلاطس -الذين كانوا فُهِموا من قبل سرّاً- قالوا بأن ليس به نبض و"إن المسيح قد مات". وأرى أنه لما كان قتل الصادق ليس مهمة سهلة ومما يُستهان به، فلم يكن جنود بيلاطس في ذلك الوقت يبدلون الجهود لإنقاذ المسيح وحدهم، بل كان اليهود أيضاً قد فقدوا الصواب وكانت قلوبهم أيضاً ترتجف برؤية آثار الغضب ومثلت أمام أعينهم تلك العذابات السماوية التي حلت بهم في الماضي. فلم يتجرأ أيُّ يهودي على أن يُصرَّ على كسر العظام، ولم يقل سنكسر العظام حتما ولن نمتنع عن ذلك. لأن رب السماوات والأرض كان وقتئذ في غضب شديد، وكان الجلال الإلهي يُلقي الرعب في قلوب اليهود، لهذا فإن اليهود -الذين ظل أبائهم يجربون الغضب الإلهي على الدوام- حين لاحظوا العاصفة الشديدة الحالكة وآثار العذاب وتراءت لهم من السماء آثارٌ مرعبة، هربوا إلى بيوتهم فزعين مذعورين. فالدليل الأول لليقين بأن عيسى ﷺ لم يمت على الصليب حتماً أنه ذكر في الإنجيل مماثلته بالنبي يونس وقال إنه سيقى في القبر ثلاثة أيام كما بقي يونس في بطن الحوت. فهذه المماثلة التي ذكرها نبي بلسانه لجديرة بالتدبر؛ لأنه إذا كان المسيح قد وضع في القبر ميتاً فكيف تتحقق مماثلة الحي بالميت؟ فهل كان يونس قد بقي في بطن الحوت ميتاً؟ فهذا دليل عظيم على أن المسيح لم يمت على الصليب حتماً، ولم يدخل القبر ميتاً. والدليل الثاني أن زوجة بيلاطس أُرِيت في الرؤيا أنه إذا هلك هذا الرجل فسوف يحل بكم الدمار، فالظاهر أن عيسى ﷺ لو صُلب في الحقيقة -أي مات على الصليب- لكان من الضروري أن يتحقق ما قاله الملاك لزوجة بيلاطس، والثابت من التاريخ أن بيلاطس لم يحل به أيُّ دمار. والدليل الثالث

أن المسيح كان قد دعا لنجاته طول الليل، ومن المستبعد عن القياس تماماً أن يدعو المقرَّب إلى الله طول الليل باكيًا ولا يُستجاب له. والدليل الرابع أن المسيح حين علَّق على الصليب دعا الله مرة أخرى ليخلصه قائلاً: "إيلي إيلي لما شُبقتني" أي إلهي إلهي لماذا خذتني. فكيف يمكن أن لا يكون الله قد رحمه بعد صدور التضُّرع والحُرقة لهذه الدرجة؟ والدليل الخامس أن المسيح ﷺ وُضع على الصليب مدة ساعة ونصف تقريبًا فقط بل ربما أقل من ذلك ثم أنزل، وفي هذه الحالة من المستبعد جدًا أن يكون قد مات خلال هذه المدة القصيرة وبألم بسيط. وكان اليهود أيضًا يظنون ظنًا قويًا بأن يسوع لم يمت على الصليب. فقد قال الله ﷻ أيضًا تصديقًا لذلك ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾، أي ظل اليهود في شك بخصوص قتل المسيح ولم يتأكدوا يقينًا أنهم قتلوه. والدليل السادس أنه حين طعن يسوع بحربة في جنبه طعنا بسيطًا سال منه الدم، ولوحظ الدم يسيل. ومن المستحيل أن يلاحظ الدم يسيل من الميت. والدليل السابع أن ساقا يسوع لم تكسرا، بينما كان ذلك ضروريًا للقضاء على المصلوبين، فقد ثبت من التاريخ أن البعض كانوا يبقون أحياء بعد قضائهم ثلاثة أيام على الصليب. فكيف يمكن أن يموت مَنْ بقي معلقا على الصليب لدقائق معدودة ولم تُكسر عظامه أيضًا؟ الدليل الثامن أنه قد ثبت من الإنجيل أن يسوع لقي حواريه بعد النجاة من الصليب وأراهم جروحه، لو كان يسوع قد نال بعد موته جسمًا جديدًا جلاليا لكان من المستحيل أن تبقى له الجروح. الدليل التاسع على نجاة عيسى ﷺ من الموت على الصليب وصفة مرهم عيسى، لأنه لا يُصدَّق أن يكون الأطباء المسلمون والأطباء النصارى والمجوس والرومان والأطباء اليهود قد اخترعوا هذه الوصفة بالتآمر، بل هذه الوصفة ما زالت مسجلة في مئات كتب الطب، فالإنسان البسيط أيضا يمكن أن يقرأها في ذكر أمراض الجلد في أقرباذين قادري. فالواضح أن أنواع التحريف والنقص والزيادة محتملة في الكتابات الدينية

لأن التعصبات تتدخل فيها في أغلب الأحيان، أما الكتب التي ألفت علميًا فهي تكتب بمنتهى البحث والتدقيق، لهذا فإن وصفه مرهم عيسى هذه، وسيلة مثلى لاستكشاف الحقيقة الأصلية، وتُستنبط منها درجة الأفكار القائلة بأن عيسى ﷺ كان قد صعد إلى السماء! ثم من البديهي أصلاً أنه لم تكن من حاجة لرفع عيسى ﷺ بجسمه إلى السماء، فالله حكيم ولا يتصرف عبثاً أبداً، فإذا كان قد أخفى نبينا ﷺ في غار ثور على بعد ميلين أو ثلاثة أميال فقط من مكة وأعاد جميع الباحثين عنه خائبين مخفقين، أفلم يكن قادراً على إخفاء المسيح في أي مغارة في جبل، وخاف من ملاحقة اليهود وقدرتهم على العثور عليه؟ فلم يقتنع بما دون السماء الثانية؟ (أيام الصلح، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٣٤٧-٣٥٣)

لقد حُدد عمر عيسى ﷺ في الحديث الصحيح مائة وعشرين عاماً، والثابت من الحديث الصحيح أن عيسى ﷺ غادر إلى عالم الأموات بترك هذا العالم، وما زال يمكث مع الذين ماتوا، فلا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يتميز بأي عمل من الأعمال الدنيوية، فالنبي يحيى الذي ذهب إلى العالم الآخر بعد الموت أيضاً معه. (أيام الصلح، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ٣٥٣، الحاشية)

اقرأوا الإنجيل لتروا فيه كيف يدّعي عيسى ﷺ قائلاً: أنا النور للعالم، وأنا الهادي، وأني على علاقة حب وثيقة بالله تعالى، وأني قد رُزقتُ منه ولادةً طاهرة، وأني ابنه الحبيب. فكيف يمكن إذًا، رغم هذه العلاقات المقدسة غير المنفكة، أن ينطبق على قلب المسيح ما في كلمة اللعنة من مفهوم قدر؟ كلا.

فثبت دون أدنى ريب أن المسيح لم يُصلب، أي لم يمّت على الصليب، لأن شخصه أسمى مما يترتب على الصلب من نتائج مشينة. فإذا لم يكن قد صُلب فثبت بلا ريب أن قلبه معصوم من قذارة اللعنة؛ كما ثبت من ذلك أيضًا أنه لم يصعد إلى السماء أبدًا، لأن الصعود إلى السماء كان جزءًا من فكرة الصلب وشعبةً من شعبها.

فلما ثبت أنه لم يكن ملعوناً، ولم يدخل جهنم لثلاثة أيام، ولم يذق الموت، بطل أيضاً الجزء الثاني أي صعوده إلى السماء.

وثمة أدلة أخرى على ذلك من الإنجيل نُسجلها فيما يلي. أولاً ما تفوه به المسيح في الإنجيل قائلًا: "ولكن بعد قيامي، أسبقكم إلى الجليل". (إنجيل متى الإصحاح ٢٦ العدد ٣٢)

يتبين من هذا البيان جلياً أن المسيح، بعد خروجه من القبر، قد رحل إلى الجليل لا إلى السماء. وقول المسيح: (بعد قيامي) لا يعني أبداً قيامه بعد موته؛ بل لما كان المسيح، بحسب زعم اليهود وعامة الناس، سيُقتل على الصليب، لذلك فقد استخدم هذا التعبير نظرًا إلى مزاعمهم المستقبلية. والحق أن الذي يعلّق على الصليب، وتُدقّ المسامير في يديه وقدميه حتى يُغمى عليه لشدة الألم ويصير كالأموات، لو استعاد وعيه بعد النجاة من مثل هذه المعاناة فقال: قد عدتُ إلى الحياة من جديد، فلن يعدّ قوله هذا من قبيل المبالغة. ولا شك أن خلاص المسيح من الموت رغم هذه المصيبة العظيمة، لم يكن أمرًا عاديًا وإنما كان معجزة؛ ولكن ليس من الصحة في شيء الزعم أنه قد مات على الصليب.

لا جرم أن الأناجيل تتضمن مثل هذه الكلمات، ولكنها ليست إلا خطأ ارتكبه مؤلفو الأناجيل كالأخطاء الأخرى الكثيرة التي وقعوا فيها لدى تسجيل الأحداث التاريخية الأخرى. ولقد اعترف الباحثون من شراح الأناجيل بأن بيانها ينقسم إلى قسمين: القسم الأول يحتوي على التعاليم الدينية التي تلقّاها الحواريون من المسيح عليه السلام، وهي روح الإنجيل؛ والقسم الثاني يتضمن الأحداث التاريخية مثل نسب عيسى عليه السلام وحادث اعتقاله وقاتله، وبركة المعجزات وغيرها. وهذه أمور دَوّنها المؤلفون من عند أنفسهم بناء على أفكارهم، فهي ليست بوحى سماوي. وقد بالغوا في بيانها أحياناً مبالغة شديدة؛ فمثلاً ورد في أحد المواضع أن المعجزات التي أتى بها



المسيح لو سُجِّلَتْ في الكتب لما وَسَعَتْهَا الأرض بما رُحِبَتْ؛ ويا لها من مبالغة! وبالإضافة إلى ذلك، فإن هذه المأساة التي تعرَّض لها المسيح لو وُصِفَتْ بالموت لما خالف ذلك أساليب اللغة، بل إن مثل هذا التعبير شائع معروف في لغة كلِّ شعب، إذ يُقال لمن نجا من كارثة مهلكة بأنه قد وُهِبَ الحياة ثانية، ولا يُعَدُّ ذلك تكلُّفًا في لغة أيِّ شعب.

هذا، وثمة أمر آخر جدير بالذكر، ألا وهو أنه قد ورد في إنجيل برنابا، الذي توجد بالأغلب نسخة منه في مكتبة لندن الشهيرة، أن المسيح لم يمت مصلوبًا. وهنا يمكننا أن نستنتج أن هذا الإنجيل -الذي لم يُعَدَّ من بين الأناجيل بل رُفِضَ دونها دليل- كتاب قديم معاصر لسائر الأناجيل الأخرى بلا شك. ألا يحق لنا، والحال هذه، أن نستفيد من هذا الكتاب العتيق بعِدِّه مرجعًا تاريخيًا هامًا يضم أحداث العصور القديمة؟ أو ليس أقلَّ ما يُفيد هذا الكتاب أنه لم يتفق كل الناس في ذلك الوقت على أن المسيح ﷺ مات على الصليب.

إضافةً إلى أن الأناجيل الأربعة نفسها تتضمن مثل هذه الاستعارات حيث قيل فيها عن ميت إنه نائم وليس بميت. فهل من المستبعد إذن أن يكون الإغماء قد وُصِفَ هنا أيضًا بالموت؟

ولقد سبق أن قلنا إن كلام النبي لا يُمكن أن يشوبه الكذب، وقد شبَّه المسيح بقاءه في القبر لثلاثة أيام بالأيام الثلاثة في حادثة النبي يونس؛ الأمر الذي يتبيَّن منه أنه كما بقي يونس في بطن الحوت ثلاثة أيام حيًّا، فكذلك ظل المسيح في بطن القبر ثلاثة أيام حيًّا؛ علمًا أن قبور اليهود في ذلك العصر لم تكن مثل القبور في أيامنا هذه، بل كانت فسيحة من داخلها كغرفة واسعة، وكانت على جوانبها نوافذ تُسدَّ بأحجار كبيرة. وسوف نرهن في المكان المناسب على أن قبر المسيح المكتشف أخيرًا في سرينغر بكشمير يُشبه تمامًا ذلك القبر الذي وُضع فيه المسيح في حالة الإغماء.

وبالاختصار، فإنه يتضح من هذه العبارة الإنجيلية التي كتبناها آنفًا أن المسيح قد أُنْجِيَ نحو الجليل بعد خروجه من القبر. ولقد ورد في إنجيل "مرقس" أنه بعد خروجه من القبر شوهد متَّجِّهًا نحو الجليل، وأنه لقي أخيرًا حواريه الأَحدَ عشر وهم يأكلون؛ وأَراهم يديه وقدميه الجريحة؛ وأنهم حسبوه روحًا، فقال لهم: جُثُّوني وانظروا إلي، فإن الروح ليس لها جسم وعظام كما ترونني؛ وأنه أخذ منهم قطعةً من سمك مشوي وشيئًا من شهدٍ عسلٍ، وأكل قُدَّامَهُم. (إنجيل مرقس الإصحاح ١٦ العدد ١٤، وإنجيل لوقا الإصحاح ٢٤ العدد ٣٩ - ٤٢)<sup>١</sup>

يتضح من هذه العبارة جليًّا أن المسيح لم يصعد إلى السماء قطّ، بل ذهب إلى الجليل بعد أن خرج من القبر، وكان كسائر الناس بجسم ولباس عاديين. ولو كان قد استردَّ الحياة بعد موته، لَما كان من الممكن أن تبقى آثار الصلب على جسمه الجلالي، ولَما كان بحاجة إلى الطعام؛ وإذا كان محتاجًا إليه آنفَذ فهو أحوَج ما يكون إليه اليوم أيضًا!

ولا ينخدعنَ القراء فيظنوا أن صليب اليهود في ذلك العصر كان مثل مشنقة اليوم التي من شبه المستحيل أن ينجو أحد من الموت عليها. كلا، بل ما كان صليب اليهود في ذلك العصر يحتوي على حبل للشنق، ولم يكن المجرم يُعلَّق به في الهواء بإزالة قاعدة خشبية من تحته، وإنما كان يُمدَّد على الصليب ويُدقَّ في يديه ورجليه المسامير؛ وكان من الممكن -إذا أريدَ العفو عنه- أن يُنزل من على الصليب حيًّا، بعد التسمير في أطرافه وبعد بقاءه معلقًا عليه ليوم أو يومين، دون تحطيم عظامه، اكتفاءً بما يكون قد ذاق من العذاب. وأما إذا أرادوا قتله أبَقَّوه على الصليب ثلاثة أيام على الأقل، ولم يدعوا الطعام أو الشراب يصل إلى فمه، ثم بعد ذلك كسروا

<sup>١</sup> هذه الأرقام تختلف في طبعات وتراجم مختلفة للكتاب المقدس، لذا تمسكنا بالأرقام التي سجلها المؤلف في هذا الكتاب. (الناشر)

عظامه؛ وكان المجرم يلقي حتفه بعد أن يذوق كل تلك الألوان من التعذيب. ولكن الله بفضلِهِ ورحمته أنقذ المسيح ﷺ من أن يتعرض للعذاب لهذه الدرجة التي تقضي على الحياة قضاءً نهائياً.

وإذا قرأتَ الأناجيل بشيء من التدبر اتضح لك أن المسيح ﷺ لم يبق على الصليب لثلاثة أيام، ولم يذوق العطش والجوع لثلاثة أيام، ولم تُكسر عظامه، بل بقي عليه قُرابة ساعتين فقط، حيث قدّر الله، برحمة منه وفضل، أن تتم عملية صلبه في أواخر ساعات النهار، وكان ذلك في يوم الجمعة حيث لم يبق من النهار إلا القليل؛ وكان اليوم التالي هو السبت وعيدُ الفصح لليهود، وكان محرّماً على اليهود ومستوجباً للعقاب الإلهي أن يتركوا أحداً معلّقاً على الصليب يوم السبت أو ليلته؛ وكانوا، كالمسلمين، يُراعون التوقيت القمري ويقدمون الليل على النهار.

وهكذا فقد حصلت هذه العوامل الأرضية من ناحية، ومن ناحية أخرى ظهرت تدابير سماوية من الله ﷻ حيث هبّت في الساعة السادسة أي قُبيل المغيب عاصفةٌ أظلمت الأرضَ كلّها، وبقيت هذه الظلمة لثلاث ساعات متوالية. (إنجيل مرقس الإصحاح ١٥ العدد ٣٣). وعند هبوط هذه الظلمة الدامسة خاف اليهود من أن تحين ليلة السبت، فيستحقّوا العقاب لانتهاكهم حرمة السبت؛ فسارعوا بإنزال المسيح واللصّين المصلوبين معه.

كما ظهر تدبير سماوي آخر أيضاً، وهو أن زوجة بيلاطس أرسلت إليه وهو جالس على كرسيّ المحكمة قائلة: "إياك وذلك البارّ، (أي لا تسع لقتله) لأنني تألمتُ اليوم كثيراً في حُلمٍ من أجله". (إنجيل متى الإصحاح ٢٧ العدد ١٩)

فهذه الرؤيا التي ظهر فيها ملاك الله لزوجة بيلاطس تكشف لنا ولكل منصف آخر وبكل تأكيد أن الله تعالى لم يُرد أن يُقتل المسيح على الصليب؛ إذ لم يحدث قط منذ بدء الخليقة إلى اليوم أن يكون الله تعالى قد حرّض أحداً في منامه أن يفعل

كذا وكذا لإنقاذ شخص ثم لم يتحقق ذلك الأمر. فمثلاً ورد في إنجيل "متى" أن ملاك الرب ظهر ليوسف في الحلم قائلاً: "فَمُ وَحُذِ الصَّبِيِّ وَأُمُّهُ وَاهْرُبْ إِلَى مِصْرَ، وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَقُولَ لَكَ، لِأَنَّ هِيرُودُسَ مُزْمِعٌ أَنْ يَطْلُبَ الصَّبِيَّ لِيُهْلِكَه." (إنجيل متى الإصحاح ٢ العدد ١٣)

فهل لأحد أن يدّعي بعد ذلك أن قتلَ يسوع بعد أن بلغ مصر كان ممكناً؟ وكذلك فإن رؤيا زوجة بيلاطس كانت تدبيراً إلهياً لإنقاذ المسيح، وكان فشل هذا التدبير أمراً مستحيلاً. فكما أن احتمال هلاك المسيح في حادث مصر كان أمراً يُخالف الوعد الإلهي المحتّم، كذلك ليس من المعقول أن يظهر ملاكُ الله لزوجة بيلاطس في الحلم محذّراً إياها بأن قتل المسيح على الصليب لن يكون خيراً لكم، ومع ذلك يذهب ظهور الملاك سُدًى، ويُقتل المسيح على الصليب! فهل تجدون لذلك مثلاً؟ كلا! بل كلّ عاقل سليم الفطرة إذا اطّلع على رؤيا زوجة بيلاطس أيقن في أعماق قلبه بأنه لم يكن الهدف من تلك الرؤيا إلا أن توضع خطة لتخليص المسيح.

أجل، لكل إنسان في الدنيا الخيار أن يرفض حقيقة ناصعة ولا يقبلها تعصباً لعقيدته، ولكن مقتضى العدل يدفعنا للاعتراف بأن رؤيا زوجة بيلاطس تمثل شهادة قاطعة على نجاة المسيح من الموت على الصليب؛ وقد سجّلها أوثق الأناجيل أعني "متى". لا جرم أن الشواهد التي سوف أبينها في هذا الكتاب بأسلوب قوي مُحكم لكافية لإبطال ألوهية المسيح والكفارة، ولكن مقتضى الصدق والأمانة يفرض علينا ألا نخفل أبداً، في سبيل قول الحق، بقومنا أو عشيرتنا وعقائدنا التقليدية. فمنذ أن خلق الإنسان فإنه بسبب قصور فهمه قد جعل آلاف الأشياء آلهة، حتى عبَد القطط والأفاعي أيضاً، ومع ذلك لم يزل العقلاء ينجون بتوفيق الله تعالى من أمثال هذه العقائد المشتركة.

ومن الشهادات الإنجيلية على نجاة المسيح ابن مريم من الموت على الصليب، سَفَرُهُ الطويل الذي قام به إلى الجليل بعد خروجه من القبر؛ حيث اجتمع أولاً بمريم المجدلية صباح يوم الأحد، فأخبرت الحواريين على الفور بأن المسيح حي، ولكنهم لم يستيقنوا. ثم ظهر لاثنتين من الحواريين حين ذهبا إلى إحدى القرى، وأخيراً ظهر للأحد عشر حين كانوا جلوساً يأكلون؛ فلأمهم على ضعف إيمانهم وقسوة قلوبهم. (مرقس الإصحاح ١٦ العدد ٩-١٤)

ثم لقي المسيح الحواريين حين كانوا متجهين نحو قرية تُدعى "عمّواس" الواقعة على بُعد ٣,٧٥ فراسخ من أورشليم؛ ولما اقتربوا من القرية أراد أن يتقدمهم لينفصل عنهم، فحالوا دونه قائلين: امكُثْ معنا الليلة. فتناول العشاء معهم، وباتوا جميعاً في قرية عمّواس. (لوقا الإصحاح ٢٤ العدد ١٣-٣١)

والظاهر أنه من المستحيل وغير المعقول أن تصدر من الجسم الجلالي، الذي تحيَّله المسيحيون للمسيح بعد موته، أعمالٌ تخص الجسم المادّي الفاني كأكله وشربه ونومه وسفره إلى الجليل التي تبعد عن أورشليم نحو ٧٠ فرسخاً. ومع أن تطرّف الأفكار قد حرّف كثيراً من قصص الإنجيل هذه، غير أن الكلمات الموجودة فيها لتدل دلالة صريحة على أن المسيح لقي الحواريين بهذا الجسم المادي الفاني، وقام بالسفر الطويل إلى الجليل مشياً على الأقدام، وأرى الحواريين جروحه، وتعشّى وبات تلك الليلة عندهم. وسنثبت فيما بعد أنه قد عالج جروحه باستعمال مرهم خاص.

أوليس مما يدعوننا إلى التفكير أن ذلك الجسم الجلالي الأبدي الذي ناله المسيح -مكان الجسم المادّي الفاني- الذي كان جديراً بأن يتشرف بالجلوس عن يمين الله وأن يسمو عن الأكل والشرب وعن كل أثر (من الجروح) أو ألم أو عيب، وأن يصطبغ بصبغة جلال الله الأزلي الأبدي؛ أقول: إن ذلك الجسم

الجلالي كيف بقي بعدُ مشوبًا بالضعف البشري إذ وُجدت فيه بقايا الجروح الحديثة الدامية المؤلمة الناتجة عن الصليب والمسامير، والتي أُعدَّ لعلاجها مرهم خاص؟! نعم كيف ظل ذلك الجسم الجلالي غير الفاني -الذي كان ينبغي أن يبقى للأبد سليمًا من كل عيب ومنقصة وكاملًا غير متغيّر- مصابًا بأنواع العيوب، حتى أرى المسيح حواريه لحمه وعظامه؛ وليس ذلك فحسب، بل كان ذلك الجسم الجلالي يُعاني من حاجات الجسم البشري الفاني كشدة الجوع والعطش؛ ولو لم يكن الأمر كذلك لما كان المسيح بحاجة للقيام بذلك السخف.. أعني أن يأكل ويشرب ويستريح وينام خلال سفره إلى الجليل. وأيُّ شك في أن الجوع والعطش هما من آلام الجسم الفاني في هذه الدنيا، حتى إن شدتهما قد تقضي على حياة الإنسان.

فثبت بلا مرأ أن المسيح لم يمت على الصليب، ولم يتلقَّ أيَّ جسم جديد جلالي، وإنما تعرّض لحالة الإغماء الشبيهة بالموت.

وكان من عجائب فضل الله ورحمته أن القبر الذي وُضع فيه المسيح لم يكن مثل قبور بلادنا، بل كان شبه حجرة ذات نافذة يتخللها الهواء؛ إذ كان من عادة اليهود في تلك الأيام أن يجعلوا القبور كغرفة واسعة ذات نافذة يتخللها الهواء، وتكون جاهزة سلفًا ليوضع فيها الميت لدى الحاجة. والأنجيل تشهد على ذلك بكل صراحة، حيث نجد في إنجيل لوقا قوله: "ثم في أول الأسبوع أول الفجر أتين إلى القبر حاملات الحنوط الذي أعددنه، ومعهن أناس، فوجدن الحجر مدحرجًا عن القبر. (هذه العبارة تستدعي التفكير). فدخلن ولم يجدن جسد الرب يسوع." (إنجيل لوقا الإصحاح ٢٤ العدد ٢-٣)

والآن فكّروا في قوله: "فدخلن"! إذ من الواضح أن الإنسان الحي لا يمكن أن يدخل في القبر إلا إذا كان واسعًا كحجرة ذات نافذة؛ وسنبيّن في المكان المناسب

من هذا الكتاب أن قبر عيسى عليه السلام الذي تم العثور عليه مؤخرًا في سرينغر بكشمير، هو أيضًا ذو نافذة كمثّل القبر المذكور أعلاه. وهذا سرّ عظيم إذا اهتم به الباحثون أمكنهم الوصول إلى نتيجة هامة عظيمة.

ومن جملة الشهادات التي وجدناها في الأناجيل قولُ بيلاطس الذي سُجِّل في إنجيل مرقس وهو: "ولما كان المساء إذ كان الاستعداد، أي ما قبل السبت، جاء يوسف الذي من الرامة مُشيرٌ شريفٌ، وكان هو أيضًا منتظرًا ملكوت الله، فتجاسر ودخل إلى بيلاطس، وطلب جسد يسوع. فتعجّب بيلاطس أنه مات كذا سريعًا." (مرقس الإصحاح ١٦ العدد ٤٢ - ٤٤)

نستنتج من هذا أن موت يسوع كان قد أصبح محلَّ الشبهة ساعة حادث الصليب ذاتها، وكانت تلك الشبهة من قبل رجل يعرف جيدًا مقدار الوقت الذي يموت فيه الإنسان على الصليب.

ومن الشهادات التي وجدناها في الأناجيل العبارة التالية:

"ثم إذ كان استعداد، فلكيلا تبقى الأجساد على الصليب في السبت، لأن يوم ذلك السبت كان عظيمًا، سأل اليهود بيلاطس أن تُكسر سيقانهم ويُرفعوا. فأتى العسكر، وكسروا ساقي الأول والآخر المعلق معه. وأما يسوع فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه، لأنهم رأوه قد مات؛ ولكن واحدًا من العسكر طعنَ جنبه بحربة، وللولوقت خرج دمٌ وماء." (يوحنا الإصحاح ١٩ العدد ٣١-٣٤)

يتضح من هذه العبارة جليًا أنه كان من عادتهم آنذاك، بُغية إنهاء حياة المصلوب، أن يتركوه على الصليب أيامًا، ثم يكسروا عظامه؛ ولكن عظام المسيح لم تُكسر عمدًا، بل أنزل من على الصليب وهو حيّ حتمًا كاللصين المصلوبين معه، ولذلك خرج الدم من جسمه عند طعن جنبه بالحربة، مع أن دم الميت لا يلبث أن يتجمّد.

<sup>١</sup> هذا سهو، والصحيح: الإصحاح ١٥. (الناشر)

كما يتضح من ذلك أيضاً أنه كانت هناك خطة سرية، وهي أن بيلاطس كان رجلاً تقيّاً طيب القلب، ولكنه كان يتجنب الانحياز العلني للمسيح خوفاً من قيصر؛ إذ كان اليهود يتّهمون المسيح بالثورة. كان بيلاطس سعيد الحظ حيث عرف صدق المسيح، بينما بقي قيصر محروماً من هذه النعمة. وبيلاطس لم يعرف صدق المسيح فحسب، بل بذل جهده للتخفيف عنه، ولم يُرد قطّ أن يُصلّب. والأناجيل أيضاً تذكر صراحةً أن بيلاطس أراد مراراً أن يُطلق سراح المسيح، ولكن اليهود قالوا له: إنك إن أطلقت هذا فلست مخلصاً لقيصر. إن المسيح تائر على الحكومة ويريد أن يكون بنفسه ملكاً. (يوحنا الإصحاح ١٩ العدد ١٢)

كما أن رؤيا زوجة بيلاطس كانت دافعاً آخر جعله يسعى جاهداً لإنقاذ المسيح من الصليب بأي طريق، وإلا سيكون مصيره الدمار. ولكن اليهود كانوا قوماً أشراراً، وكانوا على استعداد لإثارة قيصر على بيلاطس عن طريق الوشاية، لذلك سعى بيلاطس لإنقاذ المسيح بطريق حكيم؛ فهو أولاً أجّل صلب المسيح إلى يوم الجمعة، ثم أخره إلى أواخر ساعاته حتى لم يبق من النهار إلا بضع ساعات، وكانت ليلة السبت الكبير موشكة، وكان بيلاطس يعلم جيداً أن اليهود لا يمكنهم، نظراً لأحكام شريعتهم، إبقاء المسيح على الصليب إلا لغاية مغيب الشمس، وأنه بعد الغروب سيبدأ فوراً سبّتهم الذي لا يجوز فيه إبقاء أحد على الصليب. فتمّ ما أراد بيلاطس، وأنزل المسيح من على الصليب قبل الغروب.

وبعيداً عن القياس أن لا يموت أيّ من اللّصّين المصلوبين مع المسيح، ولكن المسيح يموت خلال ساعتين فقط! كلا، بل إن كل ذلك كان تخطيطاً نُسج لكيلا تُكسر عظام المسيح. لاشك أن هناك برهاناً عظيماً لكلّ ليبب في كون اللصين كليهما قد أنزلا من الصليب حيّين؛ إذ كانت العادة المتّبعة دوماً أن المجرمين كانوا يُنزلون من على الصليب أحياء، وكانوا لا يموتون إلا بعد كسر العظام، أو كانت



أنفسهم تزهق من شدة الجوع والعطش لبقائهم على الصليب أياً ما. ولكن المسيح لم يتعرض لشيء من ذلك؛ فهو لم يبق على الصليب جائعاً عطشاً لأيام، كما لم تُكسر عظامه، ثم ذُرَّ الرماد في أعين اليهود حيث قيل لهم بأن المسيح قد مات. وأما اللسان فقد قُضي عليهما بكسر عظامهما حالاً. وهنا نتساءل: لماذا ما قيل عن أي من اللصين إنه مات أيضاً فلا حاجة لكسر عظامه؟!

أضِفْ إلى ذلك أن يوسف الذي كان من أصدقاء بيلاطس المكرمين وكان سيد تلك المنطقة ومن تلامذة المسيح سرّاً وصل هنالك في حينه - وكان مجيئه في رأي إشارة من بيلاطس نفسه - فسلم إليه المسيح على أنه جثة هامة. ولأن يوسف كان من أشرف القوم، فلم يكن بوسع اليهود أن يعارضوه. فوصل هنالك وتسلم المسيح على أنه ميت مع أنه كان في حالة الإغماء في الواقع. وكان هنالك مكاناً أُعدَّ سابقاً كقبر على شكل حجرة واسعة ذات نافذة، بحسب عادة القوم آنذاك، وكان يقع خارجاً عن تصرّف اليهود، فوضع المسيح فيه بحسب تعليمات بيلاطس. ولقد وقع هذا الحادث خلال القرن الرابع عشر بعد وفاة موسى ﷺ وكان المسيح قد بُعث في ذلك القرن كمجدد لإحياء الشريعة الإسرائيلية. ومع أن اليهود كانوا ينتظرون مسيحهم الموعود في القرن الرابع عشر، وكانت نبوءات الأنبياء السابقين أيضاً تشهد على ذلك الموعد؛ ولكن مشائخ اليهود الأغبياء، مع الأسف الشديد، لم يعرفوا ذلك الميقات والأوان، فكذبوا مسيحهم الموعود، بل كفّروه وسمّوه ملحدًا، وأخيراً أفتوا بقتله، وجروّه إلى المحكمة.

وندرِك من ذلك أن الله تعالى قد وضع في القرن الرابع عشر تأثيراً عجيباً، حيث تقسو فيه قلوب القوم، ويطغى حبُّ الدنيا على العلماء، ويصبحون عمياناً وأعداء للحق. وإننا إذا عقدنا المقارنة بين القرن الرابع عشر بعد بعثة موسى والقرن الرابع عشر بعد بعثة مثيله أي نبيِّنا محمد ﷺ وجدنا في كل من القرنين أن رجلاً يدّعي

بأنه المسيح الموعود، وكانت دعواه صادقة ومن عند الله، وأن علماء القوم كفّروا كليهما ووصموهما بالإلحاد والدجل، وأفتوا بقتلهما، وقد جرّ كلاهما إلى المحاكم، أحدهما إلى المحاكم الرومية، والآخر إلى المحاكم الإنجليزية؛ وفي الأخير نُجّي كلاهما، وخاب أعداؤهما، سواء علماء اليهود أو علماء المسلمين؛ وأراد الله أن يجعل من المسيحين الموعودين كليهما أمّة عظيمة، وأن يُحبّ أعداءهما. وبالاختصار، فإن القرن الرابع عشر، سواء لموسى أو لسيدنا ومولانا ونبينا ﷺ شديد على مسيحه، ولكنه مبارك له أيضًا في نهاية المطاف.

ومن الشهادات التي نَجّدها في الأناجيل على نجاة المسيح من الصليب ما ورد في إنجيل "متى" الإصحاح ٢٦ العدد ٣٦-٤٦ بأن المسيح ﷺ لما تلقى الوحي عن اعتقاله، ظلّ يتضرّع إلى الله ساجدًا باكيًا مبتهلاً طول الليل؟ وكان لابدّ أن يُستجاب ذلك الدعاء الفياض بالتضرع والابتهاال الذي مُنح المسيح من أجله وقتًا طويلاً، لأن دعاء المقرّب وقت الاضطراب والقلق لا يُردّ أبدًا. فلماذا إذا رُفض دعاء المسيح الذي كان دعاءً مظلوم قام به طول الليل بقلب يفيض بالألم؛ خاصة وأن المسيح يعلن بأن الأب الذي في السماء يستجيب لدعائي؟ فكيف نصدّق إذن بأن الله كان يستجيب له مع أنه لم يستجب له هذا الدعاء الذي قام به في اضطراب شديد؟

كما يتبيّن من الإنجيل أيضًا أن المسيح ﷺ كان على يقين تام من استجابة دعائه، وكان يعوّل على ذلك الدعاء تمام التعويل؛ ولذلك فلما قبض عليه وعُلّق على الصليب، ولم يجد الظروف ملائمةً لآماله صرّح بشكل عفوي: "إيلي إيلي لما شَبَقْتَنِي.. أي: إلهي إلهي لماذا تركتني". يعني لم أكن أتوقّع مطلقًا أن يكون مصيري هكذا، وأن أموت على الصليب؛ بل كنتُ موقنًا بأنك ستستجيب دعائي.

فاتضح جليًا من كلا الموضعين في الإنجيل أن المسيح نفسه كان واثقًا من صميم فؤاده أن دعاءه مستجاب لا محالة، وأن بكاءه طيلة الليل لن يذهب هدرًا؛ وكان

بنفسه قد علّم حوارِيَّه، بناءً على أمر من الله تعالى، أَنْ ادْعُوا اللهَ يَسْتَجِبْ لَكُمْ؛ بل قصّ عليهم كمثال قصة القاضي الذي كان لا يخشى الله ولا مخلوقه، ليستيقن الحواريون بأن الله يستجيب الدعاء. فلا شك أن المسيح كان قد علم من الله بأن مصيبة عظيمة ستزل به، ولكنه، كعادة العارفين بالله، ألحّ في الدعاء إيماناً منه بأن لا مستحيل أمام الله، وأن كل محو وإثبات بيده. ولذلك فلو لم يُسْتَجَبْ دعاء المسيح نفسه حينئذ -والعياذ بالله- لترك هذا في نفوس الحواريين تأثيراً سلبياً. فكان من المستحيل إذاً أَنْ يقدّم لهم مثل هذا النموذج الذي من شأنه أن يدبّر إيمانهم؛ إذ لو أنهم رأوا بأنهم أعينهم أن دعاء نبي مقدّس كالْمسيح لم يُسْتَجَبْ رغم تضرّعه طول الليل، لوقعوا في فتنة عظيمة في إيمانهم؛ ولذلك كان من مقتضى رحمة الله تعالى أن يستجيب دعاءه. واعلموا يقيناً أن الدعاء الذي تمّ في المكان الذي اسمه "جَثْسِيماني" كان قد لقي القبول من الله حتماً. (المسيح الناصري في الهند، الخزائن الروحانية، المجلد ١، ص ١٩-٣١)

﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكنّ شبهّ لهم... وما قتلوه يقيناً﴾ أي الواقع أن اليهود لم يتمكنوا من قتل المسيح، ولم يهلكوه على الصليب، وإنما اشتبه الأمر عليهم، فظنوا أنه قد مات على الصليب؛ ولكنهم لا يملكون من الأدلة والبراهين ما تطمئنّ به قلوبهم بأن نفسه ﷺ قد خرجت على الصليب يقيناً.

ولقد صرّح الله في هذه الآية بأن المسيح قد عُلق فعلاً على الصليب وأريدَ قتله دون شكّ، ولكن اليهود والناصريّ منخدعون في ظنهم أنه قد مات على الصليب حقاً، إذ الواقع أن الله تعالى قد هياّ أسباباً أدّت إلى نجاته من الموت على الصليب. فمن مقتضى العدل إذاً أن نُقرّ بأن ما أعلنه القرآن الحكيم، مناقضاً آراء اليهود والناصريّ، قد ثبت صدقُه في نهاية المطاف؛ إذ أكدت البحوث الدقيقة المعاصرة على أن المسيح ﷺ قد نُجّي فعلاً من الموت على الصليب. ويكشف الاطلاّع

على الكتب التاريخية أن اليهود عجزوا دومًا عن تقديم ردّ مقنع إذا ما سئلوا: كيف مات المسيح على الصليب في ساعتين أو ثلاث ساعات فقط وبدون أن تُكسر عظامه؟ فلذلك اختلق بعض من اليهود رأيًا آخر فزعموا أنهم قتلوا المسيح بالسيف؛ مع أن التاريخ اليهودي القديم لا يدعم هذا الرأي أبدًا.

ومن عجائب قدرة الله أنه جمع لإنقاذ المسيح عدة عوامل في وقت واحد، حيث اشتدّ الظلام لدى تعليقه على الصليب، وحدث زلزال، ورأت زوجة بيلاتس الرؤيا، واقترب حلول ليلة السبت العظيم الذي كان حرامًا أن يتركوا فيه أحدًا على الصليب، ومال قلب الحاكم إلى إنقاذ المسيح بسبب تلك الرؤيا المُنذرة؛ كما جعل الله المسيح كالمغشي عليه من الموت لكي يبدو للجميع كالأموات، وبثّ في نفوس اليهود الرعب بإظهار الآيات المِهْوَلة كالزلزال وغيره فخافوا أن ينزل عليهم العذاب؛ بالإضافة إلى تحوّلهم من بقاء الجثث على الصليب ليلة السبت؛ ثم إن اليهود حين رأوا المسيح في حالة الإغماء حسبوه ميّتًا؛ كما أن شدة الظلام والزلزال والفرع كل هذه الأمور دفعتهم لأن يهتمّوا ببيوتهم ويقلقوا على أهلهم وعيالهم؛ كما أخذ الذعر يطغى على قلوبهم، لأنهم تساءلوا أن هذا الرجل إذا كان كافرًا كاذبًا، كما ظنّوه، فلماذا ظهرت تلك العلامات المهيبة عند تعذيبهم له، وبشكل لم يسبق له نظير، فلم يستطيعوا من شدة فرحهم أن يتبيّنوا ما إذا كان المسيح قد مات في الواقع أم لا.

والحق أن جميع هذه الأمور كانت تدابير إلهية لإنقاذ المسيح؛ وإلى ذلك تُشير الآية الكريمة: ﴿وَلَكِنْ شَبَّهَ لَهُمْ﴾ أي أن اليهود لم يتمكّنوا من قتل المسيح، ولكن الله تعالى شبّه عليهم الأمر، فظنّوا أنهم قد قتلوه؛ الأمر الذي يتقوّى به أمل أولياء الله في فضله بأنه قادر على إنقاذ عباده بأية طريقة شاء. (المسيح الناصري في الهند،

الأسف كل الأسف ما أجسره على تحريف القرآن الكريم! يقولون: قد ورد في القرآن الكريم: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾، وقد ثبت منه أن عيسى رُفِعَ إلى السماء بجسمه. ولكن كل عاقل يستطيع أن يفهم أن عدم قتل أحد أو عدم صلبه لا يستلزم رفعه إلى السماء بالجسد المادي حتما. ولقد وردت في الآية التي تليها كلمات صريحة: ﴿وَلَكِنْ شُبِّهَ هُمْ﴾ أي لم ينجح اليهود في قتله بل أوقعوا في شبهة وظنوا أنهم قتلوه. فما الحاجة لإيقاعهم في الشبهة لكي يُصَلَّبَ مؤمن آخر ويُجَعَلَ ملعونا؟ أو يُلبَسَ أحد من اليهود صورة عيسى ﷺ ويُصَلَّبَ؟ ففي هذه الحالة كان ممكناً لهذا الشخص أن يعلن على الملأ أنه عدو لعيسى ﷺ ويتخلص من الموت فوراً بذكر أسماء أقاربه وعناوينهم، وكان له أن يعلن جهاراً أن عيسى قد ألبسه صورته بسحره. ما أغبى هذه الأوهام! لماذا لا يستنتجون من: ﴿وَلَكِنْ شُبِّهَ هُمْ﴾ أن عيسى لم يمت على الصليب بل أغشي عليه ثم استعاد وعيه بعد أن ظل مغشياً عليه ليومين أو ثلاثة أيام واستخدم "مرهم عيسى" -وهو مذكور إلى يومنا هذا في مئات كتب الطب وكان قد رُكِّبَ لعيسى ﷺ- فاندملت به جروحته.

ومن سوء الحظ أيضاً أنهم لا ينتبهون إلى أسباب نزول هذه الآيات. إن القرآن الكريم حَكَّمْ لرفع الخلافات بين اليهود والنصارى ليحكم فيما شجر بينهم، فكان من واجبه أن يحكم فيما اختلفوا فيه. فكان من الأمور المختلف فيها قول اليهود إنه قد ورد في التوراة أن مَنْ عَلِقَ على الخشبة فهو ملعون ولا تصعد روحه إلى الله بعد موته. فما دام عيسى قد مات على الصليب فلم يُرْفَع إلى الله ولم تُفْتَحْ له أبواب السماء. وقد رَوَّج المسيحيون في زمن النبي ﷺ اعتقادهم هذا، ولا يزال الاعتقاد نفسه رائجا أن عيسى مات وصار ملعونا بموته على الصليب ولكنه حمل اللعنة على عنقه من أجل نجاة الآخرين. وفي نهاية المطاف رُفِعَ إلى الله تعالى ولكن ليس بالجسد المادي بل بالجسد الجلالي الذي كان منزهاً عن الدم واللحم والعظام والزوال، وقد حكم الله

تعالى في القرآن الكريم بين المتخاصمين وقال إنه خلافٌ للحقيقة تماماً، القولُ إن عيسى مات على الصليب أو قُتل حتى يُستنتج من ذلك أنه ملعون بحكم التوراة، بل الحق أنه أُنقذ من الموت على الصليب وُضع إلى الله تعالى كما يُرفع المؤمنون. وكما يُرفع كل مؤمن إلى الله بعد نيله جسماً جالياً منه وَجَّكَ كَذَلِكَ رُفِعَ هُوَ أَيْضاً وَلِحَقِّ بِالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ خَلَوْا قَبْلَهُ، كما يُفهم من كلام النبي ﷺ الذي قاله بعد المعراج إنه كما رأى أجسام الأنبياء الأطهار كذلك تماماً وجد عيسى ﷺ أيضاً معهم وعلى هيئتهم ولم ير له جسماً غريباً. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٣٨-٤٠)

ويقولون إن الآية: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ تدل على حياة عيسى ﷺ، إن فهمهم هذا يبعث على البكاء فعلاً. ألا يموت مَنْ لَا يُصَلَّب؟ لقد بَيَّنْتُ مراراً أنه لم يرد في القرآن الكريم نفي صلب المسيح وذكر رفعه ليشبث الله حياة عيسى ﷺ بل جاء هذا الذكر للإثبات أنه لم يمت موتاً ملعوناً بل رُفِعَ رفعا روحانياً مثل بقية المؤمنين. وقد أريدَ بذلك ردُّ على اليهود لأنهم ينكرون رفعه. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٦١، الحاشية)

"وفي آية: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ إشارة أخرى، وهي أن النصارى زعموا أن عيسى صُلب لأجل تطهيرهم من المعاصي، وظنوا كأنه حمل بعد الصلب جميع ذنوبهم على نفسه، وهو كفارةٌ لهم ومطهرٌهم من جميع المعاصي والخطيئات، ففي نفي الصلب ردُّ على النصارى وهدمٌ لعقيدة الكفارة، ومع ذلك ردُّ على اليهود واستئصال لكيدهم الذي احتالوا اعتصاماً بالتوراة، وإظهارٌ لبرية عيسى ﷺ من بهتان تلك الأقوام. فهذا هو السبب الذي ذكر الله قصة صلب عيسى في القرآن وكَدَّبَهُ، وإلا فما كان فائدة في ذكره، وكم من نبي قُتل في سبيل الله وما جاء ذكر قتلهم في القرآن. فخذُ مني هذه النكتة وكن من المصدقين." (حمامة البشرى، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٢٢-٢٢٣)

والجدير بالانتباه أن المسلمين يستطيعون أن يفهموا مسألة وفاة عيسى عليه السلام أكثر من النصارى، لأن القرآن الكريم ذكر موته مرارا وتكرارا، لكن بعض السفهاء أصيبوا بشبهة أن المراد من "شبهه" في الآية ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ هُمْ﴾، أن شخصا آخر صُلب مكان عيسى عليه السلام. ولا يفكرون أن كل إنسان يحب حياته. فلو كان شخص آخر قد صُلب مكان عيسى عليه السلام لأثار ضجة عند الصليب أنه ليس عيسى، ولأنقذ نفسه حتما بعد تقديم دلائل عدة وبيان أسرار مميزة، لا أن يتفوه مرارا بكلمات تثبت بأنه هو عيسى. أما "شبهه لهم" فلا تعني ما فهم منها. كما لم يقدم شيء تأييدا لهذه المعاني من القرآن الكريم ولا من الأحاديث النبوية، وإنما المراد أن أمر حدوث الموت قد اشتبه على اليهود، إذ قد ظنوا أنهم قد قتلوه، مع أن المسيح نجا من القتل. إنني أستطيع أن أقول مقسما بالله بأن هذا هو معنى "شبهه لهم" حصرا في هذه الآية، وهي سنة الله. إن الله سبحانه حين يريد إنقاذ أحبائه يصيب الأعداء بمثل هذه الشبهات؛ فحين اختفى نبينا صلوات الله عليه في غار ثور فهناك أيضا شبه لهم بأمر من الله، أي قد أصاب الأعداء بشبهة إذ فكروا أن العنكبوت قد نسج شبكة على فم الغار والحمامة قد باضت، فكيف يمكن أن يدخل فيه أي إنسان. فمكث النبي صلوات الله عليه في ذلك الغار المماثل للقبر ثلاثة أيام كما كان المسيح قد بقي ثلاثة أيام في القبر الشامي الذي أُدخل فيه مغمى عليه. وإن ما قاله النبي صلوات الله عليه "لا تفضلوني على يونس" فقد أشار فيه إلى هذه المماثلة، لأن الدخول في الغار والدخول في بطن الحوت متشابهان، فنفي التفضيل كان من هذه الناحية لا من كل النواحي، إذ لا شك في أن النبي صلوات الله عليه ليس أفضل من يونس فقط، بل من جميع الأنبياء.

ملخص القول إن من سنن الله وعاداته القديمة أن أعداء أنبيائه ومبعوثيه حين يريدون قتلهم فهو يعصمهم من أيديهم بحيث يظنون أنهم قد قضوا على هذا الرجل مع أن الموت لا يكون قد وصل إليه، أو يظنون أنه انفلتت من أيديهم مع كونه مخفيا

في المكان نفسه فينجو من شرهم، فهذا ما تعني "شبه لهم" حصرا. وجملة "شبه لهم" لا تخص المسيح وحده، إذ حين ألقى إبراهيم عليه السلام في النار تجلت عادة الله هذه، بحيث لم يُصرف إبراهيم عن النار ولم يُرفع إلى السماء، بل إن النار لم تقدر على حرقه بحسب مدلول الآية ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا﴾ (الأنبياء: ٧٠)، وكذلك حين ألقى ييوسف في البئر لم يصعد إلى السماء عند الصلب، بل إن البئر لم تقدر على إهلاكه. كما أن ابن إبراهيم العزيز إسماعيل أيضا لم يرفع إلى السماء عند الذبح، بل إن السكين لم تذبحه. كذلك لم يصعد نبينا ﷺ عند محاصرتهم لغار ثور إلى السماء، بل إن أبصار الأعداء الدمويين لم تقدر على رؤيته. وكذلك لم يصعد المسيح أيضا إلى السماء، وإنما الصليب لم يقدر على القضاء عليه. باختصار؛ لم يصعد أحد هؤلاء الأنبياء إلى السماء عند المصائب، إلا أن ملائكة السماء جاءوهم وساعدوهم. هذه الأحداث واضحة جلية، وتبرهن بجلاء على أن المسيح لم يذهب إلى السماء، وكان رفعه مثل إبراهيم وسائر الأنبياء، ومات أخيرا. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ٣٣٧-٣٣٩)

أن القرآن الكريم قد جاء لإزالة أخطاء اليهود والنصارى ورفع اختلافاتهم. فيجب الانتباه جيدا عند استنباط المعنى من كل آية تتعلق باليهود والنصارى إلى ما كان النزاع الدائر بينهم الذي كان القرآن سيحكم فيه. فبوضع هذا المبدأ في الاعتبار يمكن لمنصف أن يفهم بكل سهولة المعنى المراد من الآية: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ... بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ لأن المقتول على الصليب ملعون بحسب اعتقاد اليهود، ولا يُرفع إلى الله تعالى بل يتوجه إلى الشيطان. وكان الله تعالى سيحكم في القرآن الكريم هل رُفع عيسى عليه السلام إلى الله تعالى رفعا روحانيا أم لا؟ فأولا وقبل كل شيء أزال الله تعالى شبهة اليهود القائلة بأن عيسى عليه السلام قُتل مصلوبا، فقال بأن هذه الفكرة ليست إلا شبهة اليهود التي ألقاها الله في قلوبهم، ولم يُقتل عيسى عليه السلام



مصلوبا حتى يُعدّ ملعونا بل رُفِعَ رفعا روحانيا كما يُرفع المؤمنون الآخرون. والمعلوم أنه ما كان لله تعالى أن يدخل في نقاشاتٍ عقيمة ويحكم هل صعد عيسى ﷺ إلى السماء بجسده المادي أم لا، لأن ذلك لم يكن الأمر المتنازع فيه عند اليهود، فهم لا يعتقدون بأن المصلوب لا يصعد إلى السماء بجسده المادي لأن ذلك يستلزم بأن الذي لا يُصلب يصعد إلى السماء بجسده المادي. كذلك لا يعتقدون أن غير المؤمن والملعون لا يصعد إلى السماء بجسده المادي، ولكن المؤمن يصعد إليها بالجسد المادي. لأن اليهود لا يعتقدون بصعود موسى ﷺ أيضا- الذي هو النبي الأعظم عند اليهود- إلى السماء بجسده المادي. بل النزاع كله كان يدور حول الرفع الروحاني. وكان اليهود يجادلون بحسب معتقدتهم بأن عيسى ملعون- والعياذ بالله- لكونه لم يُرفع روحانيا إذ قُتل مصلوبا. فهذا هو الخطأ الذي أراد الله إزالته، فحكم أن عيسى ليس ملعونا بل رُفِعَ رفعا روحانيا مثل المؤمنين الآخرين.

وليكن معلوما أن لفظ الملعون ضدّ المرفوع، وذلك إذا كان المعنى المراد من الرفع هو الرفع الروحاني. فالذين يعدّون عيسى ﷺ ملعونا لكونه مصلوبا يرون أنه ليس المراد من الملعون إلا أن ذلك الشخص لا يُرفع رفعا روحانيا. لقد عدّ النصارى أيضا عيسى ﷺ ملعونا لثلاثة أيام خطأ منهم، أي لم يُرفع رفعا روحانيا لثلاثة أيام. وبحسب عقيدتهم دخل الشّجرة تحت الثرى ملعونا ولم يصحبه جسد، فلماذا احتاج إلى الجسد عند الرفع إذا؟! كان من المفروض أن ينطبق الأمر نفسه على كلّتا الحالتين. هذا ما ندين به المسيحيين بأنهم ارتكبوا خطأ في أمر الرفع. ولا يزالون يقرّون أن نتيجة الصلب بحسب التوراة كان أمرا روحانيا، أي كون المصلوب ملعونا، وهو عدم الرفع بتعبير آخر، فكان عدم الرفع من حيث الروحانية بحسب اعتقادهم، وفي هذه الحالة كان من المفروض أن يكون الرفع أيضا روحانيا من أجل تحقيق المماثلة. يعترف المسيحيون أن عيسى - لكونه ملعونا- دخل الجحيم تحت الأرض

بالروح فقط ولم يصحبه جسد. فما دام الحال على هذا المنوال فلماذا احتاج إلى الجسد عند الرفع؟! ولماذا اصطحبه الجسد؟! مع أن جميع الأنبياء المؤمنين بالتوراة والفقهاء اليهود كلهم ظلوا منذ القدم يستنبطون من لعنة الصلب أن المعنى المراد منه هو عدم الرفع الروحاني. ولا يزالون يقولون الآن أيضا بأن الذي يُقتل صلبا لا يُرفع إلى الله، فاللعنة تعني عدم الرفع.

على أية حال، فلما كان الله تعالى يهدف إلى إزالة اعتراض اليهود الذين لا يزالون يستنبطون من عدم الرفع معنى روحانيا، أي يقولون بأن عيسى لم يُرفع إلى الله تعالى رفعا روحانيا لأنه كان كاذبا، فلماذا انخرط الله تعالى عن الموضوع الحقيقي وتوجّه إلى غيره، وكأنه لم يفهم السبب الحقيقي وراء مجادلة اليهود - والعياذ بالله - وأصدر الحكم كقاضٍ يحكم على عكس ما ورد في ملف القضية تماما؟! فأَيُّ شك في كفر مَنْ اعتقد هذا الاعتقاد بالله عمداً؟!

نقول أيضا إضافة إلى ذلك: لو افترضنا جدلا أن الله تعالى أهمل هنا نزاع اليهود الحقيقي تماما وبيّن موضوعا جديدا كان بيانه لغوا محضا وغير ضروري تماما، أي رفع عيسى ﷺ إلى السماء الثانية بالجسد المادي، فتبطل هذه الفكرة بأنه لم يرد في القرآن الكريم قط أن عيسى ﷺ رُفِعَ إلى السماء الثانية بجسده المادي، بل كلمات القرآن هي: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾. فكروا الآن، هل الله جالس في السماء الثانية مثل الأشياء المتجسدة؟! والواضح أن الرفع إلى الله تعالى يكون روحانيا دائما. كذلك قد علّم الأنبياء جميعا أن الله تعالى ليس جسما ماديا حتى يكون الرفع إليه ماديا. إن الأسلوب السائد في القرآن الكريم كله هو أنه كلما قيل عن أحد بأنه ذهب إلى الله أو رُفِعَ إلى الله كان المراد منه دائما أنه رُفِعَ روحانيا. كما هو المعنى نفسه في الآية: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ \* ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ...﴾ (الفجر: ٢٨-٢٩). هل المراد هنا أن ارجعي إلى الله تعالى بالجسد المادي؟!

وإضافة إلى ذلك ينشأ هنا سؤال آخر أنه إن لم يُذكر هنا الرفع روحانياً، ولم يُحكَمْ في قضية إنكار اليهود لرفع المسيح روحانياً وعدّهم إياه ملعوناً، والعياذ بالله، فأين رُدَّ في القرآن الكريم على اعتراضهم الذي كان الردّ عليه ضرورياً بحسب وعده ﷺ؟! فيتين من هذا البحث كله أن اعتبار رفع عيسى ﷺ رفعا ماديا تعنت محض وحق بحت. بل هو الرفع نفسه الذي يحظى به كل مؤمن حتماً بعد موته بحسب وعد الله تعالى. أما الكفار فالحكم في حقهم هو: ﴿لَا تُفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ (الأعراف: ٤١) أي لا يُرفعون. ويقول ﷺ في آية أخرى: ﴿مُفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ (ص: ٥١). فإن قلب القول السديد رأساً على عقب يناقض التقوى والطهارة والنزاهة ويمثّل التحريف في كلام الله. ﴿البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ٥٢-٥٥)

﴿وَقَوْلُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا \* بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ أي أن الذين يختلفون في شأن عيسى - إذ يقول النصارى بأنه رُفِعَ إلى السماء حياً، ويقول اليهود بأنهم قتلوه - كلاهما في شك من أمره ولا يدرون الحقيقة وليسوا حائزين على علم صحيح بل يتبعون الظن فحسب. أي أن عيسى لم يصعد إلى السماء كما يزعم المسيحيون، ولم يُقتل على يد اليهود كما يزعم اليهود، بل الصحيح هو قول ثالث وهو أنه نجا من الموت وهاجر إلى بلد آخر. وليس اليهود على يقين كامل أنهم قتلوه، بل رفعه الله إليه وهو عزيز حكيم. فالمعلوم أنه قد ورد على رأس هذه الآيات قول على لسان اليهود: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾، وكان ضرورياً أن يُفند أولاً قول أورده الله على لسان اليهود، لذلك قدّم الله تعالى لفظ "قتلوا" على "صلبوا"، لأن ادّعاء اليهود المذكور هنا هو: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾.

ثم ليكن معلوما أيضا أن لليهود مذهبين اثنين منذ القدم فيما يتعلق بطريقة قتل عيسى ﷺ. تقول فرقة بأنه قُتل بالسيف أولا ثم عُلِّقَت جثته على الصليب أو الشجرة عبءة للآخرين. وتقول الفرقة الثانية بأنه عُلِّق على الصليب ثم قُتل بعد التعليق على الصليب. وهاتان الفرقتان كانتا موجودتين في زمن النبي ﷺ ولا تزالان موجودتين إلى الآن. ولما كان اليهود مختلفين فيما بينهم في طريقة القتل إذ كان بعضهم يرون أنه قُتل أولا ثم عُلِّق على الصليب، وكان بعضهم يرون أن الصلب سبق القتل فأراد الله أن يفنِّد كلتا الفرقتين. فلأن الفرقة التي كانت السبب وراء نزول هذه الآية كانت تعتقد بالقتل قبل الصلب، لذا قد دُحضت عقيدتهم أولا ثم فُندت فكرة الصلب.

من المؤسف حقا أن هذه الشبهات تنشأ في القلوب لأن معظم المسلمين ليسوا مطلعين اطلاعا شاملا على فرق اليهود ومعتقداتهم، وليس لديهم إلمام كافٍ بمعتقدات المسيحيين، لذا أرى من المناسب أن أذكر هنا اعتقاد إحدى فرق اليهود في قتل المسيح ﷺ من خلال كتابهم القديم الذي أُلِّف قبل ١٩٠٠ عام تقريبا وهو في حوزتي الآن. اسم الكتاب هو: "توليذوت يشوع" وهو كتاب عبري قديم أُلِّفه بعض من علماء اليهود. فقد ورد في الصفحة ٣١ من هذا الكتاب ما تعريبه: "ثم أخذوا (أي اليهود) يسوع خارجا إلى ساحة العقوبة، وقتلوه رجما. ولما مات علَّقوه على الخشبة لتأكل الطيور جثته ليهان الميت هكذا". ويؤيد هذا القول ما ورد في الإنجيل أيضا، حيث جاء فيه: يَسُوعَ الَّذِي أَنْتُمْ قَتَلْتُمُوهُ مُعَلِّقِينَ إِيَّاهُ عَلَى خَشَبَةٍ. (انظروا: أَعْمَالُ الرُّسُلِ ٥ : ٣٠).

يتبين من عبارة الإنجيل هذه أنه قُتل أولا ثم عُلِّق على الخشبة.

وجدير بالذكر أن القسس قد غيَّروا كعادتهم هذه الجملة في ترجمة الأناجيل الأردنية، أما في النسخ الإنجليزية فما زالت العبارة كما نقلناها.

على أية حال، من الثابت المتحقق أن في اليهود مذهبين حول قتل عيسى عليه السلام، أحدهما يقول بأنه قُتل أولاً ثم عُلّق على الصليب. فكان دحضه أيضاً ضرورياً، وقد ذُكر أصحاب هذه الفكرة في الآية الأولى أي: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾. فلما كان هناك ادّعاء أننا قتلنا عيسى، فكان لا بد من تفنيد هذا الادّعاء أولاً. ولكن لإكمال هذا التفنيد دحض الله معتقد الفرقة الثانية أيضاً الذين قالوا بأنهم صلبوه أولاً. فلدحض هذه الفكرة قال تعالى: ﴿مَا صَلَّبُوهُ﴾. ثم قال وَجَّكَ بعد ذلك: ﴿وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا. أَي لَمْ يُقْتَلْ عِيسَى وَلَمْ يُصَلَّبْ بَلْ شُبِّهَتْ الْحَقِيقَةُ عَلَيْهِم وَالْيَهُودُ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ كَانُوا يَخْتَلِفُونَ فِي قَتْلِ الْمَسِيحِ أَوْ رَفْعِهِ الرُّوحَانِي هُمْ فِي شَكٍّ فَقَطْ وَلَيْسَ لَدَى أَحَدِهِمْ عِلْمٌ حَقِيقِي بَلْ هُمْ فِي الظَّنِّ وَالشُّكُوكِ، وَلَا يَعْلَمُونَ يَقِينًا هَلْ قُتِلَ عِيسَى فِي الْحَقِيقَةِ. لهذا السبب تعتقد بعض فرق المسيحيين أن المجيء الثاني للمسيح سيكون بصورة بروزية على غرار النبي إلياس، أي أن الاعتقاد القائل بوجود عيسى حياً في السماء باطل تماماً، بل الحق أنه قد مات. أما الوعد بعودته في الزمن الأخير فالمراد منه مجيء شخص آخر بصفات المسيح عيسى وحُلقه، وليس أن يأتي عيسى بنفسه.

فقد جاء في كتاب: New life of Jesus المجلد الأول، الصفحة ٤١٠، للمؤلف "دي. ايس. ستراس" عبارة نقلتها من قبل في الصفحة ١٢٧ من كتابي "التحفة الغلورية" وأكتفي هنا بترجمتها وهي كما يلي:

"إن دُقَّت المسامير في اليدين والقدمين عند الصلب، فلا تخرج من جسد المصلوب إلا كمية قليلة من الدم. لذا يموت الناس على الصليب ببطء نتيجة الإصابة بالتشنج بسبب وقوع الضغط على الأعضاء، أو يموتون جوعاً. ولو افترضنا أن يسوع كان مَيِّتاً عندما أُنزل عن الصليب بعد أن بقي معلقاً عليه ست ساعات تقريباً لكان من الغالب جداً أن يكون ذلك الموت شبيهاً بالإغماء فقط. وحين

وُضع جسده في المكان البارد من الغار بعد أن طُلي بالمراهم الشافية والأدوية ذات الرائحة الزكية الأخرى، زالت عنه حالة الإغماء. ولتأييد هذا الادّعاء تُروى قصة "جوزيفس" حيث يقول: كنت ذات مرة راجعا من مهمة عسكرية، فرأيت في الطريق عدیدا من السجناء اليهود معلّقين على الصليب، فعرفت أن ثلاثة منهم كانوا من معارفي. فاستأذنت الحاكم آنذاك "طيطس" لإنزالهم، فأُنزلوا فوراً وعالجُتهم، فشُفي أحدهم أخيراً ومات الاثنان.

وقد وردت في الصفحة ٤٥٥ و ٤٥٧ و ٣٤٧ من كتاب: Modern Thought and Christian belief عبارةً إنجليزية نقلتها في الصفحة ١٣٨ من كتابي "التحفة الغلورية"، وفيما يلي تعريبها:

"كان شلير ميخر والباحثون القدامى يعتقدون أن يسوع لم يموت على الصليب، بل استولت عليه حالة شبيهة بالموت ظاهرياً. وبعد القيام من القبر ظل يتجول إلى فترة من الزمن مع حواريه، ثم سافر إلى مقام منعزل للموت الثاني، أي الموت الحقيقي". وإلى هذا الأمر أُشير في الإصحاح ٥٣ من كتاب النبي إشعياء، كذلك دعاء عيسى ﷺ المذكور في الإنجيل أيضاً يُبين الأمر نفسه كما جاء: "دعا بدموع جارية وعبرات متحدرة، فسُمع لتقواه".<sup>١</sup>

لقد نشرت الجريدة "كرثير دلاسيरा" - الأكثر شهرة في جنوب إيطاليا - الخبر الغريب التالي:

"في ١٣/٧/١٨٧٩م مات في أورشلیم راهب عجوز يدعى "كور" وكان في حياته معروفاً بكونه وليّاً، وترك وراءه بعض العقارات. فبحث الحاكم عن أقاربه وسلّم إليهم مائتي ألف فرانك (١١٨٧٥٠ روبية) كانت بصورة قطع نقدية لبلاد

<sup>١</sup> إِذْ قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طَلَبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ، وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ. (الرِّسَالَةُ إِلَى الْعِبْرَانِيِّينَ ٥ : ٧) (الناشر)

مختلفة، ووُجِدَت في غار كان الراهب يقطنه منذ فترة طويلة. واستلم أقاربه بعض المستندات أيضا مع النقود لم يستطيعوا قراءتها. وحين اطّلع عليها علماء اللغة العبرية وجدوا أمرا غريبا أنها كانت مكتوبة بلغة عبرية قديمة جدا. وحين قُرئت وُجِدَت فيها عبارة: "هكذا يخاطب السماك بطرس خادمُ يسوع بن مريم الناسَ باسم الله وبحسب مرضاته." وتنتهي الرسالة كما يلي:

"أنا بطرس السماك، قررتُ كتابة هذه الكلمات المحتوية على الحب باسم يسوع في التسعين من عمري بعد موت سيدي ومولاي يسوع المسيح بن مريم بثلاثة أعياد فصح (بعد ثلاثة أعوام) قرب بيت الإله المقدس في "بولير".

استنتج هؤلاء العلماء أن تاريخ هذه النسخة يعود إلى زمن بطرس، وهذا هو رأي "منظمة بايبل اللندنية" أيضا. والآن تريد منظمة بايبل اللندنية بعد فحصها فحصا دقيقا أن تشتري هذه الأوراق من أصحابها بمبلغ أربع مائة ألف ليرة (٢٣٧٥٠٠ روية).

دعاء يسوع بن مريم عليهما السلام: قال يا ربّي لا أقدر على أن أتغلب على ما أراه سيئا. ولم أكسب حسنة وددتها. الآخرون يجدون أجورهم في أيديهم وليس أنا، ولكن عظمتي تكمن في عملي. وما من أحد أسوأ حالا مني. يا ربّي الأعلى من الجميع اغفر لي ذنوبي. رب لا تجعل الأعداء يشمتون بي، ولا تجعلني حقيرا في نظر أصدقائي، ولا تجعل تقواي توقعني في المصائب، ولا تجعل هذه الدنيا أكبر سعادتي أو أعظم همّي. ولا تسلط عليّ من لا يرحمني. يا ربّي الرحيم افعل هذا رحمة منك، أنت ترحم كل من يحتاج إلى رحمتك. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ٣٣٦-٣٤٥)

لقد أراد اليهود من قولهم بأننا قتلنا عيسى أنه لم يُرفع إلى الله تعالى كالمؤمنين لأنه قد ورد في التوراة أن النبي الكاذب يُقتل. فردّ الله عليهم بأن عيسى لم يُقتل بل رُفِع

إليه ﷺ كالمؤمنين. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ٣٣٧، الحاشية)

طُرح على حضرته ﷺ سؤال: قوله: لا تزال هناك شبهة في آية: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ \* بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وهي أن لفظ ﴿بَلْ﴾ يربط جملة: ﴿رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ مع جملة: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ ربطا خاصا، ومن هنا يفهم أن الحادثين متصلان مع بعض. وهذا الأمر يقتضي في الظاهر أن يكون زمن الرفع متصلا مع زمن القتل وألا يكون هناك فاصل بين الزمنين. بينما يبدو من بيان حضرتك أن هناك فاصلا زمنيا طويلا ومدة مديدة بين زمن حادث الرفع وزمن حادث القتل. وبحسب هذا التقدير لو كانت الآية كما يلي: "ما قتلوه يقينا بل خلّصه الله من أيديهم حيّا ثم رفعه إليه" لدلّت على هذا المعنى.

قال ﷺ: لقد نشأت هذه الشبهة في ذهنك نتيجة تفكير عابر وسطحي فقط، ولو تدبرت في الأحداث الواقعة لما نشأت هذه الشبهة. الحقيقة أن اليهود كانوا يعتقدون بحسب التوراة أنه لو قُتل مدّعي النبوة لكان مفتريا وليس نبيا صادقا. وإذا صُلب أحد كان ملعونا ولما رُفع إلى الله. وكان اليهود يعتقدون في عيسى ﷺ أنه قُتل وصُلب أيضا. يقول بعضهم إنه قُتل أولا ثم علّق على الصليب، ويقول غيرهم إنه صُلب أولا ثم قُتل. فلهذا السبب كان اليهود ولا يزالون ينكرون رفع عيسى ﷺ الروحاني ويقولون بأنه قُتل وصُلب، لذا لم يُرفع إلى الله تعالى كالمؤمنين. يعتقد اليهود أن الكافر لا يُرفع إلى الله، ولكن المؤمن يُرفع إليه بعد موته. ويزعمون أن عيسى صار كافرا وملعوناً والعياذ بالله - لكونه مصلوبا، فلم يُرفع إلى الله. فهذا ما كان على القرآن الكريم أن يحكم فيه. فقد أصدر الله تعالى هذا الحكم في الآيات المذكورة آنفا. فالآية: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ \* بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ تُبين هذا القرار لأن المراد من الرفع إلى الله بحسب معتقد



اليهود والإسلام هو الموت في حالة الإيمان حين تُرفع الروح إلى الله تعالى. وكان اليهود يقصدون من معتقد القتل والصلب أن روح عيسى لم تُرفع إلى الله عند الموت. فهذا ما ردّ به الله تعالى على ادّعاء اليهود بالقتل والصلب. تتلخص هذه الآية بتعبير آخر في أن اليهود يقولون بتقديمهم عذر القتل والصلب بأن روح عيسى ﷺ لم تُرفع إلى الله عند الموت. فقال الله تعالى في الجواب: بل رُفِعَتْ إليه روحه عند الموت. فتفسير العبارة هو: بل رفعه الله إليه عند موته. ولأن الرفع إلى الله يكون عند الموت فقط، بل الموت في حالة الإيمان يعني الرفع إلى الله أصلاً. فكأن اليهود كانوا يقولون: مات عيسى كافراً غير مرفوع إلى الله، فردّ الله تعالى على ذلك قائلاً: بل مات مؤمناً مرفوعاً إلى الله. لذا فإن لفظ: "بل" هنا ليس في غير محله، بل جاء بحسب التعبير العربي تماماً.

كان من خطأ اليهود الظن بأنّ عيسى ﷺ صُلب فعلاً، وبناء على هذا الخطأ وقعوا في خطأ آخر إذ أنكروا رفعه إلى الله عند الموت. ولكن الله تعالى قال بأنه لم يُقتل ولم يُصلب قط، وقد رُفِعَ إلى الله عند الموت. فلا إشكال في أسلوب الكلام هنا، وإن لفظ ﴿بَلْ﴾ ليس في غير محله مطلقاً من حيث هذا المعنى، بل الرفع إلى الله - بحسب اتفاق اليهود والمسلمين - لا يعني إلا رفع روح الإنسان إلى الله تعالى بعد الموت. ففي هذه الحالة لا مجال لاستنباط أيّ معنى آخر في هذا المقام. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٣٣٥ - ٣٤٧)

فليكن معلوماً أن القرآن الكريم يعلن بأعلى صوته وبوضوح تام أن عيسى مات موتاً طبيعياً. كما يقول الله تعالى كوعدٍ في آية: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ خُذْ زُكْرَتَكَ وَارْفَعْكَ إِلَيْنَا﴾ ويشير في آية أخرى إلى تحقق الوعد فيقول: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ \* بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْنَا \* فمعنى الآية الأولى أنني سأميتك ميتة طبيعية، أي لن تهلك بالقتل أو الصلب

وسأرفعك إليّ. فجاءت هذه الآية وعدًا. وأشار في الآية الثانية إلى إيفاء هذا الوعد. وبيان معانيهما بشيء من الشرح كما يلي:

لا يعتقد اليهود يقينًا أنهم قتلوا عيسى، ولما لم يثبت القتل، ثبت الموت الطبيعي المحتوم لكل إنسان. فبطل تلقائيا ما اعتبره اليهود مانعا في رفع عيسى عليه السلام إلى الله، أي القتل أو الصلب، ورفع الله إليه بحسب وعده. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٣٧٧-٣٧٨)

لقد استنبط العلامة الزمخشري من الآية: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ معنى: "إني مميتك حتف أنفك". ومعنى "حتف" في العربية هو الموت، والأنف معروف. وقد ساد بين العرب منذ القدم اعتقاد أن نفس الإنسان تزهق عن طريق أنفه، لذا أطلقوا على الموت الطبيعي: "حتف أنف". والاستخدام الصحيح للفظ التوفي في اللغة العربية هو في محل الموت الطبيعي. أما إذا هلك أحد قتلا أطلق عليه العرب فعل "قتل". وهذا الاستخدام لا يخفى على من لديه إلمام بالعربية، غير أنه من القواعد المتداولة عند العرب استخدامهم أحيانا كلمة - تستعمل عادة استعمالا خاصا بتركيباتها الأصلية - في غير محلها مع إقامة قرينة؛ أي يوسعون استخدامها. أما عند غياب القرينة فيكون استخدام الكلمة بمعناها الحقيقي ضروريا.

أما ما قاله العلامة الإمام الزمخشري تحت الآية ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾: "إني متوفيك حتف أنفك، فلم يركّز العلامة المذكور على الاستخدام الحقيقي فقط لكلمة "التوفي" عند توسيع معناها بل تأمل بجذائها في الآية: ﴿مَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ وكذلك في الآية: ﴿مَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ ووجد فيهما قرينة قوية على أن استخدامهما في معناها الحقيقي ضروري وواجب. أي أن معناها هو: يا عيسى سأميتك موتا طبيعيا، لذلك فسر الآية: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ أي مميتك حتف أنفك. إذًا، فإن نظر الإمام الزمخشري عميق وجدير بالإشادة بوجه خاص بحيث لم يقصر لفظ "التوفي" على معناه

الحقيقي - بل تأمل أيضا بجذائه في الآيات القرآنية الأخرى التي تقول بأن عيسى لم يُقتل ولم يُصلب - وفُسر «مُتَوَفِّيكَ» بحسب معناها كما هو الحق. وهذا التفسير لا يمكن أن يقوم به إلا من كان ضليعا في اللغة.

اعلموا أن العلامة الزمخشري عالم معترف به في لسان العرب، والقادمون بعده يعترفون بعلو كعبه في هذا المجال. وإن مؤلفي القواميس يستشهدون بأقواله، كما استشهد به صاحب تاج العروس كثيرا.

الآن، يستطيع القراء الكرام أن يفهموا جيدا أن الآية: «مَا قَتَلُوهُ يَقِينًا» والآية: «وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ» ذُكرتا لتوضيح معنى التوفي فقط ولا تتناولان موضوعا جديدا، بل المقصود هو الشرح أنه كما تضمنت الكلمة: «مُتَوَفِّيكَ» وعدا أن عيسى سيموت موتا طبيعيا، فمات موتا طبيعيا، لم يقتله أحد ولم يصلبه. وبذلك بطُلت تلقائيا فكرة تطرقت إلى أذهان اليهود أن عيسى ملعون، والعياذ بالله، ولم يُرفع رفعا روحانيا، لأن هذه الفكرة كانت مبنية على فكرة القتل والصلب فقط، وقد استنبط منها أن عيسى ملعون، ومطرود من حضرة الله ولم يُرفع إلى الله، والعياذ بالله. فلأن الله تعالى شهد من خلال كلمة: "متوفيك" أن عيسى مات موتا طبيعيا، ولم يكتفِ بِحُجَّتِكَ بذلك بل زاد الآية: «مَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ» والآية: «وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا» شرحا من خلال: «مُتَوَفِّيكَ» أي الموت الطبيعي الذي كان المقصود الحقيقي من «مُتَوَفِّيكَ» لأن الذي لم يمت بالقتل أو غيره من أسباب خارجية، سيفهم أنه مات موتا طبيعيا. فلا شك أن العبارة «وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ» جاءت شرحا لكلمة: «متوفيك». وحين ثبت عدم القتل والصلب، ثبت رفع مقام عيسى عليه السلام إلى الله وطبقا لقاعدة: إذا فات الشرط فات المشروط، وهو المطلوب. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٣٨١-٣٨٢)

لما كان رفع نبيّ روحانيًا بحسب اعتقاد اليهود يتوقف على موته الطبيعي، وأما القتل والصلب فيعيق الرفع الروحاني لذا قال الله تعالى أولاً في ردّ على اليهود أن عيسى سيموت موتاً طبيعياً. ولأن الرفع هو نتيجة الموت الطبيعي فأورد "رافعك إليّ" بعد "متوفيك" لدحض أفكار اليهود دحضا تاماً. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٣٨٢، الحاشية)

يقولون بأن الذي صُلب كان شخصاً شبيهاً بالمسيح، ولكني أقول إن العقل يفرض -حصراً- في هذه القضية أن الذي جُعل شبيه المسيح إما كان عدواً له أو صديقاً؛ فإذا كان من أعدائه فكان لا بد أن يصرخ ويصيح أنني لست المسيح، وأن فلانا وفلانا هم من أقاربي، ويوجد بيني وبين زوجتي كذا وكذا من الأسرار، وأني أعدو المسيح من الكاذبين. باختصار كان من المفروض أن يصرخ هذا الشخص ويثير مثل هذه الضجة لإثبات براءته، ولكن ليس في أيّ تاريخ ما يدل على أن الذي علّق على الصليب قد أطلق سراحه بعد ما أثار مثل هذا الصراخ والضجيج.

أما إذا كان هذا الشخص من أصدقاء المسيح وحواريه، فلا شك أنه كان مؤمناً بالله، وصار ملعوناً بدون حق بموته على الصليب، والله تعالى هو من جعله ملعوناً! أما القول لماذا يصير المصلوب ملعوناً؟ فمن الواضح أن الشيء الذي يكون خاصاً بفئة معينة يُعزى إليها دوماً. وعملية الصلب وثيقة الصلة بالجرمين وكأنهم يستحقون أن يُقَطَّعوا إرباً، والمجرم لا علاقة له مع الله أبداً، وهذه هي اللعنة، ولذلك يُعدّ ملعوناً. فلذلك من المستحيل أن يُعدّ ذلك المؤمن الذي لم يرتكب أيّ جريمة ملعوناً.

فكلاً الأمرين باطل، وإنما الحق ما كشفه الله علي، وهو أن المسيح كان قد صار شبيهاً بالميت بسبب الإغماء وغير ذلك. (الحكم، مجلد ٥، رقم ٦، عدد

أنا لا أرى أن المسيح مات على الصليب، بل بحثي وتحقيقي يؤكد أنه أنزل من على الصليب وهو حي. والمسيح ﷺ نفسه متفق مع رأيي هذا. كانت أكبر معجزة للمسيح ﷺ أنه لن يموت على الصليب، لأنه كان قد وعد بأنه سيقدم آية يونس النبي. فلو قلنا - كما قال المسيحيون خطأ - أنه مات على الصليب، فأين ذهبت آيته هذه، وكيف تمت مشاهدته بيونس النبي؟ القول بأن المسيح دخل في القبر وعاد إلى الحياة بعد ثلاثة أيام قولٌ سخيف جداً، لأن يونس دخل في بطن الحوت حيّاً، لا ميتاً. وتأويل كلام النبي إساءة له. إنما الحق أن المسيح أنزل عن الصليب حيّاً، ومن واجب كل ذي فطرة سليمة أن يستمسك بقوة بما قاله المسيح بكلمات واضحة وصريحة. كان عيسى ﷺ قد أُغمي عليه، ويتضح من الإنجيل أنه تمّيات عندها أسباب ووقعت واقعات أدت إلى نجاته من الموت على الصليب، مثل خوف اليهود من بداية يوم السبت، وغسل الحاكم يديه متبرئاً من دم المسيح، ورؤيا زوجة الحاكم وما إلى ذلك.

لقد فهمنا الله حقيقة الأمر، وآتانا ذخيرة كبيرة من البراهين الدالة على أن المسيح لم يمت على الصليب البتة، بل أنزل من على الصليب وهو حيٌّ ومغمى عليه. والإغماء في حد ذاته يشبه الموت. ففي حالة السكتة القلبية لا يبقى هناك نبض ولا حركة في مكان القلب، إنما يكون الإنسان شبه الميت، ثم يعود للحياة. هناك شاهدان كبيران على عدم موت المسيح على الصليب. أولهما: إنه آية ومعجزة، ولا نريد الخطّ من شأنها، ومن يستخفّ بآيات الله فهو يستحق الكراهية والحقارة الشديتين. والثاني: إن نبينا ﷺ لا يصدّق بأن المسيح مات على الصليب، بل يصدّق نزوله من على الصليب حيّاً وموته موتاً طبيعياً. إضافة إلى ذلك، لو نظرنا إلى كل ما ورد في الإنجيل عن حادث الصلب نظرةً شاملة لتبيّن جلياً أن القول بأن المسيح ﷺ مات على الصليب قول باطل. فإن لقاءه مع الحواريين بعد واقعة

الصليب، وكشفه جروحهم، وأكله السمك، وسفره، كل ذلك ينفي موته على الصليب. ومهما حاول أحد تأويل هذه الأحداث لحسن اعتقاده، إلا أن الإنسان المنصف لن يلبث أن يقول إن بقاء الجروح بجسد المسيح كما هي، واحتياجه للطعام لأحداث تخص إنساناً حياً. إن هذه الأحداث وغيرها التي تلت حادث الصلب تشهد - كما يشهد التاريخ أيضاً - على أن المسيح عليه السلام لم يبق على الصليب أكثر من ساعتين أو ثلاث. ثم إن الصليب في ذلك الزمن لم يكن مثل المشنقة التي تكون في أيامنا هذه، إذ يموت المشنوق في دقيقتين أو ثلاث. في تلك الأيام كانوا يدقون المسامير وغيرها في الجسد، وكان المصلوب يموت نتيجة بقاءه على الصليب لعدة أيام جائعاً وعطشاً. ولكن المسيح لم يتعرض لمثل هذا الحادث، وإنما أنزل من على الصليب بعد ساعتين أو ثلاث فقط.

إن هذه الأحداث المذكورة في الإنجيل، وهي تشهد بكل قوة على أن المسيح لم يمت على الصليب.

ثم هناك شهادة عظيمة أخرى على موقفنا، وهو مرهم عيسى الذي ظل يسجل في الآلاف من كتب الطب تباعاً، وقد ورد عنه بأن الحواريين صنعوه من أجل جروح المسيح. وهذا المرهم مذكور في كتب اليهود والنصارى الطيبة. فكيف يمكن القول إذن بأن المسيح عليه السلام مات على الصليب؟

إلى جانب كل هذه الأمور، هناك أمر آخر قد ظهر للعيان في هذه الأيام، وقد أثبت قطعاً أن القول بموت المسيح على الصليب غير صحيح وكذبٌ بحت، وأنه لم يمت على الصليب قط. وذلك الأمر هو قبر المسيح.

لقد اكتُشف قبر المسيح في حارة خانيار في سرينغار. وهذا سيحدث زلزالاً في العالم، إذ لو كان المسيح عليه السلام قد مات على الصليب، فمن أين جاء هذا القبر؟ (الحكم، مجلد ٥، رقم ١٩، عدد ٢٤/٥/١٩٠١م، ص ١-٢)

سئل ﷺ: أين يثبت من القرآن تعليق المسيح على الصليب؟

فقال ﷺ في الرد: من ﴿وَلَكِنْ شُبِّهَ هُمْ﴾. ما دام هذا الحادث من متواترات النصرارى واليهود فلماذا سينكره القرآن الكريم؟ لم يُذكر في القرآن ولا في الحديث الصحيح أن المسيح صعد إلى السماء بخرق السقف. هذه الفكرة ليست إلا خيالا فقط لأنه إن لم يُعلّق المسيح على الصليب بل عُلق غيره فهذا لا يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون هذا الشخص صديقا أو عدوا. ففي الحالة الأولى جعل المسيح بيده صديقه ملعونا، واللعنة التي أراد المسيح اجتنابها جعل صديقه عرضة لها. أي نبيل سيقبل ذلك؟ فلا يمكن أن يكون هذا الشخص أحدًا من الحواريين. أما إذا كان عدوا فكان من المفروض أن يصرخ ويصيح بأي فلان فلماذا تصلبونني؟ ادعوا زوجتي وأقاربي وعندهم أسراري كذا وكذا فاسألوهم.

باختصار، إن إنكار هذا التواتر عبث ولم ينكره القرآن الكريم قط. غير أنه صحيح تماما أن القرآن الكريم نفى اكتمال عملية الصلب التي هي مدعاة اللعنة ولم يرفض التعليق على الصليب؟ لذلك قال: ﴿مَا قَتَلُوهُ﴾، ولو لم يكن هذا هو المراد لصار قوله: ﴿مَا قَتَلُوهُ﴾ عبثا. أين كان ذلك في تواتراتهم؟ وقال الله ذلك لأنهم لم يقتلوه على الصليب، ثم صرّح بذلك أكثر بقوله: ﴿وَمَا صَلَّبُوهُ﴾، ثم وضّح أكثر بالقول: ﴿لَكِنْ شُبِّهَ هُمْ﴾ بأنه ﷺ كان حيا ولكن اليهود ظنوه ميتا.

لو رفعه الله إلى السماء لكان ذلك مدعاة للسخرية من قدرة الله لأن الهدف الحقيقي كان إنقاذه، ولكن ما هذه المهزلة أنه لم يقدر على إنقاذه إلا برفعه إلى السماء الثانية. كان من الأفضل أن يُرفع أحد من اليهود أيضا معه ثم يُسقط من السماء ليعلموا حقيقة الأمر. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤٠، عدد ١٠/١١/١٩٠٢م، ص ٦)

كان اليهود يعدّونه ﷺ ملعونا لسبيين؛ أولا زاعمين أنه ولد الزنا، وثانيا: لأنهم علقوه على الصليب. فلما ذبّ الله عنه تهمة الولادة من الزنا كان لا بد أن يذبّ

تحمته موته على الصليب أيضا. الصعود إلى السماء بالجسد المادي أمر آخر تماما، ولكن الذب الأول يقتضي ذبًا ثانيًا أيضا. (بدر، مجلد ١، رقم ٣، عدد ١٤/١١/١٩٠٢م، ص ٢١-٢٢)

حين يقال عادة في اللغة اليومية أن فلانا صلب أو شُنق فيكون المراد حصرا أنه قد مات على الصليب، لكن إذا شُنق مجرم ولم تزهِق روحه أو أنزل من الصليب حيا فهل يقال بحقه أنه أُعدم أو صلب؟ كلا بل إن استخدام مثل هذه الكلمات بحقه أيضا يعد جريمة. إنما المصلوب من مات على الصليب، أما الذي لم تزهِق روحه على الصليب فلا يقال له مصلوبٌ، حتى لو كان قد عُلق على الصليب ثم أنزل. فاليهود ما زالوا أحياء فاسألوهم هل يقصدون من الصليب ما نبين نحن أم ما يقوله معارضونا. ثم يجب مراعاة تعبير اللغة أيضا، فقد ورد "ما قتلوه" مع "ما صلبوه" ليفهم أن المراد من الصلب هو الموت الذي لم يحصل، أي لم يحصل القتل بالصليب. والقول "شبه لهم" يعني أنه صار شبيها بالمصلوب. أما قول الناس بأن شخصا آخر صار شبيها بالمسيح فباطل تماما، فلا يقبله العقل ولا توجد أي رواية صحيحة تدعم ذلك. تأملوا قليلا: إذا كان شخص آخر قد صار شبيه المسيح فإما أن يكون صديق المسيح أو عدوه. فإذا كان صديقا فينشأ الاعتراض أن اللعنة التي كان الله ﷻ يريد أن يحمي المسيح منها لماذا أورها على صديقه! فبهذا الفعل يُعدُّ الله ظالما. أما إذا كان عدوا فأبي حاجة طرأت عليه حتى يُصلب مكان المسيح؟ فمن المؤكد أنه كان قد صاح وصرخ بملء صوته أن اسمي كذا وأنا لست المسيح ولي أولاد وزوجة فاسألوهم، ثم كان بذلك قد نقص رجل من مجموع الحضور هناك، وبذلك كان يمكن أن يتعين أنه ليس المسيح. باختصار؛ إن هذه الفكرة باطلة من كل النواحي، وإنما المراد من "شبه لهم" المشبه بالمصلوب. (بدر، مجلد ٢، رقم ٤١-٤٢، عدد ٢٩/١٠ إلى ٨/١١/١٩٠٣م، ص ٣٢٢-٣٢٣)



إن اعتراض اليهود المذكور في القرآن الكريم هو: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ﴾ فما داموا قد قالوا كلمة "القتل" لذلك دحض الله تعالى كلمة القتل أولا. ثانيا: كانت في اليهود روايتين رائجتين. إحداهما: إننا قتلنا يسوع بالسيف. والثانية: قتلناه على الصليب. ودحض الله كليهما على حدة. السبب الثالث هو أنه قد ورد في كتب اليهود القديمة أن يسوع رُجم أولا، ثم عُلّق على الخشبة بعد أن مات. أي قُتل أولا ثم صُلب. فدحض الله كلتا الفكرتين وقال إن اليهود كاذبون، إذ لم يُقتل المسيح على أيديهم ولم يُصلب. (بدر، مجلد ١، رقم ٢١، عدد ٢٤/٨/١٩٠٥م، ص ٢)

يتبين جليا من الإمعان في المقامين في الإنجيل أن المسيح لم يمّت على الصليب قط. ففي مقام يشبه المسيح نفسه قصته بقصة يونس بن متى بل يقدمها كآية. والمعلوم أن يونس لم يمّت في بطن الحوت ولم يدخل بطنه ميتا. ولو افترضنا جدلا أن المسيح دخل القبر ميتا لما بقي وجه شبه بين قصته وقصة يونس. فهذا المثل الذي قدّمه المسيح لنفسه يمثّل لعاقِل - بشرط ألا يكون عقله محجوبا في غشاوة تعصب أو تقليد - شهادة واضحة أنه لم يمّت على الصليب بل دخل القبر حيا كما دخل يونس بطن الحوت حيا. والابتلاء الذي واجهه النبي يونس كان نابعا عن أصل نبوءة تنبأ بها عن قومه أن العذاب سينزل بهم في غضون أربعين يوما ولكنه لم ينزل فصُدّم قلب يونس بذلك كثيرا لأن نبأه ثبت أنه باطل وفرّ إلى بلد آخر خوفا من قومه. كذلك الابتلاء الذي حلّ بالمسيح ابن مريم كان أساسه أيضا نبوءة تنبأ بها عن قومه أنه سيكون حاكما وملكا على ذلك القوم وسينال عرش داود ولكن النبوءة لم تتحقق بالمعنى الذي فهمه المسيح بل ثبت أنها باطلة فحزن المسيح لذلك كثيرا. وكان ينوي كما أشار في الإنجيل أن يسافر إلى بلد آخر مثل يونس لأنه قال بأن النبي لا يُهان إلا في وطنه. فكان في باله أن يهاجر إلى مكان آخر ويحظى بالعزة والإكرام. علما أن الهجرة من سنة الأنبياء عليهم السلام أيضا. ولكن لما كان

مقدرا له أن يلقي الإيذاء على يد القوم إلى حد ما لذا قُبض عليه قبل تحقق إرادته وعُلّق على الصليب. ولكن الله تعالى أنقذه من الموت عليه كما يُفهم من قصة يونس وسمع من أجل تقواه دعاءه الذي دعاه في البستان. فحقق ﷺ وعده الذي كان في باله وسافر إلى بلاد نائية بحثا عن خراف ضالة أخرى لذلك سَمّي يسوع آسف أي الباحث عن قوم ضالين. ثم اشتهرت هذه الكلمة بـ "يوز آسف" لكثرة الاستعمال. باختصار، هذه كانت مماثلة المسيح بالنبي يونس أنه دخل القبر حيا مثل يونس، وفرّ إلى بلد آخر خوفا من القوم. ولو لم نقبل هذه المماثلة لكان بيان المسيح يناقض واقع الأمر وثبتت المنافاة بدلا من المماثلة. وبقبول المماثلة يتبين بوضوح أن المسيح لم يمت على الصليب.

والدليل الثاني على أن المسيح لم يمت على الصليب هو دعاءه الذي دعا به بالتضرع والإلحاح والتواضع في البستان وهو مذكور في الأناجيل بالتفصيل. وليس لي أن أفهم قط ألا يجاب دعاء يدعو صالِح مثل المسيح طول الليل مبلّغا للإلحاح والتضرع فيه منتهاهما. كان المراد من الدعاء فقط أن يُنقذ من الصليب لأن اليهود كانوا ينوون أن يقتلوه على الصليب فيرسخوا في أذهان الناس أنه ليس صادقا، والعياذ بالله، بل هو من الكاذبين الذين عليهم لعنة الله. هذا كان الهم والغم الذي بسببه دعا المسيح طول الليل ولم يكن له أدنى خوف من الموت وفي هذه الحالة كان ضروريا أن يجيب الله دعاء المسيح لبراءته فأجابه. فقد ذُكر في الإنجيل بكلمات صريحة أن المسيح ظل يبكي طول الليل ويتضرع في حضرة الله تعالى وظلت دموعه تتحدر طول الليل. فقد سُمع دعاءه من أجل تقواه. (انظر الرسالة إلى العبرانيين ٥: ٧)

أستغرب بشدة في هذا المقام لعقول المسيحيين على أنه ما دام الإنجيل يشهد بنفسه أن الدعاء الذي دعا به في البستان قد أُجيب فما معنى الإجابة إلا أنه أنقذ من الموت على الصليب.

والدليل الثالث على أن المسيح لم يمت على الصليب هو أنه شوهد حيا أي قابل حواريه بعد حادث الصليب وأراهم جروحه وسافر معهم إلى الجليل. ففي هذا المقام لا يسع العقل أن يفتي بأنه حي بعد الممات لأن ذلك غير معقول وبعيد عن الفهم جدا ولا يمكن أن يثبت بشهادات واهية. بل الطريق الأسهل للعقل هو أن روحه لم تزق على الصليب كما حدث من قبل أيضا أكثر من مرة أن بعض الناس لم يموتوا على الصليب. إذًا، فإن اختيار طريق غير معقول بترك طريق معقول عداوة بحتة للحق وصداقة للكذب. لو أحيى المسيح من جديد لما خاف القوم قط لأن الإله الذي أحياه كان سيحميه حتما ولازداد يقينه ﷺ. فما معنى إذًا، أن المسيح بعد الحياة ثانية ظل خائفا اليهود لكيلا يقبضوا عليه وظل يمنع تلاميذه من أن يعرف اليهود عنه شيئا حتى لا يقبضوا عليه ثانية. والأغرب من ذلك أن الله أحيى المسيح مجددا ولكن لم يقدر على شفاء جروحه بل احتاج في نهاية المطاف لشفائها إلى مرهم معين لا يزال معروفا إلى اليوم باسم "مرهم عيسى".

ثم الدليل الرابع على أن المسيح لم يمت على الصليب هو وصفة "مرهم عيسى" التي لا تزال إلى يومنا هذا مسجلة في كتب الطب التي يبلغ عددها إلى ما يقارب ألف كتاب أو أكثر. وهذه الكتب موجودة في اللغة اليونانية والرومية والعبرية والفارسية، ويعود تاريخها من الزمن الراهن إلى القرن الثاني بحسب التقويم المسيحي. ولقد ظل الأطباء يقولون عن وصفة "مرهم عيسى" أن هذا المرهم قد أعدّه الحواريون لعيسى. ولما ذكر في فوائد هذا المرهم أنه مفيد جدا لمعالجة الرضوض ويشفي الجروح ويوقف النزيف فيثبت من ذلك أنه كان قد أعدّ لرضوض تلقاها المسيح ﷺ نتيجة تعليقه على الصليب. وإن هذه الشهادة أي وصفة "مرهم عيسى" لجديرة بالتمعن الشديد وظل آلاف الأطباء يصدّقونها.

والدليل الخامس على أن المسيح لم يمّت على الصليب هو إنجيل نيقوديموس الذي نُشر في لندن بالإنجليزية في ١٨٢٠م جاء في الباب العاشر منه أن الجنود الرومان قالوا لليهود بأننا سمعنا أنكم حبستم يوسف الذي كفن جثة يسوع في غرفة وحافظتم على مفتاحه بالختم عليه. وعندما فتحتم الغرفة لم تجدوا يوسف. فسلّموا لنا يوسف الذي حبستموه في الغرفة وسنسلّم إليكم يسوع أي عيسى ﷺ الذي حافظنا عليه في القبر. فأجاب اليهود: سنعطيكُم يوسف فأعطونا يسوع، إن يوسف موجود في مدينته الرامة. قال اليهود: إذا كان يوسف في الرامة فيسوع في الجليل. ففي هذا الكلام إشارة صريحة إلى أن يسوع أي عيسى ﷺ سافر إلى مدينته الجليل بعد أن نجا من الموت. وهذا لا يقتصر على الإنجيل المذكور فقط بل أقل ما يُثبت التأمل في الأناجيل الأربعة الرائجة هو أن المسيح خرج من القبر وذهب إلى الجليل. إذًا، إن ترك الأمر الأقرب إلى الفهم الذي يتبين بكل وضوح واختراع أعجوبة بعيدة عن الفهم وإحياء المسيح بعد الممات فكرة سخيفة لن يقبلها عاقل. لماذا لا يُقبل أن المسيح لم يمّت على الصليب، ولم تتسن أسباب الموت أيضًا إذ لم تُكسر ساقاه ولم يُترك معلقًا على الصليب مدة طويلة. فلم يكن غريبًا ألا يموت على الصليب بل كان مما يدعو للاستغراب لو مات عليه في غضون ساعتين أو ثلاث ساعات فقط مع عدم كسر ساقيه. لن تجدوا نظير هذا الحادث في أي مصلوب أنه مات في هذه المدة الوجيزة مع عدم كسر ساقيه. بل القياس يقتضي أن تزهر روح الإله بعد مدة أطول مقارنة مع زهوق روح الإنسان لأن الفرق الذي يوجد بين الإنسان والإله يقتضي أن يوجد الفرق بالقدر نفسه بين المدة لموتهما أيضًا. فما القصة أن تزهر روح الناس على الصليب بعد خمسة أو ستة أيام ولكن الذي يسمّى إلهًا ومفروض أن ينجي العالم بقواه العظيمة يموت في ساعتين أو ثلاث ساعات؟ والقول في الجواب بأنه وإن كان إلهًا ولكنه صار ضعيفًا بسبب ذنوب الناس التي وقعت على عنقه

مجتمعة مرة واحدة فضعف أمامها ولم يستطع أن يتحمل عبأها لذا مات سريعا ليس صحيحا، لأنه إذا كان غير قادر على تحمّل عبء الذنوب فلماذا ادّعى عبثا أنه قادر على ذلك ولماذا قال بأنه قادر على أن يحمل ذنوب الناس جميعا.

فلما كانت الذنوب غالبية وأهلكته سريعا فكانت الذنوب جديرة بالإشادة لحيازتها قوة أكبر وليس يسوع المسيح الذي دُفن تحتها كما يموت طفل صغير نتيجة صدمة خفيفة. على أية حال، اللافت في الموضوع أن الذنوب غلبت الإله لدرجة قضت عليه في غضون ساعتين أو ثلاث ساعات. ماذا عسى أن يكون الإيمان بإله ضعيف مثله الذي كان الضعف سببا لموته إن لم يكن شقاوة بحتة. هذا معتقد غريب للقسس بينما قد ورد في المجلد ١٣ الصفحة ٦٦٩ في موسوعتهم أن المسيح قابل الناس عشر مرات بعد حادث الصليب، وأنه بقي على الصليب لساعتين أو ثلاث ساعات فقط. فيتبين من ذلك أنه نجا من الصلب حتما كما ظل ينجو من هجمات اليهود من قبل.

الدليل السادس على أن المسيح لم يمت على الصليب هو أن بعضا من فرق النصرارى يعتقدون أن الحجيء الثاني للمسيح سيكون بصورة البروز - لا على وجه الحقيقة - على غرار النبي إلياس أي سيأتي أحد آخر بصفاته لأن المسيح ﷺ قد مات. فقد ورد في المجلد الأول الصفحة ٤١٠ من كتاب: New life of Jesus by D.F Strauss عبارة أورد فيما يلي ترجمتها:

يقدم الباحثون الألمان أدلة أنه وإن دُقت المسامير أيضا في يدي الإنسان وقدميه فلا يخرج من جسمه إلا كمية قليلة جدا من الدم لذا فالناس يموتون على الصليب بسبب التنشج الناتج عن الضغط التدريجي على الأعضاء أو يموتون جوعا. فلو افترضنا أيضا أن يسوع أنزل من الصليب بعد بقاءه عليه ست ساعات تقريبا فعلى الأغلب أن يكون مصابا بغشية تشبه الموت فقط، وعندما دُهن بمراهم شافية

والأدوية المعطّرة الأخرى ووضّع في مكان بارد في الغار زالت غشيته. ودليلا على هذا الادّعاء أقدم حادثا حيث كتب جوزيفس قائلا: ذات مرة كنت عائدا من مهمة عسكرية فرأيت في الطريق عديدا من الأسرى اليهود معلّقين على الصليب. وعرفتُ ثلاثة منهم على أنهم من معارفي. فاستأذنت "طيّطس"، حاكم الوقت، بإنزائهم. فأنزلوا فوراً وقد تعهّدتهم، فشفي أحدهم ومات اثنان.

كذلك ورد في الصفحة ٤٥٥ - ٤٥٧ من كتاب: Modern Doubt and Christian belief ما تعريبه: يعتقد شلير ميخر والباحثون القدامى أن يسوع لم يمّت على الصليب بل استولت عليه حالة شبيهة بالموت ظاهريا. وبعد القيام من القبر ظل يتجوّل مدة من الزمن مع حواريه، ثم سافر إلى مقام منعزل من أجل الموت الثاني أي الموت الحقيقي.

كذلك وردت في الصفحة ٨٧٥ من كتاب: Super Natural Religion ما تعريبه: إن أول تفسير قام به بعض الباحثين المتمكنين هو أن يسوع لم يمّت على الصليب في الحقيقة، بل أنزل منه حيا وسلّم جسده إلى أصدقائه فنجا من الموت. وفي تأييد هذا المعتقد تقدّم أدلة أن يسوع مات -بحسب بيان الأناجيل- بعد أن بقي على الصليب لثلاثة أو ست ساعات على أكثر تقدير. ولكن لم يحدث من قبل قط أن مات أحد على الصليب بهذه السرعة. وقد اعترف أيضا أن المسامير دُقت في يديه فقط وليس في قدمه. ولما لم يكن هناك قانون عام أن تُكسر ساقا كل مصلوب حتما لذا لم يذكر ذلك ثلاثة من مؤلفي الأناجيل أما الرابع فقد ذكر ذلك لتحقيق هدفه الخاص. فما دام لم يُذكر كسر الساقين فقد صارت قضية الحرية أيضا كالمعدوم تلقائيا. فالموت الذي وقع ظاهريا كان في الحقيقة غشية شديدة أصابته بعد صدمات ذهنية وجسدية استمرت إلى ست ساعات. وإضافة إلى ذلك فقد قضى الليل السابق أيضا في السهر والمعاناة. وعندما استعاد الصحة جيدا لقي

حواريه أكثر من مرة ليستيقنوا. ولكن كان يخرج بحذر شديد خشية اليهود. لقد زعم الحواريون بأنه حيي بعد أن مات. ولكن لما كان قد استعاد الصحة من غشية شبيهة بالموت فمن الممكن أن يكون قد ظن هو أيضا أنه حيي بعد الممات. والآن، لما رأى المعلم أن الموت الظاهري قد أكمل مهمته ذهب إلى مكان منعزل مجهول وصار مفقود الخبر.

كذلك يقول "رينان" في الصفحة ٢٦٩ من كتابه Life of Jesus: يبدو جليا أن شكوكا كثيرة قد نشأت حول حقيقة موت يسوع. الذين كانوا متعودين على مشاهدة موت الناس على الصليب ما كان لهم أن يقبلوا أن الموت ممكن نتيجة بقاء أحد على الصليب لبضع ساعات مثل يسوع. كانوا يقدّمون أمثلة كثيرة للمصلوبين الذين أنزلوا من الصليب في وقت مناسب وشفّوا تماما نتيجة العلاج. كان "آري غن" (عالم مسيحي معروف من الزمن الابتدائي) يظن إلى مدة من الزمن أن الموت بهذه السرعة معجزة المسيح، وتلاحظ الحيرة نفسها في بيان مرقس أيضا.

الآن، بعد كل ذلك هناك دليل قوي آخر على أن عيسى ﷺ لم يُرفع إلى السماء بعد النجاة من الصليب بل سافر إلى بلد آخر، وسأكتبه فيما يلي ولكن قبل كتابة ذلك أريد أن أبين للقراء الكرام أن القصة القائلة بأن المسيح ﷺ رُفِعَ إلى السماء قبل الصلب أو بعده سخيفة للغاية لدرجة يكذبها بالبداهة كل من يتدبرها. إن قانون الله تعالى الجاري في الطبيعة بوجه عام هو أنه لا يمكن لأحد أن يصعد إلى السماء بجسده المادي ولا يمكن أن ينزل منها. ونظيره قصة إلياس الذي على مجيئه الثاني اعتمدت نبوة المسيح. وقد أُوِّلَ مجيئه على لسان المسيح نفسه، وعُدَّتْ عودته مجازية. فكيف يمكن الاعتقاد إذًا أن المراد من صعود المسيح ونزوله هو الصعود والنزول الحقيقي؟

الإصرار على ما لا يوجد له نظير في العالم إنما هو إلقاء الإنسان نفسه في هوة الهلاك. ومن غير المعقول تماما أن يصعد نبي إلى السماء ويتربع فيها تاركا مهمته

ناقصةً. لقد أقرَّ المسيح أن له خرافاً أخرى أيضاً لا بد من تبليغ الدعوة إليها. وفي ذلك إشارة إلى أنه كان من واجبه أن يهدي اليهود الذين انتشروا في بلاد أخرى أيضاً. فكان من واجبه بعد النجاة من الصليب أن يُطلع على وجوده أولئك اليهود الأشقياء الذين لم يعرفوا بمجيئه قط لأنهم استوطنوا قبل مدة طويلة بعض مناطق الهند وخاصة كشمير. وقد بيّن المسيح بنفسه أنه من واجبه أن يلقي بني إسرائيل المتشتتين ويمتّعهم بتعليماته. الحق أنه لما ترتعد له أوصال إنسان صادق أن ينسب إلى المسيح ﷺ أنه أهل مهمته الموكلة إليه وترجع في السماء. لا يسعنا أن ننسب إلى الله تعالى سخفاً وعبثاً كأن يعطّل شخصاً حياً من جميع الأعمال ويجلسه في السماء مع أنه يملك قدرات كاملة لإنجاز أعمال عظيمة ويجعله كأسير لا يعمل شيئاً بل يقضي أيامه في السجن فقط.

هل كان من الأفضل للمسيح أن يقضي حياته الطويلة في خدمة البشر وأن يسافر إلى مختلف البلاد كما عُدَّ نبياً سيّاحاً ويفيد قومه المتشتت أو أن يترك مهمة تبليغ الدعوة ناقصة ويجلس في السماء بعد أن وجد قومه غارقين في أنواع الضلال؟ وما ذنب هؤلاء البائسين الذين لم يروه إلى ذلك الحين؟

أما الدليل على وصوله ﷺ إلى كشمير في نهاية المطاف ودفنه بعد الوفاة في حارة خانيار بعد التجوال طول العمر فيتبين من أن المسيحيين والمسلمين متفقون على أن نبيا باسم "يوز آسف" وصل إلى كشمير بعد سفر طويل في الزمن نفسه الذي كان زمن المسيح ﷺ. وما كان يسمّى نبيا فقط بل أميراً أيضاً وكان من سكان البلد الذي سكنه يسوع. وكان تعليمه يشبه تعليم المسيح في أمور كثيرة. بل بعض تعاليمه وفقراته كانت تشبه تماماً فقرات تعليم المسيح التي ما زالت موجودة في الأناجيل. لقد اعتقد المسيحيون مضطرين ومختارين جداً بأن هذا الشخص الذي يُدعى يوز آسف والنبى الأمير كان تلميذاً من تلاميذ المسيح لذلك عُدَّ مقدساً جداً



لدرجة بُنيت باسمه كنيسة في "صقلية" وهي موجودة منذ زمن قديم. وبعد قبول هذه العلاقة تُرجمت قصة يوز آسف إلى جميع اللغات الأوروبية، الأمر الذي يتبين منه بكل جلاء أن يوز آسف قد عُدَّ حواريا مقدسا على الأقل.

ففي هذه الحالة جميع المسيحيين تحت طائلة المطالبة أنهم قبلوا علاقة يوز آسف مع المسيحية على أية حال وعدّوا زمن المسيح هو زمن ظهوره وترجموا سوانحه بكل محبة وشوق وبنوا كنيسة أيضا تذكارا له. وأقرّوا أيضا أن الجزء الأخلاقي من تعليمه يماثل تعليم الإنجيل. وقد سمّي هو بنفسه أيضا تعليمه إنجيلا. ففي هذه الحالة إن لم يكن يوز آسف نبيا فإن المسؤولية تقع على المسيحيين أن يثبتوا أن تلميذا من تلاميذ المسيح كان يسمّى النبي الأمير وعدّ تعليم المسيح تعليمه وسماه الإنجيل. أقول بكل تحدّ وقوة بأنه لا يمكنهم إثبات ذلك قط لأن النبي الأمير عندهم واحد فقط وهو يسوع بن مريم.

من بين كتب المسلمين التي تتناول سوانح يوز آسف ما أُلّف قبل أكثر من ألف عام مثل كتاب "إكمال الدين" الذي وردت فيه كل هذه الأشياء. وقد جاء فيه أيضا أن يوز آسف الذي كان نبيا أميرا سمّي كتابه "الإنجيل". إضافة إلى هذا الكتاب وُجدت في سرينغر بشكل خاص حيث يوجد قبر عيسى ﷺ صحائف قديمة وكتب تاريخية جاء فيها أن هذا النبي الذي اسمه يوز آسف ويقال له النبي عيسى والنبي الأمير أيضا هو نبي من أنبياء بني إسرائيل وجاء إلى كشمير في قديم الزمان الذي مضى عليه ١٦٠٠ عام تقريبا إلى زمن تأليف هذه الكتب أي ١٩٠٠ عام إلى هذا الزمن. والكتابات من هذا القبيل ليست قلة عند سكان كشمير بل هناك كتب كثيرة. وقد سمعت أن عند الهندوس المحليين أيضا كتاب في لغتهم فيه ذكر هذا النبي الأمير. فكل هذه الإثباتات تكره طالب الحق على القبول أن هذا القبر هو لعيسى ﷺ في الحقيقة وخاصة إذا رأينا كل هذه الأمور بنظرة جامعة يتبين

أولاً من الإنجيل نفسه أن يسوع لم يمت على الصليب بل استولت عليه حالة الغشي على الصليب كما قال بنفسه بأنكم ستعطون معجزة النبي يونس. فلو مات على الصليب ودخل القبر ميتاً فما وجه الشبه بين حادثه وحادث يونس؟ ثم ورد في الأناجيل أيضاً أنه خرج من القبر حياً قبل أن تندمل جروحهم وقابل حواريه ومنعهم أن يخبروا عنه أحداً شيئاً وسافر معهم إلى وطنه وأكل الطعام معهم. ثم ثبت من كتب الطب بالتواتر أن مرهم عيسى صنع لجروح يسوع وباستخدامه تحسنت جروحهم. ولأنه كان يخاف صولة اليهود مرة أخرى لذا خرج من ذلك البلد. وهذا الرأي ليس رأيي الخاص فقط بل قد أظهر القساوسة الكبار أيضاً الرأي نفسه كما ذكرت آنفاً رأي خمسين قسيساً من الألمان. هذا، وهناك كتابات قديمة كثيرة أخرى تثبت منها أن يسوع ظل يسوع في بلاد مختلفة إلى مدة من الزمن بعد حادث الصليب حتى سمي بالنبي السباح. وقد أقرّ المسلمون أيضاً أن المسيح ظل يسوع في بلاد مختلفة بعد تلقيه النبوة. فبجمع كل هذه الأدلة معا يتبين جلياً أن يسوع لم يُرفع إلى السماء قط. وكما أن كل هذه الأحداث قريبة إلى الفهم وبقبلها العقل سريعاً فإن صعوده إلى السماء بعيد عن الفهم ويدحضه العقل فوراً ويدفعه. فلماذا لا تُقبل الأحداث الثابتة والقريبة إلى الفهم وتُقبل أحداث لم تثبت وليست قريبة إلى الفهم؟ الحق أنه لو لم يقدّم حادث واحد من التي قدمتها لأفتى العقل أن يسوع بن مريم لم يصعد إلى السماء قط. لقد ظهر منه الضعف مثل بقية الناس دائماً وقد أؤذي مراراً وعندما طلب منه الشيطان أن يلقي نفسه من الأعلى إلى الأسفل لم يقدر على ذلك. لم يكن فيه شيء يمكن عدّه فوق البشر، بل بعض الأنبياء أظهرها معجزات أكبر منه. فكيف إذاً يمكن القبول دون أدلة عقلية وبراهين قاطعة أنه صعد إلى السماء في الحقيقة وما زال حياً؟ إذا كان الصعود إلى السماء ممكناً أيضاً لكان غير مسموح له بل بمنزلة جريمة له لأنه ما كان قد أكمل واجب التبليغ إلى ذلك الحين

وكانت فرق كثيرة من اليهود في بلاد أخرى لم تسمع حتى باسم المسيح فكان عليه أن يبلغهم الدعوة. بينما لم يسكن في السماء قوم اليهود حتى يقال بأن ذهابه إلى السماء كان ضروريا. فكما أنه من غير المعقول أن يحب يسوع الصلب ويجيز لنفسه الانتحار كذلك من غير المعقول أيضا أنه لا يزال يقضي المرحلة المثلى من حياته عاطلا عن أي عمل مع أنه كان واجبا عليه أن يقضي وقته الغالي هذا في مواساة قومه دون القيام بسلوك سخيّف أي أن ينتحر من أجل الآخرين ثم يحيا ويتربع في السماء. فماذا عسى أن يفعله عاقل إلا أن يكذب هذه القصص. الحقيقة شيء لا يثبت من الأحداث فقط بل تشهد عليه الأدلة العقلية أيضا. أما الكذب فلا تؤيده الأحداث الصحيحة والثابتة ولا تقوم عليه أدلة عقلية.

من المؤسف حقا أن النصارى لا يفكرون في شيء إذ قد جاء في موسوعتهم أن الحواري توما الذي ورد ذكره في الأناجيل قد جاء إلى الهند واستشهد في مدينة "ميلا بور". وقد ورد فيها أيضا أن أحد إخوة المسيح أيضا صحبه. فمن الجدير بالتأمل الآن أن النصارى يقبلون من ناحية أن نبيا أميرا جاء إلى الهند من بلاد الشام في الأيام نفسها ومات أخيرا في سرينغر. وفي الأيام نفسها جاء إلى الهند الحواري توما وأحد إخوة المسيح أيضا. ولكنهم من ناحية ثانية لا يقبلون أن الذي سمّي النبي الأمير وكان يقول بأن الإنجيل نزل عليه هو يسوع. إن أحداث المسيح كانت واضحة تمام الوضوح ونتيجتها أيضا كانت واضحة جلية ولكن من المؤسف حقا أن القساوسة أحبوا الظلام وعادوا النور. (مجلة مقارنة الأديان، مجلد ٢، رقم ٩، ص ٣٣١-٣٤٢)

لقد علّق المسيح ﷺ على الصليب لصالح الخلق ولكن رحمة الله أنقذته، وشفى مرهم عيسى جروحه وأوصله في نهاية المطاف إلى كشمير، نظير الجنة. فأحب الصليب من أجل الصدق وركبه كما يركب فارس شجاعا فرسا متمرسا. كذلك أحب أنا أيضا الصليب لخير الخلق وواثق من أنه كما أنقذ الله تعالى المسيح من

الصليب ونجاه من نتائجه استجابة لدعائه الذي دعا به في الحديقة طول الليل، كذلك سينقذني أنا أيضا. لقد جاء المسيح بعد النجاة من الصلب إلى نصبيين ثم وصل إلى جبال نعمان مروراً ببلاد أفغانستان. ومكث في جبال نعمان كما تشهد عليه مصطبة النبي الأمير إلى الآن ثم جاء بعد ذلك إلى البنجاب حتى وصل إلى كشمير في نهاية المطاف. وظل يتعبد في جبال سليمان إلى مدة من الزمن. وكانت شاهدته التذكارية موجودة في جبال سليمان إلى عصر السيخ. وفي الأخير مات في سرينغر عن عمر يناهز ١٢٥ عاما ومزاره موجود قرب حارة خانيار. (مجموعة الإعلانات، مجلد ٢، ص ٣٦١-٣٦٢)

(١) ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾. أي لم يميت المسيح ابن مريم مقتولا ولا مصلوبا، فلم يميت ميتة المردودين والملعونين كما يظن اليهود والنصارى، بل رفعه الله إليه بالعزة. فليكن معلوما أن المراد من الرفع هنا هو الموت بالعزة والإكرام، وذلك كما تدل الآية: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾. التي وردت بحق النبي إدريس عليه السلام، ولا شك أنه ليس معناها إلا: إننا رفعنا إدريس بعد إمامته إلى مكان أعلى، لأنه لو صعد إلى السماء بغير الموت، فلا بد من الإقرار أنه سيموت في حين من الأحيان؛ إما في السماء أو يُعاد إلى الأرض ويموت فيها - لأن الموت أمرٌ لا مناص منه للإنسان - ولكن كلاً من هذين الاحتمالين محال، لأنه ثبت من القرآن الكريم أن الجسم المادي يُدفن في التراب بعد الممات، ويعود تراباً، وسيُحشر من التراب. وإن نزول إدريس من السماء وعودته إلى الأرض مرة ثانية، لا تثبت من القرآن الكريم ولا من الأحاديث الشريفة. فمن المتحقق أن المراد من الرفع هنا هو الموت، ولكنه الموت الذي تصحبه العزة والإكرام، وذلك مثلما يقدر للمقربين؛ إذ توصّل أرواحهم بعد الممات إلى العِلِّيِّين كما يقول تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾. (إزالة الأوهام، الخزانة الروحانية، المجلد ٣، ٤٢٣-٤٢٤)

"قال بعض الناس الذي لا علم عنده إن آية: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ هُمْ﴾، وآية: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ دليل على أن المسيح رُفِعَ حيًّا بجسمه العنصري. هذا قوله واستدلّاه، ولكن لو كان هذا الرجل مطلعًا على شأن نزول هذه الآية لرجع عن قوله، بل ما التفت إلى معنى يخالف طريق المعقول والمنقول، وما تكلم بالفضول، وكان من المتندمين. فاسمع أيها العزيز! إن اليهود كانوا يقرأون في التوراة أن الكاذب في دعوى النبوة يُقتل، وإن الذي صُلب فهو ملعون لا يُرْفَع إلى الله. وكانت عقيدتهم مستحكمة على ذلك، ثم شُبِّهَ لهم ابتلاءً من عند الله كأنهم صلبوا المسيح ابن مريم وقتلوه، فحسبوه ملعونا غير مرفوع، ورتبوا الشكل هكذا: المسيح ابن مريم مصلوب، وكل مصلوب ملعون وليس بمرفوع، فثبت عندهم من الشكل الأول الذي هو بَيِّنُ الإنتاج أن عيسى -نعوذ بالله- ملعون وليس بمرفوع. فأراد الله أن يزيل هذا الوهم ويبرئ عيسى من هذا البهتان فقال ما قتله وما صلبه ولكن شُبِّهَ لهم... بل رفعه الله. وحاصل كلام الله تعالى أن شأن عيسى منزّه عن الصلب والنتيجة التي هي الملعونية وعدم الرفع، بل هو مات حتف أنفه، وُرفِعَ إلى الله كما يُرْفَعُ المقرَّبون وما كان من الملعونين. وهذا هو السبب الذي ذكر الله تعالى لأجله قصة عدم صلب عيسى، وبرّاه مما قالوا، وإلا فأيّ ضرورة كانت داعية إلى ذكر هذه القصة، وما كان موت القتل نقصًا لأنبيائه وكسرًا لشأنهم وعزتهم، وكأين من النبيين قُتلوا في سبيل الله كيحيى عليه السلام وأبيه، فتفكروا واطلبوا صراط المهتدين ولا تجلس مع الغاوين." (حماسة البشرية، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٥٥، الحاشية)

"وقالوا إن الله وَجَّهَكَ قال: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ﴾، ويحتجّون بهذه الآية على رفع جسم المسيح، ولا يتدبرون أن الأمر لو كان كذلك لتعارض الآيتان.. أعني آية: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ وآية: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ (الأعراف: ٢٤). وأنت تعلم أن القرآن منزّه عن

التعارض والتخالف، وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٣)، فأشار في هذه الآية أن الاختلاف لا يوجد في القرآن، وهو كتاب الله وشأنه أرفع من هذا، وإذا ثبت أن كتاب الله منزّه عن الاختلافات فوجب علينا ألا نختار في تفسيره طريقا يوجب التعارض والتناقض، وما كان لليهود غرض وبحث في رفع جسمه أو عدم رفعه، فلا بد من أن نفسر الرفع في آية: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ﴾ بالرفع الروحاني كما هو مفهوم آية: ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ (الفجر: ٢٩)، فإن الرجوع إلى الله تعالى راضية مرضية والرفع إليه أمر واحد لا فرق بينهما معنى. ثم انظر وتدبّر، وهبك الله من عنده قوة الفصلة، إن النزاع كان في الرفع الروحاني لا في الرفع الجسماني، فإن اليهود كانوا منكبين رفع عيسى إلى الله كما يُرْفَعُ المطهَّرون المقرَّبون من النبيين، وكانوا يصرون -لعنهم الله- على أن عيسى ﷺ من الملعونين لا من المرفوعين، كما أنهم يقولون إلى هذه الأيام. وكانوا يستدلون -غضب الله عليهم- على ملعونيته ﷺ من مصلوبيته، فإن المصلوب ملعون غير مرفوع في دينهم كما جاء في التوراة في كتاب الاستثناء. فأراد الله تعالى أن يُبرئ نبيه عيسى من هذا البهتان الذي بُني على آية التوراة وواقعة الصلب، فإن التوراة يجعل المصلوب ملعونا غير مرفوع إذا كان يدّعي النبوة ثم مع ذلك كان قُتل وصُلب، فقال وَجَلَّ لَذَبَّ بَهْتَاهُمْ عَنْ عِيسَى: ﴿مَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾، ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾، يعني الصلب الذي يستلزم الملعونية وعدم الرفع من حكم التوراة ليس بصحيح، بل رفع الله عيسى إليه، يعني إذا لم يثبت الصلب والقتل لم يثبت الملعونية وعدم الرفع، فثبت الرفع الروحاني كالأنبياء الصادقين وهو المطلوب. هذه حقيقة هذه القصة، وما كان ههنا جدال ونزاع في الرفع الجسماني، وما كان هذا الأمر تحت بحث اليهود أصلا، وما كان غرضهم متعلقا به، بل علماء اليهود كانوا يمحرون لتكذيب المسيح وتكفيره، ويُفتشون لتكذيبه وتكفيره حيلة شرعية، فبدا لهم أن يصلبوه ليثبتوا ملعونيته وعدم

رفعه الروحاني كالأنبياء الصادقين بنص التوراة لئلا يكون حجة لأحد بعد كتاب الله، فصلبوه بزعمهم، وفرحوا بأنهم أثبتوا ملعونيته وعدم رفعه بالتوراة، ولكن الله نجاه من حيلهم وقتلهم، فأخبر عن هذه القصة في كتابه الذي أنزل بعد الإنجيل حَكَمًا عَدْلًا وَمُبَيَّنًا لظلم كلِّ قوم وإيذائهم وكيدهم ومُكذِّبًا للكافرين. فكأنه يقول: يا حزب الماكرين! يا أعداء الصدق والصادقين! لم تقولون إننا قتلنا المسيح ابن مريم وصلبناه وأثبتنا أنه ملعون غير مرفوع؟ فأخبركم أيها القوم الخبيثون، أنكم ما قتلتموه وما صلبتموه ولكن شُبِّه لكم، وأنتم تعلمون في أنفسكم أنكم ما قتلتموه يقينا، بل نجاه الله من مكرهم ورزقه الرفع الروحاني الذي كنتم لا تريدون له وتمكرون لئلا يحصل له ذلك المقام، فقد حصل له ورفع الله وكان الله عزيزا حكيما. وهذا القول.. يعني قوله تعالى: ﴿عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.. إشارة إلى أن الله يُعزِّ من يشاء، ويحفظ عزة أصفياه بحكمته الدقيقة البالغة اللطيفة، لا يضرها مكر ماكر كما ما أضّر عَزَّة عيسى مكر اليهود، بل أعزّه ورفعه ودمّر الماكرين. فاعلم أيها العزيز! هذا تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾، ولكن لا يقبله قومنا ويُحَرِّفون كلام الله ولا يتدبرون في شأن نزوله، ويمشون على الأرض مستكبرين. وإذا قيل لهم إن الله ورسوله قد شهدا على وفاة المسيح وكذلك شهدوا عليه أكابر المؤمنين من الصحابة والتابعين وأئمة المحدثين، فكان آخر جوابهم أن الله قادر على أن يحييه بعد وفاته مرة أخرى، ولا يتفكرون أن قُدرة الله تعالى لا يتعلق بما يُخالف مواعيده الصادقه، وقد قال: ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ (الزمر: ٤٣)، وقال: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرِجِينَ﴾ (الحجر: ٤٩)، وقال: ﴿لَا يَدُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾ (الدخان: ٥٧)، ولا شك أنه من مات من الصلحاء فإنه نال حظًا من الجنة وحُرِّم عليه الموتة الثانية، فكيف يجوز أن يُردَّ عيسى إلى الدنيا ويُخْرَج من حظ الجنة ونعيمها أو يُسَدَّ عليه غرفتها ثم يُتَوَقَّى مرة ثانية؟ مع أن الآية المتقدمة.. أعني: ﴿لَا يَدُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ

إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى) تدل على دوام الحياة وعدم ذوق الموت". (حماسة البشرى، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٥٦-٢٥٨ الحاشية)

"الرفع الذي جاء في ذكر عيسى ﷺ في القرآن، ليس رفع جسماني ولذلك قدّم عليه لفظ التوفي في البيان، ليعلم الناس أنه رفع روحاني كما جرت عليه سنة الله بعد موت أهل الإيمان، فإنهم يُرَفَعُونَ إلى الله بعد قبض الروح ويدخلون في نعيم الجنان فرحين. والآية نزلت ليقضَى بين اليهود والمسيحيين، فإن اليهود زعموا أن المسيح كان من الكاذبين وملعوناً وما كان من المقربين المرفوعين. وقالوا إنه صُلب، والمصلوب لا يُرَفَع إلى الله بحكم التوراة، بل يُلَعَن من حضرته ويُجَعَل من المردودين. وقال النصراني إنه كان ابن الله، فصُلب لإنجاء الخلق، ومُنِع من الرفع في أول الأمر، ولُعِن وعُذِّب وأُدْخِلَ في جهنم إلى ثلاثة أيام كالفاسقين، ثم رُفِعَ إلى العرش وآواه الله إلى يمينه إلى أبد الآبدين. فاليهود ذهبوا إلى تفريطٍ وهَمَاطٍ وإهباطٍ، والنصارى مع التفريط إلى إفراط، فبين الله ما كان أحقَّ وأقومَ في أمر عيسى، فقال إنه ما صُلب بل تُؤَفِّقَ بحتف أنفه وأُحِقَّ بالمولى، ثم رُفِعَ كالمقرَّبين، مِن غير أن يُلَعَن ويدخل في اللظى. فالحاصل أن هذا قضاء من الله الأعلى، بين اليهود والنصارى، ليبرئ عبده من بهتان اللعن وعدم الرفع ويقضي بما هو أحق وأولى، فحكم بينهم فيما اختلفوا فيه، وهو خير الحاكمين. ولولا هذا الغرض فما كان وجه لذكر هذه القصة، بل لو فُرِضَت القصة على خلاف هذه الصورة، لكان لغوا كلها ومحل اعتراض على فعل حضرة العزة. ألم تكن أرض الله واسعة فيخفي المسيح في مغارة من المغارات، كما أخفى أفضل الرسل عند التعاقبات؟ ففكِّرْ أيُّ حاجة اشتدت لرفعه إلى السماوات؟ أخشى الله رُعبَ اليهود المخذولين، وظن أنهم يُخرجونه من الأرضين؟ ألا تعلم أن الله حكيم لا يفعل فعلاً إلا بقدر ضرورة ولا يتوجه إلى لغو بغير حكمة داعية؟ فأى حكمة ألجأ الله لرفع المسيح إلى السماء؟



أما وجد موضعا في الأرض للإخفاء؟ ففكر كالمبصرين". (مكتوب أحمد، الخزان الروحانية، المجلد ١١، ص ١٦٨-١٧٢، الحاشية)

فاليهود وصفوا النبي المقدس بأنه ملعون فاتخذوا طريق غضب الله، أما النصارى فاتخذوا طريق الضلال بوصف قلب نبيهم المقدس والمرشد والهادي بالمنحرف عن الله والنجس بسبب اللعنة. لذا كان من الضروري أن يحكم القرآن في هذا الأمر بصفته حكما، فهذه الآيات بمنزلة الحكم ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ هُمْ﴾، ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾. أي من الخطأ أصلا الاعتقاد بأن اليهود قتلوا عيسى ﷺ صلبا، ومن الخطأ ما ينتج عن ذلك من أن المسيح لم يُرفع إلى الله وأنه ذهب إلى الشيطان والعياذ بالله. كلا بل قد رفعه الله إليه، والواضح أنه لم يكن بين النصارى واليهود أي خلاف في الرفع الجسماني. كما لم يكن اليهود يعتقدون أن من لم يُرفع جسمه لا يكون مؤمنا بل يكون ملعونا، وأنه لا يتوجه إلى الله بل يذهب إلى الشيطان! فاليهود أنفسهم يعترفون بأن موسى لم يُرفع جسمانيا مع أنهم يؤمنون بكونه أفضل أنبياء بني إسرائيل وصاحب الشريعة. واليهود ما زالوا أحياء فاسألوهم ما الذي استنتجوه من صلب المسيح؛ أهو عدم رفع الجسد، أم عدم رفع الروح وعدم ذهابه إلى فوق والعياذ بالله.. أي إلى الله، بل قد تردى إلى الحضيض أي إلى الشيطان؟ فالخوض في نقاش لا علاقة له بأصل النزاع في شيء حماقة كبيرة. يقيم مئات اليهود في بومباي وكلكوتا وبعضهم من علماء دينهم المتمكنين. فاسألوهم بالمراسلة ما هو الاتهام الذي ألصقوه بالمسيح ﷺ وماذا استنتجوا من موته على الصليب على حد زعمهم؟ أكان عدم الرفع المادي أم عدم الرفع الروحاني؟

باختصار، إن مسألة رفع المسيح ﷺ أيضا لم تأت في القرآن الكريم عبثا ودون أي دافع، بل لتدب وتدحض أفكار اليهود التي ينكرون بها رفع المسيح روحانيا. فلو آمننا جدلا أن الله رضي بهذا التصرف السخيف والعياذ بالله إذ قد سحب

المسيح إليه مع جسمه وأورد على نفسه اعتراض كونه جسما وماديا أيضا، لأن الجسم ينجذب إلى الجسم؛ فمع ذلك ينشأ السؤال طبعاً أنه لما كان القرآن الكريم قد جاء لإصلاح أخطاء اليهود والنصارى، وكان اليهود قد ارتكبوا هذا الخطأ الفادح - إذ وصفوا عيسى عليه السلام والعياذ بالله بالملعون ورفضوا رفعه الروحاني، وأعلنوا أنه لم يذهب بعد الموت إلى الله بل ذهب إلى الشيطان - فأين دفع هذا الاتهام وذُبه في القرآن الكريم؟ مع أنه كان الهدف الأساسي للقرآن، لأنه إذا كانت الآية: ﴿وَرَفَعْنَا إِيَّاهُ﴾ والآية ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ تخصان رفع الجسم، كان يجب أن تذكر الآيات الأخرى رفع الروح، ولدحض خطأ اليهود والنصارى المتعلق بعقيدة اللعنة ثمة حاجة لمثل هذه الآية. ذلك لأن رفع الجسم لا يقابل اللعنة؛ بل كما أن اللعنة أمر معنوي، كذلك يجب أن يكون الرفع روحانياً، وكان ذلك هو الغاية المتوخاة، ومن الغريب في الأمر أن الاعتراض الذي كان جديراً بالرد بقي على حاله، وذكر الله في القرآن الكريم عبثاً أمراً آخر مراراً - أي الرفع المادي - الذي لا علاقة له بعقيدة اليهود واستنباطهم الباطل. فكأن السؤال شيء والجواب شيء آخر تماماً. فواضح أن الرفع المادي ليس مدار النجاة بحسب عقائد الفرق الثلاثة؛ أي اليهود والنصارى وأهل الإسلام. بل لا تتوقف النجاة عليه البتة، فلماذا ذكره الله مراراً وتكراراً؟ فمتى كان اليهود يؤمنون بأن لا نجاة دون الرفع المادي وأنه لن يُعَدَّ أي نبي صادقاً ما لم يُرفع جسمه؟! فما الفائدة إذن من هذا الذكر العابث، أليس من الغريب أن لا يذكر القرآن الكريم أمراً كان جديراً بالتسوية، والذي كان عدم حسمه يتسبب في اعتبار نبي صادق كاذباً بل كافراً بل ملعوناً والعياذ بالله؟ وظهر المعتقد الباطل، أي الرفع المادي، الذي لا يؤدي إلى أي فائدة. باختصار، هذه هي الأدلة على موت المسيح ورفعه المادي<sup>١</sup>، وقد

<sup>١</sup> يبدو أنه خطأ الناسخ، إذ ينبغي أن يكون حسب السياق "الرفع الروحاني". (الناشر)

كتبناها في كتبنا بإسهاب، وإن معارضينا حتى الآن مدينون لنا لعدم ردهم، ففي هذا الخصوص ما الذي نناقشه مع بير المولوي مهر علي شاه أو بير آخر أو أي مولوي آخر، فإننا قد ذبحنا الباطل، فكيف نمرّ السكين على ذبيحتنا مرة أخرى؟ أيها السادة، ليس الآن وقت للخوض في هذه النقاشات، بل ينبغي أن يخاف معارضونا ويتوبوا الآن، لأننا قد أثبتنا موت المسيح ﷺ ورفع الروحاني بكل طريقة ممكنة في هذا العالم لإثبات الحقائق والدعاوى، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ص ١١٠-١١٤)

كان اليهود ينكرون على عيسى ﷺ الرفع الذي هو مدار النجاة لكل مؤمن، لأنهم أيضا كانوا يؤمنون بالمسلمين أن روح كل مؤمن تُرفع بعد الموت إلى السماء وتفتح لها أبواب السماء، أما الكافر الذي كان يندفع في حياته إلى الشيطان فتغلق عليه أبواب السماء وترمى روحه إلى الأسفل، أي إلى الشيطان. بينما المؤمن كان في حياته يصعد إلى فوق، لهذا يتم رفعه إلى الله بعد الموت ويتلقى نداء ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ١١٣، الحاشية)

لقد نشأت فكرة الرفع الجسماني في قلوب النصاري عندما أرادوا أن يتخذوا المسيح إلهاً ويعدّوه منجي العالم، وإلا فالنصارى أنفسهم يؤمنون بأن الرفع الروحاني وحده يكفي للنجاة، فالمؤسف أن الأمر الذي يستخدمونه لتأليه المسيح ﷺ ويعدونه ميزته قد أدرجه المسلمون أيضا في عقائدهم، وإذا قال المسلمون بأنهم يعتقدون بأن إدريس أيضا في السماء كالمسيح، فهذا كذب آخر؛ لأنه كما ورد في تفسير فتح البيان إن عقيدة أهل السنة كوتهى إدريس ليس في السماء بجسمه المادي، وإلا يستلزم أن يعود إلى هذا العالم يوما للموت. فلم يبق لنا بدٌّ من الاعتبار عبثا أن المسيح متميز بالرفع المادي، ولم نجد بدا من القبول بأن جسمه غير فانٍ، وأنه جالس عند الله، وهذا باطل صراحة. (التحفة الغلورية، الخزان الروحانية، المجلد ١٧، ١١٣، الحاشية)

الذهاب إلى الله يسمى الرفع، أما الذهاب إلى الشيطان فيسمى اللعنة، فهاتان الكلمتان متضادتان. إن السفهاء لم يفهموا هذه الحقيقة، إذ لم يفكروا أنه إذا كان الرفع يعني الرفع بالجسم فأى كلمة تقابلها كما تقابل اللعنة الرفع الروحاني؟ (التحفة الغلورية، لخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ١٠٩)

أما فكرة أن "بل" في قوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ تدل على أنه رُفِعَ بجسمه المادي فهي فكرة سخيفة وهزيلة جدا وصيبانية. فمثل هذا الرفع مذكور بحق "بلعام" أيضا، أي ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾. فواضح أن كلمة "الرفع" التي استخدمت بحق المسيح قد استخدمت نفسها بحق بلعام أيضا، فهل كان الله ﷻ يشاء أن يوصل بلعام بجسمه إلى السماء؟ كلا بل كان المراد رُفَع روحه فقط. أيها السادة، اتقوا الله، إن الرفع الجسماني ليس محل نزاع في النقاش مع اليهود، وإنما الخصومة كانت عن الرفع الروحاني فقط، لأن اليهود بتعليقهم المسيح على الصليب قد أيقنوا بموجب نص التوراة أنه لن يُرفع روحانيا، وأنه والعياذ بالله لن يذهب إلى الله، بل سيذهب إلى الشيطان ملعوناً. فمما اصطُح عليه أن الذي يُدعى إلى الله يقال له مرفوعاً، أما الذي يُساق إلى الشيطان فيقال له ملعوناً. فهذا هو خطأ اليهود الذي صحَّحه القرآن الكريم بصفته حكماً. وقال إن المسيح لم يُقتل على الصليب، وأن عملية الصلب لم تتحقق بكما لها، لهذا لا يمكن أن يُجرم المسيح من الرفع الروحاني. (التحفة الغلورية، لخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ١٠١-١٠٢)

"وأثبت بثبوت بيّن واضح أن عيسى ما صُلب، وما رُفِع إلى السماء، وما كان رفعه أمراً جديداً مخصوصاً به، بل كان رفع الروح فقط كمثال رفع إخوانه من الأنبياء. وأما ذكر رفعه بالخصوصية في القرآن، فكان لذّب ما زعم اليهود وأهل الصلبيان، فإنهم ظنوا أنه صُلب ولُعن بحكم التوراة، واللّعن ينافي الرفع بل هو ضده كما لا يخفى على ذوي الحصة، فردّ الله على هاتين الطائفتين بقوله: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾،

والمقصود منه أنه ليس بملعون بل من الذين يُرفعون ويُكرمون أمام عينيه. وما كان إنكار اليهود إلا من الرفع الروحاني الذي لا يستحقّه المصلوب، وليس عندهم رفع الجسم مدار النجاة، فالبحت عنه لغو لا يلزم منه اللعن والذنوب، فإن إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى، ما رُفع أحدٌ منهم إلى السماء بجسمه العنصري كما لا يخفى، ولا شك أنهم بُعدوا من اللعنة وجُعِلوا من المقربين، ونجوا بفضل الله بل كانوا سادة الناجين، فلو كان رفع الجسم إلى السماء من شرائط النجاة، لكان عقيدة اليهود في أنبيائهم أنهم رُفعوا مع الجسم إلى السماوات. فالحاصل أن رفع الجسم ما كان عند اليهود من علامات أهل الإيمان، وما كان إنكارهم إلا من رفع روح عيسى وكذلك يقولون إلى هذا الزمان. فإن فرضنا أن قوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ كان لبيان رفع جسم عيسى إلى السماء، فأين ذكر رفع روحه الذي فيه تطهيره من اللعنة وشهادة الإبراء، مع أن ذكره كان واجباً لردّ ما زعم اليهود والنصارى من الخطاء، وكفاك هذا إن كنت من أهل الرشد والدهاء. أتظن أن الله ترك بيان رفع الروح الذي ينجي عيسى مما أُفْتِيَ عليه في الشريعة الموسوية، وتصدّى لذكر رفع الجسم الذي لا يتعلّق بأمر يستلزم اللعنة عند هذه الفرقة؟ بل أمر لغو اشتهر بين زعم النصارى والعامّة، وليس تحته شيء من الحقيقة، وما حمل النصارى على ذلك إلا طعن اليهود بالإصرار، وقولهم إن عيسى ملعون بما صُلب كالأشرار، والمصلوب ملعون بحكم التوراة وليس ههنا سعة الفرار، فضاقت الأرض بهذا الطعن على النصارى، وصاروا في أيدي اليهود كالأسارى، فنحتوا من عند أنفسهم حيلة صعود عيسى إلى السماء، لعَلَّهم يطهّروه من اللعنة بهذا الافتراء. وما كان مفراً من تلك الحادثة الشهيرة التي اشتهرت بين الخواص والعوام، فإن الصليب كان موجباً لللعنة باتّفاق جميع فرق اليهود وعلمائهم العظام، فلذلك نُحِتَت قصة صعود المسيح مع الجسم حيلة للإبراء، فما قُبِلت لعدم الشهداء، فرجعوا مضطرين إلى قبول إلزام اللعنة، وقالوا حملها المسيح

تنجيةً للأمة. وما كانت هذه المعاذير إلا كخبطِ عشواء، ثم بعد مدة اتّبعوا الأهواء، وجعلوا متعمّدين ابنَ مريم لله كشركاء، وصار صعود المسيح وحمله اللعنة عقيدةً بعد ثلاث مائة سنة عند المسيحيين، ثم تبع بعض خيالاتهم بعد القرون الثلاثة الفيح الأعوج من المسلمين. واعلم، أرشدك الله، أن رسولنا ﷺ ما رأى عيسى ليلة المعراج إلا في أرواح الأموات، وإنّ في ذلك لآية لذوي الحصة. وكل مؤمن يُرفع روحه بعد الموت وتُفتح له أبواب السماوات، فكيف وصل المسيح إلى الموتى ومقاماتهم مع أنه كان في رتبة الحياة؟" (الهدى والتبصرة لمن يرى، الخزان الروحانية، المجلد ١٨، ص ٣٦٢-٣٦٣، ٣٦٤)

كان اليهود يتنازعون في الرفع الروحاني فقط، وكانوا يعتقدون أن روح عيسى لم تُرفع إلى السماء كالمؤمنين لأنه صُلب، والمصلوب ملعون؛ أي لا تُرفع روحه إلى الله في السماء. وكان القرآن الكريم فقط سيحكم في هذا النزاع، كما يعلن أنه يكشف أخطاء اليهود والنصارى ويحكم فيما شجر بينهم. كان اليهود ينازعون في أن المسيح عيسى ليس من المؤمنين، ولم يحظ بالنجاة، ولم تُرفع روحه إلى الله تعالى. فكان الأمر الجدير بالحكم فيه: هل المسيح عيسى مؤمن ونبي صادق من الله أم لا؟ وهل رُفعت روحه إلى الله تعالى كالمؤمنين أم لا؟ هذا هو الأمر الذي كان القرآن الكريم سيحكم فيه. فإذا كان المراد من الآية: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ أن الله تعالى رفع عيسى ﷺ إلى السماء الثانية بجسده المادي؛ فكيف حُكم في الأمر المتنازع فيه؟ وكأن الله تعالى لم يفهم الأمر المتنازع فيه وأصدر حكماً لا علاقة له بادّعاء اليهود أصلاً. ثم ورد في الآية بكل وضوح أن عيسى رُفع إلى الله، ولم يرد أنه رُفع إلى السماء الثانية، فهل الله رَجَّل متربع في السماء الثانية؟ أو هل من الضروري من أجل النجاة والإيمان أن يُرفع الجسم أيضاً؟

واللافت في الموضوع أنه لم يرد في الآية: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ أي ذكر للسماء. والآية لا تعني إلا أن الله تعالى رفع المسيح إليه. فقولوا الآن، هل رُفع إبراهيم وإسماعيل

وإسحاق، ويعقوب وموسى عليهم السلام والنبي ﷺ إلى غير الله، ولم يُرفَعوا إليه ﷺ؟ والعياذ بالله! أقول هنا بكل قوة وشدة إن تخصيص المسيح ﷺ بهذه الآية، أي اعتبار الرفع إلى الله خاصا به وحده، واعتبار الأنبياء الآخرين خارجين عن ذلك؛ كفر ما بعده كفر، لأن هذا المعنى يؤدي إلى رفض رفع الأنبياء جميعا ما عدا عيسى ﷺ مع أن النبي ﷺ شهد بعد المعراج على رفعهم.

وليكن معلوما أن رفع عيسى ذكر تنبيها لليهود ودحضا لاعتراضهم فقط، وإلا فإن هذا النوع من الرفع يشمل الأنبياء والرسل والمؤمنين جميعا، وكل مؤمن يُرفع بعد موته. ففي الآية: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ \* جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْتَحَنَةٌ لَهُمْ الْأَبْوَابُ﴾ (ص: ٥٠-٥١) إشارة إلى هذا النوع من الرفع. أما الكافر فلا يُرفع كما تشير إلى ذلك الآية: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ (الأعراف: ٤١). (محاضرة سيالكوت، الحزائن الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٢١٦-٢١٧)

إذا كان صحيحا أن معنى الآية: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ هو أن عيسى ﷺ قد رُفِعَ إلى السماء الثانية؛ فلا بد من تقديم آية صدر فيها الحكم في الأمر المتنازع فيه. اليهود الموجودون إلى يومنا هذا لا يزالون ينكرون هذا المعنى لرفع المسيح ويقولون إنه ما كان مؤمنا ولا صادقا- والعياذ بالله- ولم تُرفع روحه إلى الله. وإذا ارتبتم في ذلك فاستفسروا من علماء اليهود؛ ألا يستنتجون من الموت على الصليب عدم صعود الروح إلى السماء مع الجسد؟ بل يقولون مُجمعين إن الذي يموت على الصليب ملعونٌ ولا يُرفع إلى الله. لذلك فقد أنكر الله تعالى في القرآن الكريم موت عيسى على الصليب وقال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾. وأضاف في الآية كلمة: ﴿قَتَلُوهُ﴾ إلى ﴿صَلَبُوهُ﴾ لتدل على أن مجرد التعليق على الصليب لا يوجب اللعنة، بل الشرط هو أن يعلّق أحدٌ على الصليب وأن تُكسر ساقاه بنيّة القتل وأن يُقتل فعلا، عندها يكون ذلك الموت موت اللعنة، ولكن الله تعالى عصم عيسى

ﷺ من هذه الميتة. لقد علّق على الصليب ولكنه لم يمت عليه، غير أنه قد أُلقيت الشبهة في قلوب اليهود كأنه مات على الصليب. كذلك حُذع النصارى أيضا بالخدعة نفسها، إلا أنهم ظنوا أنه قد قام حيًّا بعد الموت. والحق أنه قد أُغمي عليه من صدمة الصليب، وهذا ما تعنيه العبارة «شَيْءٌ هُمُّ». (محاضرة سيالكوت، الخزان الروحانية، المجلد ٢٠، ص ٢١٩)

إن علماء اليهود الذين لا يزالون موجودين ومنهم من يسكنون في مومباي وكالكوٲا يضحكون ويسخرون كثيرا من قول المسيحيين بأن عيسى ﷺ صعد إلى السماء، ويقولون: ما أغبى هؤلاء القوم الذين لم يفهموا حقيقة الأمر! لأن اليهود القدامى كانوا يدّعون أن الذي يُصلَّب يكون ملحدا فلا تُرفع روحه إلى السماء. ولدحض هذا الادّعاء اختلق المسيحيون عقيدة أن عيسى ﷺ صعد إلى السماء بالجسد حتى يزيلوا عنه وصمة كان ممكنا أن تُلصق به نتيجة كونه مصلوبا. ولكن صدرت منهم غباوة شديدة في هذه المكيدة لأن اليهود لا يعتقدون بأن الذي لا يصعد إلى السماء بجسده يكون ملحدا وكافرا ولا ينال النجاة، لأن موسى ﷺ أيضا لم يصعد إلى السماء مع الجسد بحسب اعتقاد اليهود. بل كانت حجة اليهود أن الذي يعلّق على الصليب لا تُرفع روحه إلى السماء بحسب حكم التوراة، لأن الصليب أداة لقتل المجرمين. والله تعالى أسمى من أن يهلك على الصليب شخصا مطهّرا وصادقا. فقد سُجِّل في التوراة حكم أن الذي يُقتل على الصليب ليس مؤمنا ولا تُرفع روحه إلى الله تعالى، بمعنى أنه لا يُرفع إلى الله. ولأن المسيح مات على الصليب فثبت بحسب قول اليهود أنه ما كان مؤمنا ولم تُرفع روحه إلى الله، والعياذ بالله. إذًا، فإن القول بإزاء ذلك بأن المسيح صعد إلى السماء بالجسد حمقٌ محض، وبهذا الجواب السخيف يبقى اعتراض اليهود قائما على حاله، لأن اعتراضهم يتعلق بالرفع الروحاني الذي يكون إلى الله تعالى، وليس على رفع الجسد الذي يكون إلى



السماء. والقرآن الذي هو حاكم بين اليهود والنصارى قال في حكمه: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ والمعلوم أن ما يُرفع إلى الله هو الروح وليس الجسد. لم يقل الله تعالى: بل رفعه الله إلى السماء. بل قال: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾. فكان واجبا على الله في هذا المقام أن يفند اعتراض اليهود الذي يكمن في إنكارهم الرفع الروحاني وليزيل خطأ النصارى أيضا.

فقد أورد الله تعالى كلمة جامعة وشاملة وأثبت بها خطأ كلا الفريقين. فإن قوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ لا يثبت فقط بأن المسيح رُفع إلى الله تعالى رفعا روحانيا وأنه مؤمن، بل يثبت أيضا أنه لم يُرفع إلى السماء، لأن الله تعالى منزّه عن التجسّم والجهات والحاجة إلى المكان؛ لذا فالرفع إليه يدلّ بجلاء على أن ذلك الرفع لم يكن ماديا، بل رُفعت روح عيسى ﷺ إلى الله تعالى كما تُرفع أرواح المؤمنين جميعا. يعرف كل ذي علم أنه ثابت من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة أن المؤمن حين يموت تُرفع روحه إلى الله تعالى كما يقول تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ \* ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً \* فَادْخُلِي فِي عِبَادِي \* وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر: ٢٨-٣١) وكان اليهود يعتقدون الاعتقاد نفسه، أي أن روح المؤمن تُرفع إلى الله تعالى، وأن الملحد والكافر لا يُرفع إليه ﷻ، وكانوا يعدّون عيسى ﷺ كافرا وملحدا، والعياذ بالله، وبأنه افترى على الله وأنه ليس نبيا صادقا. ولو كان صادقا لعاد النبي إلياس إلى الدنيا قبله، لذا كانوا ولا يزالون يعتقدون أن روحه لم تُرفع إلى الله تعالى كالمؤمنين بل رُفعت إلى الشيطان، والعياذ بالله. ولكن الله تعالى كذّب اليهود في القرآن الكريم وكذلك عدّ المسيحيين أيضا كاذبين. لقد افترى اليهود على عيسى ﷺ افتراءات كبيرة. فقد ورد في التلمود- وهو كتاب الأحاديث عند اليهود- بأنه حين دُفنت جثة يسوع أخرجها من القبر بستاني اسمه يهوذا الإسخريوطي ووضعها في مكان كسدّ للماء. وحين وجد تلاميذ يسوع القبر فارغا صرخوا أنه صعد إلى السماء

بجسده المادي. عندها أظهرت الجثة للعيان على الملاء على مرأى من الملكة "هيلينا" وندم تلاميذ يسوع بشدة. (لعنة الله على الكاذبين) (انظروا الموسوعة اليهودية، المجلد ٧، الصفحة ١٧٢). (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٣٣٨-٣٤٢، الحاشية)

فإذا ظنَّ أحد أن الآية: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ تقتصر على بيان أن عيسى ﷺ قد رُفِعَ إلى السماء الثانية أو الرابعة بالجسد المادي، فليخبرنا في أية آيات رُذِّ على اعتراض اليهود الذين يقولون بأن عيسى لم يُرَفَع إلى الله رفعا روحانيا مثل المؤمنين؟ إنها لإساءةٌ إلى القرآن الكريم، والعياذ بالله، أن يعترض اليهود بشيء ويُردَّ عليهم بشيء آخر تماما، وكأن الله تعالى لم يفهم ما طلبه اليهود. لم يطلب اليهود من عيسى ﷺ معجزة الخصوصية في هذا الصدد، بل كان اعتراضهم أنه لم يُرَفَع مثل المؤمنين. فكان من المفروض أن يُردَّ عليهم بالقول بأنه قد رُفِعَ إلى الله تعالى فعلا. فإذا كانت الآية المذكورة أنفا لا تعني هذا بل تعني وصوله إلى السماء بالجسد، فهذا ليس ردًّا على اعتراض اليهود. وإن الزعم بأن القرآن الكريم يردُّ على سؤال بجواب لا علاقة له بالسؤال مطلقا، هذا الزعم يوصل صاحبه إلى الكفر. فلما كان دور القرآن الكريم أن يفندَّ تهم اليهود التي ألصقوها بعيسى ﷺ، ومن جملة تلك التهم أنهم كانوا ينكرون رفعه الروحاني وبذلك كانوا يكفرونه، والعياذ بالله، فكان من واجب القرآن الكريم أن يبرِّئ ساحته من هذه التهمة. فلو لم يبرِّئ القرآن عيسى ﷺ من هذه التهمة من خلال هذه الآيات، لوجب أن تُقدِّم منه آيات أخرى تبرِّئه منها. (ملحق البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزائن الروحانية، المجلد ٢١، ص ٣٤٠، الحاشية)

ما أجهل وما أغبى الاستنتاج من قوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ أن عيسى ﷺ موجود في السماء الثانية بجسده المادي بجنب يحيى ﷺ! هل الله ﷻ جالس في السماء الثانية وحدها؟ وهل وردت كلمة "الرفع إلى الله" في أي موضع من القرآن

الكريم بمعنى الرفع إلى السماء بالجسد المادي؟ وهل يوجد في القرآن الكريم نظير لرفع الجسد المادي إلى السماء؟ ثم هناك آية أخرى في القرآن الكريم مماثلة للآية التي نحن بصدددها وهي: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ \* ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (الفجر: ٢٨-٢٩) فهل معناها أن يا أيتها النفس المطمئنة اصعدي إلى السماء الثانية بالجسد المادي؟ يقول الله تعالى في القرآن الكريم عن بلعام باعور: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ فهل تعني هذه الآية أن الله تعالى كان يريد رفع بلعام إلى السماء بجسده المادي ولكنه فضّل أن يبقى على الأرض؟ الأسف كل الأسف ما أجسرهم على تحريف القرآن الكريم!

يقولون: قد ورد في القرآن الكريم: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾، وقد ثبت منه أن عيسى رُفِعَ إلى السماء بجسمه. ولكن كل عاقل يستطيع أن يفهم أن عدم قتل أحد أو عدم صلبه لا يستلزم رفعه إلى السماء بالجسد المادي حتما. ولقد وردت في الآية التي تليها كلمات صريحة: ﴿وَلَكِنْ شَبِّهَ لَهُمْ﴾ أي لم ينجح اليهود في قتله بل أوقعوا في شبهة وظنوا أنهم قتلوه. فما الحاجة لإيقاعهم في الشبهة لكي يُصلَّب مؤمن آخر ويُجَعَلَ ملعونا؟ أو يُلبَس أحد من اليهود صورة عيسى ﷺ ويُصلَّب؟ ففي هذه الحالة كان ممكناً لهذا الشخص أن يعلن على الملأ أنه عدو لعيسى ﷺ ويتخلص من الموت فوراً بذكر أسماء أقاربه وعناوينهم، وكان له أن يعلن جهاراً أن عيسى قد ألبسه صورته بسحره. ما أغبى هذه الأوهام! لماذا لا يستنتجون من: ﴿وَلَكِنْ شَبِّهَ لَهُمْ﴾ أن عيسى لم يمِت على الصليب بل أغشي عليه ثم استعاد وعيه بعد أن ظل مغشياً عليه ليومين أو ثلاثة أيام واستخدم "مرهم عيسى" - وهو مذكور إلى يومنا هذا في مئات كتب الطب وكان قد رُكِّب لعيسى ﷺ - فاندملت به جروحته.

ومن سوء الحظ أيضاً أنهم لا ينتبهون إلى أسباب نزول هذه الآيات. إن القرآن الكريم حَكَّمَ لرفع الخلافات بين اليهود والنصارى ليحكم فيما شجر بينهم، فكان

من واجبه أن يحكم فيما اختلفوا فيه. فكان من الأمور المختلف فيها قول اليهود إنه قد ورد في التوراة أن مَنْ عَلِقَ على الخشبة فهو ملعون ولا تصعد روحه إلى الله بعد موته. فما دام عيسى قد مات على الصليب فلم يُرفع إلى الله ولم تُفتح له أبواب السماء. وقد رَوَّج المسيحيون في زمن النبي ﷺ اعتقادهم هذا، ولا يزال الاعتقاد نفسه رائجا أن عيسى مات وصار ملعونا بموته على الصليب ولكنه حمل اللعنة على عنقه من أجل نجاة الآخرين. وفي نهاية المطاف رُفِعَ إلى الله تعالى ولكن ليس بالجسد المادي بل بالجسد الجلاي الذي كان منزهاً عن الدم واللحم والعظام والزوال، وقد حكم الله تعالى في القرآن الكريم بين المتخاصمين وقال إنه خلافٌ للحقيقة تماماً، القول إن عيسى مات على الصليب أو قُتِلَ حتى يُستنتج من ذلك أنه ملعون بحكم التوراة، بل الحق أنه أُنْقِذَ من الموت على الصليب وُرفِعَ إلى الله تعالى كما يُرفع المؤمنون. وكما يُرفع كل مؤمن إلى الله بعد نيّله جسما جلاييا منه ﷻ كذلك رُفِعَ هو أيضا ولحق بالأنبياء الذين خلوا قبله، كما يُفهم من كلام النبي ﷺ الذي قاله بعد المعراج إنه كما رأى أجسام الأنبياء الأطهار كذلك تماما وجد عيسى عليه السلام أيضا معهم وعلى هيئتهم ولم ير له جسما غريبا.

فكم كانت القضية واضحة وصریحة أن اليهود كانوا يرفضون الرفع الروحاني فقط، لأن الرفع الروحاني هو الذي يتنافى مع مفهوم اللعنة. ولكن المسلمين بجهلهم جعلوا الرفع الروحاني رفعا جسديا. لا يعتقد اليهود مطلقا أن الذي لا يصعد إلى السماء بجسده المادي ليس مؤمنا، بل ما زالوا يؤكدون إلى اليوم أن الذي لم يُرفع روحانيا ولم تُفتح له أبواب السماء لا يكون مؤمنا. وهذا ما يقوله القرآن الكريم أيضا: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ (ص: ٥٠-٥١) أي لا تُفتح أبواب السماء للكافرين. أما المؤمنون فيقول عنهم: ﴿مُفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ (الأعراف: ٤١) فكانت حجة اليهود أن عيسى كافر -والعياذ بالله- لذا لم يُرفع

إلى الله. ما زال اليهود موجودين إلى اليوم ولم ينمحو من وجه الأرض فاسألوهم أنه لو علّق أحد على الصليب هل يُستنتج منه أنه لا يمكنه الصعود إلى السماء بجسده المادي ولا يُرفع جسده إلى الله؟ الجهل مصيبة فعلا. إلى أين أوصل المسلمون الأمرَ بجهلهم وأصبحوا ينتظرون عودة شخص ميت، في حين قد حُدّد في الأحاديث عمرُ عيسى ﷺ بـ ١٢٠ عاما. ألم تنته إلى الآن هذه الأعوام الـ ١٢٠؟ (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٣٧-٤٠)

إذا كان معنى الآية: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ أن عيسى ﷺ رُفِعَ إلى السماء بالجسد المادي فليخبرنا أحد أين وردت في القرآن الكريم آية تحكم في الأمر المختلف فيه، أي أين الآية التي تقول إن عيسى سيُرفع بعد موته إلى الله كما يُرفع المؤمنون وسيلحق بعد موته بحيي وغيره من الأنبياء؟ أو هل أخطأ الله تعالى فهم الموضوع -والعياذ بالله- إذ كان اليهود يرفضون رفعه الروحاني مثلما يُرفع المؤمنون بعد موتهم ولكن الله فهم شيئا آخر؟ نعوذ بالله من هذا الافتراء على الله، سبحانه الله تبارك وتعالى. (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٣٩، الحاشية)

كان اعتراض اليهود منحصراً في أن عيسى ﷺ لما كان قد صُلب، والعياذ بالله، فهو ملعون. والواضح أن الملعون لا يحظى بالرفع الروحاني، وفي ردّ هذا الاعتراض حصراً قال الله ﷻ: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ (النساء: ١٥٩).

إننا نسأل: إذا كان اليهود يعترضون أن المسيح لم يفز بالرفع المادي، فأين فنّد القرآن الكريم الذي جاء حكماً للأمتين كلتيهما اعتراض اليهود هذا؟ فلماذا لم يردّ القرآن الكريم على اعتراض اليهود الحقيقي، وركز على الرفع الروحاني حيث قال: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ ولم يقل رفعه الله إلى السماء؟

إن عرش الله مقام وراء وراء، وهو على بُعد مساوٍ من الأرض والسماء والجهات كلها. وليس صحيحاً أن عرش الله -والعياذ بالله- قريب من السماء وبعيد عن

الأرض. ولعين من يعتقد ذلك. فالعرش مقام التنزيه، ولذلك إن الله موجود في كل مكان يسمع ويرى، كما قال: ﴿هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ (الحديد: ٥) وقال ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ (المجادلة: ٨) وقال ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (ق: ١٧).

باختصار، إن النزاع الحقيقي كان بشأن رفعه الروحاني وكونه من المقربين إلى الله، فقد حَكَمَ الله في ذلك بقوله: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ فليخبرني أحد كيف يثبت منه صعوده إلى السماء؟ فهل الله في السماء وليس في الأرض؟ (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٢١، عدد ٢٢/٣/١٩٠٨م، ص ٢)

كان النزاع الأصلي لليهود أن عيسى ﷺ لم يرفع روحانيا، فكانوا يريدون أن يثبتوا أن المسيح ﷺ لعين ومردود والعياذ بالله. ولذلك كانوا يصرون على أنهم قد صلبوا المسيح، وبذلك كانوا يدَّعون قتله، ليثبتوا بحسب كتابهم أنه كان نبيا كاذبا. فلم يكن هناك نزاع عن الرفع المادي، فلما كان القرآن الكريم هو الحكم في الأمور المتنازع فيها مع بني إسرائيل، وهو قول فيصل فيها، فقد فند اعتراض اليهود وبهتانهم الذي ألصقوه بالمسيح ليثبتوا أنه ملعون وكذاب بقوله ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا \* بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ﴾ (النساء: ١٥٨-١٥٩)، أي أن اليهود لم يتمكنوا من قتل المسيح كما يزعمون، وبذلك لم ينجحوا في محاولة إثباتهم أنه كان كاذبا في دعواه. بل قد رفعه الله روحانيا، ووقاه من هذه الذلة والإدبار. إذا كان الرفع الجسماني حصرا موجب النجاة والطهارة، وكون المرء مقبولا وحبيب الله، فيعد جميع الأنبياء كاذبين والعياذ بالله، ولا يبقى أي نبي حائزا على النجاة، ناهيك عن كونه مقبولا وحبيبا عند الله. (نعوذ بالله من ذلك). إن التعصب تركهم لا يصلحون لشيء. (الحكم، مجلد ١٢، رقم ٤٧، عدد ١٤/٨/١٩٠٨م، ص ٤)

الآية ١٦٠: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾

السؤال: إن الآية: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ تدل على حياة المسيح ابن مريم لأنها تعني أن جميع أهل الكتاب سيؤمنون بالمسيح قبل موته. فيبدو من هذه الآية أن المسيح سيعيش حتما إلى أن يؤمن به أهل الكتاب جميعا. أما الجواب: فليكن واضحا أن السائل مخطئ في ذلك إذ يزعم أن الآية تعني أنه لا بد أن تؤمن جميع فرق أهل الكتاب بالمسيح قبل موته، لأنه لو قبلنا جدلا أن هذا ما تعنيه الآية كما فهم السائل، لاستلزم ذلك أن يؤمن به جميع أهل الكتاب الذين خلوا منذ زمن صعوده والموجودون حاليا والذين سيأتون في المستقبل إلى زمن نزوله، وهذا باطل بداهة. يعرف الجميع جيدا أن عددا هائلا لا يُعد ولا يُحصى من أهل الكتاب قد وصلوا جهنم إلى الآن لإنكارهم نبوة المسيح، ويعلم الله وحده كم منهم سيدخلون أتون هذه النار لكفرهم به ﷺ في المستقبل أيضا. لو كان في مشيئة الله أن يؤمن بالمسيح كافة أهل الكتاب الذين ماتوا أيضا عند نزوله، لأبقاهم ﷻ جميعا على قيد الحياة ما لم ينزل المسيح من السماء. أما الآن فكيف يمكن أن يؤمنوا به بعد موتهم؟

يردّ على ذلك بعض الناس بتجشّم كثير من التكلف أنه من الممكن أن يُحيي الله كافة أهل الكتاب الذين ماتوا في كفرهم منذ زمن بعثة المسيح إلى نزوله الثاني. وجوابه: لا شك أنه لا شيء مستحيل على الله، ولكن الموضوع قيد البحث هو: هل يوجد لمثل هذه الأفكار أي أثر في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة؟ وإذا كان موجودا فلم لا يُقدّمونه؟

يقدم البعض بصوت خافت وبشيء من الاستحياء تفسيراً أن المراد من أهل الكتاب هم أولئك الذين سيكونون موجودين في الدنيا عند عودة المسيح، فسيؤمنون

به فور رؤيتهم إياه، وسينضمون إلى فوج المؤمنين قبل موت المسيح. لكن هذه الفكرة أيضا باطلة بحيث لا حاجة للإسهاب فيها أكثر من ذلك، لأنه أولا وقبل كل شيء: إن الآية قيد البحث تفيد العموم بوضوح تام، وهذا يعني أن المراد من أهل الكتاب هم أهل الكتاب جميعا الذين كانوا في زمن المسيح عليه السلام أو سيأتون بعده. ولا توجد في الآية كلمة تجعل زمنها مقتصرًا على زمن محدد.

إضافة إلى ذلك، فإن هذا المعنى باطل بداهةً لأن الأحاديث تعلن بأعلى صوتها أن منكري المسيح - سواء أكانوا من أهل الكتاب أو غيرهم - سيموتون بنفسه في حالة كفرهم. وليس ضروريا أن نكرر نقل تلك الأحاديث، إذ يمكن قراءتها في مكانها في هذا الكتاب.

إضافة إلى ذلك، فمن معتقدات المسلمين المسلّم بها أن الدجال أيضا سيكون من أهل الكتاب، ويعتقدون أيضا أنه لن يؤمن بالمسيح! الآن لا يسعني أن أتصور مدى الخجل الذي سيصيب أصحاب تلك الفكرة باطلاعهم على هذه الأحاديث. ومن المسلّم به أيضا والوارد في صحيح مسلم أن القيامة ستقوم على شرار الناس الذين سيقون بعد المسيح. فلو لم يبق أحد كافرا فكيف ستقوم القيامة؟ (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٢٨٨-٢٩٠)

الآية القرآنية: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ لا تتضمن نبوءة كما يزعم إخواننا المشايخ الذين يدّعون أنهم علماء كبار، بل تبين واقع الحال الذي كان موجودا في زمن النبي ﷺ. بمعنى أن الله تعالى يسرد ماهية أفكار اليهود والنصارى السائدة آنذاك إتماما للحجة، ويظهر عليهم حقيقة قلوبهم، ويدينهم ويفهمهم أنه إذا كان بيانه ﷺ هذا غير صحيح، فليبرزوا في الميدان وليعلنوا بوضوح أن هذا الخبر ليس صحيحا، ولم تتطرق الشكوك والشبهات إلى قلوبهم، بل يوقنون بأن المسيح قد مات مصلوبا في الحقيقة.



هنا يجب أن يكون معلوما أيضا أن الله جلّ شأنه يهدف من قوله: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ الوارد في نهاية الآية أنه يجب ألا يستنتج أحد من عدم موت المسيح على الصليب إنه ما دام المسيح لم يمت على الصليب، لذا فإنه لم يمت إلى الآن. فقال تعالى: إن هذا بيانٌ لما جرى قبل موته ميتة طبيعية، فلا تستنبطوا من ذلك عدم موته، إذ قد مات المسيح بعد ذلك ميتة طبيعية. فقد قال ﷺ في هذه الآية بأن اليهود والنصارى يؤمنون ببياننا هذا بالاتفاق على أن المسيح لم يمت حتما على الصليب، وليس لديهم إلا الشكوك والشبهات فقط بهذا الصدد. فإنهم يؤمنون بالأحداث التي سبقت موته - قبل أن يؤمنوا بموت المسيح الطبيعي الذي حدث في الحقيقة -؛ لأنه ما دام المسيح لم يمت على الصليب - الأمر الذي كان اليهود والنصارى يريدون أن يستنتجوا منه نتائج معينة لتحقيق أهدافهم - صار إيمانهم بموته الطبيعي محتوما عليهم، لأن الذي يولد سيموت حتما. فإن تفسير العبارة: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ هو: قبل إيمانه بموته.

ومن ناحية ثانية يُستنبط من الآية معنى آخر أيضا وهو أن هذه الأفكار والشكوك والشبهات لا تزال تراود قلوب اليهود والنصارى منذ وقتٍ لم يكن المسيح قد مات فيه بعد. فمن منطلق هذا المعنى يشهد القرآن الكريم ضمناً على موت المسيح. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٢٩٧-٢٩٨)

إن بعض المشايخ من قليلي الفهم يقدمون عذرا - كنقاش عقيم - ويقولون إن من علامات المسيح ابن مريم أنه سيقتل الدجال المعهود، وسيؤمن به أهل الكتاب كافة، ويقدمون تأييدا لموقفهم هذا آيةً، وهي: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾. فأقول: لو كانت هذه الآية تعني أن كافة أهل الكتاب سيؤمنون عند نزول المسيح؛ لما وسعنا القول قط بأن الدجال سيقتل وهو كافرٌ. وبالإضافة إلى ذلك فقد ورد بوضوح في حديث في صحيح مسلم أن سبعين ألفا

من أهل الكتاب سيكونون مع الدجال، ومعظمهم سيموتون على كفرهم. وسيبقى كثيرون كافرين وملحدين بعد موت المسيح أيضا، وعليهم ستقوم القيامة. ويشهد القرآن الكريم على ذلك بكل صراحة ووضوح، فيقول: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْفَعْكَ وَإِنَّا رَافِعُونَكَ إِلَى مَقْعَدِ جَدِّكَ الْعِزِّ الْمَرْحُومِ الْيَوْمَ نَبْرِئُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران: ٥٦). ويتبين من هنا أن نسل اليهود - قليلا أو كثيرا - سيكون موجودا إلى يوم القيامة. ثم يقول تعالى: ﴿فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (المائدة: ١٥). ويتبين من هذه الآية أيضا بجلاء أن وجود اليهود سيستمر إلى يوم القيامة، لأنهم لو آمنوا بعيسى ﷺ منذ البداية، لما امتدت سلسلة العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة. لذا؛ لا بد من التسليم بأن الفكرة القائلة بأن من علامات نزول المسيح أن جميع أهل الكتاب سيؤمنون به؛ تخالف نصوص القرآن والأحاديث الصريحة. (إزالة الأوهام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣، ص ٤٩٧-٤٩٨)

لو قبلنا على سبيل الافتراض أن كلمة: ﴿لِيُؤْمِنَنَّ﴾ تفيد الاستقبال فقط في الآية المذكورة فمع ذلك كيف يمكن أن تكون الآية قطعية الدلالة على حياة المسيح؟ ألا يمكن أن يُستنبط منها معنى آخر أيضا من حيث المستقبل أنه ليس من أهل الكتاب أحد لن يؤمن بالمسيح قبل موت الكتابي فهذا أيضا مستقبل خالص لأن الآية تخبر عن زمن يأتي بعد نزولها. بل الآية صريحة الدلالة على هذا المعنى وذلك لأنه جاء في قراءتها الثانية التي وردت في تفسير البيضاوي وغيره: "إلا ليؤمنن به قبل موته". أي أن أهل الكتاب سيؤمنون بالمسيح ابن مريم قبل موته. فانظر الآن أن الضمير في "قبل موته" الذي كنتَ تصرفه إلى المسيح ﷺ قد تبين من القراءة الثانية أنه يرجع إلى فئة أهل الكتاب لا إلى المسيح ﷺ. إنك تعرف أن القراءة غير المتواترة أيضا في حكم حديث الآحاد. وإن معنى الآيات الذي لا يخالف القراءة الثانية

أحق بالقبول. فقل الآن بالعدل والإنصاف كيف تُعتبر هذه الآية قطعية الدلالة مع أن قراءتها الثانية تُبطل فكرتك كلياً؟

وإضافة إلى ذلك .... إن الفعل المضارع لا يتحول إلى المستقبل دائماً بإضافة نون التوكيد الثقيلة إليه. أمثال القرآن الكريم تكفي للقرآن الكريم. صحيح أنه عندما أُضيفت نون التوكيد الثقيلة إلى أفعال المضارع في بعض الآيات في القرآن الكريم جاءت بمعنى الاستقبال، ومع ذلك هناك بعض الأماكن حيث بقي معنى زمن الحال على حاله، بل أريد منها معنى الحال أو المستقبل بل الماضي أيضاً على سبيل الاشتراك كسلسلة متصلة ممتدة. أي أن سلسلة بدأت بالحال أو الماضي وامتدت إلى نهاية المستقبل دون انقطاع. (الحق، مناظرة دلهي، الخزانة الروحانية، المجلد ٤، ص ١٦٢)

لو استنبطنا من الآية على سبيل الافتراض معنى أن كافة أهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى سيُسلمون كما رويَ عن أبي مالك، فأرجو أن تفهمني من فضلك كيف يستقيم هذا المعنى؟ لقد اعترفت من قبل أن آلاف الناس سيموتون بنفْس المسيح بعد نزوله وهم كفار. فإذا كنت الآن تعتبر هؤلاء- الذين سيموتون على الكفر- مؤمنين، أو تعني من الإيمان هنا اليقينَ فما دليلك على هذا الادعاء؟ إذ قد ورد في الحديث موتهم على الكفر فقط، من أين استنبطت أنهم سيموتون على الكفر ولكنهم سيكونون موقنين برسالة عيسى عليه السلام؟ ومن أي نص من القرآن أو الحديث علمت أن المراد من الإيمان هنا ليس الإيمان الحقيقي بل المراد هو اليقين؟ مع أن ظاهر اللفظ "الإيمان" يدل على الإيمان الحقيقي، ولا بد أن تكون عندك قرينة لصفه عن الظاهر. فإذا كانت مثل هذه الشبهات موجودة في كل كلمة من كلمات الآية فكيف صارت قطعية الدلالة؟ لو استنبطت من "اليؤمنن" إيماناً مجازياً بدون قرينة لكان من حق معارضك أن يستنبط منها معنى حقيقياً. عليك أن تفكر

ما الفائدة من هذا الإيمان أصلاً؟ وما هي خصوصية المسيح في ذلك مع أنه يحدث في زمن كل نبي أن الأشقياء ينكرونه بلسانهم وهم موقنون به بالقلب.... الآية تعني أنه سيأتي قبل موت المسيح زمان حين يؤمن به جميع أهل الكتاب الموجودين آنذاك، والذين ماتوا على الكفر قبل ذلك الزمن فقد ماتوا وهم كفار.... حرف ﴿إِنْ﴾ يفيد الحصر الكامل، بمعنى أنه إذا بقي شخص واحد خارجاً لبطل الحرف وصار غير مؤثر. (الحق، مناظرة دلهي الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ١٦٥-١٦٦)

لو كان مذهب علماء النحو في الحقيقة أن الفعل المضارع يتحوّل نتيجة نون التوكيد الثقيلة إلى معنى المستقبل الخالص ولا يحدث عكس ذلك في حال من الأحوال قط لأمكنني أن أثبت أنهم مخطئون في ذلك خطأ كبيراً. إن القرآن الكريم يُثبت خطأهم وأكابر الصحابة يشهدون على ذلك. فيا صاحبي إن جهود علماء النحو أيضاً ليست بريئة من الأخطاء مثل مساعي الناس الأخرى. في أية متاهات دخلت تاركا القرآن الكريم والأحاديث؟ وبسبب نخوسة هذه الفكرة السخيفة اضطرت إلى إساءة الظن بجميع الأكابر بأنهم ظلوا يخطئون جميعاً في تفسير آية: "ليؤمنن به". وسأثبت لك حالا بإذن الله القدير بأن الآية: "ليؤمنن به" لا يمكن أن تُعتبر قطعية الدلالة على معنى تستنبطه إلا إذا أُفتي أن هؤلاء الصلحاء جميعاً جهال على وجه القطعية، وضُمَّ إلى هذه القائمة النبي المعصوم ﷺ أيضاً، والعياذ بالله. وإلا لا تستطيع أن تستفيد من القطعية أبداً ولا بحال من الأحوال. ولن يشاركك أحد من العلماء المتقين في ادّعاء القطعية هذه، وأنتى له أن يفعل! إذ ليس له أن يشاركك ما لم يعتبر كثيراً من الصلحاء والصحابة جهالاً ويعترض على النبي ﷺ أيضاً. سبحانه هذا بهتان عظيم.

والآن أريد أن أوضح لك هل اعتبر أكابر المفسرين هذه الآية قطعية الدلالة على نزول عيسى ﷺ، أم أنهم كتبوا لها معنى آخر؟ فليوضح أنه قد ورد في الصفحة

١٩٩ من تفسير الكشف تحت تفسير عبارة: ﴿لِيُؤْمِنَ بِهِ﴾ ما يلي: "جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره: "وإن من أهل الكتاب... أحد إلا ليؤمن به قبل موته بعيسى وبأنه عبد الله ورسوله"، يعني إذا عاين قبل أن تزهد روحه حين لا ينفعه إيمانه لانقطاع وقت التكليف. وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج: آية ما قرأتها إلا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الآية... إني أوتى بالأسير من اليهود والنصارى فأضرب عنقه فلا أسمع منه ذلك، فقلت: إن اليهودي إذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه، وقالوا: يا عدو الله أذاك عيسى نبياً فكذبت به، فيقول: آمنت أنه عبد نبي، وتقول للنصراني: أذاك عيسى نبياً فزعمت أنه الله أو ابن الله، فيؤمن أنه عبد الله ورسوله.... وعن ابن عباس أنه فسره كذلك، فقال له عكرمة: فإن أتاها رجل فضرب عنقه، قال: لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه، قال عكرمة: وإن خر من فوق بيت أو احترق أو أكله سبع، قال: يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به. وتدل عليه قراءة أبي: "إلا ليؤمنن قبل موتهم" بضم النون، على معنى: وإن منهم أحد إلا سيؤمنون به قبل موتهم... وقيل الضميران لعيسى، بمعنى: وإن منهم أحد إلا ليؤمنن، بعيسى قبل موت عيسى، وهم أهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله. روي أنه ينزل... في آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به، حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام.... وقيل: الضمير في "به" يرجع إلى الله تعالى، وقيل: إلى محمد ﷺ.

وقال النووي: "ذهب كثيرون بل أكثرهم إلى أن الضمير في آية ﴿إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ يعود إلى أهل الكتاب ويؤيد هذا أيضا قراءة من قرأ "قبل موتهم".

وجاء في تفسير مدارك التنزيل تحت تفسير هذه الآية: "والمعنى ما من اليهود والنصارى أحد إلا ليؤمنن قبل موته بعيسى، وبأنه عبد الله ورسوله. وروي أن الضمير في "به" يرجع إلى الله أو إلى محمد ﷺ، والضمير الثاني إلى الكتابي".

وفي تفسير البيضاوي تحت تفسير الآية: ﴿لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ "والمعنى ما من اليهود والنصارى أحد إلا ليؤمنن بأن عيسى عبد الله ورسوله قبل أن يموت،... ويؤيد ذلك أنه قُرى "إلا ليؤمنن به قبل موتهم... وقيل: الضميران لعيسى".

وورد في الصفحة ٧٣١ و ٧٣٢ في تفسير المظهري تحت تفسير الآية: ﴿لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾: "روي عن عكرمة أن الضمير في "به" يرجع إلى محمد ﷺ، وقيل: راجعة إلى الله ﷻ، والمآل واحد. فإن الإيمان بالله لا يعتد ما لم يؤمن بجميع رسله. والإيمان بمحمد ﷺ يستلزم الإيمان بعيسى ﷺ قبل موته، أي قبل موت ذلك الأحد من أهل الكتاب عند معاينة ملائكة العذاب عند الموت حين لا ينفعه إيمانه. هذه رواية علي بن طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فقيل لابن عباس: أرايت إن خر من فوق بيت، قال يتكلم به في الهواء. فقيل: أرايت إن ضرب عنقه، قال: تلجلج لسانه. والحاصل أنه لا يموت كتابي حتى يؤمن بالله ﷻ وحده لا شريك له وأن محمدا ﷺ عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله. قيل: يؤمن الكتابي في حين من الأحيان ولو عند معاينة العذاب... وقال الضميران لعيسى. والمعنى أنه إذا نزل ﷺ آمن به أهل الملل أجمعون، ولا يبقى أحد إلا ليؤمنن به. وهذا التأويل مروى عن أبي هريرة، لكن كونه مستفادا من هذه الآية وتأويل الآية بإرجاع الضمير الثاني إلى عيسى ممنوع إنما هو زعم من أبي هريرة ليس ذلك في شيء من الأحاديث المرفوعة. وكيف يصح هذا التأويل مع أن كلمة "إن من أهل الكتاب" شامل للموجودين في زمن النبي ﷺ البتة، سواء كان هذا الحكم خاصا بهم أو لا. فإن حقيقة الكلام للحال، ولا وجه لأن يراد به فريق من أهل الكتاب يوجدون حين نزول عيسى ﷺ. فالتأويل الصحيح هو الأول، ويؤيده قراءة أبي بن كعب. أخرج ابن المنذر عن أبي هاشم وعروة، قالوا: في مصحف أبي بن كعب "وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موتهم".

وقد ورد في تفسير ابن كثير، والتفسير الكبير، وفتح البيان ومعالم التنزيل وغيرها أيضا ما يقارب ذلك. انظروا الآن، هذا ما يفسر به عكرمة، وابن عباس، وعلي بن طلحة رضي الله عنه العبارة "ليؤمنن به" أن الضمير الأول يرجع إلى محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وعيسى عليه السلام، والضمير الثاني أي: "قبل موته" يرجع إلى أهل الكتاب. ويتبين أيضا كيف تثبت قراءة "قبل موتهم" بكل ثقة. ومع أن هذا التأويل ثابت من الصحابة -ولا شك أن القراءة الشاذة في حكم الحديث الصحيح- ولكنك تعرض عنها وتحسب قواعد النحو مخالفة لها بحسب زعمك، وبذلك تهجو بكل وضوح جميع الصلحاء وأكابر الأمة والصحابة وتسيء إليهم كأن الصحابة أيضا لم يعرفوا قواعد النحو التي تعرفها. وأن صحابيا جليلا مثل ابن عباس الذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم لفهيمه القرآن الكريم أيضا لم يعرف هذا المعنى الغريب الذي تستنبطه. لقد تبين عليك مدى ثقة القراءة: "قبل موتهم" أيضا. والآن، لو قبلنا جدلا أن ابن عباس وعلي بن طلحة وعكرمة وغيرهم من الصحابة كانوا مخطئين في فهم هذا المعنى، وأن قراءة أبي بن كعب أي "قبل موتهم" أيضا لا تثبت بوجه كامل، أفلا يؤثر كل ذلك في ادّعاءك بكون الآية: "ليؤمنن به" قطعية الدلالة؟ وهل ما زال الادعاء- الذي يشهد ضده الصحابة كلهم بأعلى صوتهم، وتشهد ضده كافة التفاسير الكبيرة الموجودة في الدنيا متفقة- قطعي الدلالة؟ يا أخي اتق الله، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٧). وإذا أضفنا إلى هذه الروايات روايات أخرى ورد فيها معنى إني متوفيك: إني مميتك" مثل رواية ابن عباس ووهب ومحمد بن إسحاق حيث يعتقد بعضهم بموت المسيح بوجه عام، ومنهم من يقول بأنه مات إلى ثلاث ساعات، وهناك من يقول بموته إلى سبع ساعات، والآخر يعتقد بموته إلى ثلاثة أيام كما يتبين من تفسير فتح البيان ومعالم التنزيل والتفسير الكبير وغيرها، ففي هذه الحالة تُستأصل وبشدة أكثر الشبهة القائلة بأن أهل الكتاب أجمعين سيؤمنون بالمسيح قبل موت المسيح.

فيمكن أن يشهد نور قلبك بأن ما كتبته إلى الآن يكفي لنقض ادّعاءك كون الآية قطعية الدلالة. المراد من قطعية الدلالة ألا تكون هناك إمكانية أخرى لها قط، ولكنك تعرف أن أكابر الصحابة وجماعة التابعين لم يقبلوا معنى ذهبته إليه، وأن المفسرين ذكروا تأويلك في أماكن كثيرة بكلمة "قيل" التي تدل على ضعف الرواية. والرأي العام الملحوظ في كتب التفسير هو أنه يجب أن يُستنبط المعنى بحسب القراءة: ﴿قبل موته﴾، ولا يعيدون الضمير "به" إلى عيسى عليه السلام فقط بل إلى نبينا الأكرم ﷺ وإلى الله جلّ شأنه أيضا. فكيف يمكن أن يبقى رأيك قاطعا والحالة هذه؟ (الحق، مناظرة دلهي، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ١٨٤-١٩٠)

لقد عدّ المولوي المحترم (محمد بشير) هذه الآية قطعية الدلالة على حياة عيسى عليه السلام الجسدية وقال بأنها تعني على وجه القطعية أنه ما من أهل الكتاب إلا وسيؤمن بعيسى قبل موت عيسى. ولما لم يؤمن به إلى الآن أهل الكتاب جميعا بمن فيهم النصارى واليهود إيمانا صادقا وحقيقيا بل منهم من يؤلّله ومنهم من ينكر نبوته لذا لا بد لنا من التسليم بأن يبقى عليه السلام حيا بحسب منطوق هذه الآية إلى الزمن الذي يؤمن به فيه أهل الكتاب أجمعون. إن المولوي المحترم مصرّ بشدة على أن الآية المذكورة آنفا تدل على حياة المسيح عليه السلام المادية بصورة قاطعة وهذا هو معناها الصحيح ولا احتمال لمعنى آخر قط. ويقبل أيضا أنه مع أن بعض الصحابة والتابعين والمفسرين أيضا استنبطوا منها معاني أخرى أيضا ولكن تلك المعاني ليست صحيحة، ولكن لماذا هي ليست صحيحة؟ يقول في الجواب بأن السبب في ذلك أن كلمة "ليؤمنن" تفيد المستقبل الخالص نتيجة دخول نون التوكيد الثقيلة عليها. ولا يمكن الحفاظ على الاستقبال إلا إذا قبلنا نزوله في وقت من الأوقات في المستقبل واعتقدنا أن كافة أهل الكتاب في ذلك الزمن سيؤمنون به عليه السلام. ثم يقول إن المعنى المخالف الذي استنبطه ابن عباس وغيره من الصحابة وصرفوا الضمير في ﴿قبل موته﴾ إلى



الكتابيّ إنما يخالف قاعدته النحوية المجمع عليها. ولماذا يخالفها؟ لأن اللفظ ﴿لِيُؤْمِنَ﴾ لا يبقى خاصا بالاستقبال عند استنتاج هذا المعنى.

يبدو أن بيان المولوي المحترم كله يتلخص في أنه لما كان ابن عباس وعكرمة وأبي بن كعب وغيرهم من الصحابة لم يدرسوا علم النحو ولم يعرفوا قواعد النحو المتفق عليها التي يعرفها المولوي المحترم فقد وقعوا في خطأ كبير وصريح ولم يتذكروا قاعدة أجمع عليها النحاة كلهم أجمعون، بل نبذوا وراء ظهورهم الأسلوب القديم للغتهم الذي كان الالتزام به واجبا عليهم بطبيعتهم. فكبروا أيها المستمعون الكرام لوجه الله، هل المولوي المحترم مجاز باتهام صحابي جليل مثل ابن عباس بارتكاب خطأ نحوي؟ وإن لم يتَّهم المولوي المحترم ابن عباس بارتكاب خطأ نحوي، فهل هناك سبب آخر لرفضه معنى استنتجه ابن عباس من الآية المتنازع فيها الذي تؤيده القراءة الشاذة أيضا أي "قبل موتهم"؟ نفترض أن هذه القراءة مروية في حديث ضعيف بحسب رأي المولوي المحترم، ولكنه حديث على أية حال، ولا يثبت أنه افتراء مفتر. أفلا يؤثّر هذا الحديث شيئا في ترجيح معنى ذهب إليه ابن عباس؟ أيّ تعنّت القول بأن معنى استنتجه ابن عباس يخالف قاعدة النحو وأن قراءة "قبل موتهم" افتراء راو! لا أفهم السبب وراء اتهام ابن عباس وعكرمة بأنهما كانا يجهلان قاعدة النحو. هل يحق للشيخ أو غيره أن يلصق مثل هذه التهمة بالصلحاء الذين نشأ علم النحو في بيتهم؟ بل الواجب أن يُجعل علم النحو وقواعده تابعة لكلامهم وفهمهم، لا أن تُعتبر قواعد النحو المخترعة محكّا لكلامهم ومحاوراتهم.

إذا كان المولوي المحترم لا يريد التخلي عن تعنته بحال من الأحوال، ويعتبر ابن عباس وعكرمة يجهلان قاعدة النحو المجمع عليها ويعدّ قراءة أبي بن كعب أي "قبل موتهم" مردودة كلياً وافتراء متحققاً، فمن الواضح أن بهتانه يصبح جديراً بالتسليم بمجرد ادّعائه بل إذا كان يريد أن يجعل معناه قطعي الدلالة فعليه أن يأخذ القرار

النهائي بين هذين الأمرين، لأنه ما دامت إمكانية المعنى المخالف الذي ذهب إليه ابن عباس وعكرمة واردة، وكذلك إذا كان الحديث الذي وردت فيه هذه القراءة الشاذة يُحتمل أن يكون صحيحا وإن كان المولوي يراه ضعيفا، فأني لاستنباط المولوي المحترم أن يُعتبر قطعيا مع وجود هذه الاحتمالات كلها؟

يمكنكم أن تفكروا بأنفسكم أيها المستمعون الكرام أن المعنى القطعي هو ذلك الذي لا يوجد فيه وجه آخر قط، أو إذا وُجد كان باستطاعة مدّعي القطعية دحض المعنى المخالف بالأدلة الدامغة. ولكن المولوي المحترم لم يدحض إلى الآن معنى ذهب إليه ابن عباس وعكرمة ولم ينقض أيضا قراءة "قبل موته". لأن دحضهما كان يقتصر على أمرين اثنين فقط، أولا: أن يثبت المولوي المحترم ببيان واضح أن ابن عباس وعكرمة يجهلان كلياً قاعدة النحو المجمع عليها حسب رأيه، وقد ارتكبا خطأ كبيرا إذ أهملّا قاعدة النحو عند بيانهما. ثانيا: كان واجبا على المولوي المحترم أن يثبت افتراء صريحاً ارتكبه راوي القراءة الشاذة أي "قبل موته" وأن هذا الحديث من الموضوعات، لأن مجرد اعتبار الحديث ضعيفا لا يحول دون تأثيره الكلي. ولقد زوي عن الإمام الصالح، فخر الأئمة، الإمام أبي حنيفة قوله: "إني أترك القياس مقابل حديث ضعيف أيضا." فهل الأحاديث الواردة في الصحاح الستة التي في بعض رواها طعن أو هي مرسلة أو منقطعة الإسناد ساقطة الاعتبار تماما وغير جديرة بالثقة مطلقا؟ وهل اعتبرها المحدثون كالموضوعات؟

انتبهوا جيدا أيها المستمعون الكرام وعوا فإنني أحكم الآن بأنه لو افترضنا جدلا أن المعنى الذي ذهب إليه ابن عباس وعكرمة ومجاهد والضحاك وغيرهم - وهو يخالف معنى ذهب إليه المولوي المحترم - خاطئ، وقبلنا أن هؤلاء الصلحاء الكبار خرجوا عمدا أو سهوا عن قاعدة النحو المجمع عليها عند المولوي المحترم، فمع ذلك لا يمكن أن يكون معنى استنتجه المولوي قطعي الدلالة. لماذا؟ فيما يلي أسبابه:

(١) هناك عدة أمور لا تزال جدية بالبحث فيما ذهب إليه المولوي المحترم ولم يستطع أن يجزم فيها باليقين، ولم يستطع أن يثبت أنها قطعية الدلالة على معنى واحد. من جملتها أن عبارة: "أهل الكتاب" كثيرا ما أُطلقت في القرآن الكريم على أهل الكتاب الذين كانوا موجودين في زمن النبي ﷺ. وقد اعتُبروا هم المصداق والسبب وراء نزول كل آية تتناول ذكرهم. فأَيُّ دليل قاطع يملكه المولوي المحترم - مع وجود معنى آخر ذهب إليه ابن عباس وعكرمة - على أنهم أُخرجوا حتما عن أهل الكتاب عند ذكرهم؟ وأَيَّة حجة شرعية يقينية وقطعية الدلالة عنده على أن المراد من أهل الكتاب هم أهل الكتاب الذين سيؤمنون كلهم بعيسى ﷺ في زمن مجهول؟

ومن جملتها أن المولوي المحترم لم يقدم دليلا قاطعا على تعيين مرجع الضمير في ﴿لِيُؤْمِنَ بِهِ﴾، لأن في التفاسير الموثوق بها مثل معالم التنزيل وغيره رواية عن عكرمة وغيره من الصحابة رضي الله عنهم أن الضمير "به" يعود إلى سيدنا خاتم الأنبياء ﷺ. وهذه الرواية قوية لأن الإيمان بالمسيح ابن مريم وحده ليس مدار النجاة، ولكن الإيمان بخاتم الأنبياء يضمن النجاة بلا شك لأن الإيمان به ﷺ يستلزم الإيمان بجميع الأنبياء. إذًا، فإن الفساد في اعتبار عيسى ﷺ مرجعا لضمير "به" واضح جلي. أنت تعرف أنه إذا تاب من الشرك أحد من أهل الكتاب وآمن بعيسى فقط رسولا وعبدًا وأنكر نبوة سيدنا ومولانا محمد المصطفى ﷺ فهل سينال النجاة بناء على هذا الإيمان فقط؟ كلا. فكيف يمكن أن يعود ضمير ﴿به﴾ إلى عيسى ﷺ كما زعمت في المعنى الذي ذهبت إليه؟ لو كان هذا الضمير للتثنية لأمكننا أن نفكر أنه يشمل عيسى ﷺ أيضا ولكن الضمير للمفرد فلن يرجع إلا إلى شخص واحد فقط، ولو اعتبر مرجع الضمير شخص آخر غير نبينا الأكرم ﷺ، لفسد المعنى تماما. لذا لا مندوحة من القبول أن مرجعه سيدنا رسول الله ﷺ، وفي هذه الحالة سيُصرف الضمير في ﴿موته﴾ إلى الكتابي.

وإن قلت في هذا المقام معترضا: كيف يمكن في هذه الحالة أن تكون ﴿ليؤمن﴾ خاصة بمعنى الاستقبال؟ قلت: كما كان في حالة المعنى الذي استنبطته. الآن عليك أن تجلس منتبها وتستعين بالله الذي يشرح الصدور وينزل نور الصدق في القلوب. اسمع يا صاحبي إنك تستنبط من هذه الآية معنى أنه سيأتي قبل موت عيسى زمن يؤمن به أهل الكتاب جميعا، الموجودون آنذاك. والمعنى بناء على رواية عكرمة وبحسب قاعدة النحو التي تتمسك بها هو أنه سيأتي زمان يؤمن فيه جميع أهل الكتاب الموجودين فيه بخاتم الأنبياء ﷺ قبل موته، وبفضل هذا الإيمان يوفقون للإيمان بالمسيح ابن مريم أيضا. قل الآن واضعا خشية الله في الاعتبار هل تلاشى نهائيا ادّعاؤك بقطعية الدلالة أم بقي له أدنى أثر؟ وقل الآن واضعا يدك على قلبك ما هي علامة الاستقبال الخاصة التي توجد في أسلوب تأويلك ولا توجد في هذا التأويل؟

فكروا أنتم أيضا جيدا أيها المستمعون الكرام بالله عليكم، إن الأمر واضح جلّي فانتبهوا إليه. تعرفون أن المولوي المحترم كان منذ عدة أيام يناقش ويصر على أمر وحيد فقط وهو أن لفظ "ليؤمن" أصبح خاصا بمعنى الاستقبال بسبب "اللام" ونون التوكيد الثقيلة. وكان يزعم أن الاستقبال الخالص إنما يتحقق إذا صُرف الضمير في ﴿قبل موته﴾ إلى المسيح ابن مريم فقط وآمنا بحياته. أما الآن، فقد أثبت أيها الإخوة الكرام أنه ليس ضروريا لمعنى الاستقبال الخالص أن يُصَرَف الضمير في ﴿قبل موته﴾ إلى عيسى ﷺ بل الحق أنه لو صُرف هنا الضمير "به" و"قبل موته" إلى عيسى لفسد المعنى تماما لأن الإيمان بعيسى وحده لا يكفي للنجاة. فالمعنى الحقيقي والصادق هو أن يُعاد الضمير "به" إلى سيدنا ومولانا خاتم الأنبياء ﷺ ويعاد الضمير ﴿قبل موته﴾ إلى الكتّابي. والمعلوم أن الإيمان بالنبي ﷺ يشمل الإيمان بجميع الأنبياء الآخرين بمن فيهم عيسى ﷺ أيضا. يقول شاعر فارسي ما تعريبه:

نام احمد نام جمله انبياء است چونكه صد آمد نو دهم نزدماست

أي: إن أحمد ﷺ اسم يشمل جميع الأنبياء، لأن عدد المئة يشمل عدد تسعة وتسعين تلقائياً بحسب رأينا.

فيا أيها الإخوة الكرام فكروا بالله عليكم، هل يتطابق تماماً هذا المعنى مع ما ذهب إليه المولوي المحترم من حيث كونه خاصاً بالمستقبل الخالص أم هناك اختلاف بينهما؟ فيا أيها الإخوة أقول مرة أخرى بُغية تفهيمكم إن المولوي المحترم يستنتج من الآية ﴿لِيُؤْمِنَ بِهِ﴾ معنى أنه سيأتي زمان يؤمن فيه بعيسى كافة أهل الكتاب الموجودين آنذاك قبل موت عيسى. أما أنا فأستنبط على نخط المولوي المحترم تماماً- بناء على رواية عكرمة ؓ كما وردت في معالم التنزيل - بأنه سيأتي زمان يؤمن فيه جميع أهل الكتاب الموجودين آنذاك بنبينا الأكرم ﷺ قبل موتهم. فيا أيها الإخوة امعنوا النظر بالله عليكم وانظروا هل هناك أي فرق بين تأويلي وتأويل المولوي المحترم من حيث زمن الاستقبال الخالص أم هما سيان؟ ثم انظروا بنظر العدل والإنصاف كم من مزايا يضم في طياته معنى ذهبْتُ إليه مقارنة مع ما ذهب إليه المولوي المحترم! والاعتراض الذي يقع على تعيين مرجع ضمير "به" كما يحدده المولوي لا يقع على مرجع حدّثه أنا إذ إن القراءة الشاذة تؤيد هذا التأويل ومع كل ذلك يبقى معنى المستقبل الخالص على حاله. فطوبى لكم أيها الحشد الكريم فقد افتضحت قصة ادّعاء المولوي عن القطعية. يجب أن تفكروا بالحيادية ودون تعصب أن المولوي المحترم حصر حياة المسيح في هذه المناظرة في خمسة أدلة، ثم تخلّى عن أربعة منها، أما الخامس فقد قضى الله تعالى عليه بتأييده الحق والصدق. ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء: ٨٢).

فيا أيها الحضور الكريم، ويا عباد الله الأتقياء، تأملوا جيداً وأمعنوا النظر فيما ادّعاه المولوي محمد بشير. فقد ادّعى أن المعنى الصحيح والصادق للآية: ﴿لِيُؤْمِنَ

به ﴿ هو ذلك الذي يُعتبر فيه اللفظ ﴾ «ليؤمنن» مستقبلا خالصا، وقد كتب عدة صفحات في مقاله ليثبت أنه لو دخلت نون التوكيد الثقيلة على فعل مضارع لجعل بمعنى الاستقبال الخالص حتما. وفي هذا الولع لم يقبل معنى بيته ابن عباس وقدم عذرا أن هذا المعنى يخالف موقف النحاة المجمع عليه. فأحرث بيان المعنى الذي بيته ابن عباس مراعاة لحاظر المولوي المحترم، وقدمت بناء على رواية عكرمة معنى يطابق تماما ما ذهب إليه المولوي من حيث كونه مستقبلا خالصا، وهو نزيه من عيوب يحتوي عليها معنى يستنبطه المولوي. من الواضح تماما أن الإيمان بالمسيح يوجب الإيمان بسيدنا ومولانا خاتم الأنبياء ﷺ، وهذا الإيمان يتضمن الإيمان بجميع الأنبياء. فما الحاجة إلى أن يؤتى بالمسيح ﷺ من دار السعادة السماوية إلى دار الابتلاء هذه من أجل هذا الإيمان؟ انظر مثلا أن الذين سيؤمنون بالنبي ﷺ في الزمن الأخير، بحسب قولك، أو يؤمنون به الآن هل يقتضي إيمانهم بالضرورة أن يأتي النبي ﷺ بنفسه؟ فكونوا على يقين كذلك أن الإيمان بالمسيح لا يقتضي بالضرورة أن يأتي المسيح بنفسه إلى الدنيا ثانية، فالإيمان لا يستلزم الحجيء الثاني قط. وإن لم تتخلَّ عن التعنت الآن أيضا وأصررت على إعادة الضمير "ليؤمنن به" إلى عيسى ﷺ في كل الأحوال - مع الفساد الذي يعود ضرره عليك بحسب المعنى الذي ذهبت إليه - فإنه لا يضر موقفنا شيئا لأن المعنى بحسب بياننا مع مراعاة المستقبل الخالص هو أنه سيأتي زمن يؤمن فيه أهل الكتاب كلهم الموجودين آنذاك بالمسيح قبل موتهم. فهذا المعنى أيضا يوافق معنى ذهبت إليه من حيث كونه خاصا بالمستقبل لأنه مما لا شك فيه أنه لم يأت إلى الآن ذلك الزمن الذي آمن كافة أهل الكتاب الموجودين فيه بعيسى أو بنينا الأكرم ﷺ. فمن حيث معنى المستقبل الخالص ما زالت هذه النبوءة قائمة إلى الآن بحسب هذا المعنى. والآن، لو نقدت تأويلي هذا وطعنت فيه فسيعود الطعن على تأويلك تلقائيا ولن تستطيع التخلص منه. وقد وقَّفتُ بين هذه

المعاني بناء على ما قبلته في بياناتك السابقة. وقد أقمْتُ عليك الحجة بحسبما زعمتَ إيمان أهل الكتاب في الزمن الأخير، وقد قدّمت معنى الاستقبال مطابقاً للاستقبال الخالص نفسه. وتعلم أيضاً أن هذه الآية اعتُبرت حمالة أوجه منذ زمن الصحابة، فقد جاء في تفسير ابن كثير تحت هذه الآية ما يلي: "قال ابن جرير: اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم معنى ذلك: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ يعني قبل موت عيسى. وقال آخرون: يعني بذلك: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت الكتّابي. ذكر من كان يوجه ذلك إلى أنه إذا عاين علم الحق من الباطل. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في الآية قال: لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى، وكذا روى أبو داود الطيالسي عن شعبة عن أبي هارون الغنوي عن عكرمة عن ابن عباس، فهذه كلها أسانيد صحيحة إلى ابن عباس. وقال آخرون معنى ذلك: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بمحمد ﷺ قبل موت الكتّابي."

أي هناك اختلاف بين أهل التأويل في معنى هذه الآية، فمنهم من يعيد الضمير ﴿قبل موته﴾ إلى عيسى، ومنهم من يعيده إلى كتّابي، وهناك من يعيد ضمير "به" إلى عيسى وآخر يعيده إلى النبي ﷺ.

فأياً كان مذهب ابن جرير أو ابن كثير فقد بيّنا هذه الشهادة بكل تفصيل وجلاء أن أهل التأويل يختلفون في معنى هذه الآية. وقد أثبتُّ من قبل أن هذه الآية ليست قطعية الدلالة على الإطلاق على نزول المسيح ابن مريم وحياته، وهو المقصود. (الحق، مناظرة دلهي، الخزان الروحانية، المجلد ٤، ص ٢٠٧-٢١٤)

"ثم القرينة الثانية على خطأ أبي هريرة في آية: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ ما جاء في قراءة أبي بن كعب.. أعني: موتهم، فإنه يقرأ هكذا: "وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موتهم"، فثبت من هذه القراءة أن ضمير لفظ ﴿موته﴾ لا يرجع إلى عيسى ﷺ،

بل يرجع إلى أهل الكتاب. فإلى أي ثبوتٍ حاجةٌ بعد قراءة أُبي بن كعب لقوم طالبين؟ ثم مع ذلك قد اختلف أهل التفسير في مرجع ضمير ﴿بِهِ﴾، فقال بعضهم إن هذا الضمير الذي يوجد في آية ﴿لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ راجع إلى نبينا ﷺ، وهذا أرجح الأقوال. وقال بعضهم إنه راجع إلى الفرقان، وقال بعضهم إنه راجع إلى الله تعالى، وقيل إنه راجع إلى عيسى، وهذا قول ضعيف ما التفت إليه أحد من المحققين. فيا حسرة على أعدائنا المخالفين! إنهم يتركون القرآن وبيناته، بل قلوبهم في غمرة من هذا ويقولون لإخوانهم إننا نتبع أخبار رسول الله ﷺ، وليسوا بمتبعين، بل يتركون أقوالا ثابتة من رسول الله ﷺ، ويبدلون الخبيث بالطيب، ويكتمون الحق وكانوا عارفين". (حماسة البشرية، الخزان الروحانية، المجلد ٧، ص ٢٤١)

وقد أكد الله ﷻ في القرآن الكريم مرارا على وفاة عيسى ﷺ ليقيم حجة في الزمن المستقبل على الذين كانوا سيبتلون بغير حق بخداع أن عيسى ﷺ حيٌّ في السماء ولا يملكون أي دليل على حياة المسيح. ويتضح من الدلائل التي يذكرونها أن الغباء الشديد قد استولى عليهم، فهم يقولون مثلا إن آية ﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ تدل على حياة المسيح، أي أن جميع أهل الكتاب سيؤمنون به قبل موته. لكن من المؤسف أنهم يريدون بمعانيهم المختلفة الاختلاف في القرآن الكريم إذ يقول الله ﷻ: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، مما يعني أن البغض والعداء سيدومان في اليهود والنصارى إلى يوم القيامة. فأخبروا الآن إذا آمن جميع اليهود بالمسيح ﷺ قبل القيامة فمن سوف يُبغض ويبغادي النصارى إلى يوم القيامة؟ فحين لن يبقى اليهود وسيؤمن كلهم فأى فرصة تبقى لهم للعداء والبغضاء؟ وكذلك يقول الله: ﴿فَأَعَرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فهذه الآية أيضا المعاني نفسها ويرد عليها الاعتراض نفسه الذي ذكر آنفا. وكذلك يقول الله ﷻ: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فالضمير في "كفروا"



هنا أيضا يعود إلى اليهود، لأن عيسى ﷺ كان قد بعث إلى اليهود فقط، وهذه الآية تتضمن الوعد بأن المؤمنين بالمسيح ﷺ سيكونون فوق اليهود إلى يوم القيامة. فأخبروني الآن إذا كان جميع اليهود سيؤمنون بعيسى ﷺ بموجب تفسير معارضينا لآية: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ هذه، فكيف تصحّ هذه الآيات التي تفيد بأن العداء بين اليهود والنصارى سيستمر إلى يوم القيامة؟ وأن اليهود سيقون مغلوبين من قبل الفرق التي تعدّ المسيح ﷺ من الصادقين إلى يوم القيامة؟ وكذلك لو سلّمنا بأن المسيح ﷺ قد صعد بجسمه المادي إلى السماء فكيف تصحّ آية: ﴿فَلَمَّا تَوَقَّيْتَنِي﴾ التي تعني أن النصارى ضلّوا بعد وفاة المسيح ﷺ، وأنهم لم يضلّوا ما دام المسيح حيا. ثم كيف تفسّر آية: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾؟ أفليس من الناس من يعيش في السماء منذ ثمانية عشر قرنا بحسب زعم معارضينا؟ فإذا كان المسيح إنسانا فحياته في السماء على مدى هذه المدة الطويلة تؤدي إلى بطلان هذه الآية والعياذ بالله. أما إذا لم يكن إنسانا في نظر معارضينا بل هو إله فبهذه العقيدة لا يستقيم إسلامهم. ثم إن آية القرآن الكريم: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾، التي تعني أن الذين تعبدون من دون الله قد ماتوا كلهم ولا أحد منهم حي، تفصح بداهة بأن عيسى ﷺ قد مات. (التحفة الغلورية، الخزائن الروحانية، المجلد ١٧، ص ٣٠٩-٣١٠)

يقدم بعض الناس بمحض الجهل أو بتعنت مفرط أو بنية الخديعة آية: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ (النساء: ١٦٠) دليلا على حياة عيسى ﷺ، ويريدون أن يستنبطوا منها أن عيسى ﷺ لن يموت ما لم يؤمن به كافة أهل الكتاب. ولكن لن يستنبط هذا المعنى إلا الذي ليس لديه نصيب كافٍ من فهم القرآن الكريم أو من كان بعيدا عن طريق الأمانة، لأن هذا الاستنتاج يُطل نبوءة من نبوءات القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى: ﴿فَأَعَرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، ويقول أيضا: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾،

أَيُّ أَلْقِينَا الْعَدَاوَةَ وَالْبُغْضَاءَ بَيْنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. فَلَوْ اسْتَنْبَطْنَا مِنْ الْآيَةِ الْمَذْكُورَةِ مِنْ قَبْلِ بَأْنِ الْيَهُودِ كَافَّةً سَيُؤْمِنُونَ بِعِيسَى ﷺ قَبْلَ الْقِيَامَةِ، لَا سَتَلْزِمُ ذَلِكَ أَنَّ الْبُغْضَ بَيْنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى سَيَتَلَاشَى يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ وَلَنْ يَبْقَى لِدِينِ الْيَهُودِ أَثَرٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، بَيْنَمَا يَثْبُتُ مِنْ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ وَآيَاتٍ أُخْرَى كَثِيرَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَنَّ دِينَ الْيَهُودِ سَيَبْقَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، غَيْرَ أَنَّ الذَّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ سَتَلْزِمُ الْيَهُودَ وَسَيَعِيشُونَ فِي ظِلِّ سُلْطَاتٍ أُخْرَى. فَلَمَعْنَى الصَّحِيحِ لِلْآيَةِ الْمَذْكُورَةِ هُوَ أَنَّ كُلَّ شَخْصٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ سَيُؤْمِنُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِالنَّبِيِّ ﷺ أَوْ بِعِيسَى ﷺ. إِذَا، إِنْ الضَّمِيرُ فِي «مَوْتِهِ» يَعُودُ عَلَى الْفَرْدِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَيْسَ عَلَى عِيسَى ﷺ. لِذَلِكَ فَقَدْ جَاءَ "مَوْتُهُمْ" فِي قِرَاءَةٍ ثَانِيَةٍ لِهَذِهِ الْآيَةِ. فَلَوْ كَانَ الضَّمِيرُ رَاجِعًا عَلَى عِيسَى ﷺ، لَمَا وَرَدَ "مَوْتُهُمْ" فِي الْقِرَاءَةِ الثَّانِيَةِ.

وَانْظُرُوا كَيْفَ يُؤَيِّدُ التَّفْسِيرُ "الثَّنَائِي" <sup>١</sup> بَيَانَنَا هَذَا بِكُلِّ قُوَّةٍ وَشِدَّةٍ، وَقَدْ وَرَدَ فِيهِ أَيْضًا أَنَّ هَذَا هُوَ الْمَعْنَى عِنْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَلَكِنْ يَقُولُ صَاحِبُ هَذَا التَّفْسِيرِ إِنْ فَهَمَ أَبِي هُرَيْرَةَ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَانَ ضَعِيفًا وَنَاقِصًا، وَالْمُحَدِّثُونَ يَعْتَزُّونَ عَلَى دِرَايَتِهِ. لَقَدْ كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَدِيرًا فِي نَقْلِ الرِّوَايَةِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُعْطَ مِنَ الْفَهْمِ وَالدَّرَايَةِ إِلَّا شَيْئًا يَسِيرًا. وَأَقُولُ أَنَا أَيْضًا بِأَنَّهُ لَوْ اسْتَنْبَطَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذَلِكَ الْمَعْنَى فَهَذَا خَطْؤُهُ، كَمَا أَنَّ الْمُحَدِّثِينَ قَدْ أَثْبَتُوا فِي عِدَّةٍ أَمَاكِنَ أُخْرَى أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ تَعَثَّرَ وَأَخْطَأَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْفَهْمِ وَالدَّرَايَةِ.

وَالْمُسْلِمَ بِهِ أَيْضًا أَنَّ رَأْيَ صَحَابِيٍّ وَاحِدٍ لَيْسَ حُجَّةً شَرْعِيَّةً. بَلِ الْحُجَّةُ الشَّرْعِيَّةُ هِيَ إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا، وَقَدْ بَيَّنَّا مِنْ قَبْلِ أَنْ جَمِيعَ الصَّحَابَةِ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ كُلَّهُمْ قَدْ مَاتُوا.

<sup>١</sup> المراد من التفسير الثنائي هو "التفسير المظهري" لمحمد ثناء الله پانی پتی. (المترجم)

وليكن واضحاً أنه ما دامت القراءة الثانية للآية: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ هي "قَبْلَ مَوْتِهِمْ" - وهي بحسب مبدأ المحدثين في حكم الحديث الصحيح، أي الحديث الذي يثبت من النبي الأكرم ﷺ - ففي هذه الحالة إن قول أبي هريرة جدير بالردّ لأنه لغو ولا معنى له مقابل قول النبي ﷺ. ومن شأن الإصرار عليه أن يبلغ صاحبه إلى الكفر. ثم لا يقتصر الأمر على ذلك فحسب، بل إن قول أبي هريرة يستلزم بطلان القرآن الكريم أيضاً، لأن القرآن يقول في عدة آيات إن اليهود والنصارى سيقون إلى يوم القيامة دون أن يُستأصلوا تماماً، بينما يقول أبو هريرة إن اليهود سيُستأصلون كلياً، وهذا القول يناقض القرآن الكريم تماماً. فالذي يؤمن بالقرآن الكريم ينبغي عليه أن ينبذ قول أبي هريرة كمتاع رديء، بل لما كانت القراءة الثانية للآية في حكم الحديث الصحيح بحسب قواعد المحدثين، وأن القراءة الثانية للآية: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ موجودة وهي: " قَبْلَ مَوْتِهِمْ " ويجب اعتبارها حديثاً صحيحاً، ففي هذه الحالة يناقض قول أبي هريرة القرآن والحديث كليهما. فلا شك أنه باطلٌ ومن تبعه فإنه مفسد بطلان. (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس، الخزان الروحانية، المجلد ٢١، ص ٤٠٩ - ٤١٠)

والاعتقاد أنه سيأتي زمان يؤمن فيه الناس كلهم ببعسى ﷺ يتنافى مع القرآن الكريم أيما منافاة. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٣٦)

إن أجر الإيمان بالله في الدنيا هو أنه تعالى يهدي المؤمن مثله هداية كاملة ولا يضيعه. وإلى ذلك تشير الآية: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أي إن الذين هم أهل الكتاب حقاً ويؤمنون بالله وكتبه بصدق القلب ويعملون بذلك سيؤمنون بهذا النبي في نهاية المطاف. وهذا ما حدث بالفعل. أما الخبثاء الذين لا يستحقون أن يُدعوا أهل الكتاب لا يؤمنون. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ١٤٩)

... كل واحد من أهل الكتاب سيؤمن قبل موته بالنبي ﷺ أو بعيسى عليه السلام. وقد ورد في كتب التفسير أن أهل الكتاب يتلقون هذا الإلهام عند النزاع أو الاحتضار. وواضح أنهم يؤمنون حين يتلقون إلهاما من الله بأن ذلك الرسول صادق، ولكنهم لا يُعَدُّون أصفياء الله نتيجة هذا النوع من الإلهام. وقد جرت سنة الله أن معظم الناس يتلقون رؤيا أو إلهاما قرب موتهم، وهذا الأمر ليس خاصا بدين دون آخر وليس مشروطا بكون أحد صالحا وتقيا. (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٥٥٨)

"وأما إيمان أهل الكتاب كلهم بعيسى كما ظنوا في معنى الآية المذكورة، فأنت تعلم حقيقة إيمانهم، لا حاجة إلى التذكرة. وتعلم أنّ أفواجا من اليهود قد ماتوا ولم يؤمنوا به، فلا تُحَرِّفْ كلام الله لعقيدة هي باطلة بالبداهة. وقد قال الله تعالى: ﴿الْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾. فكيف العداوة بعد الإيمان بعيسى؟ ألم يبق في رأسكم ذرة من الفطنة؟ أليس في هذه الآية ردٌّ على من زعم أن جميع فرق اليهود يؤمنون بعيسى؟ فما لكم تخالفون النص الذي هو أظهر وأجلى؟ فأَيُّ آية بقيت في أيديكم بها تتمسكون؟" (الاستفتاء، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢، ص ٦٧٢-٦٧٣)

يقدم معارضونا هذه الآية أيضا قائلين بأن جميع أهل الكتاب سيؤمنون قبل موت المسيح. ولكنهم لا يعلمون أن ضمير "موته" لا يعود إلى شخص. لقد نوقش هذا الأمر جيدا في التفسير المظهري وأورد القراءة الثانية أي "قبل موتهم". وقد نوقش حديث أبي هريرة أيضا الذي يقدمه المعارضون في تأييده. وقد أقر أن دراية أبي هريرة ليست جيدة.

إضافة إلى ذلك فإن هذا المعنى ينافي القرآن الكريم أما منافاة لأن الله تعالى قال مخاطبا عيسى عليه السلام: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

يتبين من هذه الآية بوضوح تام أن المنكرين سيظلون موجودين إلى يوم القيامة، لأنه لولا وجود المنكرين فما معنى الغلبة إذًا؟ ثم يقول الله تعالى في آية أخرى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وقال في آية أخرى: ﴿فَأَعَزَّيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾. فباللقاء نظرة شاملة على هذه الآيات كلها يتبين بجلاء تام أن كل الفرق ستكون موجودة. وعليه فإن القول بأنهم سيؤمنون جميعا فهو غير صحيح. (الحكم، مجلد ٦، رقم ٤١، عدد ١٧/١١/١٩٠٢م، ص ٢)

الآيتان ١٦٥-١٦٦: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا \* رُسُلًا مَبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾

ثم هل لنا أن نزعم أن الله كان رحيمًا بالأمم السابقة لذا أنزل التوراة ثم بعث آلاف الرسل على التوالي لتأييدها ولإحياء القلوب مرة بعد أخرى، ولكن هذه الأمة كان مغضوبا عليها فنسي الله كل هذه الأمور بعد إنزال القرآن الكريم وترك العلماء وشأنهم إلى الأبد ليجتهدوا بعقولهم. بينما قال عن موسى ﷺ بصراحة تامة: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا \* رُسُلًا مَبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.... أي أرسل الرسل تترًا لكي يؤمنوا بالتوراة بصدق القلب نتيجة رؤيتهم حزب الأنبياء على التوالي. ثم قال: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾؛ ولكن لم يهتم الله ﷻ بالباحثين عن الإسلام، فكانه لم يكن من نصيب هذه الأمة أن تحظى برحمته وألطافه مثلما حظي بهما قوم موسى ﷺ. من المعلوم أن المعجزات والكرامات القديمة تصبح قصصا بعد مرور الزمن، وفي نهاية المطاف تتخالج الأجيال القادمة شكوك وشبهات عن المعجزات السابقة أيضا حين يرون أنفسهم محرومين من كل ما هو خارق للعادة. فلما كان مثل آلاف الأنبياء من بني إسرائيل ماثلا أمام الأعين فإن

ذلك سيؤدي لا محالة إلى اليأس في الأمة أكثر من ذي قبل، وسينظرون إلى بني إسرائيل بغبطة وإجلال بعد أن يجدوا أنفسهم تعساء الحظ، أو تخالجهم أفكار سيئة فيعدُّون قصصهم أيضا حكايات خيالية بحتة.

أما القول بأنه قد بُعث من قبل آلاف الأنبياء وظهرت المعجزات أيضا بكثرة لذا لم تكن هذه الأمة بحاجة إلى الخوارق والكرامات والبركات فحرمها الله من هذه الأشياء كلها؛ فليس إلا مجرد كلام لا يتفوه بمثله إلا الذين ليس لديهم أدنى اهتمام بالإيمان، وإلا فالإنسان ضعيف وبحاجة إلى تقوية إيمانه دائما. ولا تنفع أدلة مختلفة في هذا المجال ما لم يُعلم مجدِّداً أن الله موجود فعلا، غير أن الإيمان الزائف الذي لا يسعه أن يمنع من السيئات يبقى قائما من حيث العقل والنقل.

وهنا يجب أن يكون معلوما أيضا أن تكميل الدين لا يستلزم التخلي كلياً عن المحافظة عليه بما هو أنسب. فمثلا لو بنى أحد بيتا وجَهَّز غرفه كلها بكل دقة وعناية تامة وعلى أحسن وجه وزوده بكل ما يخصه، ثم إذا هبَّت العواصف والرياح العاتية بعد مدة من الزمن وهطلت الأمطار بغزارة، وتراكم الغبار على زخرفة البيت وزينته واختفى حسنه وجماله، وأراد أحد من ورثة البيت أن ينظفه ويطلبه بطلاء أبيض، لكان منعه من ذلك بحجة أن البيت مكتمل حمقا محضا. من المؤسف حقا أن مثيري مثل هذا الاعتراض لا يفكرون أن تكميل البناية شيء وتنظيف البناية المكتملة بين حين وآخر شيء آخر. ويجدر بالذكر أيضا أن المجددين لا ينقصون من الدين شيئا ولا يزيدون بل يقيمون الدين المفقود في القلوب من جديد. أما القول بأن الإيمان بالمجددين ليس ضروريا فهو انحراف عن أمر الله تعالى لأن الله جلَّ شأنه يقول: ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي من كفر بالخلفاء بعد أن يُرسلوا فهو من الفاسقين. (شهادة القرآن، الخزائن الروحانية، المجلد ٦، ص ٣٤٣-٣٤٤)

الآية ١٦٩-١٧٠: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيُهْدِيَهُمْ طَرِيقًا \* إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾

أي أن الكافرين والمشركين الذين يموتون على الكفر والشرك لن يغفر الله لهم ذنوبهم، ولن يُرِيهم طريقاً إلى معرفته. بل سيربهم طريق جهنم خالدين فيها: (البراهين الأحمدية، الأجزاء الأربعة، الخزان الروحانية، المجلد ١، ص ٢٦٤، الحاشية رقم ١١)

الآية ١٧١: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

... أي عليكم أن تؤمنوا بهذا الرسول الذي جاءكم بالحق فهو خير لكم، وإن تكفروا فما يعاب بكم الله... (حقيقة الوحي، الخزان الروحانية، المجلد ٢٢ ص ١٣١-١٣٢)

الآية ١٧٢: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ رُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾

لقد أطلق الله تعالى على الروح هنا «الكلم» وفي ذلك إشارة إلى أن الأرواح كلها كلمات الله في الحقيقة، ولكنها تحولت إلى الأرواح كسِرٍّ لا يُدرَك، ولا يمكن للعقل أن يسر غوره.

وإلى هذا الأمر يشير مضمون الآية: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾. ولما كان ذلك سرّ الربوبية، فليس لأحد أن ينسب ببنت شفة أكثر من أن كلمات الله هي التي

تلبس حلّة الروح بأمر الله وإذنه ﷻ، وتنشأ فيها كافة القوى والقدرات والخواص التي توجد في الأرواح. والأرواح الطيبة تتخلى عن جميع قواها في حالة فنائها في الله، وتغنى في طاعته، فكأنها تخرج من حالة الروح، وتتحول إلى كلمة الله نهائيةً، كما كانت كلمة الله بدايةً.

إذن، فإن تسمية هذه الأرواح الطيبة بكلمة الله، إشارة إلى كمالها البالغ ذروته، فإنها تُعطى لباس النور، وبقوة الأعمال الصالحة تُرفع إلى الله تعالى. (إزالة الأوهام، الخزان الروحانية، المجلد ٣، ص ٣٣٣-٣٣٤)

"وإن كنتم تظنون أن القرآن صدق قولكم وأعان، وقال في شأن عيسى: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ وقيل أنه خرج من لدنه، فما هذا إلا جهل صريح ووهم قبيح وخطأ مبين. ثم إن فرض أن قوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ يزيد شأن ابن مريم، ويجعله ابن الله وأعلى وأكرم، فيجب أن يكون مقام آدم أرفع منه وأعظم، ويكون آدم أول أبناء رب العالمين؛ فإن في شأن آدم بيان أكبر من شأن عيسى، فتفكّر في آية: ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾، وتدبّر كأولي النهى، وفكّر في لفظ: ﴿خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ ولفظ: ﴿سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ وألفاظ أخرى، ليظهر عليك جلاله آدم وشأنه الأعلى. فإن منطوق الآية يدل على أن روح الله نزل في آدم بنزول أجلى، حتى جعله مسجود الملائكة ومظهر تجليات وأقرب إلى الله الأغنى، وأعلم وأفضل من الملائكة أجمعين، وخليفة الله على الأرضين. وأما الآية التي نزلت في شأن عيسى فما تجعله أرفع وأعلى ولا أصفى وأزكى، بل يثبت منه أن عيسى روح من الله وعبده العاجز كالأشياء أخرى ومن المخلوقين. ما سجده إبليس، بل أمره أن يسجد له، ومع ذلك جرّبه ذلك الخبيث، وسجد لآدم الملائكة كلهم أجمعين. وإن آدم أنبا الملائكة بأسماء سائر الأشياء، فثبت أنه أعلم وسرّه محيط على الأرض والسماء، ولكن عيسى أقرّ بأنه لا يعلم الساعة، وأشار إلى أن الملائكة قد فاقوه علماً وأكملوا الخوف والطاعة، فتفكروا



في هذا ولا تمشوا كقوم عمين. ثم إذا دَقَّقَتِ النظرَ وأمَعتِ فيما حضر، فيظهر عليك أن قوله تعالى: ﴿رُوحٌ مِنْهُ﴾ يشابه قوله تعالى: ﴿جَمِيعًا مِنْهُ﴾، فمن الغباوة أن تُثَبِّتَ من لفظ ﴿رُوحٌ مِنْهُ﴾ ألوهيةَ عيسى، ولا تُقَرَّرَ من لفظ ﴿جَمِيعًا مِنْهُ﴾ بالوهية أرواح الكلاب والقردة والخنازير وأشياء أخرى، فإن منطوق الآية يشهد على أنها جميعا منه، فمُتَّ من الندامة إن كنت من المستحيين. وتفكروا يا معشر النصارى.. أليس فيكم رجل من المتفكرين؟ وليس لك أن ترفع في جوابنا الصوتَ وأن تلاقي من فكرك الموتَ، فإن مثل الكاذب كحُذْرُوفٍ مُدْخَرٍ ولا قرار له عند الصادقين".

(نور الحق، الجزء الأول، الخزان الروحانية، المجلد ٨، ص ١٣٥-١٣٧)

لقد أخطأ الناس في فهم تسمية المسيح بكلمة الله خطأً كبيراً إذ ظنوها خصوصية للمسيح، مع أن الأمر ليس كذلك أبداً، بل كل إنسان عندما يخرج من ظلمات النفس ونجاساتها وخبائثها يصبح كلمة الله.

اعلموا أن الإنسان كلمة الله، لأنَّ فيه الروح التي قد قال القرآن الكريم إنها ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ (الإسراء: ٨٦)، ولكن الإنسان لا يقدر الروح حقَّ قدرها حمقاً وجهلاً منه، ويقيدها بأنواع السلاسل والأطواق، ويُعَمِّي نورها، ويكدر صفاءها، ويسودده ويجعله ضبابياً بارتكاب صنوف السيئات والظلمات من حيث لا يدري، ولكنه عندما يرجع إلى الله بالتوبة ويخلع رداء عيشته الوسخة المظلمة يبدأ قلبه بالاستنارة، ويشرع بالرجوع إلى المبدأ الحقيقي، حتى يصل إلى درجة التقوى النهائية، وتزول الأوساخ والأدران تماماً، فلا يبقى من الإنسان إلا كلمة الله فقط. هذه نكتة دقيقة للعلم والمعرفة لا يقدر كل واحد على أن يبلغ كُنْهَها وحقيقتها. (الحكم، مجلده، رقم ١٠، عدد ١٧/٣/١٩٠١م، ص ١)

ليس المراد من ذكر معصومية عيسى وصلاحه الذي ورد في القرآن الكريم والأحاديث أنه ليس هناك صالح أو معصوم سواه، بل استخدم القرآن والحديث

هذه الكلمات من أجل الضرورة لإفحام اليهود، لأنهم كانوا يُعدّون مريم زانية والعياذ بالله، وكانوا يعدّون عيسى ولد الزنا، لذا ذُبح القرآن الكريم حتى يتردعوا عن هذا القول. (الحكم، مجلد ٦، رقم ١٥، عدد ٢٤/٤/١٩٠٢م، ص ٨)

المسيحيون يُطلقون "روح الله" على المسيح، ويعتزّون بأنها ميزة فريدة للمسيح وحده، ولكنه خطأ بيّن منهم، إذ لا يدرون لماذا أُطلق تعبير "روح الله" على المسيح؟ الحقيقة أن القرآن الكريم أحسن إلى المسيح ابن مريم إحساناً عظيماً بوجه خاص إذ برّأ ساحتته. إن بعض اليهود ذوي الفطرة السيئة يطعنون بالمسيح ﷺ في ولادته ويتهمونه تهماً قدرة وخطيرة جداً. وإضافة إلى ذلك يشارك الشيطان في ولادة بعض الأولاد، لذا قال الله تعالى في القرآن الكريم إنه ﴿رُوحٌ مِنْهُ﴾ لتنزيه المسيح ومريم عليهما السلام من الاعتراضات، وخاصة لإنقاذه من تهمة ولادة شيطانية، إن إثبات ألوهيته من ذلك حمق بحت لأنه قد ورد عن آدم أيضاً قوله تعالى: ﴿نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾. أي قد برّأ الله سachtته ﷺ فقط. والذين ليسوا مطلعين على هذه الحقيقة أنى لهم أن يناقشوا المسيحيين؟ (الحكم، مجلد ٦، رقم ٣٩، عدد ٣١/١٠/١٩٠٢م، ص ٧)

لماذا سُمّي الله ﷻ عيسى ﷺ كلمة الله بصفة خاصة؟ لأن الناس كانوا يلصقون به تهماً شنيعة بسبب ولادته، فقال الله لتبرئة سachtته من التهم: "إنه كلمة الله" وأمه أيضاً صديقة. أي طاهرة وعفيفة، وإلا كل إنسان كلمة الله. فما هي ميزة المسيح بوجه خاص وقد قال الله ﷻ إن الله كلمات لا حصر لها. لدفع هذه التهم فقط قال الله بحقه: إنه كان معصوماً من مسّ الشيطان، وإلا فهل مس الشيطان بيده أنبياء آخرون؟! أي هل كان قد استولى عليهم والعياذ بالله؟ يقول الله ﷻ إن الشيطان لا يستولي على إنسان عادي فأنى له أن يفرض سيطرته على الأنبياء؟ السبب الحقيقي في ذلك هو أن تهماً شنيعة قد ألصقت بالمسيح ﷺ لذلك أعلن الله ﷻ

براءته. وقال مثل ذلك بحق سليمان عليه السلام: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾، فإن قال قائل: هل يكفر الأنبياء أيضاً؟ قلت: كلا إنما قيل ذلك لأن الناس اعترضوا عليه أنه عبد الوثن من أجل امرأة، فقال الله تعالى ذلك على هذا الاعتراض. وهذا هو حال عيسى عليه السلام. (الحكم، مجلد ٧، رقم ٩، عدد ١٠/٣/١٩٠٣م، ص ١١-١٢)

لقد سمي عيسى عليه السلام بكلمة الله لأن اليهود كانوا يقولون أن ولادته غير شرعية، وإلا أفلم يكن الأنبياء الآخرون كلمات الله، ومثل ذلك سُميت السيدة مريم بالصديقة. وهذا لا يعني أن النساء الأخريات لم يكن صديقات، وهي الأخرى سميت بهذا الاسم لأن اليهود كانوا يتهمونها فبرأها الله من هذه التهمة. (بدر مجلد ٢، رقم ٨، عدد ١٣/٣/١٩٠٣م، ص ١)

إن القصد الإلهي من بيان ﴿رُوحٌ مِنْهُ﴾ بحق المسيح دحض جميع الاعتراضات على ولادته. اعلّموا أن الولادة نوعان؛ إحداها تتجلى فيها روح الله والثانية يكون فيها نصيب للشيطان كما ورد في القرآن الكريم: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ فالخطاب فيه موجّه إلى الشيطان. باختصار قد دحض الله تعالى في قوله ﴿رُوحٌ مِنْهُ﴾ اعتراض اليهود؛ حيث كانوا يصفون ولادة المسيح بأنها غير شرعية والعياذ بالله، فبين بقوله: ﴿رُوحٌ مِنْهُ﴾ أن ولادته طاهرة.

كان اليهود متجاسرين ومتجرئين لدرجة أن كانوا يقولون في وجهه أن ولادته غير شرعية. وقد ورد في الحديث الشريف أنه معصوم من مسّ الشيطان. ففيه أيضاً تصديق ذلك وإلا فإن جميع الأنبياء والصلحاء هم معصومون من مسّ الشيطان وهي ليست ميزة خاصة بالمسيح. إنما صُرح باسمه لأنه أتهم، أما الأنبياء الآخرون فلما لم يُتَّهموا فلم تطرأ حاجة لهذا التصريح في حقهم. فلو استُخدمت مثل هذه الكلمات بحق النبي ﷺ أو الأنبياء الآخرين لعدّت إساءة لأنه إذا قيل بحق من صلاحه وبرّه مقبول ومسلّم به أنه ليس زائناً فهي إساءة إليه في الحقيقة.

أما النبي ﷺ فكان أهل مكة أنفُسُهم قد سلّموا بأنه معصوم من مسّ الشيطان ولذلك سمّوه بالأمين وتحذّاهم النبي ﷺ أيضاً بالقول: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ فأَيُّ حاجة كانت إلى استخدام مثل هذه الكلمات بحقه أيضاً، فهذه الكلمات لا تزيد كرامة المسيح وإنما تبرئ ساحته، وتدل على العيب الذي اتّهم به.

اعلموا أن ﴿كَلِمَةً﴾ و﴿رُوح﴾ كلمتان عامتان، ولا تخصّان المسيح أيما خصوصية. فقد قال تعالى ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ فكلمات الله ﷻ لا حصر لها، كما قد ورد قوله ﷻ في حق الصحابة ﴿أَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ فأَيُّ ميزة للمسيح؟ وكذلك فإن كلمة ﴿صِدِّيقَةً﴾ الواردة بحق أمّ المسيح ﷺ هي الأخرى ذبّاً لاعتراض فقط. إذ كان اليهود يصفونها بالفاسقة والفاجرة، والعياذ بالله. فدحض القرآن الكريم اعتراضاتهم بوصفه إياها بالصدّيقة، ولا تثبت منها أي ميزة أو مفخرة ولا هي تفيد المسيحيين أيما فائدة بل يجدر بهم أن لا يذكروا هذه الأمور أصلاً. (الحكم مجلد ٧، رقم ١٦، عدد ٣٠/٤/١٩٠٣م، ص ٨)

نحن أيضاً نعتقد أن ولادة عيسى ﷺ كانت بريئة من مسّ الشيطان، ونعدّ روحه أيضاً ﴿رُوحٌ مِنْهُ﴾ مثل أرواح بقية الأنبياء، ونؤمن بـ ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ (الأعراف: ١٥٩)، ولكن هذا لا يثبت أفضليته على الأنبياء الآخرين. قل لي أنت، أليس كل شخص هو ﴿رُوحٌ مِنْهُ﴾ أم هو من غيره؟ الأرواح كلها من خلق الله وتكون منه دون غيره. صحيح أن في ذلك إشارة دقيقة أيضاً إلى أنه لا يمكننا تسمية أرواح الفاسقين والفاجرين "روح منه" بسبب فسقهم وفجورهم ونجاسة شركهم، بل هم "روح الشيطان" كما قال الله تعالى: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ (الإسراء: ٦٥)، فنعتقد أن البعض يكونون روح الشيطان والبعض ﴿رُوحٌ مِنْهُ﴾. يكون بعض الناس فاسدين إلى درجة أنهم سيئو الطبع وذوو تصرفات شيطانية ولا يتوقع منهم أن يرجعوا إلى الله بأي حال، فلا تُطلق عليهم كلمة ﴿رُوحٌ مِنْهُ﴾ بل هم روح

الشيطان. أما إطلاق تعبير ﴿رُوحٌ مِنْهُ﴾ على عيسى عليه السلام فهو لذبّ التهمة ودفعها عنه، وقد رُفعت عنه التهمة التي أُلصقت به، وإلا فالصالحون والصادقون كلهم يكونون ﴿رُوحٌ مِنْهُ﴾.... إذا كانت الولادة بغير أب دليل على الألوهية أو بنوة الله، فإن آدم عليه السلام أحقّ بهما لأنه ليس له أبٌ ولا أمٌّ. (الحكم مجلد ١١، رقم ٣٩، عدد ٣١/١٠/١٩٠٧م، ص ٦)

﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ... وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ أي هو "الغني" و"الصمد" وليس بحاجة إلى أحد، إذ له ما في السماوات والأرض. هل تفترون على الله بما ليس لكم به أدنى علم. أتى له عليه السلام أن يكون محتاجا إلى الأبناء؟ هو كامل وقادر وحده على أداء مهام الألوهية ولا حاجة له لأيّ تخطيط. (البراهين الأحمديّة، الأجزاء الأربعة، الخزانة الروحانية، المجلد ١، ص ٥٢٠، الحاشية في الحاشية رقم ٣)

الآية ١٧٥: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾

أيها الناس؛ إن القرآن الكريم برهان وجدتموه من الله وهو نور مبين أنزل إليكم. (كرامات الصادقين، الخزانة الروحانية، المجلد ٧، ص ٥٦)





# فهرس المواضيع

| الصفحة | الموضوع                                                                                           |
|--------|---------------------------------------------------------------------------------------------------|
| ١      | معنى القيوم في ﴿الحي القيوم﴾                                                                      |
| ٢      | للنبوءات جزاءان: المتشابهات والبيّنات والمحكمات                                                   |
| ٩      | الألف واللام على الميعاد في ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾ يفيد العهد الذهني                           |
| ٩      | سنة الله في الوعد والوعيد                                                                         |
| ١٣     | في ﴿المستغفرين بالأسحار﴾ أمر بالاستغفار بغير ارتكاب الذنوب أيضا                                   |
| ١٣     | معنى الإسلام اللغوي والاصطلاحي                                                                    |
| ١٤     | سببان لفضل تعليم الإسلام على التعاليم الأخرى                                                      |
| ١٥     | وسائل الحصول على حقيقة الإسلام                                                                    |
| ١٦     | ثمرات الثبوت على الإسلام                                                                          |
| ٢٠     | الدليل في ﴿فإنما عليك البلاغ﴾ أن حروب النبي ﷺ كانت بصفته مليكا لا بصفته رسولا                     |
| ٢٠     | سبب جرأة اليهود على ارتكاب الجرائم                                                                |
| ٢٢     | ضرورة طاعة النبي ﷺ واتباعه وأهميتها وبركاتها                                                      |
| ٢٣     | الرد على أن المسيح عليه السلام قال: "أنا النور وأنا الطريق"، هل نسب النبي ﷺ كلمات مثلها إلى نفسه؟ |
| ٢٤     | ذكر شفاعة النبي ﷺ في ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني﴾                                             |
| ٢٨     | سبيلان للتقدم: السلوك، والجذب                                                                     |

|    |                                                                                                          |
|----|----------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| ٣٨ | شرح المقولة: لم تسلم ولادة أحد في العالم من مس الشيطان إلا ولادة المسيح <small>عليه السلام</small> وأمه. |
| ٤٣ | دحض عقيدة حياة المسيح من آية: ﴿وجيها في الدنيا والآخرة﴾                                                  |
| ٤٩ | معنى "الكهل" في ﴿ويكلم الناس في المهد وكهلا﴾                                                             |
| ٤٩ | شرح كلام المسيح <small>عليه السلام</small> في المهد والكهولة                                             |
| ٥٠ | آية لليهود في ولادة المسيح <small>عليه السلام</small> بغير أب                                            |
| ٥٤ | حقيقة معجزة المسيح <small>عليه السلام</small> لخلق الطيور                                                |
| ٥٨ | حقيقة معجزة شفاء المسيح للأكمه والأبرص                                                                   |
| ٦٣ | لم يقل الله تعالى "فيصير حيا بإذن الله" في قصة خلق المسيح الطيور بل قال: ﴿فيكون طيرا بإذن الله﴾          |
| ٦٧ | الأكمه يمكن أن يُشفى بأكل كبد المعز                                                                      |
| ٦٧ | خمسة أساليب للعلاج، أسلوب علاج قام به المسيح <small>عليه السلام</small>                                  |
| ٦٨ | حقيقة معجزة عيسى <small>عليه السلام</small> لإحياء الموتى                                                |
| ٧٤ | قول الأنبياء ﴿من أنصاري إلى الله﴾ لتعليم الناس رعاية الأسباب                                             |
| ٧٥ | سُمي الله ﴿خير الماكرين﴾ عند طلب ليكهرام آية                                                             |
| ٧٧ | معنى المكر اللغوي في ﴿خير الماكرين﴾                                                                      |
| ٨٠ | في ﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك...﴾ وصف الله نفسه فاعلا وبين أربعة من أفعاله واحدا بعد الآخر          |
| ٨١ | دحض اعتراض التقديم والتأخير في ﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك...﴾                                       |
| ٨٢ | ﴿إني متوفيك﴾ تعني "إني مميتك"                                                                            |



|     |                                                                                                                                                         |
|-----|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| ٨٣  | لو رُفِعَ عيسى <small>عليه السلام</small> إلى السماء بعد الممات مع الجسد لكانت عبارة الآية:<br>يا عيسى إني متوفيك ثم محييكَ ثم رافعك مع جسدك إلى السماء |
| ٨٥  | وردت كلمة "التوفي" في القرآن ٢٣ مرة ماعدا الآية قيد البحث وكل مرة<br>وردت بمعنى الموت وقبض الروح                                                        |
| ٨٨  | لماذا استُخدمت كلمة التوفي ولم تُستخدم الإمامة في محل الموت؟                                                                                            |
| ٩٠  | دحض استنباط معنى ﴿إني متوفيك﴾، "إني منيمك"                                                                                                              |
| ٩٢  | ورد في جميع التفاسير المبسوطة إني ميمتك حتف أنفك تحت تفسير ﴿إني<br>مُتَوَفِّيك﴾                                                                         |
| ٩٢  | معنى الرفع في ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾                                                                                                                       |
| ٩٨  | إذا معنى التوفي الرائج في القرآن هو قبض الروح بوجه عام فلماذا أورد<br>المفسرون أقوالا تخالف هذا المعنى؟                                                 |
| ٩٨  | بحوث المسيح الموعود <small>عليه السلام</small> في كلمة "التوفي"                                                                                         |
| ١٠١ | تحدي المسيح الموعود <small>عليه السلام</small> في كلمة "التوفي"                                                                                         |
| ١٠٦ | ليكن معلوما أن الآية تقول: ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ ولا تقول رافعك إلى السماء                                                                                |
| ١١٦ | لما كان الملحوظ في معنى التوفي مفهوم الإمامة مع الإبقاء، لذا لا يُستعمل<br>هذا اللفظ لغير الإنسان                                                       |
| ١١٩ | تحكم الآية ﴿يا عيسى إني مُتَوَفِّيك وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ في الخلاف الدائر بين<br>اليهود والنصارى لأن اليهود زعموا أن المسيح كان ملعونا ولم يُرفع        |
| ١٢٠ | معنى الرفع عند الشيخ محيي الدين بن عربي                                                                                                                 |
| ١٣٣ | يرى أئمة اللغة أن معنى التوفي هو الإمامة                                                                                                                |
| ١٤٥ | الأئمة المعترفون بوفاة المسيح                                                                                                                           |
| ١٥٥ | دحض دليل يقَدِّم من آية ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم﴾                                                                                                 |

|     |                                                                             |
|-----|-----------------------------------------------------------------------------|
| ١٥٥ | إن ولادة المسيح بغير أب من الأمور النادرة ولكنها لا تنافي نواميس الطبيعة    |
| ١٦١ | معنى المباهلة من منطلق اللغة ومصطلح الشرعية                                 |
| ١٦١ | ميعاد المباهلة سنة واحدة بحسب سنة الصلحاء القديمة                           |
| ١٦٢ | طريق المباهلة المسنون                                                       |
| ١٦٣ | في آية: ﴿تعالوا إلى كلمة﴾ حجة على أهل الكتاب                                |
| ١٦٩ | معنى التوبة                                                                 |
| ١٦٩ | ثلاثة شروط للتوبة                                                           |
| ١٧٢ | المراد من إخراج الكبد في علم تعبير الرؤيا هو المال                          |
| ١٧٥ | في كون بيت الله ﴿هدى للعالمين﴾ إشارة إلى كون العربية أم الألسنة             |
| ١٧٥ | موانع الحج                                                                  |
| ١٧٦ | فلسفة الحج                                                                  |
| ١٧٩ | دحض اعتراض أن المسيح الموعود ﷺ لم يقيم بالحج مع الاستطاعة                   |
| ١٨١ | المراد من الحبل في ﴿واعتصموا بحبل الله﴾ هو القرآن الكريم                    |
| ١٨٢ | نبوءة في التوراة عن النبي ﷺ لم يتنبه إليها أحد                              |
| ١٨٣ | التهمة القائلة إنه لا تثبت إلهامات الصحابة ﷺ باطلة                          |
| ١٨٥ | في آية ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ دليل على كون المسيح الموعود ﷺ من الأمة    |
| ١٩٢ | ماذا يأمرنا القرآن إذا أساء القسوس وغيرهم إلى ديننا ونبينا ﷺ والقرآن الكريم |
| ١٩٣ | المراد من الذلة في ﴿ضربت عليهم الذلة﴾                                       |
| ١٩٤ | المبادئ والتعليمات عن القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر               |
| ١٩٤ | منع المؤمنون من حب الكفار، بل المؤمن يشفق على الكافر                        |

|       |                                                                                                                              |
|-------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| ١٩٥   | في ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة﴾ إشارة إلى ذلة المسلمين في الأزمنة القادمة                                               |
| ١٩٩   | الخلق الأول من حيث إيصال الخير هو العفو                                                                                      |
| ٢٠٥ - | الدليل الاستقرائي على وفاة المسيح في آية ﴿وما محمد إلا رسول، قد                                                              |
| ٢٠٧   | خلت من قبله الرسل﴾                                                                                                           |
| ٢٠٧   | الألف واللام في ﴿من قبله الرسل﴾ يفيد الاستغراق ويشمل جميع الأنبياء السابقين                                                  |
| ٢٠٨   | استدل أبو بكر <small>رضي الله عنه</small> على وفاة النبي <small>ﷺ</small> من الآية: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ |
| ٢١٠   | معنى "خلا"                                                                                                                   |
| ٢١٠   | إجماع الصحابة على وفاة المسيح <small>ﷺ</small>                                                                               |
| ٢١١   | قد حصر الله تعالى كلمة "خلت" في الموت والقتل                                                                                 |
| ٢٢٠   | دحض اعتراض أن الإجماع على وفاة جميع الأنبياء كذب، علما أن عدد الصحابة يربو على مئة ألف وتقديم موقف الجميع صعب.               |
| ٢٤٢   | الموت الروحاني في ﴿ما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله﴾                                                                        |
| ٢٤٣   | دحض اعتراض أن الجبر يثبت من ﴿يقولون هل لنا من الأمر من شيء﴾                                                                  |
| ٢٤٤   | معنى التوكل                                                                                                                  |
| ٢٤٦   | دحض أقوال النصارى أن الأنبياء يمكن أن يُذنبوا مثل بقية الناس                                                                 |
| ٢٤٨   | ذكر التركيبة الحاصلة بالقرآن مقرونة بصفات النبي <small>ﷺ</small> في ﴿يتلوا عليهم آياته ويزكيهم﴾                              |
| ٢٥٣   | نبوءة القرآن عن الزمن الأخير أنكم ستسمعون من أهل الكتاب والمشركين أذى كثيرا                                                  |
| ٢٥٥   | دليل للعاقل الفهيم على وجود الله في نظام العالم                                                                              |

|     |                                                                             |
|-----|-----------------------------------------------------------------------------|
| ٢٥٨ | معنى "رباط"                                                                 |
| ٢٦٠ | فلسفة الحروب الدنيوية والروحانية في "رباط"                                  |
| ٢٦٥ | الإسلام قلل من التعدد                                                       |
| ٢٦٥ | التعدد في العرب                                                             |
| ٢٦٦ | تعدد الزواج في أنبياء بني إسرائيل                                           |
| ٢٦٨ | التعدد في الهندوس                                                           |
| ٢٧٠ | دحض اعتراض أن الظلم في التعدد هو عدم إقامة العدل                            |
| ٢٨٠ | لم يؤمر بالزواج من أربع نساء بل هو سماح بذلك                                |
| ٢٨٧ | لقد أجاز التعدد عند الضرورة                                                 |
| ٢٨٨ | في ﴿ما ملكت أيمانكم﴾ أمر بالانتقام من الكفار                                |
| ٢٩١ | مسائل الوراثة                                                               |
| ٢٩٣ | الرد على سؤال: لماذا حُرّم الحفيد اليتيم من الإرث في حال وجود أبناء المتوفى |
| ٢٩٥ | عاملوا زوجاتكم بالحسنى وأحسنوا عشرتهن                                       |
| ٣٠٠ | المراد من الإحصان هو العفاف الذي يخص الشهوة الجنسية بين الذكر والأنثى       |
| ٣٠١ | ثلاثة منافع للزواج                                                          |
| ٣٠١ | نكتة معرفية في "محصنين" في آية ﴿محصنين غير مسافحين﴾                         |
| ٣٠٣ | ماذا يجب أن يكون مقدار الصداق                                               |
| ٣٠٥ | تفسير ﴿الرجال قوامون على النساء﴾                                            |
| ٣١١ | لم يكن تحريف اليهود لفظيا دائما بل كان معنويا أيضا                          |
| ٣١٣ | ثلاثة أعمال عظيمة لموسى ﷺ ومقارنته مع عيسى ﷺ                                |
| ٣١٤ | المراد من الأمانة في ﴿أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾                          |

|     |                                                                                                        |
|-----|--------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| ٣١٥ | المراد من أولى الأمر في ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾                                  |
| ٣٢٠ | حقيقة النبوة                                                                                           |
| ٣٢٢ | حقيقة الصديق                                                                                           |
| ٣٢٥ | حقيقة الشهيد                                                                                           |
| ٣٢٧ | حقيقة الصالح                                                                                           |
| ٣٣٣ | مسائل قصر الصلاة                                                                                       |
| ٣٣٤ | الصلوات الخمس صورة الأحوال الروحانية                                                                   |
| ٣٣٧ | أحب الصلاة في مواقيتها كثيرا                                                                           |
| ٣٣٨ | سبب وراء ركعات الصلوات                                                                                 |
| ٣٤٨ | الصلح خير                                                                                              |
| ٣٤٩ | اعتراض النصارى أن النبي ﷺ سمح بالكذب في ثلاث مناسبات                                                   |
| ٣٥٤ | لا يثبت قط من ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾ أن المسيح لم يمت                                      |
| ٣٦١ | الرد على دليل أن الرفع يعني الرفع بالجسد، لأن مرجع الضمير في ﴿وما قتلوه وما صلبوه﴾ هو الروح مع الجسد   |
| ٣٦٥ | يستدل العلماء من نفى القتل ونفى الصلب، ومن الرفع أن المسيح صعد إلى السماء بجسده المادي                 |
| ٣٦٨ | سبب نزول الآية: ﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله﴾                                       |
| ٣٧٤ | شهادات الإنجيل بشأن حماية المسيح من الموت على الصليب                                                   |
| ٣٩٤ | الآية: ﴿وما قتلوه وما صلبوه...﴾ تحكم في اعتقاد اليهود أن المسيح صار ملعوناً لموته على الصليب ولم يُرفع |
| ٤٠٩ | الرد على سؤال: أين يثبت من القرآن أن المسيح علّق على الصليب                                            |
| ٤١١ | شهادات الإنجيل والكتب الأخرى عن نزول المسيح حيا عن الصليب                                              |

|     |                                                                                                                                                            |
|-----|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| ٤٣٣ | السبب في تقديم كلمة ﴿قتلوا﴾ على ﴿صلبوا﴾                                                                                                                    |
| ٤٣٩ | إذا كان معنى الآية: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ أن عيسى <small>عليه السلام</small> رُفِعَ إلى السماء بالجسد المادي فأى آية تحكم في الأمر المختلف فيه؟ |
| ٤٤١ | الرد على أن الآية: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ تدل على حياة المسيح ابن مريم                                                                 |
| ٤٤٣ | معنيان للآية: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾                                                                                                   |
| ٤٤٤ | أن كلمة: ﴿لِيُؤْمِنَنَّ﴾ تفيد الاستقبال                                                                                                                    |
| ٤٤٦ | معان مختلفة استنبطها العلماء من الآية: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾                                                                          |
| ٤٥١ | الرد على أن معنى استنبطه ابن عباس وغيره من الصحابة من كلمة ﴿ليؤمنن به﴾ لا تبقى خاصة بالاستقبال                                                             |
| ٤٥٣ | اختلاف المفسرين في مرجع الضمير "به" في ﴿ليؤمنن به﴾                                                                                                         |
| ٤٦٦ | كون المسيح كلمة الله وروح منه لا يثبت كونه ابن الله                                                                                                        |



# فهرس الآيات المفسرة

| رقم الآية | سورة آل عمران                                               | الصفحة |
|-----------|-------------------------------------------------------------|--------|
| ٤-٢       | ﴿الم * الله لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...﴾ | ١      |
| ٥         | ﴿مَنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأُنْزِلَ الْفُرْقَانُ..﴾     | ٢      |
| ٨         | ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ...﴾       | ٢      |
| ٩         | ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا...﴾ | ٩      |
| ١٠        | ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ...﴾             | ٩      |
| ١٣        | ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتُونَ...﴾                     | ١٣     |
| ١٨        | ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ...﴾          | ١٣     |
| ٢٠        | ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...﴾             | ١٣     |
| ٢١        | ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ...﴾            | ٢٠     |
| ٢٥        | ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا...﴾             | ٢٠     |
| ٢٧        | ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ...﴾    | ٢١     |
| ٢٨        | ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ...﴾  | ٢١     |
| ٣٢        | ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي...﴾   | ٢٢     |
| ٣٣        | ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ...﴾             | ٣٧     |
| ٣٧        | ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي...﴾              | ٣٨     |
| ٤٠        | ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ...﴾              | ٤٣     |
| ٤٢        | ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ...﴾            | ٤٣     |
| ٤٦        | ﴿قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ...﴾      | ٤٣     |

|     |                                                       |     |
|-----|-------------------------------------------------------|-----|
| ٤٧  | ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ...﴾               | ٤٩  |
| ٤٨  | ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ...﴾          | ٥٠  |
| ٥٠  | ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ...﴾  | ٥٣  |
| ٥٣  | ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ...﴾       | ٧٤  |
| ٥٥  | ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ...﴾            | ٧٥  |
| ٥٦  | ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَتْوَفِيكَ...﴾ | ٧٩  |
| ٦٠  | ﴿إِنْ مَثَلٌ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ...﴾ | ١٥٥ |
| ٦٢  | ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا...﴾            | ١٦١ |
| ٦٥  | ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى...﴾      | ١٦٣ |
| ٧٠  | ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...﴾         | ١٦٤ |
| ٧٢  | ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ...﴾           | ١٦٤ |
| ٧٣  | ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...﴾       | ١٦٥ |
| ٧٦  | ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ...﴾    | ١٦٥ |
| ٨٢  | ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ...﴾     | ١٦٦ |
| ٨٥  | ﴿قُلْ أَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا...﴾   | ١٦٧ |
| ٨٦  | ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا...﴾       | ١٦٧ |
| ٨٧  | ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا...﴾          | ١٦٨ |
| ٩١  | ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ...﴾     | ١٦٨ |
| ٩٣  | ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا...﴾        | ١٧١ |
| ٩٧  | ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ...﴾            | ١٧٥ |
| ٩٨  | ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ...﴾     | ١٧٥ |
| ١٠٠ | ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ...﴾       | ١٨٠ |



|     |                                                                    |         |
|-----|--------------------------------------------------------------------|---------|
| ١٨١ | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ...﴾         | ١٠٣     |
| ١٨١ | ﴿وَاغْتَصِبُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا...﴾                       | ١٠٤     |
| ١٨٣ | ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ...﴾                  | ١٠٧     |
| ١٨٣ | ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾                  | ١١١     |
| ١٩٣ | ﴿ضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةَ أَيْنَ مَا...﴾                     | ١١٣     |
| ١٩٤ | ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾                    | ١١٥     |
| ١٩٤ | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا...﴾                | ١١٩     |
| ١٩٥ | ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ...﴾                          | ١٢٤     |
| ١٩٩ | ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ...﴾           | ١٣٥     |
| ٢٠٣ | ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً...﴾                          | ١٣٦     |
| ٢٠٣ | ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا ... الظَّالِمِينَ﴾                | ١٤٠-١٤١ |
| ٢٠٥ | ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ...﴾                    | ١٤٥     |
| ٢٤٢ | ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ...﴾                             | ١٤٦     |
| ٢٤٣ | ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا...﴾                    | ١٤٨     |
| ٢٤٣ | ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ | ١٥٥     |
| ٢٤٤ | ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ هُمْ...﴾                    | ١٦٠     |
| ٢٤٧ | ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ...﴾                            | ١٦٢     |
| ٢٤٧ | ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ...﴾                     | ١٦٥     |
| ٢٤٩ | ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا .... يَحْزَنُونَ﴾            | ١٧٠-١٧١ |
| ٢٥٠ | ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ...﴾                         | ١٧٤     |
| ٢٥٠ | ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ...﴾                     | ١٨٠     |
| ٢٥٢ | ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ...﴾                 | ١٨٧     |

|                    |                                                           |          |
|--------------------|-----------------------------------------------------------|----------|
| ٢٥٥                | ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾           | ١٩٢، ١٩١ |
| ٢٥٨                | ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي...﴾      | ١٩٤      |
| ٢٥٨                | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا...﴾ | ٢٠١      |
| <b>سورة النساء</b> |                                                           |          |
| ٢٦٣                | ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي...﴾     | ٢        |
| ٢٦٤                | ﴿وَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا...﴾             | ٣        |
| ٢٦٤                | ﴿وَإِنْ حِفْظُهُمْ أَلَّا تُفْسِدُوا فِي الْيَتَامَىٰ...﴾ | ٤        |
| ٢٩٠                | ﴿وَاتُوا النِّسَاءَ صِدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً... حَسِبًا﴾   | ٧-٥      |
| ٢٩١                | ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ... سَدِيدًا﴾          | ١٠-٨     |
| ٢٩٢                | ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ...﴾   | ١١       |
| ٢٩٢                | ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ... حَلِيمٌ﴾        | ١٣، ١٢   |
| ٢٩٤                | ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾                    | ١٥       |
| ٢٩٤                | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ...﴾    | ٢٠       |
| ٢٩٩                | ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ...﴾               | ٢٣       |
| ٢٩٩                | ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ...﴾    | ٢٤       |
| ٣٠٠                | ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا...﴾          | ٢٥       |
| ٣٠٣                | ﴿... وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ...﴾        | ٢٦       |
| ٣٠٣                | ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ...﴾              | ٢٩       |
| ٣٠٥                | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا...﴾        | ٣٠       |
| ٣٠٥                | ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا...﴾        | ٣٥       |
| ٣٠٩                | ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ...﴾            | ٣٧       |
| ٣٠٩                | ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ...﴾         | ٣٨       |

|     |                                                               |     |
|-----|---------------------------------------------------------------|-----|
| ٤٢  | ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ...﴾                | ٣١٠ |
| ٤٤  | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ...﴾ | ٣١٠ |
| ٤٧  | ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ...﴾            | ٣١١ |
| ٤٩  | ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ...﴾            | ٣١٢ |
| ٥٢  | ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ...﴾       | ٣١٣ |
| ٥٥  | ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا...﴾                      | ٣١٣ |
| ٥٧  | ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ﴾     | ٣١٤ |
| ٥٩  | ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ...﴾  | ٣١٤ |
| ٦٠  | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ...﴾         | ٣١٥ |
| ٦٣  | ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ...﴾                   | ٣١٨ |
| ٦٥  | ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ...﴾          | ٣١٨ |
| ٦٦  | ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ﴾                     | ٣١٩ |
| ٧٠  | ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ...﴾          | ٣١٩ |
| ٧٩  | ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ...﴾               | ٣٢٩ |
| ٨٢  | ﴿وَيُثْبِتُونَ طَاعَةً فَإِذَا بَرَزُوا...﴾                   | ٣٣٠ |
| ٨٣  | ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ...﴾                 | ٣٣٠ |
| ٨٦  | ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ...﴾                  | ٣٣١ |
| ٨٧  | ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ...﴾       | ٣٣١ |
| ٩٤  | ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا...﴾                  | ٣٣٢ |
| ٩٥  | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ...﴾          | ٣٣٢ |
| ٩٦  | ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِّنَ...﴾                        | ٣٣٢ |
| ١٠١ | ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ...﴾              | ٣٣٢ |
| ١٠٢ | ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ...﴾                | ٣٣٣ |

|     |                                                         |          |
|-----|---------------------------------------------------------|----------|
| ٣٣٤ | ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ...﴾  | ١٠٤      |
| ٣٣٨ | ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ...﴾            | ١٠٥      |
| ٣٣٩ | ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ...﴾        | ١٠٨      |
| ٣٣٩ | ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ...﴾                 | ١١١      |
| ٣٤١ | ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا...﴾             | ١١٣      |
| ٣٤٥ | ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ...﴾     | ١١٤      |
| ٣٤٧ | ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾       | ١٢٣      |
| ٣٤٨ | ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾   | ١٢٧      |
| ٣٤٨ | ﴿وَإِنَّ امْرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا...﴾           | ١٢٩      |
| ٣٤٩ | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ...﴾ | ١٣٦      |
| ٣٥٠ | ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ...﴾   | ١٣٧      |
| ٣٥٠ | ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ...﴾         | ١٤٢      |
| ٣٥١ | ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ...﴾    | ١٤٦      |
| ٣٥٢ | ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ...﴾ | ١٤٨      |
| ٣٥٢ | ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ...﴾   | ١٥١-١٥٣  |
| ٣٥٣ | ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ...﴾       | ١٥٦-١٥٩  |
| ٤٤١ | ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا...﴾               | ١٦٠      |
| ٤٦٣ | ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ...﴾              | ١٦٥، ١٦٦ |
| ٤٦٥ | ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنْ...﴾    | ١٦٩، ١٧٠ |
| ٤٦٥ | ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ...﴾    | ١٧١      |
| ٤٦٥ | ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ...﴾   | ١٧٢      |
| ٤٧١ | ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ...﴾     | ١٧٥      |

